٦٥٦

التبيان

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

الجزء السابع

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

٦٥٦

التبيان

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠ هـ

الجزء السابع

شبكة الفكر
alfeker.net

تحقيق

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة

سرشناسه: طوسي، محمّد بن حسن، ٣٨٥ ـ ٤٦٠ ق.
عنوان ونام پديدآور: التبيان في تفسير القرآن / تأليف ابي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي؛ تحقيق مؤسّسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة.
مشخّصات نشر: قم: جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة بقم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٣ ق. = ١٣٧١ ـ.
مشخّصات ظاهرى: ١١ ج.
فروست: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفه؛ ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠.
شابك: دورة: ٥ ـ ٠٧٠ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨؛ ج. ٧: ٥ ـ ٨٧٢ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
وضعيت فهرست نويسى: برونسپاري.
يادداشت: عربي.
يادداشت: ج. ٢ (چاپ اوّل: ١٤١٧ ق. = ١٣٧٥).
يادداشت: ج. ٤ (چاپ اوّل: ١٤٢٠ ق. = ١٣٧٨).
يادداشت: ج. ٥ (چاپ اوّل: ١٤٣٤ ق. = ١٣٨٢).
يادداشت: ج. ٧ (چاپ اوّل: ١٤٢٩ ق. = ١٣٨٧).
يادداشت: ج. ٩ (چاپ اوّل: ١٤٣٠ ق. = ١٣٨٨).
يادداشت: ج. ١١ (چاپ اوّل: ١٤٣١ ق. = ١٣٨٨).
يادداشت: كتابنامه.
موضوع: تفاسير شيعه ــ قرن ٥ ق.
شناسه افزوده: جامعهٔ مدرّسين حوزهٔ علميّه قم، دفتر انتشارات اسلامي.
رده‌بندى كنگره: ١٣٧١ ٢ ن ٩ ط ٩٤ BP
رده بندى ديويى: ١٧٢٦ / ٢٩٧
شماره كتابشناسى ملّى: ٣٨٥٠ ـ ٧١ م

التبيان

في تفسير القرآن

(ج ٧)

■ تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي رحمه الله □
■ الموضوع: التفسير □
■ تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات: ٦٤٤ □
■ الطبعة: الثانية □
■ المطبوع: ٣٠٠ نسخة □
■ التاريخ: ١٤٤٠ هـ. ق □
■ شابك دورة: ٥ ـ ٠٧٠ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ □
■ شابك ج ٧: ٥ ـ ٨٧٢ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ □
978 - 964 - 470 - 872 - 5

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

سورة الأنفال

هذه السورة مدنيّة في قول قَتادَة وابن‌عبّاس ومجاهد وعثمان، وقال: هي أوّل ما نزل على النبيّ صلّى الله عليه وآله بالمدينة. وحُكِيَ عن ابن‌عبّاس: أنّها مدنيّة إلّا سبع آيات: أوّلها: ﴿وإذ يمكر بك الّذين كفروا﴾ إلى آخر سبع آيات بعدها.

وهي خمس وسبعون آية في الكوفي، وسبع وسبعون آية في الشامي، وستّ [وسبعون] (١) في المدنيّين والبصري.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قوله عزّ وجلّ:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ آية بلا خلاف.

اختلف المفسّرون في معنى الأنفال هاهنا، فقال بعضهم: هي الغنائم الّتي غنمها النبيّ صلّى الله عليه وآله يوم بدر، فسألوه لمن هي؟ فأمر الله تعالى نبيّه أن يقول لهم: هي لله ولرسوله، ذهب إليه عِكْرِمَة ومجاهد والضحّاك وابن‌عبّاس وقَتادَة وابن زيد.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

وقال قوم: هي أنفال السرايا، ذهب إليه عليّ بن صالح بن يحيى.

وقال قوم: هو ما شذّ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو جارية من غير قتال أو ما أشبه ذلك، عن عطاء وقال: هو للنبيّ صلى الله عليه وآله خاصّة يعمل به ما يشاء.

ورُوِي عن ابن‌عبّاس في رواية أخرى: أنّه ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم من الفرَس والدرع والرمح. وفي رواية أُخرى: أنّه سَلَبُ الرجل وفرسه ينفّل النبيّ صلى الله عليه وآله من شاء.

وقال قوم: هو الخُمْس، رُوِي ذلك عن مجاهد، قال: قال المهاجرون: لِمَ يُرْفَع منّا هذا الخُمْس ويُخْرَج منّا؟ فقال الله: هو لله والرسول.

ورُوِي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام: أنّ الأنفال كلّ ما أُخِذ من دار الحرب بغير قتال إذا آنجلى عنها أهلها ـ ويسمّيه الفقهاء: فيئاً ـ وميراث من لا وارث له، وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب، والآجام وبطون الأودية والموات ... ، وغير ذلك ممّا ذكرناه في كتب الفقه[1]. وقالا: هو لله وللرسول وبعده للقائم مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه ومن يلزمه مؤنته، ليس لأحد فيه شيء. وقالا: إنّ غنائم بدر كانت للنبيّ صلى الله عليه وآله خاصّةً، فسألوه أن يعطيهم.

وفي قراءة أهل البيت: ﴿يسألونك الأنفال﴾ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ ولذلك قال: ﴿فاتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ ولو سألوه عن موضع الاستحقاق لم يقل لهم: اتّقوا الله.

و «الأنفال»: جمع «نَفَل» و «النَفَل» هو الزيادة على الشيء، يُقال:

(١) النهاية: ١٩٩.

«نَفَّلتك كذا» إذا زدته، قال لَبِيد بن رَبِيعَة:

إنّ تَـقْوى ربِّـنا خَـيْرُ نَـفَلْ وبإذْنِ الله رَيْثي والعَـجَلْ [١]

و«النَفَل»: هو ما أُعطيه المرء على البلاء والغناء على الجيش [٢] على غير قسمة، وكلّ شيء كان زيادة على الأصل فهو نَفَل ونَافِلَة، ومنه: قيل لولدِ الوَلَد: «نافِلَة» ولِمَا زاد على فرائض الصلاة: «نافِلَة».

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية، فقال قوم: نزلت في غنائم بدر، لأنّ النبيّ ﷺ كان نفَّل أقواماً على بلاء، فأبلى أقوام وتخلّف آخرون مع النبيّ ﷺ فلمّا انقضى الحرب اختلفوا، فقال قوم: نحن أخذنا لأنّا قـتلنا، وقال آخرون: نحن أحطنا بالنبيّ ﷺ ولو أردنا لأخذنا، وقال آخرون: نحن كنّا وراءكم نحفظكم، فأنزل الله هذه الآية يعلمهم أنّ ما فعل فيها رسول الله ﷺ ماضٍ جائز. ذهب إليه ابن عبّاس وعِكْرِمَة وعبادة بن الصامت.

وقال قوم: نزلت في بعض أصحاب النبيّ ﷺ سأل من المغنم شيئاً قبل قسمتها فلم يعطه إيّاها إذ كان شِرْكاً بين الجيش، فجعل الله جميع ذلك للنبيّ ﷺ. رُوِيَ [٣] ذلك عن سعد بن مالك ـ وهو ابن أبي وقّاص ـ قال: وكان سيف سعيد بن العاص لمّا قتلته إخوته، وكان يسمّى: «ذا الكتيفة» قال سعد: أتيت النبيّ ﷺ فسألته سيفاً فقال: ليس هذا لي ولا لك، فولّيت عنه، قال: فإذا رسول الله ﷺ خلفي فقال: إنّ السيف قد صار لي فأعطانيه، ونزلت الآية.

---

(١) من قصيدة يذكر فيها مآثره ومواقفه. راجع ديوان لَبيد: ١٣٩.

(٢) كذا، وقد وردت العبارة في الطبري، إلّا أنّ فيه بدل «على الجيش»: عن الجيش.

(٣) رواه الطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١١٧ مسنداً.

ورُوِيَ[(١)] عن أبي أُسَيْد مالك بن رَبِيعَة قال: أصبت سيف آبن عابد[(٢)]، وكان يسمّى: «المرْزُبان» فألقيته في النَفَل، فقام الأرْقَم بن أبي الأرْقَم المخزومي فسأل رسول‌الله فأعطاه إيّاه.

وقال آخرون[(٣)]: إنّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله سألوه أن يقسّم غنيمة بدر عليهم يوم‌بدر، وأعلمهم‌الله: أنّ ذلك لله ولرسوله دونهم، ليس لهم فيه شيء.

وقالوا: معنى: ﴿عن﴾ هاهنا معنى «من» وكان ابن مسعود يقرأه: ﴿يسألونك الأنفالَ﴾ على هذا التأويل، وهذا مثل ما رويناه عن أبي جعفر وأبي‌عبدالله عليهما السلام رُوِيَ ذلك عن الأعمش، والضحّاك عن آبن مسعود، ورُوِيَ ذلك عن ابن‌عبّاس وابن جُرَيْج وعَمْرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جدّه، وعن الضحّاك وعِكْرِمَة، وآختاره الطبري، هو قول الحسن.

وقال الحسن: قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: «أيّما سريّة خرجت بغير إذن إمامها فما أصابت من شيءٍ فهو غلول».

وقال الزجّاج: كانت الغنائم قبل النبيّ صلى الله عليه وآله حراماً، فسألوا النبيّ عن ذلك، فنزلت الآية. وهذا بعيد.

واختلفوا هل هي منسوخة أم لا؟

فقال قوم: هي منسوخة بقوله: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء﴾ الآية، ورُوِيَ ذلك‌عن‌مجاهد وعِكْرِمَة‌والسُدّي وعامر والشعبي، وآختاره‌الجُبّائي.

وقال آخرون: ليست منسوخة، ذهب إليه ابن زيد وآختاره الطبري. وهو الصحيح، لأنّ النسخ محتاج إلى دليل، ولا تنافي بين هذه الآية وبين

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١١٧ مسنداً.

(٢) في الطبري: عائذ.

(٣) منهم الطبري في تفسيره: ص ١١٨ وقد أخرج ذلك عن ابن‌عبّاس.

آية الخُمْس فيُقال: إنّها نسختها.

وٱختلفوا هل لأحدٍ بعد النبيّ ﷺ أن ينفّل أحداً؟ ذكرناه في الخلاف[١].

فقال سعيد بن المسيّب: لا نَفَل بعد رسول الله. وبه قال عَمْرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جدّه.

وعندنا وعند جماعة من الفقهاء ـ واختاره الطبري ـ : أنّ للأئمّة أن يتأسّوا بالنبيّ ﷺ في ذلك.

وقوله: ﴿فاتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ أمر من الله للمكلّفين أن يتّقوا معاصيه ويفعلوا طاعاته، وأن يصلحوا ذات بينهم.

وٱختلفوا في معناه، فقال قوم: هو أنّ النبيّ ﷺ كان ينفّل الرجل من المؤمنين سَلَب الرجل من الكفّار إذا قتله، فلمّا نزلت الآية أمرهم أن يردّ بعضهم على بعض، ذهب إليه قَتادَة وٱبن جُرَيْج.

وقال قوم: هذا نهي من الله للقوم عن الاختلاف فيما ٱختلفوا فيه من أمر الغنيمة يوم بدر، ذهب إليه مجاهد وابن عبّاس وسُفْيان والسُدّي.

وٱختلفوا: لِمَ قال: ﴿ذات بينكم﴾ فأنّث، و«البين» مذكّر؟

فقال قوم[٢]: أراد ﴿ذات بينكم﴾ للحال الّتي لـ«البين» كما يقولون: «ذات العشاء» يريدون : الساعة الّتي فيها العشاء، ولم يصفوا مذكّراً لمؤنّثٍ ولا مؤنّثاً لمذكّر. قال الزجّاج: أراد الحال الّتي ينصلح بها أمر المسلمين[٣].

وقال الأخْفَش: جعله ﴿ذات﴾ لأنّ بعض الأشياء يوضع عليه اسم المؤنّث وبعضه يذكّر، مثل: «الدار» و«الحائط» أنّث «الدار» وذكّر «الحائط».

وقوله: ﴿أطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ أمر من الله للخلق أن

---

(١) كتاب الخلاف: ج ٤ ص ١٨٣ المسألة ٣.

(٢) منهم الطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١٢٠.

(٣) معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٠٠.

يطيعوه ولا يعصوه، ويطيعوا رسوله فيما يأمرهم بـه إن كـانوا مـصدِّقين لرسوله فيما يأتيهم به من قِبَل الله، لأنّهم متى لم يطيعوه ولم[١] يقبلوا منه لم يكونوا مؤمنين.

ورُوِيَ[٢]: أنّ رسول الله ﷺ قسّم غنائم بدر بينهم عـن تـواء، يـعني سواء، ولم يخمس وإنّما خمس بعد ذلك.

وقـال الزجّـاج: ﴿ذات بينكم﴾ مـعناه: حـقيقة وصـلكم، و «البـين»: الوصل، لقوله تعالى: ﴿لقد تقطّع بينكم﴾[٣] أي: وصلكم[٤].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

أقول: استدلّ مَن قال: إنّ الإيمان يزيد وينقص وإنّ أفعال الجوارح قد تكون إيماناً، بهذه الآيات، فقالوا: نَفَى الله أن يكون المؤمن إلّا من إذا ذُكِر الله وَجِل قلبه وإذا تليت عليه آياته أي: قُرِئَت زادتهم الآية إيماناً بمعنى: أنّهم يزدادون عند تلاوتها إيماناً وأنّـهم عـلى الله يـتوكّلون فـي جـميع أمورهم ﴿الّذين يقيمون الصلاة﴾ بمعنى: يأتون بها على ما بيّنها النبيّ ﷺ وينفقون ممّا رزقهم الله في أبواب البرّ، وإخراج الواجبات من الزكاة وغيرها.

ثمّ وصفهم بأنّ هؤلاء الّذين وصفهم بـهذه الأوصـاف ﴿هم المؤمنون حقّاً﴾ يعني: الّذين أخلصوا الإيمان، لا كمن كان له اسمه على الظاهر، وأنّ

(١) كذا، وفي الحجريّة: لا يقبلوا.
(٢) رواه السيوطي في الدرّ المنثور: ج ٤ ص ٧ عن عائشة وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) الأنعام: ٩٤.
(٤) معاني القرآن واعرابه: ج ٢ ص ٤٠٠.

لهم الدرجات عند الله ـ وهي المنازل الّتي يتفاضل بها بعضهم على بعض ـ وأنّ لهم المغفرة والرزق الكريم، فدلّ على أنّ من ليس كذلك ليس له ذلك.

ومَن خالف في ذلك قال: هذه أوصاف أفاضل المؤمنين وخيارهم، وليس يمتنع أن يتفاضل المؤمنون في الطاعات وإن لم يتفاضلوا في الإيمان، يبيّن ذلك أنّه قال في أوّل الآية: ﴿إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ ووجل القلب ليس بواجبٍ بلا خلاف، وإنّما ذلك من المندوبات، وقوله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون﴾ لأنّه إذا صدَّق بآية آية أنّها من عند الله فلا شكّ أنّ معارفه تزداد وإن لم يزد بفعل الجوارح.

وقوله: ﴿الّذين يقيمون الصلاة﴾ يدخل في ذلك الفرائض والنوافل، ولا شكّ أنّ الإخلال بالنوافل لا يخرج من الإيمان ولا ينقص منه عند الأكثر. والإنفاق أيضاً قد يكون بالواجب والنفل، والإخلال بما ليس بواجبٍ منه لا يخرج من الإيمان بلا خلاف.

وقوله: ﴿أُولئك هم المؤمنون حقّاً﴾ يبيّن ذلك أنّه أشار به إلى خيارهم وأفاضلهم، لأنّ هذه أوصافهم فمن أين أنّ غيرهم وإن كان دونهم في المنزلة لا يكون مؤمناً؟!

وقال ابن‌عبّاس: أراد: أنّ المنافق لا يدخل قلبه شيء من ذلك عند ذكر الله، وأنّ هذه الأوصاف منتفية عنه.

و «الوَجَل» و «الخَوْف» و «الفَزَع» واحد، يقال: وَجِلَ فلان يُوجَلُ وَجَلاً، ويقال: ياجَلُ ويَيْجَلُ ويِيجَلُ، وأفصحها: يَوْجَلُ. قال الله تعالى: ﴿لا تَوْجَلْ﴾ (١) أي: لا تخف، وقال الشاعر:

---

(١) الحِجْر: ٥٣.

لَعَمْرِكَ ما أدرِي وإنِّي لأَوْجَلُ ... على أيِّنا تَعْدُو المـنِيَّةُ أوّلُ[١]

وإنّما وصفهم بالوَجَل هاهنا، وباطمئنان القلوب في قوله: ﴿الّذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله﴾ [٢] لأنّ الوَجَل يكون بالخوف من عقابه وبارتكاب معاصيه، و «الاطمئنان بذكر الله» معناه: بنِعَمِه وعدله. ووصفهم بالوَجَل يكون في دارالدنيا، وأمّا في الآخرة فإنّه ﴿لايحزنهم الفَزَع الأكبر﴾ [٣].

وقال الربيع: معنى ﴿زادتهم إيماناً﴾: زادتهم حسنة.

و«الدرجات عند الله» قال قوم: معناها: أعمال رفيعة وفضائل آستحقّوها في أيّام حياتهم، ذهب إليه مجاهد. وقال غيره[٤]: معناه: لهم مراتب رفيعة[٥]. و «الرزق الكريم» قال قَتادَة: هو الجنّة. وقال غيره: هو ما أعدّ الله لهم وَوَعدَهم به في الجنّة من أنواع النعيم. و «المغفرة» يعني: لذنوبهم ومعاصيهم سترها الله عليهم.

وقوله: ﴿حقّاً﴾ منصوب بمعنىً دلّت عليه الجملة، وهي قوله: ﴿أُولئك هم المؤمنون﴾ والمعنى: أحقّ ذلك حقّاً.

و «التوكّل» هو الثقة بالله في كلّ أمرٍ يُحْتَاج إليه، تقول: «وَكَلْت الأمر إلى فلان» إذا جعلت إليه القيام به، ومنه: «الوكيل» القائم بالأمر لغيره، و «الكريم» القادر على النِعَم من غير مانع، ولم يزل الله كريماً بهذا المعنى.

قوله تعالى: كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۝٥ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَاتَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ آيتان بلا خلاف .

---

(١) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٤٠، ونسبه إلى مَعن بن أوْس.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) الأنبياء: ١٠٣.

(٤) راجع تفسير الطبري: ج ٩ ص ١٢١.

(٥) أي: في الجنّة.

أقول: من مدَّ ألف ﴿كما﴾ فلأنّ المدّ يقع في حروف اللين، وهي: الألف والواو والياء، فإذا كان الحرف منها قبل همزة وكانت الواو والياء ساكنتَيْن ـ والألف لا تكون إلّا ساكنة ـ مدّوا الألف، كألف هذه الكلمة، وكقوله: ﴿من السماء من ماءٍ﴾ [1] بمدّ ألف «السماء» وألف «ماء»، والياء نحو قوله: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحي يوحى﴾ [2] بمدّ الياء من «الهوى»، والواو ونحو قوله: ﴿قالوا أأَنت فعلْتَ هذا﴾ [3] بمدّ الواو.

واختلفوا في الكاف من قوله: ﴿كما﴾ إشارة إلى ماذا؟ فقال الزجّاج وغيره: قوله: ﴿كما أخرجك﴾ معطوف على قوله: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ والمعنى في ذلك: أنّ رسول‌الله لمّا جعل النَفَل لمن جعله له وسلّمه المؤمنون لذلك على كراهية بعضهم له كراهية طباع، فقال: ﴿الأنفال لله والرسول﴾ فامض لذلك وإن كرهه قوم، كما مضيت ﴿كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ﴾ وهم كارهون أيضاً، لأنّهم كانوا كرهوا خروجه الكراهية الّتي ذكرناها، وليس على المؤمنين في هذه الكراهية حرج إذا سلّموا الأمر لله ورسوله، وعملوا بما فيه طاعاتهما.

وقال غيره[4]: ذلك معطوف على قوله: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ كأنّه قال: يسألونك عن الأنفال كما جادلوك عند ما أخرجك ربّك من بيتك، فذلك قوله: ﴿يجادلونك في الحقّ بعد ما تبيّن﴾.

وقال قوم[5]: يجوز أن يكون الكاف عطفاً على قوله: ﴿أُولئك هم

---

(١) البقرة: ١٦٤. (٢) النجم: ٣ و٤. (٣) الأنبياء: ٦٢.
(٤) وهو الكسائي. راجع إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٧٦.
(٥) منهم: سعيد بن مسعدة. راجع المصدر السابق.

المؤمنون حقّاً ... كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ﴾. وقال بعضهم: ﴿كما أخرجك ربّك من بيتك ... فاتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ (١).

وقال مجاهد: ﴿كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ ... يجادلونك في الحقّ من بعد ما تبيّن﴾ يعني: يجادلونك في القتال بعد ما أمرت [به].

وقال الفرّاء: قوله: ﴿كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ﴾ جوابه قوله: ﴿وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ فقال: فامض لأمرك في الغنائم على ما شئت.

﴿كما أخرجك ربّك﴾ مجاز اليمين (٢) كأنّه قال: والّذي أخرجك ربّك، فتكون «ما» في موضع «الّذي» كقوله: ﴿وما خلق الذكر والأُنثى﴾ (٣) وتقديره: والّذي خلق الذكر.

وقال أَبو عُبَيْدَة مَعْمَرُ بن المثنّى: «ما» في قوله: ﴿كما أخرجك﴾ كما في قوله: ﴿وما بناها﴾ (٤) أي: وبنائها.

وقال عِكْرِمَة: المعنى ﴿اتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ فإنّ ذلك خير لكم ﴿كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ﴾ وكان خيراً لكم.

وقال بعضهم (٥): الكاف بمعنى «على» كأنّه قال: امْضِ على الّذي أخرجك من بيتك.

والحقّ ـ الّذي جادلوا فيه ـ هو القتال، في قول مجاهد. و «بيتك» يُراد به المدينة، أخرجه الله إلى بدر، في قول ابن جُرَيْج وابن أبي نجيح وأكثر المفسّرين.

---

(١) نسبه الأخفش إلى بعض أهل العلم. راجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٤١.

(٢) في مجاز القرآن لأبي عبيدة ج ٢ ص ٢٤٠: مجازها مجاز القسم.

(٣) الليل: ٣. (٤) الشمس: ٥. (٥) منهم الأخفش في معانيه: ج ٢ ص ٥٤١.

ووجه كراهية القتال ما ذكره ابن‌عبّاس من أنّ أبا سفيان لمّا أقبل بِعِير قريش من الشام فيها أموالهم ندب النبيّ صلى الله عليه وآله المسلمين إلى الخروج إليها، قال: لعلّ الله أن ينفِّلكموها، فانتدب إليهم، فخَفّ بعضهم وثَقُل بعضهم، ولم‌يظنّوا أنّ رسول‌الله مُلْقٍ كيداً ولا حرباً، وهو قول السُدّي والمفسّرين.

واختلفوا في المؤمنين الّذين كرهوا القتال، وجادلوا النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال قوم: أراد به أهل الإيمان يوم بدر، ذُكِرَ ذلك عن ابن‌عبّاس وابن إسحاق.

وقال قوم: عَنَى المشركين، ذهب إليه ابن زيد، وقال: هؤلاء المشركون جادلوه في الحقّ ﴿كأنّما يساقون إلى الموت﴾ حين يدعوهم إلى الإسلام ﴿وهم ينظرون﴾ قال: وتكون هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر.

وقول ابن‌عبّاس هو الظاهر، وعليه أكثر المفسّرين، وهو أنّ هذا صفة للمؤمنين لكن كرهوا ذلك كراهية الطبع، لكونهم غير مستعدّين للقتال، ولقلّتهم وكثرة المشركين، ويقوّي ذلك قوله بعد هذه الآية: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودّون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ [1] فبيّن بذلك أنّهم كانوا يودّون العير دون الحرب.

وقوله: ﴿بعد ما تبيّن﴾ أنّك يا محمّد لا تصنع إلّا ما أمرك الله به. وقال ابن‌عبّاس: معناه: يجادلونك في القتال بعد ما أُمرت به. و«الجَدَل» شدّة الفَتْل، ومنه قولهم: جَدَلْت الزمام إذا شَدَدْت فَتْلَه، و «الأجْدَل»: الصقر لشدّته.

وقوله: ﴿كأنّما يساقون إلى الموت وهم يَنْظرون﴾ معناه: كأنّ هؤلاء الّذين يجادلونك في لقاء العدوّ في كراهتهم للقتال إذا دُعُوا إليه وصعوبته

---

(١) الأنفال: ٨.

عليهم بمنزلة من يُساق إلى الموت، وهم يرونه أو يتوقّعونه، و «السوق»: الحثّ على السير عَجَلةً.

و «الإخراج» في الآية معناه: الدعاء إلى الخروج الّذي يقع به، تقول: أخْرَجَه فَخَرَج أي: دعاه فَخَرَج، ومثله: أضْرَبْتُ زيداً عَمْراً، فضربه، وسُمِّي البيت بيتاً لأنّه خباء مُهيَّأ للبيتوتة فيه، وقوله: ﴿من بيتك﴾ قال الحسن وابن أبي برَّة وابن جُرَيْج: معناه: من المدينة.

قوله عزّوجلّ:

وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ آيتان بلا خلاف .

أقول:تقدير الآية: واذكر يا محمّد ﴿إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ إمّا العير وإمّا قريشاً. قال الحسن: كان المسلمون يريدون العير، ورسول‌الله يريد ذات الشوكة لما وَعَدَه الله، وقوله: ﴿إحدى الطائفتين﴾ يعني: عير قريش أو قريشاً، وكان الله وعد نبيّه حصول إحداهما له.

وقوله: ﴿إحدى الطائفتين﴾ في موضع نصب بـ ﴿يعدكم الله﴾ وقوله: ﴿أنّها لكم﴾ نصب بدل من قوله: ﴿إحدى الطائفتين﴾ ومثله: ﴿هل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتةً﴾[(١)] فـ «أن» في موضع نصب بدلاً من ﴿الساعة﴾. ومثله: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تَطَؤُوهم﴾[(٢)] قال الزجّاج: تقديره: لولا أن تطؤُوهم.

وقوله: ﴿وتودّون﴾ معناه: وتحبّون ﴿أنّ غير ذات الشوكة﴾ يعني: القتال،

---

(١) الزخرف: ٦٦. (٢) الفتح: ٢٥. (٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٥ ص ٢٧.

وإنّما قال: ﴿ذات الشوكة﴾ فأنّث لأنّه عَنَى الطائفة، والشوكة: الحدّ[١] يقال: ما أشدّ شوكة بني فلان، وفلان شاكٍ في السلاح وشائِك وشاكٌّ ـ بتشديد الكاف ـ من الشِكّة. ومثله: «شاكٌ» في قول الشاعر:

فَتَوهَّمُوني أنّني هو ذاكُمُ ... شَاكٍ سلاحي فيالحوادِثِمُعْلِمُ[٢]

وقال الضحّاك وغيره: كرهوا القتال وأعجبهم أن يأخذوا العير.

وقوله: ﴿ويريد الله أن يحقّ الحقّ﴾ معناه: أنّالله يريدأن يظهرمحمّداً صلى الله عليه وآله ومن معه على الحقّ ﴿ويبطل الباطل﴾ أي: يبطل ما جاء به المشركون. وقيل: هذه الآية نزلت قبل قوله: ﴿كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ﴾ وهي في القراءة بعدها، ذكره البلخي والحسن.

وفي الآية دلالة على أنّ الله لا يريد الباطل ولا يريد إبطال الحقّ، بخلاف ما يقول المجبِّرة من أنّ كلّ ما في الأرض من باطل وسفه وفسق فإنّ الله يريده، لأنّ ذلك خلاف الآية.

وقوله: ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ معناه: يريد الله أن يجتثّ الجاحدين من أصلهم، والدابر: المؤخّر، وقطعه: الإتيان على جميعهم، وهو قول ابن زيد وغيره. وقال قوم: ﴿الحقّ﴾ في هذا الموضع: القرآن، و ﴿الباطل﴾: إبليس. وقيل: ﴿الحقّ﴾: الإسلام، و ﴿الباطل﴾: الشرك.

وقال ابن عبّاس: كان عدّة أهل بدر مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

---

(١) أي: الحِدّة في السلاح.

(٢) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ٣ ص٤٦٦، ونسبه إلى طَريف بن تميم، وفيه: «فتعرّفوني أنّني أنا ذاكم».

ورُوِي[١]: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا بلغه خروج قريش لحماية العير شاوَرَ أصحابه، فقال قوم: خرجنا غير مستعدّين للقتال، وقال المقداد: امض لما أمرك الله به، فوالله لو خضت بنا الجمر لتبعناك، فجزاه خيراً، وأعاد الاستشارة، فقال سعد بن معاذ رحمه الله: يا رسول‌الله لعلّك تريدنا؟ قال: نعم، فقال سعد: إنّا آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامْضِ يا رسول‌الله لما أردت، فو الّذي بعثك بالحقّ لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنّه معك، فسرَّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله بقول سعد ونشطه ذلك، ثمّ قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإنّ الله وعدني إحدى الطائفتَيْن، والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم.

و﴿الحقّ﴾: وقوع الشيء في موضعه الّذي هو له، فإذا اعتُقِدَ شيءٌ بضرورةٍ أو حجّةٍ فهو حقٌّ، لأنّه وقع موقعه الّذي هو له، وعكسه الباطل.

ورُوِيَ: أنّ أحداً لم يشاهد الملائكة يوم بدر إلّا رسول‌الله صلى الله عليه وآله.

ومعنى قوله: ﴿ليحقّ الحقّ﴾ ليظهر تحقيق الحقّ للمخلوقين، ويبطل الباطل، لا أنّهما لم يكونا كذلك عنده.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ آية بلا خلاف.

أقول: قرأ أهل المدينة ويعقوب: ﴿مُردَفين﴾ بفتح الدال، الباقون بكسرها.

قال أبو عليّ: مَن قرأ بكسر الدال احتمل شيئين:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١٢٤ عن ابن عبّاس.

أحدهما: أن يكونوا مردِفين مثلهم، كما تقول: أَرْدَفْتُ زيداً دابّتي، فيكون المفعول الثاني محذوفاً في الآية، وذلك كثير.

الثاني: أن يكون معنى ﴿مردِفين﴾: جاءوا بعدهم. قال أبو الحسن: تقول العرب: بنو فلان يردِفُونَنا، أي: هم يجَيئون بعدنا، وهو قول أبي عُبَيْدَة، و «رَدَفَني» و «أَرْدَفَني» واحد[1] قال الشاعر:

إذا الجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنُونا[2]

وقال قوم: «رَدِفَه»: صار له رِدْفاً، و «أَرْدَفَه»: جعله له رِدْفاً. ويكون: أَرْدَفتِ الثريا نفسها، ومعنى البيت: أنّ الجوزاء إذا طَلَعَت في شدّة الحرّ لم يبقَ حينئذٍ أحد من في البوادي في مناجعهم، لأنّ مياه الغدران يبست فيتفرّق الحلل بعد اجتماعها، فيتفرّق ظنونه في أمر فاطمة: أنّها أيّ ماءٍ تأخذ لتعلق قلبه بها، وهي فاطمة بنت حلٍّ بن عَدِيّ.

وقول أبي عُبَيْدَة: «رَدَفَني وأَرْدَفَني واحد» أقوى، لقوله: ﴿إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدُّكم بألف من الملائكة مردفين﴾ أي: جاء من بعد لاستغاثتكم ربّكم، ف ﴿مردفين﴾ على هذا صفة للـ«ألف» الّذين هم الملائكة.

ومن قرأ بفتح الدال فمعناه: أُردِفُوا الناس، أي: أُنْزلوا بعدهم، فيجوز على هذا أن يكون حالاً من الضمير المنصوب في: «ممدّكم مردَفين بألف من الملائكة».

والعامل في ﴿إذ﴾ يحتمل شيئين: أحدهما: «ويبطل الباطل إذ» الثاني: بتقدير: «اذكروا إذ» فعلى الوجه الأوّل يكون متّصلاً بما قبله، وعلى الثاني يكون مستأنفاً.

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٢٩٠.

(٢) أنشده في تهذيب اللغة: مادّة «قرظ» ونسبه إلى حَزيمة بن نَهْد.

و«الاستغاثة»: طلب المعونة وهو سدّ الخلّة في وقت شدّة الحاجة، وقيل فيمعنى ﴿تستغيثون ربّكم﴾: تستجيرون به من عدوّكم، و«الاستجابة»: موافقة المسألة بالعَطيّة، وأصله: طلب الموافقة بالإرادة، وليس في الإجابة معنى الطلب من هذه الجهة.

وقيل في معنى ﴿مردفين﴾ ثلاثة أقوال: قال ابن‌عبّاس: مع كلّ ملكٍ ملكٌ رِدْفاً له، وقال الجُبّائي: هم ألفان، لأنّ مع كلّ واحد واحد رِدْفاً له.

والثاني: قال السُدّي وقَتادَة: إنّ معناه: متتابعين.

الثالث: قال مجاهد: ممدّين بالإرداف وإمداد المسلمين بهم[١].

ويُقال: هذه دابّة لا تُرادِفُ، ولا يُقال: تُردِفُ، ويُقال: «أرْدَفْتُ الرجل» إذا جئتَ بعده. وكان يجوز أن يُقْرَأ بتشديد الدال وفتح الراء وضمّها، لأنّ الأصل: «مُرْتَدِفين» وقُرئَ في الشواذّ بضمّها. فمَن فتح الراء نقل فتحة التاء إليها، ومَن كسرها فلاجتماع الساكنَيْن، ومَن ضمّها فللاتباع.

أخبر الله تعالى عن حال أهل بدر: أنّهم لقلّة عددهم استغاثوا بالله والتجأوا إليه، فأمدّهم الله بألفٍ من الملائكة مردفين، رحمةً عليهم ورأفةً بهم، وهو قول ابن‌عبّاس. وقال: الداعي كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله وهو قول أبي‌جعفر عليه السلام والسُدّي وأبي صالح، وهو المرويّ عن عمر بن الخطّاب. وقيل: إنّهم قتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين.

وقال الحسن: جميع ما أُمدّوا به من الملائكة خمسة آلاف: ما ذُكِرَ هنا، وما ذُكِرَ في آل عمران[٢]. وقال غيره: جميعهم ثمانية آلاف. وقال الحسن: أردف بهؤلاء الألفِ، الثلاثةَ آلافٍ الّذين ذكرهم في آل عمران، ثمّ

---

(١) في الحجريّة: لهم، ن: بهم.

(٢) الآية: ١٢٤.

أردفهم بألفٍ آخر، فصاروا خمسة آلاف.

قوله عزّ وجلّ:

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ آية بلا خلاف .

أقول: الهاء في قوله: ﴿جعله الله﴾ يحتمل أن تكون عائدة إلى «الإمداد» لأنّه معتمد الكلام، وقال الفرّاء: هي راجعة إلى «الإرداف»[1]. ويحتمل أن تكون عائدة على الخبر بالمدد، لأنّ تقديم ذلك إليهم بشارة في الحقيقة.

أخبر الله تعالى أنّه لم يجعل هذا الّذي أخبر به من إمداد الملائكة إلّا بشرىً، وإنّما جعله بأن أراده به فقلبه إلى هذا المعنى . وقيل: جعله بشرىً بأن أمر الملائكة أن تبشّر به.

والجَعْل على ضروب: أوّلها: أن يكون بمعنَى «القلب» كقولك: جعلت الطين خَزَفاً، وبمعنى «الحكم» كقولك: جعله الحاكم فاسقاً، وبمعنى «الظنّ» كقولك: جعلته كريماً بحسن ظنّي به، وبمعنى «الأمر» كقولك: جعله الله مسلماً، بمعنى أمره بالإسلام.

وقوله ﴿ولتطمئنّ به قلوبكم﴾ فالاطمئنان: الثقة ببلوغ المحبوب، وهو خلاف الانزعاج، والطمأنينة: السكون والدعة.

وقوله: ﴿وما النصر إلّا من عند الله﴾ معناه: لا يكون النصر وقهر الأعداء من الكفّار إلّا بفضلٍ من عند الله ونصر من جهته، وليس ذلك بشدّتكم وقوّة بأسكم. وإنّما أضافه إلى الله لئلّا يظنّ أنّه من قِبَلِ الملائكة من غير أمره.

فأمّا الغَلَبَة بكثرة العدد فقد يتّفق للكافر والمبطل، فعلى هذا: المؤمن

---

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٠٤.

وإن قُتِلَ فهو منصور غير مخذول، والكافر وإن غَلَب وقَتَل فهو مخذول.

وهل قاتلت الملائكة يوم بدر؟ قيل فيه قولان:

قال أبو عليّ الجُبّائي: ما قاتلت، وإنّما أراد الله بالإمداد البشارة بالنصر وآطمئنان القلب ليزول عنهم الخوف الّذي كان بهم، قال: لأنّ ملكاً واحداً يقدر أن يدمّر على جميع المشركين، كما أهلك جبرائيل قريات لوط.

ورُوِيَ عن ابن مسعود: أنّها قاتلت. وقيل: سُئِل أبو جهل: من أين كان يأتينا الضرب ولا نَرى الشخص؟ قال: من قِبَلِ الملائكة، فقال: هم غلبونا لا أنتم!!

وقوله: ﴿إنّ الله عزيز﴾ يعني: قادر لا يُغالَب و﴿حكيم﴾ في أفعاله ليثقوا بوعده.

قوله عزّوجلّ:

إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ آية .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يَغْشاكم﴾ بفتح الياء وسكون الغين وبألف مخفّف، وقرأه أهل المدينة بضمّ الياء وسكون الغين وكسر الشين مخفّفاً من غير ألف، الباقون بضمّ الياء وفتح الغين وتشديد الشين وكسرها من غير ألف. وكلّهم نصب ﴿النُعاسَ﴾ إلّا آبن كثير وأبو عمرو فإنّهما رفعاه.

حجّة من فتح الياء قوله: ﴿أَمَنَةً نُعاساً يغشىٰ﴾ [1] فكما اسند الفعل إلى «النُعاس» و «الأمنة» ـ الّتي هي النعاس ـ كذلك هاهنا. ومَن قرأ بضمّ الياء شدّد الشين أو خفّفها فالمعنى واحد، قال الله تعالى: ﴿فأغشيناهم فهم

(١) آل عمران: ١٥٤.

لا يبصرون﴾ [١] وقال: ﴿فغشَّاها ما غشَّىٰ﴾ [٢] وقال: ﴿كأنّما أُغشيت وجوههم﴾ [٣] وحجّتهما أنّه أشبه بما بعده، لأنّه قال: ﴿وينزّل عليكم من السماء ماءً﴾ فكما أنّ ﴿ينزّل﴾ مسند إلى اسم الله كذلك «يُغشي» و «يَغشىٰ».

«الغِشْيان»: لباس الشيء ما يتّصل به، ومنه: غَشِيَ الرجل امرأته، فكأنّ النُعاس قد لابَسَهم بمخالطته إيّاهم. و«النُعاس»: ابتداء حال النوم قبل الاستثقال فيه، وهو السِنَةُ، تقول: نَعَسَ يَنْعُسُ نُعاساً فهو ناعِسٌ، وحَكَى الفرّاء أنّه سمع «نَعْسَان». و«الأمنة»: الدعة الّتي تنافي المخافة، تقول: أمِنَ أمناً وأماناً وأَمَنَةً، وانتصب ﴿أمَنةً﴾ بأنّه مفعول له [٤] والعامل فيه: «يغشى».

وقوله: ﴿وينزّل عليكم من السماء ماءً﴾ يعني: مطراً وغَيْثاً.

وقوله: ﴿ليطهّركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ قال ابن عبّاس: معناه: يذهب عنكم وَسْوَسة الشيطان، بأنّه غلبكم على الماء المشركون حتّى تصلّوا وأنتم مجنبين، لأنّ المسلمين باتوا ليلة بدر على غير ماء، فأصبحوا مجنِبين، فوسوس إليهم الشيطان، فقال: تزعمون أنّكم على دين الله وأنتم على غير الماء وعدوّكم على الماء تصلّون مجنِبين!! فأرسل الله عليهم السماء، فشربوا واغتسلوا وأذهب به وسوسة الشيطان، وكانوا في رمل تغوص فيه الأقدام، فشدّده المطر حتّى يثبت عليه الرجال، فهو قوله: ﴿ويثبّت به الأقدام﴾ والهاء في ﴿به﴾ راجعة إلى الماء. وقال ابن زيد: يذهب بوسوسته أنّه ليس لكم بهؤلاء طاقة. وقال الجُبّائي: لأنّ الاحتلام بوسوسة الشيطان.

---

(١) يس: ٩. (٢) النجم: ٥٤. (٣) يونس: ٢٧. (٤) في الخطّيّة: مفعول.

وقوله: ﴿وليربط على قلوبكم﴾ معناه: ليشدّ عليها بما يسكنها.

وقوله: ﴿ويثبّت به الأقدام﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن‌عبّاس ومجاهد والضحّاك وأكثر المفسّرين: لتلبيده الرمل الّذي لا يثبت عليه القدم. والثاني: الصبر الّذي أفرغه عليهم عند ذلك حتّى ثبتوا لعدوّهم، في قول أبي عُبَيْدَة والزجّاج[1].

و ﴿إذ﴾ في موضع نصب على معنى: وما جعله الله إلّا بشرى في ذلك الوقت، ويجوز على تقدير: أذكروا إذ يغشاكم.

قوله تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ آية بلا خلاف .

أقول: معنى الآية: اذكروا ﴿إذ يوحي ربّك إلى الملائكة إنّي معكم﴾ يعني: بالمعونة والنصرة، كما يقال: فلان مع فلان بمعنى: أنّ معونته معه. وذكر الفرّاء قال: كان المَلَك يأتي الرجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول: سمعت المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لنكشِفَنَّ، فيحدّث المسلمون بعضهم بعضاً فتَقْوى أنفسهم بذلك.

و «الإيحاء»: إلقاء المعنى إلى النفس من وجه يخفى، وقد يكون ذلك بنصب دليلٍ يخفى إلّا على من ألقى إليه من الملائكة.

وقوله: ﴿فثبّتوا الّذين آمنوا﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: احضروا معهم الحرب. والثاني: قال الحسن: قاتلوا معهم يوم بدر. وقال قوم: معنى ذلك: الإخبار بأنّه لا بأس عليهم من عدوّهم.

وقوله: ﴿سألقي في قلوب الّذين كفروا الرعب﴾ إخبار من الله تعالى أنّه

---

(١) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٤٢ ومعاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٠٤.

يلقي في قلوب الكفّار الرعب وهو الخوف، تقول: رَعَبْته أرْعَبُه رُعباً ورُعْباناً، فأنا راعب، وذاك مرعوب. و «الرُعْب»: انزعاج النفس بتوقّع المكروه. وأصل «الرعب»: التقطيع، من قولهم: رَعَبْتُ السَنَام تَرعيباً: إذا قطّعته مستطيلاً، و «الرعب» يقطع حال السرور بضدّه من انزعاج النفس بتوقّع المكروه، وجارِيَة رُعْبُوبة: إذا كانت شَطْبَةً مشبّهة بقطعة من السَنَام. ورَعَبَ السيلُ فهو راعِبٌ: إذا امتلأ منه الوادي، لأنّه انقطع إليه من كلّ جهة. والرَعِيبُ من الرجال: القصير، قال الراجز:

ولا أُجِيبُ الرَعْبَ إنْ رُعِبْتُ[١]

وقوله: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدهما: اضربوا الأعناق، ذهب إليه عطيّة. وقال غيره: اضربوا على الأعناق. وقال قوم: اضربوا فوق جلدة الأعناق.

وقوله: ﴿واضربوا منهم كلّ بَنَان﴾ قال ابن جُرَيْج والضحّاك والسُدّي: أراد بنان الأطراف من اليدَيْن والرجلَيْن، والواحد: بَنَانَة، ويقال للإصبع: بَنَانَة، وأصله: اللزوم، من قولهم: أبنَّتِ السحابة إبناناً إذا لزمت، وأبنَّ بالمكان: إذا لزمه فسُمّي البنان بناناً لأنّه يلزم به ما يقبض عليه، قال الشاعر:

أَلَا لَيْتَني قَطّعتُ مِنّي بَنَانَةً ولاقَيْتُهُ في البَيْتِ يَقْظَانَ حاذِرَا[٢]

وقال الفرّاء: أعلمهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرْجُل[٣]. وقال الزجّاج: أباح الله قتلهم بكلّ نوع يكون في الحرب.

(١) أنشده في تهذيب اللغة: مادّة «رعب» ونسبه إلى رؤبة، وفيه «دُعِيتُ».

(٢) لعبّاس بن مرداس السلمي. راجع ديوان العبّاس: ص ٨٠.

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٠٥. (٤) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٠٥.

و﴿إذ﴾ في موضع نصب على قوله: ﴿وليربط ... إذ يوحي﴾ ويجوز على تقدير: وآذكروا.

قوله تعالى:

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ آية بلا خلاف .

أقول: أخبر الله تعالى: أنّه إنّما فعل بهؤلاء الكفّار، وأمر بقتلهم وضرب أعناقهم وقطع بنانهم، جزاءً بما شاقّوا الله ورسوله. قال الزجّاج: معناه: جانبوا الله، أي: صاروا في جانب غير جانب المؤمنين. ومثله: حاربوا الله[1].

و «الشِقَاق» أصله: الانفصال، من قولهم: انشقَّ انشقاقاً، وشقّه شقّاً، واشتقّ القوم: إذا مرّ بينهم وشاقّه شقاقاً إذا صار في شقّ عدوّه عليه، وتشقّق تَشقُّقاً، وشقّق تشقيقاً، ومنه: آشتقاق الكلام، لأنّه آنفصال الكلمة عمّا يحتمله الأصل. ومعنى ﴿شاقُّوا الله﴾: شاقُّوا أولياء الله، كما قال: ﴿إنّ الّذين يؤذُون الله ورسوله﴾[2].

وقوله: ﴿ومَن يُشاقق الله﴾ يجوز في العربيّة الإظهار والإدغام، لأنّه في موضع جزم فإمّا أن يأتي على الأصل للحاجة إلى حركة الأوّل، وإمّا أن يحرّك الثاني ـ لالتقاء الساكنين ـ بالكسر، ويجوز الفتح، والأوّل أجْوَد مع الألف واللام لتأكّد[3] سببه.

وقوله: ﴿فإنَّ الله شديد العقاب﴾ شدّة العقاب: عِظَمه بجنسٍ فوق جنسٍ أدنى منه، لأنّ «العِظَم» على ضربَيْن: أحدهما بالتضاعف في المرتبة الواحدة، والثاني بالترقّي إلى مرتبة بجنس يخالف الجنس الّذي في أدنى مرتبة.

---

(١) راجع معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٠٥.
(٢) الأحزاب: ٥٧.
(٣) في الخطّيّة: لتأكيد.

قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ آية بلا خلاف.

أقول: العامل في ﴿ذلكم﴾ يحتمل أحد وجهَيْن:

أحدهما: الابتداء على تقدير: «الأمر ذلكم» قال الزجّاج: مَن قال: إنّه يرفع ﴿ذلكم﴾ [بما عاد عليه من الهاء أو][1] بالابتداء وجعل الخبر ﴿فذوقوه﴾ فقد أخطأ، لأنّ ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ، لا يجوز «زيد فمنطلق» ولا «زيد فأضربُه» إلّا أن تضمر «هذا» كقول الشاعر:

وقائلةٍ خَـوْلانُ فـانْكِحْ فَـتاتَهُم وأُكْرُومَةُ الحيَّيْن خِلْوٌ كَمَاهِيَا[2]

أي: هذه خَوْلان.

الثاني: أن يكون نصباً بـ«ذوقوا» كما تقول: زيداً فاضربه.

والكاف في قوله: ﴿ذلكم﴾ لا موضع له من الإعراب لأنّه حرف الخطاب، ولو كان اسماً لجاز أن يؤكّد بالنفس، وذلك غير جائز إجماعاً. والإشارة بذلك إلى ما تقدّم من أنواع العقوبات، وإنّما ضمّ إلى الكاف الميم لأنّه خطاب للمشركين.

وقوله: ﴿فذوقوه﴾ فالذوق: طلب إدراك الطعم بتناول اليسير بالفم، كما أنّ الشمّ طلب إدراك الرائحة بالأنف وليس بالإدراك، لأنّه يقال: ذقته فلم أجد له طعماً، وشممته فلم أجد له رائحة. وإنّما قال: ﴿فذوقوه﴾ والذوق: اليسير من الطعام، لأنّ المعنى: كونوا للعذاب كالذائق للطعام، لأنّ معظمه بعده. وقيل: لأنّ الذائق أشدّ إحساساً بالطعم من المستمرّ عليه، فكأنّ حالهم أبداً حال الذائق في شدّة إحساسه، نعوذ بالله منه.

---

(١) لم يتّضح لنا معناه، ولم نجده في معاني القرآن، والظاهر وقوع الخلط، لأنّ العبارة توجيه للنصب، لا الرفع.

(٢) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ١ ص ١٣٩ و١٤٣ ولم ينسبه لأحد.

وقوله: ﴿وأنّ للكافرين﴾ فموضع ﴿أنّ﴾ يحتمل النصب والرفع، فالرفع بالعطف على ﴿ذلكم﴾ كأنّه قال: ذلكم فذوقوه، وذلكم أنّ للكافرين عذاب النار مع ذا. والنصب من وجهَيْن: أحدهما: وبأنّ للكافرين، والآخر: واعلموا أنّ للكافرين، كما أنشده الفرّاء:

تَسمعُ للأحشاءِ منهُ لَغَطا وللِيدَيْنِ جُسْأَةً وبَدَدا[1]

أي: وترى لليدين. وإنّما قدّم الخبر في قوله: ﴿وأنّ للكافرين﴾ على الاسم لدلالته على الكفر الّذي هو السبب للعذاب، ومرتبة السبب قبل المسبّب.

قوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ آية بلا خلاف.

أقول: هذا خطاب للّذين آمنوا من بين المكلّفين، ناداهم الله ليقبلوا إلى أمر الله بما يأمرهم به وأنتهائهم عمّا ينهاهم عنه بالتأمّل له والتدبّر لموجبه، ليعملوا به، ويكونوا على يقينٍ منه.

وقوله: ﴿إذا لقيتم الّذين كفروا﴾ فالالتقاء: الاجتماع على وجه المقاربة لأنّ «الاجتماع» قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاءً، كاجتماع الأعراض في المحلّ الواحد، و ﴿الّذين كفروا﴾ هم الّذين جحدوا نِعَم الله أو من كان بمنزلة الجاحد، فالمشرك كافر، لأنّه في حكم الجاحد لِنِعَم الله إذ عَبَدَ غيره.

وقوله: ﴿زحفاً﴾ نصب على المصدر، فالزَحْف: هو الدنوّ قليلاً قليلاً، والتزاحف: التداني، زَحَفَ يَزْحَفُ زَحْفاً، وأزْحَفْتُ القوم: إذا دنوت لقتالهم

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٠٥.

وثَبَتٌ لهم، والمتزحف[1] من الشِعْر: الّذي قد تدانت حروفه على ما أبطلت وزنه.

وقوله: ﴿فلا تولّوهم الأدبار﴾ نهي لهم عن الفرار عند لقائهم الكفّار، وقتالهم إيّاهم.

قوله تعالى:

وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ آية بلا خلاف.

أقول: أخبر الله تعالى أنّ مَن يولِّهم يعني: الكفّار يوم القتال دبره...

والتولية: جعل الشيء يلي غيره، وهو متعدٍّ إلى مفعولَيْن، ولّاه دبره: إذا جعله يليه، ومنه: ولّاه البلد من ولاية الإمارة. وتولّى هو: إذا قَبِلَ الولاية، وأولاه نعمةً، لأنّه جعلها تليه.

وقوله: ﴿يومئذٍ﴾ يجوز إعرابه وبناؤه، فإعرابه لأنّه متمكّن أُضيف على تقدير الإضافة الحقيقيّة، كقولك: هذا يوم ذاك، وأمّا البناء فلأنّه أُضيف إلى مبنيٍّ إضافة غير حقيقيّة، فأشبه الأسماء المركّبة.

وقوله: ﴿إلّا متحرّفاً لقتال﴾ فالتحرّف: الزوال من جهة الاستواء إلى جهة الحرف، تقول: تحرّف تحرّفاً، وانحرف انحرافاً، وحرّفه تحريفاً، واحترف احترافاً، لأنّه يقصد جهة الحَرْف لطلب الرزق، مثل أبعد في طلب الرزق، والمُحارَف: المحدود من جهة الرزق إلى جهة الحَرْف، ومنه: حروف الهجاء لأنّها أطراف الكلمة، كحَرْف الجبل ونحوه.

وقوله: ﴿أو متحيّزاً إلى فئة﴾ فالتحيّز: طلب حيّزٍ يتمكّن فيه، تحيّز تحيّزاً، وآنحاز آنحيازاً، وحازَهُ يحُوزُه حَوْزاً، والحيِّزُ: المكان الّذي فيه

---

(١) في الحجريّة «المزحف» وما أثبتناه من الخطّيّة.

الجوهر. و«الفئة»: القطعة من الناس، وهي جماعة منقطعة عن غيرها، وذكر «الفئة» في هذا الموضع حسن جدّاً، وهو من: فَأَوْت رأسه بالسيف إذا قطعته.

وفي تناول الوعيد لكلّ فارٍّ من الزحف خلاف، فقال الحسن وقتادة والضحّاك: إنّما كان ذلك يوم بدر خاصّةً.

وقال ابنعبّاس: هو عامّ، وهو قول أبي جعفر وأبي عبدالله.

ثمّ أخبر تعالى: أنّ من ولّى دبره على غير وجه التحرّف للقتال أو التحيّز إلى الفئة أنّه ﴿باءَ بغضب من الله﴾ أي: رجع بسخطه تعالى واستحقاق عقابه، وأنّ مستقرّه ﴿جهنّم وبئس المصير﴾ هي لمن صار إليها.

وقوله: ﴿متحرّفاً لقتال﴾ نصب على الحال، وتقديره: إلّا [أن يتحرّف لأن يقاتل، وكذلك ﴿متحيّزاً﴾ نصب على الحال، وتقديره: حال تحيّزه إلى فئة، ويجوز النصب فيهما على الاستثناء، وتقديره: إلّا][1] رجلاً متحيّزاً أو يكون منفرداً فينحاز ليكون مع المقاتلة. وأصل «مَتحَيّز»: «متَحَيْوز» فأُدغمت الياء في الواو [بعد قلبها ياءً][2].

قوله تعالى:

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ آية بلا خلاف .

أقول: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف: ﴿ولكنَ اللهُ قَتَلَهم ... ولكنَ اللهُ رمىٰ﴾ بالتخفيف فيهما ورفع اسم ﴿الله﴾ فيهما،الباقون بتشديد النون ونصب اسم ﴿الله﴾.

نَفَى الله أن يكون المؤمنون قتلوا المشركين يوم بدر، فقال:

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من المطبوعة.

(٢) ما بين المعقوفتين، لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من المطبوعة والحجريّة.

﴿فلم تقتلوهم ولكنَّ الله قتلهم﴾ وإنّما نَفَى القتل عمّن هو فعله على الحقيقة ونسبه إلى نفسه وليس بفعل له، من حيث كانت أفعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل، والمؤدّي إليه من إقداره إيّاهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم فيه، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم المشركين حتّى خُذلوا وقُتِلوا على شركهم عقاباً لهم.

وقوله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ مثل الأوّل في أنّه نَفى الرمي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وإن كان هو الرامي وأضافه إلى نفسه من حيث كان بلطفه وإقداره.

وهذه الرمية ذكر جماعة من المفسّرين ـ كابن عباس وغيره ـ :أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ كفّاً من الحصباء فرماها في وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، فقسّمها الله تعالى على أبصارهم، وشغلهم بأنفسهم حتّى غلبهم المسلمون، وقتلوهم كلّ مقتل.

وقال بعضهم: أراد بذلك رمي النبيّ صلى الله عليه وآله أُبيّ بن خلف الجمحي يوم أُحد فأصابه فقتله.

وقال آخرون: أراد بذلك رمية سهمه يوم خَيْبَر، فأصاب ابن أبي الحقيق في فراشِهِ، فقَتَلَه. والأوّل أشهر الأقوال.

فأمّا تعلُّق مَن تعلّق بذلك من الغُلَاة، بأن قال: لمّا قال: ﴿ولكنَّ الله رمى﴾ وكان النبيّ هو الرامي، دلّ ذلك على أنّه هو الله تعالى!! جهل وقلّة معرفة بوجوه الكلام، لأنّه لو كان على ما قالوه لكان الكلام متناقضاً، لأنّه خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه لم يَرْمِ فإن كان هو الله تعالى فإلى من توجّه الخطاب؟ [وإن توجّه إليه الخطاب][1] دلّ على أنّ الله غيره. وأيضاً: فإذا

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من الحجريّة والمطبوعة.

كان هو الله فقد نَفَى عنه الرمي، فإن أضافه بعد ذلك إلى الله كان متناقضاً. على أنّه قد دلّت الأدلّة العقليّة على أنّ الله ليس بـجسم، ولا حـالّ فـي جسمٍ، فبطل قول من قال: إنّ الله كان حلّ فـي مـحمّد صلى الله عليه وآله وليس هـذا موضع نقضه. وقد ذكرنا الكلام في ذلك وآستوفيناه في الأُصول[١].

وأمّا من قال: إنّ الفعل واحد، وهو من الله تعالى بالإيجاد ومن العبد بالاكتساب فباطلٌ، لأنّه خلاف المفهوم من الكلام، ولو كان كذلك لم يجز أن ينفى عنه إلّا بتقييد، كما لا ينفى عن الله إلّا بتقييد.

وقوله تعالى: ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾ معناه: لينعم عليهم نعمةً حسنةً، والمعنى: ولينصرهم الله نصراً جميلاً، ويختبرهم بالّتي هي أحسن. ومعنى «يبليهم» هاهنا: يُسدي إليهم،وقيل للنعمة: بلاءٌ وللمضرّة أيضاً مثل ذلك، لأنّ أصله: ما يظهر به الأمر من الشكر أو الصبر، ومـنه: «يـبتلي» بمعنى: يختبر ويمتحن، وسُمِّيت النعمة بذلك لإظهار الشكر، والضُرّ لإظهار الصبر الّذي يجب به الأجر.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ الله سميع عليم﴾ معناه: أنّه يسمع دعاء من يدعوه، ويعلم ما له فيه من المصلحة فيجيبه إليه.

قوله تعالى:

ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ آية بلا خلاف.

أقول: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿موهنٌ﴾ خفيفة منوّنة، وقرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع بتشديدٍ منوّنة، وقرأ حفص عن عاصم خفيفة مضافة وخفض ﴿كيد﴾. وقرأ الباقون بنصب ﴿كيد﴾.

تقول: وَهِنَ الشيء وأوْهَنْته أنا،كما تـقول: فَـرِحَ وأفْـرَحْته، وخَـرَجَ

---

(١) تمهيد الأُصول في علم الكلام: ص ٨ و٩٤، ط. جامعة طهران.

وأَخْرَجْته. فمن قرأ: ﴿موهن﴾ مخفّفاً فمن: «أوهَنَ» أي: جعله واهناً، ومَن شدّد فمن قولهم: وَهَّنْته كما تقول: خَرَج وخَرّجْته وعَرَف وعَرَّفْته، ومنه: قوله تعالى: ﴿فما وَهَنوا لِمَا أصابهم﴾[(١)] وقولهم: وَهِنَ يَهِنُ مثل: وَمِقَ يَمِقُ ووَلِيَ يَلِي، وهو أيضا يثقَّل بالهمزة وتثقيل العين أيضاً. والأمران جميعاً حسنان، واختار الأخفش القراءة بالتخفيف. و «الوَهْن»: الضعف، ومنه: قولهم: تَوَهَّنَ تَوهُّناً أي: ضَعُفَ. ومَن قال: قوله: ﴿ذلكم﴾ في موضع رفع قال الزجّاج: تقديره[(٢)]: الأمر ذلكم ﴿وأنَّ الله﴾ والأمر أنّ الله [موهن][(٣)].

قوله: ﴿ذلكم﴾ إشارة إلى قتل المشركين ورميهم حتّى انهزموا، وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وإمكانهم[(٤)] من قتلهم وأسرهم فعلنا الّذي فعلنا.

ومعنى ﴿وأنَّ الله موهن كيد الكافرين﴾: يضعف مكرهم حتّى يذلّوا ويهلكوا. وفي فتح ﴿أَنّ﴾ من الوجوه ما في قوله: ﴿ذلكم فذوقوه وأنّ للكافرين عذاب النار﴾ وقد بيّنّاه.

و «الكيد» يقع بأشياء: منها: الاطّلاع على عوراتهم، ومنها: إبطال حيلتهم، ومنها: إلقاء الرعب في قلوبهم، ومنها: تفريق كلمتهم، ومنها: نقض ما أبرموا باختلاف عزومهم.

قوله تعالى جدّه:

إِنْ تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِنْ تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ آية بلا خلاف .

---

(١) آل عمران: ١٣٦.

(٢) كذا، ولكن في المخطوطة والحجريّة: وتقديره قال الزجّاج الأمْر.

(٣) من معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٠٧.

(٤) في المخطوطة والحجريّة: «إمكانه» بدل: إمكانهم.

أقول: قرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿وأنّ الله﴾ بفتح الألف، الباقون بالكسر.

مَن فتح الهمزة فوجهه: ﴿ولن تُغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت﴾ و: لأنّ الله مع المؤمنين، أي: لذلك لا تغني عنكم فئتكم شيئاً. ومَن كسر قطع عمّا قبله واستأنفه، وقَوِيَ ذلك لِمَا رُوِيَ: أنّ في قراءة ابن مسعود: ﴿والله مع المؤمنين﴾ والكسر اختيار الفرّاء[١].

ومَن نصب فعلى أنّ موضعه نصب بحذف حرف الجرّ، ويجوز أن يكون عطفاً على قوله: ﴿وأنّ الله موهن﴾.

و«الاستفتاح»: طلب النصرة الّتي بها يفتح بلاد العدوّ، كأنّه قال: إن تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبيّ ﷺ. وقال الزجّاج: يجوز أن يكون المراد: استحكموا لأنّ الاستفتاح: الاستقضاء[٢]. ويقال للقاضي: الفتّاح، والمعنى: قد جاءكم الحكم من عند الله، وهو قول الضحّاك وعِكْرِمَة ومجاهد والزُهَري. والأوّل قول ابن‌عبّاس وغيره، والمعنيان متقاربان.

وقيل في معنى الآية قولان:

أحدهما: قال الحسن ومجاهد والزُهري والضحّاك والسُدّي والفرّاء: إنّه خطاب للمشركين، لأنّهم آستنصروا بأن قالوا: اللّهمّ أقطعنا للرحم وأظلمنا لصاحبه فانصر عليه. رِوي: أنّ أبا جهل قال ذلك[٣].

الثاني: قال أبو عليّ: هو خطاب للمؤمنين، والمعنى: وإن تعودوا إلى مثل ما كان منكم يوم بدر في الأشر والنعمة نعد الإنكار[٤] عليكم.

---

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٠٧. (٢) انظر معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٠٨.

(٣) رواه الطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١٣٨ مسنداً باختلاف في اللفظ.

(٤) كذا، وفي المخطوطة: في الأسر والغنيمة، نعد الإنكار عليكم.

وقال الحسن: وإن تعودوا لقتال محمّدﷺ نعد عليكم بالقتل والأسر يا معشر قريش وجماعة الكفّار، وإن تنتهوا عن الكفر بالله العظيم ورسوله وعن قتال نبيّه فهو خير لكم وأنفع لكم وأقرب إلى مرضاة الله.

و «الانتهاء»: ترك الفعل لأجل النهي عنه، تقول: نَهَيْتُه عن كذا فانتهى، وأمَرْتُه فائتمر، على فعل المطاوع، وقد يطاوع بأن يقال: كَسَرْتُه فانكسر، وقد يكون «الانتهاء» بمعنى: بلوغ النهاية.

وقوله تعالى: ﴿ولن تُغني عنكم فئتكم شيئاً﴾ معناه: أنّه لن يغني عنكم جمعكم في الدفاع عنكم والنصرة وإن كانوا كثيرين ﴿وأنَّ الله مع المؤمنين﴾ بالنصرة لهم والمعونة.

قوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين، وإنّما خصّهم بالخطاب لأنّ غيرهم بمنزلة من لا يعتدّ به في العمل بما يجب عليه، مع ما في إفراده إيّاهم بالخطاب إعظام لهم وإجلال، ورفع من أقدارهم وإن دخل في معناه غيرهم.

والإيمان: هو التصديق بما أوجب الله على المكلّف أو ندبه إليه، وقال الرُمّاني: هو التصديق بما يؤمِّن من العقاب مع العمل به.

أمر الله تعالى المؤمنين أن يطيعوا الله ورسوله، و «الطاعة»: هي امتثال أمره وموافقة إرادته الجاذبة إلى الفعل بطريق الرغبة أو الرهبة، و «الإجابة»: موافقة الإرادة فيما يعمل من أجلها.

وقوله: ﴿ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون﴾ [معناه: ولا تعرضوا عن أمره

ونهيه وأنتم تسمعون][(١)] دعاءه لكم، فنهاهم عن التولّي في هذه الحال، وقال الحسن: معناه: وأنتم تسمعون الحجّة.

قوله تعالى جدّه:

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ آية بلا خلاف .

﴿ولا تكونوا﴾ في موضع جزم، وحذف النون دلالة على الجزم.

نهى الله تعالى المؤمنين الّذين خصّهم بالذكر في الآية الأُولى عن أن يكونوا ﴿كالّذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ وفي الكلام حذف المنهيّ عنه، لأنّه قد دلّ عليه من غير جهة الذكر له، وفي ذلك غاية البلاغة، والتقدير: ولا يكونوا في قولهم المنكر هذا كالّذين ... .

والتشبيه على ثلاثة أوجه: أعلى وأدنى وأوسط. فالأعلى: هو الّذي حُذِفَ معه أداة التشبيه، كقولهم للإنسان: هذا الأسد. والأوسط: تثبت معه مجرّدة كقوله: ﴿والّذين كفروا أعمالُهُم كَسَراب بِقيعةٍ﴾[(٢)] والأدنى: تأتي معه مقيّدة كقولهم: الجسم كالعرض في الحدوث.

ومعنى قوله: ﴿قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ معناه: سمعنا سماع عالم قابل، وليسوا كذلك، وهو من صفة المنافقين في قول ابن إسحاق وأبي عليّ. وقال الحسن: يعني به: أهل الكتاب. وقيل: هو من صفة المشركين[(٣)]، فجُعِلُوا بمنزلة من لا يسمع في أنّهم لم ينتفعوا بالمسموع.

وقال أبو عليّ: هي بمعنى[(٤)] القبول، من قولك: سمع الله لمن حمده.

وقال الزجّاج: يعني به الّذين قالوا: ﴿لو نشاء لقُلْنا مثل هذا﴾[(٥)] فسمّاهم

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من الحجريّة.
(٢) النور: ٣٩.
(٣) قاله الطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٤) في الحجريّة: نفي.
(٥) الآية: ٣١ الآتية.

الله ﴿لا يسمعون﴾ لأنّهم آستمعوا آستماع عداوة وبغضاء، فلم يتفهّموا ولم يتفكّروا، فكانوا بمنزلة من لم يسمع [١].

وقال آبن إسحاق: أراد به: الّذين يُظْهِرون الإيمان ويسرُّون النفاق.

قوله تعالى جدّه:

إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَايَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: ﴿إنّ شرّ الدوابِّ عند الله الصُمّ﴾ والشرُّ: إظهار السوء الّذي يبلغ من صاحبه، وهو نقيض الخير، وقيل:الشرّ: الضرّ القبيح، والخير: النفع الحسن. وقيل: الشرّ: الضرّ الشديد، والخير: النفع الكثير، وأصل «الشرّ»: الإظهار، من قول الشاعر:

كما أُشِرّتْ بالأكُفِّ المصاحِفُ [٢]

أي: أُظْهِرَت. وشَرّ الرجلُ يَشُرُّ شَرّاً، وشَرّرْت الثوبَ: إذا بَسَطْته في الشمس، وشَرَرُ النار: ما تَطايرَ منه، لظهوره بانتشاره وتفرّقه، ومنه: «الشَرُّ»: وهو ما يظهر من الضوء كشَرَرِ النار.

و «الدوابّ»: جمع دابّة وهي ما دَبّ على وجه الأرض، إلّا أنّه تخصّص في العرف بالخيل، دبّ يَدِبُّ دبيباً.

فبيَّن: أنّ هؤلاء الكفّار شرّ ما دبَّ على الأرض من الحيوان، ثمّ شبّههم بالصُمِّ البُكْم الّذين لا يعقلون من حيث لم ينتفعوا بما كانوا يسمعون من وعظ الله، ولا يتكلّمون بكلمة الحقّ.

و«الصَمَمُ»: آفة في الأذن تمنع السمع، صَمَّ يَصمُّ صَمَماً وهو أصَمُّ، وصَمَّمَ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٠٨.

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «شرر» ونسبه إلى كَعْب بن جُعَيْل، وقيل: للحُصَيْن بن الحمام المرّي يذكر يوم صفّين.

على الأمر: إذا حقَّقَ العزم عليه، وتصامَّ عن القول: إذا تغافل عنه. و«عُودٌ أَصَمُّ» خلاف المجوَّف، وأصله: المطابقة من غيرخلل. و «البُكْم»: الخَرسُ، الّذي يولَد به صاحبه، لأنّه قد يكون لآفةٍ عارضة وقد يكون لآفةٍ لازمة.

وقال أبو جعفر عليه السلام: نزلت الآية في بني عبدالدار، لم يكن أسلم منهم غير مُصْعَبِ بن عُمَيْرٍ وحليف لهم يقال له: سُوَيْبط. وقيل: نزلت الآية في النَضَر بن الحارث بن كلْدَة من بني عبدالدار بن قُصَيّ.

قوله تعالى جدّه:

وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ آية بلا خلاف .

معنى الآية: أنّ الله تعالى أخبر أنّه ﴿لو عَلِمَ فيهم﴾ يعني: هؤلاء الكافرين أنّهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه وآياته ﴿لأَسْمَعَهَم﴾ إيّاها، ولم يخلف عنهم شيئاً منها وإن كان قد أزاح علّتهم في التكليف بما نصب لهم من الأدلّة الموصلة إلى الحقّ، ولكنّهم لا يصلحون، بل يتولّون ﴿وهم معرضون﴾ وقال ابن جُرَيْج وابن زيد: لأسمعهم الحُجَج والمواعظ سماع تَفَهُّم[1]. وقال أبو عليّ: لأسمعهم كلام الموتى الّذين طلبوا إحياءهم من قُصَيٍّ بن كلاب وغيره. وقال الزجّاج: لأسمعهم جواب كلّ ما يسألون عنه[2].

و«الإعراض» خلاف «الإقبال» وهو: الانصراف بالوجه عن جهة الشيء، و«الإقبال»: الانصراف بالوجه إلى جهته. و«الإسماع»: إيجاد السماع بإيجاده أو التعريض له، فإنّ الله تعالى يسمعهم بأن يُوجِدَ السماع لهم، والإنسان يسمعهم بأن يعرّضهم للسماع الّذي يوجد لهم. هذا على

(١) هكذا في الحجريّة والمطبوعة، وفي المخطوطة: سماع تفهيم.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٠٩.

مذهب من قال: إنّ الإدراك معنى، ومَن قال: إنّه ليس بمعنى، فمعنى «الإسماع» هو أن يوجد من كلامه الدالّ على ما يجب أن يسمعوه، لكونهم أحياء لا آفة بهم في حواسّهم.

وقال الزجّاج: المعنى: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ كلّما يسألون عنه، ولو أسمعهم كلّما يخطر ببالهم ﴿لتولّوا وهم معرضون﴾[١].

وقال الحسن: هو إخبار عن علمه فيهم، كما قال: ﴿ولو رُدُّوا لعادوا لِمَا نُهُوا عنه﴾[٢].

وفي الآية دلالة على بطلان قول مَن يقول: يجوز أن يكون في مقدوره لطفٌ لو فعله بالكافر لآمَنَ.

قوله تعالى جدّه:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ آية بلا خلاف.

أمر الله تعالى المؤمنين أن يجيبوا الله والرسول إذا دعاهم، وأن يطلبوا موافقته. و«الاستجابة»: طلب موافقة الداعي فيما دعا إليه على القطع به. وقال أبوعُبَيْدَة والزجّاج: معنى ﴿استجيبوا﴾: أجيبوا. وقال كَعْبُ بن سَعْدٍ الغَنَوِيّ:

وداعٍ دَعا يا مَن يُجيبُ إلى النَدا فلم يستجبه عند ذاك مجيب[٣]

أي: لم يجبه. والفرق بين الدعاء إلى الفعل[٤] وبين الأمر به: أنّ الأمر فيه ترغيب في الفعل المأمور به، ويقتضي الرتبة، وهي أن يكون متوجّهاً

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٠٩.

(٢) الأنعام: ٢٨.

(٣) أنشده أبو عبيدة في المجاز: ج ١ ص ٢٤٥.

(٤) هكذا، وفي المخطوطة: الدعاء إلى القول.

إلى مَن هو دونه، وليس كذلك الدعاء لأنّه يصحّ ممّن دونك لك.

وقوله: ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوّكم مع نصر الله إيّاكم، وهو قول ابن إسحاق والفرّاء والجُبّائي. وقال البلخي: معناه: لما يبقيكم ويصلحكم ويهديكم ويحيي أمركم.

الثاني: معناه: لما يورثكم الحياة الدائمة في نعيم الآخرة من اتّباع الحقّ.

الثالث: [معناه]: لما يحييكم بالعلم الّذي تهتدون به من اتّباع القرآن، والاقتداء بما فيه.

وقوله: ﴿واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يفرّق بين المرء وقلبه بالموت أو الجنون وزوال العقل، فلا يمكنه استدراك ما فات، [والمعنى: بادروا بالتوبة من المعاصي قبل هذه الحال][1].

الثاني: أنّ معناه: بادروا بالتوبة لأنّه أقرب إلى المرء من حبل الوريد، لا يخفى عليه خافية من سرّه وعلانيته، وفي ذلك غاية التحذير.

والثالث: تبديل قلبه من حالٍ إلى حال، لأنّه مقلِّب القلوب من حال الأمن إلى حال الخوف، ومن حال الخوف إلى حال الأمن على ما يشاء.

ورُوِيَ عن أبي عبد الله عليه السلام في معنى قوله: ﴿يحول بين المرء وقلبه﴾ قال: «لا يستيقن القلب أنّ الحقّ باطلٌ أبداً، ولا يستيقن أنّ الباطلَ حقٌّ أبداً»[2].

فأمّا مَن قال مِن المجبِّرة: إنّ المراد أنّ الله يحول بين المرء والإيمان بعد أمره إيّاه به، فباطلٌ، لأنّه تعالى لا يجوز عليه أن يأمر أحداً بما يمنعه

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من الحجريّة والمطبوعة.

(٢) رواه العيّاشي في تفسيره: ج ٢ ص ٥٣ ح ٣٩ عن يونس بن عمّار.

منه ويحول بينه وبينه، لأنّ ذلك غاية السفه، تعالى الله عن ذلك. وأيضاً فلا أحد من الأُمّة يقول: إنّ الايمان مستحيل من الكافر، فإنّهم وإن قالوا: إنّه لا يقدر على الإيمان، يقولون: يجوز منه الايمان ويتوهّم منه ذلك، ومَن ارتكب ذلك فقد خرج من الإجماع.

ويحتمل أن يكون المراد: أنّ أمر الله بالموت يحول بين المرء وقلبه، كما قال: ﴿هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله﴾ [1] أي: أمر الله.

وقال قوم: يجوز أن يكون معناه: يحول بينه وبين قلبه بأن يسلبه قلبه فيبقى حيّاً بلا قلب. وهذا قريب من معنى: زوال العقل، قالوا: ويجوز أن يكون المراد: أنّه عالم بما ينطوون عليه، وما يضمره العبد في نفسه من معصيته، فهو في المعنى كأنّه حائل بينه وبينه، لأنّ العبد لا يقدر على إضمار شيءٍ في قلبه إلّا والله عالم به. وهذا وجه حسن.

ورُوِيَ في التفسير[2]: أنّ الله يحول بين المؤمن[3] وبين الكفر، والمعنى في ذلك: أنّ الله يحول بينه وبين الكفر بالوعد والوعيد، والأمر والنهي، والترغيب في الثواب والعقاب.

فأمّا ما رُوِيَ عن سعيد بن جُبَيْر وغيره من أنّ الله يحول بين الكافر والإيمان فقد بيّنّا أنّ ذلك لا يجوز على الله، والعقل مانع منه، ولو صحّ ذلك لكان الوجه فيه: أنّ الله يحول بين الكافر وبين الايمان في المستقبل بأن يُمِيتَه، لأنّه لا يجب تبقيته حتّى يؤمن، بل لو بقّاه لكان حسناً، وإن لم يبقه كان أيضاً حسناً.

وقوله تعالى: ﴿وأنّه إليه تحشرون﴾ معناه: أنّكم تحشرون يوم القيامة

---

(١) البقرة: ٢١٠. (٢) كتفسير الطبري: ج ٩ ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٣) كذا، وفي المخطوطة: بدل «المؤمن» المرء وبين الكفر، لعلّ الصواب الأوّل.

للجزاء على أعمالكم: إن خيراً فخير، وإن شرّاً فَشَرّ، فلذلك يجب المبادرة بالطاعة، والإقلاع عن المعصية بالتوبة، وترك الإصرار على القبائح.

قوله تعالى:

وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّاتُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴿٢٥﴾ آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى المكلّفين من خلقه أن يتّقوا فتنةً لا تصيب الّذين ظلموا منهم خاصّةً، و «الفتنة»: البليّة الّتي يظهر بها باطن أمر الإنسان فيها، و«الفتنة»: الهَرَج الّذي يركب فيه الناس بالظلم. قال ابن‌عبّاس: أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا[١] المنكر بين أظْهُرِهِم، فيعمّهم الله بالعذاب. وقال عبدالله: هو من قوله تعالى: ﴿أنّما أموالكم وأولادكم فتنةٌ﴾[٢] وقال الحسن: الفتنة: البَليّة. وقال ابن زيد: هي الضلالة. وقال الجُبّائي: هي العذاب .

وقوله: ﴿لا تصيبنَّ﴾ فالإصابة: الإيقاع بالشيء بحسب الإرادة، وضدّه: «الخطأ» يقال: أصاب الغرض أو أخطأه.

وقوله: ﴿لا تصيبنَّ الّذين ظلموا منكم خاصّةً﴾ معناه: أنّها تعمّ، لأنّ الهرج مإذا وقع دخل ضرره على كلّ أحد، ويجوز أن يُقال: يخصّ الظالم، ولايعتدّ بما وقع بغيره للعوض الّذي يصل إليه. ويحتمل أن يكون أراد: أنّ هذه العقوبة على فتنتكم ليس يخصّ الظالمين منكم، بل كلّ ظالم منكم كان أو من غيركم، فستصيبه عقوبة ظلمه وفسقه وفتنته، وأراد بذلك: تحذير الناس كلّهم، وأنّهم سواء في المعصية، وما توجبه من العقوبة، ليكون الزجر عامّاً.

---

(١) كذا، في الحجريّة والمطبوعة ، ولكن في المخطوطة، بدل «أن لا يقرّوا» ألّا يقربوا.

(٢) الآية: ٢٨ الآتية، والتغابن: ١٥.

وفي دخول النون الثقيلة في ﴿تُصيبنَّ﴾ قولان:

أحدهما: قال الفرّاء: لأنّه نهي بعد أمر وفيه معنى الجزاء، كقوله: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطِمَنَّكم سليمان وجنوده﴾[1]. ومثله: لا أرَيَنَّكم هاهنا.

والثاني: أن يكون خرج مخرج جواب القَسَم.

وقال الزجّاج: يحتمل أن يكون نهياً بعد أمرٍ، وتقديره: اتّقوا فتنةً، ثمّ نهى فقال: ﴿لا تصيبنَّ الّذين ظلموا﴾ أي: لا يتعرّض الّذين ظلموا لما ينزل معه العذاب، ومثله: قال: في قوله: ﴿لايحطمنّكم﴾ فيكون لفظ النهي لسليمان، ومعناه: النمل، كما يقول القائل: لا أرَيَنَّك هاهنا. فلفظ النهي لنفسك، والمراد: لا تكوننّ هاهنا فإنّي أراك[2].

و «الخاصّة» للشيء: ما كان له دون غيره، ونقيضه: العامّة.

وقوله: ﴿واعلموا أنَّ الله شديد العقاب﴾ معناه: لمن لم يتّقِ معاصيه ولم يتّبع أوامره.

وقال الحسن والسُدّي ومجاهد وابنعبّاس: نزلت هذه الآية في أهل الجَمَل.

وقال قَتادَة قال الزُبَيْر: لقد نزلت وما نرى أنّ أحداً منّا يقع فيها، ثمّ اختلفنا حتّى أصابتنا خاصّةً، ورُوِيَ ذلك عن الزبير من جهات.

قوله تعالى جدّه:

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) النمل: ١٨. وانظر معاني القرآن: ج ١ ص ٤٠٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤١٠.

«الذكر» ضدّ «السهو» وهو إحضار المعنى للنفس. وإنّما أُمروا بالتعرّض له، لأنّ إخطار المعنى بقلوبهم ليس من فعلهم.

وقوله: ﴿إذ أنتم قليل﴾ فالقلّة: النقصان عن المقدار في العدد، وكان أصحاب النبيّ ﷺ قليلين في الأصل فلَطُفَ الله لهم حتّى كثروا وعزّوا، وقلَّ أعداؤهم وذلّوا، وكانوا مستضعفين فقووا.

[و «الاستضعاف»: طلب ضعف الشيء بتهوين حاله، و«الضعف» خلاف «القوّة»][1] و«الاستضعاف»: استجلاب ضعفه بتحقير حاله، فامتنَّ الله تعالى عليهم بذلك وبيّن أنّهم كانوا قليلين فكثّرهم، وكانوا مستضعفين فقوّاهم بلطفه.

وقوله: ﴿تخافون أن يتخطّفكم الناس﴾ فالتخطُّف: الأخذ بسرعة انتزاع، تَخَطَّفَ تَخَطُّفاً، وخَطِفَ خَطْفاً، واختَطَفَ اختطافاً، فبيّن أنّهم كانوا خائفين من أن ينال منهم العدوّ.

وقوله: ﴿فآواكم﴾ أي: جعل لكم مأوىً حريزاً ترجعون إليه وتسكنون فيه، وقال السُدّي: ﴿آواكم﴾ إلى المدينة. وقوله: ﴿وأيّدكم بنصره﴾ يعني: بالأنصار في قول السُدّي.

وقيل في المعنيّ بقوله: ﴿الناس﴾ قولان:

أحدهما: مشركو قريش، في قول عِكْرِمَة وقَتادَة.

وقال وهب بن منبّه: يعني: فارس والروم.

وقوله: ﴿ورزقكم من الطيّبات﴾ أي: أطعمكم غنيمتكم حلالاً طيّباً ﴿لعلّكم تشكرون﴾ أي: لكي تشكروه على هذه النِعَم المترادفة والآلاء المتضاعفة.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من الحجريّة والمطبوعة.

قوله تعالى جدّه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين، ينهاهم أن يخونوا الله والرسول. و«الخيانة»: منع الحقّ الّذي قد ضمن التأدية فيه، وهي ضدّ «الأمانة». وأصل «الخيانة»: أن تنقص من ائتمنك أمانته، قال زُهَيْر:

بِآرِزَةِ الفَقارَةِ لَمْ تَخُنْها قِطَافٌ في الركابِ وَ لا خِلَاءُ[1]

أي: لم تنقص من فراهتها. والمعنى: لا تخونوا مال الله الّذي جعله لعباده، فلا يخن بعضكم بعضاً فيما ائتمنه عليه، في قول ابن‌عبّاس. وقال الحسن والسُدّي: لا تخونوه كما صنع المنافقون. وقال الجُبّائي: نهاهم الله أن يخونوا الغنائم. وقال ابن زيد: «الأمانة» هاهنا الدين، نزلت في بعض المنافقين.

و«الأمانة»: **مأخوذة من «الأمن»** لمنع[2] الحقّ، وهي حال يؤمن معها منع الحقّ الّذي تجب فيه التأدية.

وقوله: ﴿وأنتم تعلمون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: وأنتم تعلمون أنّها أمانة من غير شبهة. والثاني: وأنتم تعلمون ما في الخيانة من الذمّ والعقاب، بخلاف الجُهّال بتلك المنزلة.

وقوله: ﴿وتخونوا﴾ موضعه الجزم، بتقدير: «ولا تخونوا» في قول ابن‌عبّاس. وقال السُدّي: هو نصب على الظرف، أي: أنّكم إذا خنتم

(١) من قصيدة يهجو قوماً من بني غليب. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٩.
(٢) في الحجريّة: بمنع.

الرسول فقد خنتم أماناتكم. قال الفرّاء: ومثله قول الشاعر:

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتَأتي مثلَهُ عارٌ عليكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ[1]

وحكى الفرّاء:في بعض القراءات: ﴿ولا تخونوا أماناتكم﴾.[2]

وقال جابر بن عبدالله: نزلت الآية في بعض المنافقين حين أنذر أباسُفْيان بخروج النبيّ لأخذ العِير. وقال الزُهري: نزلت في أبي لُبَابَة في قصّة بني قُرَيْظَةَ. وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.

قوله تعالى:

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ آية بلا خلاف.

أمر الله المكلّفين أن يعلموا ويتحقّقوا أنّ أموالهم وأولادهم فتنةٌ، وإنّما يمكنهم معرفة ذلك بالنظر والفكر في الأدلّة المؤدّية إليه، وهو ما يدعو إليه الهوى في الأموال والأولاد وما يصرف عنه، فمن تفقّد ذلك وتحرّز منه نجا من مضرّته.

والمراد بالفتنة هاهنا: المِحْنَة الّتي يظهر بها ما في النفس من اتّباع الهوى أو تجنّبه، فيخلص حاله للجزاء بالثواب أو العقاب بحسب الاستحقاق.

و«الولد»: حيوان يتكوّن من حيوان بخلق الله له، فعلى هذا: لم يكن آدم ولداً، وكان عيسى ولد مريم.

و«المال»: هو النصاب الّذي تتعلّق به الزكاة من ذَهَبٍ أو فضّة أو إبل أو بقر أو غنم عند بعض المفسّرين. وأصله: الكثير من العين والورق.

و«العظم»: آستحقاق الصفة بالغنى، فالكثير عظيم للاستغناء به عن

---

(١) المشهور أنّه من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي. راجع خزانة الأدب: ج ٨ ص ٥٦٦ و٥٦٧.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٠٨.

القليل من جنسه، والقليل لا يُستغنى عنه.

بيّن الله تعالى أنّ الأموال والأولاد في هذه الدنيا مِحْنَة وبلاء، وأنّ الله تعالى عنده الثواب العظيم على الطاعات وترك المعاصي.

ورُوِيَ عن ابن مسعود أنّه قال: ليس أحد منكم إلّا و هو مشتمل على فتنة، لقـوله: ﴿واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾فـاسألوا الله تـعالى أن يُعيذكم منها[1].

قوله تعالى جدّه:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾آية بلا خلاف .

هذا خطاب للمؤمنين، خاطبهم الله بأنّهم إنْ يتّقوا مـعاصيه ويـمتثلوا طاعاته ويتّقوا عقابه باجتناب معاصيه يجعل لهم أجراً على ذلك ﴿فُرقاناً﴾ وقيل في معنى «الفُرْقان» أقوال:

أحدها: قال ابن زيد وابن إسحاق: يجعل هدايةً في قلوبكم تـفرقون بها بين الحقّ والباطل. وقال مجاهد: معناه: يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة. وقال السُدّي: معناه: يجعل لكم نجاةً.

وقال الفرّاء: يجعل لكم فتحاً ونصراً [وعزّاً][2]كقوله: ﴿يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾[3]. وقال الجُبّائي: يجعل لكم نصراً وعزّاً وثواباً لكم، وعلى أعدائكم خذلاناً وذلّاً وعقاباً، كلّ ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والآخرة.

وإنّما جاز الشرط في إخبار الله مع اقتضائه شكّ المخبر منّا من حيث

---

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١٤٧ مسنداً.

(٢) ما بين المعقوفتين لا يوجد في المخطوطة.

(٣) الآية: ٤١ الآتية. وانظر معاني القرآن ج ١ ص ٤٠٨.

إنّ الله تعالى يعامل عباده في الجزاء معاملة الشاكّ للمظاهرة في العدل، ولذلك جازت صفة الابتلاء والاختبار، لِمَا في ذلك من البيان: أنّ الجزاء على ما يظهر من الفعل دون ما في المعلوم ممّا لم يقع منه.

ثمّ بيّن: أنّه يضيف إلى ذلك تكفير سيّئاتهم، وغفران ذنوبهم وسترها عليهم، تفضّلاً منه تعالى.

وقوله: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الجُبّائي: معناه: أنّه من آبتدأكم بالفضل العظيم، لأنّه كريم لنفسه لا يمنعكم ما آستحققتموه بطاعاتكم له.

الثاني: أنّه الّذي يملك الفضل العظيم، فينبغي أن يُطْلَب من جهته.

قوله تعالى جدّه:

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ آية بلا خلاف .

خاطب الله تعالى نبيّه ﷺ فقال: وآذكر ﴿إذ يمكر بك الّذين كفروا﴾ و«المَكْر»: الفَتْل إلى جهة الشرّ في خُفْيٍ، وأصله: «الالتفاف» من قول ذي الرُمّة:

عَجْزَاءُ مَمْكُورَةٌ خُمْصانَةٌ قَلِقٌ
عَنْها الوِشَاحُ وَتمَّ الجِسْمُ والقَصَبُ[1]

أي: ملتفّة. و «المَكْر» و «الخَتْل» و «الغَدْر» نظائر، والفرق بين «المَكْر» و «الغَدْر»: أنّ «الغدر» نَقْض العهد الّذي يلزم الوفاء به، و«المَكْر» قد يكون آبتداءً من غير عقد.

ووصف الله تعالى بأنّه ماكر يحتمل وجهَيْن:

(١) من قصيدته البائية المشهورة، راجع ديوان ذي الرُمّة: ص ٢٤.

أحدهما: أنّه سمّى الجزاء على المكر: مَكْراً للازدواج، كقوله: ﴿الله يستهزئ بهم﴾[(١)] أي: يجازيهم على الاستهزاء، فيكون التقدير: والله خير المجازين على المكر، ذكره الزجّاج[(٢)].

والثاني: أن يكون على غير تضمّن الحيلة، لكن على أصل اللغة، قال أبو عليّ: ومكره بهم حقّ وصواب، وهو خير الماكرين مكراً.

وقوله: ﴿ليثبتوك﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: ليثبتوك في الوثاق، في قول ابن‌عبّاس والحسن ومجاهد وقَتادَة.

والثاني: قال عطاء وعبدالله بن كثير والسُدِّي: ليثبتوك في حبس.

وقال أبوعليّ الجُبّائي: معناه: ليَجْرحُوك، يقال: «أثْبَتَه في الحرب» إذا جرحه جراحة مثقّلة.

وقوله: ﴿أو يخرجوك﴾ قال الفرّاء: أو يخرجوك على بعير تطرد به حتّى تهلك أو يكفيكموه بعض العرب، وهو قول أبي‌البَخْتَرِيّ بن هشام[(٣)].

وكان سبب ذلك: أنّهم تآمروا في دار الندوة، فقال عمرو بن هشام: قيّدوه تتربّصون به رَيْب المنون، وقال أبو البختري: أخرجوه عنكم تستريحوا[(٤)] من أذاه لكم. وقال أبوجهل: ما هذا برأي، ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كلّ بَطْنٍ رجلٌ فيضربونه بأسيافهم ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فترضى حينئذٍ بنو هاشم بالدية، فصوّب إبليس هذا الرأى وخطّأ الأوّلَيْن وزيّفَهما، فأوحى الله تعالى إلى نبيّه ﷺ بذلك فأمره بالخروج، فخرج إلى الغار. في قول ابن‌عبّاس ومجاهد وقَتادَة، وهو قوله: ﴿ويمكرون ويمكر الله

---

(١) البقرة: ١٥.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤١٠.

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٠٨.

(٤) في الخطّيّة: وليستريحوا.

والله خير الماكرين﴾.

ولا خلاف بين المفسّرين أنّه بات تلك الليلة ـ وهي الليلة الّتي أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالخروج ـ عليّ عليه السلام على فراشه إلى أن أصبح، وكانوا يحرسونه إلى الصباح، ولمّا طلع الفجر ثاروا إليه فإذا عليٌّ، قالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فتركوه وخرجوا في أثره(١).

قوله تعالى جدّه:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن عناد هؤلاء الكفّار ومباهتتهم للحقّ بأنّهم بلغوا في ذلك إلى دفع الحقّ بما ليس فيه شبهة، وهو أنّه إذا تُتلى عليهم آياته، يعني: القرآن قالوا: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ وقد أبان التحدّي كذبهم في ذلك وتخرّصهم فيه بما ظهر من عجزهم عن سورة مثله، وإنّما قالوا ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ ولم يجز أن يقولوا: لو نشاء لقلبنا الجماد حيواناً، لأنّه يتموّه هذا على كثير من الناس ولا يتموّه ذلك على أنّ قوم فرعون ظنّوا أنّ السَحَرة يمكنهم قلب الجماد حيواناً.

وقوله: ﴿قد سمعنا﴾ معناه: أدركناه بأُذننا، والسماع: إدراك الصوت بحاسّة الأُذن، ولو لم يذكر الصوت لانتقض بالحرارة والبرودة والألم واللذّة إذا أُدرك بها، ولا يسمّى سماعاً، وعلى هذا: إذا قيل: ما الرؤية بالبصر؟ ينبغي أن يقال: هي إدراك المرئيّات بها، [لأنّه قد يُدرَك الحرارة والبرودة بها، فإذا قلنا: المرئيّات](٢) لم ينتقض بذلك.

---

(١) راجع تفسير الطبري ذيل الآية، الكشف والبيان: ج ٤ ص ٣٤٩.

(٢) ما بين المعقوفتين، لم يرد في المخطوطة.

ثمّ أخبر الله تعالى عن قولهم، بأن قالوا: ليس هذا الّذي سمعناه ﴿إلّا أساطير الأوّلين﴾ و «الأساطير» جمعٌ، واحده: «أُسْطُورة» في قول الزجّاج[١] وقال غيره[٢]: هو جمع «أَسْطُر» و «أَسْطُر» جمع «سَطْر» وزِيدَت الياء للمدّ، كما قالوا: «دراهيم» وأرادوا: ما هذا إلّا ما سطره من الأحاديث بكتبه سَطْراً بعد سَطْرٍ.

قوله تعالى:

وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ آية بلا خلاف .

تقديره: واذكر يا محمّد إذ قال هؤلاء الكفّار إنْ كان هذا القرآن ﴿هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ شديد مؤلم. قال سعيد بن جُبَيْر ومجاهد: كان الطالب لذلك النَضْر بن الحارث بن كَلْدَة، لأنّه كان سمع سجع أهل الحيرة وكلام الرهبان، فقتله النبيّ صلّى الله عليه وآله يوم بدر صبراً، فقال: يا رسول الله من للصبية؟ قال: النار. وقيل: عُقْبَة بن أبي مُعِيط والمطعم بن عَدِيّ، قتل هؤلاء الثلاثة صبراً من جملة مَن أُسِرَ، وفي النَضْر نزل قوله: ﴿سأل سائل بعذابٍ واقع * للكافرين﴾[٣] يعني: ما سأله هاهنا. وهذا القول من قائله يجوز أن يكون عناداً، فإنّ المعاند قد تحمله شدّة عداوته للحقّ على إظهار مثل هذا القول ليوهم أنّه على بصيرةٍ في أمره، ويجوز أن يكون ذلك لشبهةٍ تمكّنت في نفوسهم.

وقال الجُبّائي: ذلك دليل على اعتقادهم خلاف الحقّ الّذي أتى به النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو حجّة على أهل المعارف[٤] لأنّهم لو عرفوا بطلان ما هم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤١١.
(٢) كالطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١٥١.
(٣) المعارج: ١ و٢.
(٤) في الحجريّة: حجّة أهل المعارف.

عليه لما قالوا مثل هذا القول.

فإن قالوا: كيف طلبوا بالحقّ من الله العذاب وإنّما يطلب به الخير والثواب؟

قلنا: لأنّهم قالوا ذلك على أنّه ليس بحقٍّ من الله عندهم، وإذا لم يكن حقّاً من الله لم يصبهم البلاء الّذي طلبوه.

فإن قيل: لِمَ قال: ﴿أمطر علينا حجارةً من السماء﴾ والإمطار لا يكون إلّا من السماء؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما: أنّ إمطار الحجارة يمكن أن يكون من علٍ دون السماء. والثاني: أن يكون على جهة البيان بـ «من».

و«الحجارة» واحدة «الأحجار» وهو ما صَلُبَ من الأجسام، يقال: «استحجر الطين» إذا صَلُبَ فصار كالحجر، وأكثر ما يقال: «حجر» للمَدَر، ومع ذلك فالياقوت حجر ولذلك يقال: الياقوت أفضل الحجارة، ولا يقال: الياقوت أفضل الزجاج، لأنّه ليس من الزجاج، وكلّ شيء من العذاب يقال: أمْطَرَت، ومن الرحمة يقال: مَطَرت.

وقوله: ﴿هو﴾ يجعل عماداً في «ظننت» وأخواتها، ويسمّيه البصريّون صلةً زائدةً وتوكيداً كزيادة «ما» ولا يزاد إلّا في كلّ فعل لا يستغني عن خبره، وفي لغة تميم يرفع ذلك كلّه، فيقولون: «إن كان هذا هو الحقُّ» وكذلك قوله: «ولكن كانوا هم الظالمون»[١] و «تجدوه عند الله هو خيرٌ وأعظمُ أجراً»[٢] كلّ ذلك يرفعونه. وعلى الأوّل ينصب ما بعدها، وقوله: ﴿ويَرَى الّذين أُوتوا العلمَ﴾ إلى قوله: ﴿هو الحقَّ﴾[٣].

(١) الزخرف: ٧٦. (٢) المزمّل: ٢٠. (٣) سبأ: ٦.

قوله تعالى جدّه:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴿٣٣﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله على وجه الامتنان عليه وإعلامه منزلته عنده: أنّه لا يعذّب أحداً من هؤلاء الكفّار بهذا العذاب الّذي اقترحوه على وجه العناد للحقّ ﴿وأنت﴾ يا محمّد ﴿فيهم﴾[1] موجود.

و«التعذيب»: تجديد الآلام حالاً بعد حال، لأنّ أصله: الاستمرار، فـ«العذب» من استمرار الشيء لما فيه من الملاذّ، و «العذاب» من استمراره لما فيه من الآلام.

واللام في قوله: ﴿ليعذّبهم﴾ لام الجحد، وأصلها لام الإضافة، وإنّما دخلت في النفي ولم تدخل في الإيجاب؛ لتعلّق الخبر بحرف النفي، كما دخلت الباء في خبر «ما» ولم تدخل في الإيجاب.

وإنّما لم يعاقب الله تعالى الخلق مع كون النبيّ صلى الله عليه وآله فيهم[2] على سلامته ممّا ينزل بهم، لأنّه تعالى أرسله رحمةً للعالمين، وذلك يقتضي ألّا يعذّبهم وهو فيهم.

وقوله: ﴿وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا خرج من مكّة بقي فيها بقيّة من المؤمنين يستغفرون، وهو قول ابن عبّاس وعطيّة وأبي مالك والضحّاك، واختاره الجُبّائي.

وقال آخرون: أراد بذلك: لا يعذّبهم بعذاب الاستئصال في الدنيا وهم يقولون: يا ربِّ غفرانك، ويعذّبهم على شركهم في الآخرة، روي ذلك عن

(١ و ٢) في الخطّيّة: بينهم.

ابن‌عبّاس في روايةٍ أُخرى، وهو قول أبي موسى ويزيد بن رُومان ومحمّد ابن مبشِّر.

الثالث: أنّهم لو استغفروا لم يعذَّبوا، وفي ذلك استدعاء إلى الاستغفار، رُوِيَ ذلك عن ابن‌عبّاس في روايةٍ أُخرى، وبه قال مجاهد وقَتادَة والسُدّي وابن زيد.

وقال الزجّاج: معناه: لا يعذِّب الله من يؤول إلى الإسلام[1].

وقال الحسن وعِكْرِمَة: هذه الآية منسوخة بالّتي بعدها. قال الرُمّاني: هذا غلط، لأنّ الخبر لا ينسخ.

قوله تعالى:

وَمَالَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ آية بلا خلاف.

﴿ما﴾ في قوله: ﴿وما لهم ألّا يعذِّبهم الله﴾ خرجت مخرج الاستفهام ومعناها: إيجاب العذاب، وجاز ذلك لأنّه أبلغ في معنى الإيجاب، من حيث إنّه لا جواب ـ لمن سأل عن مثل هذا ـ يصحّ في نفي العذاب، والمعنى: لِمَ لا يعذّبهم وهذا فعلهم؟

وموضع «أن» نصب، بمعنى: أيّ شيء لهم في أن لا يعذّبهم؟ لكن لمّا حذف الجارّ به عمل معنى الفعل من الاستقرار، وجاز الحذف مع «أن» ولم يجز مع المصدر لطول «أن» بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل، وليس كذلك المصدر، وحُكِيَ عن الأخْفَش أنّ «أن» زائدة مع عملها.

وقوله: ﴿وهم يصدّون عن المسجد الحَرَامِ﴾ والصدّ: المنع، والصدّ: الإعراض عن‌الشيء من غير حيلولة بينه وبين غيره، والمراد هاهنا: المنع.

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج.٢ ص ٤١٢.

وقوله: ﴿وماكانوا أولياءه﴾ جمع «وليّ» وهو الّذي يستحقّ القيام بأمر الشيء، ويكون أحقّ به من غيره، فعلى هذا: الله تعالى وليّ المتّقين دون المشركين.

وقال أبوجعفر عليه السلام والحسن: قال المشركون: نحن أولياء المسجد الحرام، فردّ الله ذلك عليهم فقال: ﴿وماكانوا أولياءه﴾ [وهو قول أبي عليّ. وقال الزجّاج: المعنى وهم يصدون عن المسجد الحرام أولياءه وما كانوا أولياءه][1]. ثمّ أخبر الله تعالى ﴿إنْ أولياؤه﴾ بمعنى: ليس أولياء المسجد إلّا المتّقون الّذين يتركون معاصي الله ويجتنبونها.

وقال قوم: المعنى: إنْ أولياء الله إلّا المتّقون. والأوّل أحسن، لأنّه ممّا يقتضيه الإنكار.

وقيل في معنى «لا» قولان:

أحدهما: إنّ معناها الجحد، أي: ما لهم في الامتناع من العذاب. وقيل: هي صلة، لأنّ المعنى: إيجاب العذاب، كما قال الشاعر:

لو لَمْ تَكُنْ غَطَفَانُ لا ذُنُوبَ لها ... إليَّ لَامَ ذَوُو أحسابها عُـمَرَا[2]

والأوّل أحسن، لأنّ المعنى: لِمَ لا يعذّبهم الله؟ فإن قيل: كيف تجمعون بين الآيَتَيْن على قول من لا ينسخ الأُولى، فإنّ في الأُولى نفى أن يعذّبهم الله وهم يستغفرون، وفي الثانية أثبت ذلك؟ قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن يكون أراد: وما لهم أن لا يعذّبهم الله في الآخرة.

والثاني: أن يكون يعني بالأُولى: عذاب الاصطلام كما فعل بالأُمم الماضية، وبالثانية أراد: عذاب السيف والأسر وغير ذلك، ويكون قوله:

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس في الحجريّة وأثبتناه من الخطّيّة.

(٢) للفرزدق، من قصيدة يهجو بها عمر بن هبيرة. راجع ديوان الفرزدق: ج ١ ص ٣٨٥.

﴿وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾ أي: أنّه لا يعذّبهم بعذابٍ دنيا ولا آخرةً إذا تابوا واستغفروا.

[الثالث: أنّه لا يعذّبهم ما دام النبيّ فيهم وما داموا يستغفرون وإن كانوا يستحقّون العذاب بكفرهم وعنادهم][١].

وقوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ دليل على بطلان قول مَن قال: المعارف ضرورة.

قوله تعالى جدّه:

وَمَاكَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ آية بلا خلاف.

روى الحسين الجعفي عن أبي بكر «صلاتَهم» نصباً «إلّامكاءٌوتصديةٌ» رفع فيهما. والصواب ما عليه القُرّاء، لأنّ ﴿صلاتهم﴾ معرفة و ﴿مكاءً وتصديةً﴾ نكرة، ولا يجوز أن يجعل اسم «كان» نكرة وخبره معرفة.

ومَن قرأ كذلك فلأنّ «الصلاة» لمّا كانت مؤنّثة، ولم يكن في «كان» علامة التأنيث، أضاف الفعل إلى المذكّر وهو ﴿مكاء﴾. وهذا ليس بصحيح، لأنّ ﴿صلاتهم﴾ لمّا كان مضافاً إلى المذكّر جاز أن يُذَكّر، كما أنّ المذكّر إذا أُضيف إلى المؤنّث جاز أن يُؤنّث، نحو قولهم: ذَهَبَتْ بعضُ أصابعه.

ومعنى الآية: الإخبار من الله تعالى أنّه لم تكن صلاة هؤلاء الكفّار الصادّين عن المسجد الحرام ﴿إلّا مُكاءً﴾ لئلّا يظنّ ظانّ أن مع كونهم مصلّين ومستغفرين لا يعذّبهم الله، كما قال في الآية الأُولى، فبيّن[٢] أنّ صلاتهم كانت مكاءً وتصديةً.

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في المخطوطة ولا في الحجريّة.

(٢) لم ترد «فبيّن» في الخطّيّة.

و«المُكاء»: صَفِير كصفير المُكَّاءِ، وهو طائر يكون بالحجاز وله صفير، قال الشاعر:

ومَكا بها فكأنّما يَمكُو بأعْصم عاقلِ[١]

وأصل «المُكاء» جَمْع الريح للصفير، ويقال: مَكَا يَمْكُو مُكاءً إذا صَفَرَ بفِيهِ، ومنه: تمكُو اسْتُ الدابَّة إذا آنتفختبالريح، والاست: المَكْوَة، والمَكْو: أن يجمع الرجل يديه ثمّ يدخلهما في فيه ثمّ يصيح، ومنه: قول عَنْترَة:

وحَـليلِ غَـانيةٍ تَـرَكْتُ مُـجدّلاً تَمْكُو فَريصَتُهُ كشِدْقِ الأعْـلَمِ[٢]

أي: يَصْفِرُ بالريح لمّا طعنه. و «التَـصدية»: التَـصفيق، يـقال: صـدّى يُصدِّي تَصْديةً إذا صَفّقَ بيديه، ومنه: «الصَدَى» صـوتُ الجـبل ونـحوه، ومنه: تَصَدّى للملك إذا تَعَرَّضَ له ليكلّمه.

وقال ابنعبّاس وابن عمر والحسن وعطيّة ومجاهد وقَتادَة والسُدّي: «المُكاء» الصفير، و «التصدية»: التصفيق. قال الراجز:

ضننت بخَدٍّ وجلت عن خَدِّ فأنا من غَرْوِ الهوى أُصدِّي

أي: أُصفّق بيدي تعجّباً، والغَرْو: العَجَبُ. وقال أبو عليّ الجُبّائي: كان بعضهم يتصدّى لبعضٍ ليراه بذلك الفعل، وكان يَصْفِرُ له.

وقال سعيد بن جُبَيْر وابن زيد: «التصدية»: صدّهم عن البيت الحرام. وقيل: إنّهم كانوا يخلطون ويشوّشون بذلك على النبيّ صلى الله عليه وآله.

وإنّما سُمِّي مكاؤُهم بأنّه صلاة لأمرَيْن:

أحدهما: أنّهم كانوا يقيمون فعلهم الصـفير والتـصفيق مـقام الصـلاة والدعاء والتسبيح. والآخر: أنّهم كانوا يعملون كعمل الصلاة ممّا فيه هذا.

---

(١) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٤٦ ولم ينسبه لأحد.

(٢) من معلّقته الشهيرة. راجع ديوان عنترة: ص ١٥.

وقــوله: ﴿فذوقوا العذاب﴾ قــال الحسـن والضـحّاك وابـن جُـرَيْج وابن إسحاق: إنّ معناه: عذاب السيف. وقال أبو عليّ الجُبّائي: يُقال لهم في الآخرة: ﴿ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ في دار الدنيا، وهو قول البلخي. والمعنى: باشروه، وليس المراد به من ذوق الفم.

قوله تعالى جدّه:

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ آية في الكوفي والمدنيّين، وآيتان في البصري خاصّة.

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفّار بأنّهم ينفقون أموالهم ليصدّوا عـن سبيل الله، وغرضهم: المنع عن سبيل الله، و ﴿سبيل الله﴾ هاهنا: هو دين الله الّذي أتى به محمّدﷺ، وسُمّي «سبيل الله»[١] لأنّ بسلوكه وآتّباعه يبلغ ما عند الله [من ثوابه والوصول إلى جنّته وإنّما جاز ليصدّوا عـن سـبيل الله][٢] وإن لم يعلموا أنّها سبيل الله، لأنّهم قصدوا إلى الصدّ عنها، وهـي سبيل الله على الحقيقة. ويجوز أن يقال: قصد الصدّ عن سبيل الله وإن لم يعلم، ولا يجوز قصد أن يصدّ من غـير أن يـعلم، لأنّ «أن»[٣] تـفسّر[٤] الوجه الّذي منه قصد، فلا يكون إلّا مع العلم بالوجه، كـقولك: قـصد أن يكذب، وقصد الكذب من غير أن يعلم أنّه كذب.

وإنّما قال: ﴿ينفقون﴾ ثمّ قال: ﴿فسينفقونها﴾ لأنّ الأوّل معناه: أنّ من شأنهم أن ينفقوا للصدّ، والثاني معناه: أنّه سيقع الإنفاق الّذي يكون حسرةً بما يرونه من الغلبة.

---

(١) في المطبوعتين زيادة «هاهنا».

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

(٣) لم يرد «ان»في الخطّية.

(٤) ظاهر الخطّية: نفس.

و«الحسرة»: الغمّ بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة، والأصل: «الكشف» من قولهم: حَسَرَ عن ذراعه يَحْسُرُ حَسْراً، و«الحاسِر» خلاف «الدارع»، و حَسِرَ حَسْرَةً، وهو حَسِيرٌ، قال المرّار:

ما أنا اليومَ على شيءٍ خَلَا   يابْنَةَ القَيْنِ تَولَّى بِحَسِرْ (١)

وكان الإنفاق المذكور في الآية القيّم به أبو سفيان صَخْرُ بن حَرْبٍ استأجر يوم أُحد أَلفَيْن من الأحابِيش من كِنَانَةَ، في قول سعيد وآبن أبزَى ومجاهد والحَكَم بن عتيبة، وفي ذلك قال كَعْبُ بن مالِك:

وَجِئنا إلى مَوْجٍ من البحرِ وَسْطَه   أَحابِيشُ منهم حاسِرٌ ومُقَنَّعُ
ثَلاثَةُ آلافٍ ونَحنُ نَصِيَّةٌ   ثلاثُ مِئِينَ إنْ كَثُرْنَ فَأَرْبَعُ (٢)

وقال الضحّاك: إنّما عنى بالآية: الإنفاق يوم بدر.

وفي الآية دلالة على نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّه أخبر بالشيء قبل كونه، فكان على ما أخبر به.

قوله تعالى جدّه:

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ آية بلا خلاف .

[قرأ حمزة والكسائي ﴿ليُميِّز﴾ مضمومة الياء مشدّدة، والباقون بفتح الياء خفيفاً](٣).

أخبر الله تعالى أنّه يحشر الكفّار إلى جهنّم ﴿ليميز الخبيث﴾ الّذي هو الكافر ﴿من الطيّب﴾ الّذي هو المؤمن. و «التمييز»: هو إخراج الشيء عمّا خالفه ممّا ليس منه، وإلحاقه بما هو منه. يقال: مازَهُ يَميزُهُ، وميَّزَهُ تَمييزاً،

---

(١) أنشده في اللسان: مادّة «حسر».   (٢) أنشدهما الطبري في تفسيره: ج ٩ ص ١٥٩.
(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من الحجريّة.

وامتازَ امتيازاً، وانماز انْميازاً.

و«الخبيث»: الرديء من كلّ شيء، وضدّه: الطيّب، ومنه: خَبَثُ الحديد وخَبَثُ الفضّة، وخَبُثَ الإنسان خُبْثاً، وتَخَبَّثَ تَخَبُّثاً، وتَخابَثَ تَخَابُثاً، وخَبَّثَهُ تَخْبيثاً. و «الطيِّبُ»: المستلذّ من الطعام، والطيِّب: الحلال من الرزق، والطيّب من الولد: الّذي يُفْرَح به، والطيّب نقيض الخبيث، وهو الجيّد من كلّ شيء.

وقيل: المعنى: ليميز الله ما أنفقه المؤمنون في طاعة الله ممّا أنفقه المشركون في معاصيه (١).

وقوله: ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾ معناه: أنّ الكافر يكون على أسْوأ حالٍ كالمتاع الركام، هواناً وتحقيراً وإذْلالاً.

وقوله: ﴿فيركمه جميعاً﴾ معناه: تَراكَبَ بعضه فوق بعض، كالرمل الرُكامِ وهو المتراكب، رَكَمَهُ يَرْكُمُهُ رَكْماً وتَراكَمَ تَراكُماً، وارتَكَمَ ارتكاماً، ومنه: قوله تعالى في صفة السحاب: ﴿ثمّ يجعله رُكَاماً﴾ (٢) وقال الحسن: يركمهم الله مع ما أنفقوا في جهنّم، كما قال: ﴿يوم يُحمىٰ عليها في نار جهنّم فتُكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ (٣).

ثمّ أخبر: أنّه إذا ركمه جميعاً يجعله في جهنّم، وأخبر عنهم بأنّهم الخاسرون نفوسهم بإهلاكهم إيّاها بارتكاب المعاصي والكفر المؤدّي إلى عذاب الأبد.

قوله تعالى جدّه:

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ آية.

---

(١) قاله الزجّاج في معانيه ج ٢ ص ٤١٢.
(٢) النور: ٤٣.
(٣) التوبة: ٣٥. وانظر معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤١٣.

أمر الله تعالى نبيّهﷺ أن يقول للكفّار: ﴿إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ والمعنى: إن أنابوا عن الكفر والمعاصي، وتابوا منها توبةً خالصةً، لأنّ الكفّ عن المعاصي مع الإصرار لا يوجب الغفران. وإنّما أطلق الوعد في الآية بالانتهاء عن المعصية، لأنّ الانتهاء عنها لا يكون مع الإصرار عليها، لأنّ الإصرار معصية.

وقوله: ﴿وإن يعودوا فقد مضت سُنَّتُ الأوَّلين﴾ معناه: وإن يعودوا ويرجعوا إلى المعصية ﴿فقد مضت سُنَّتُ الأوَّلين﴾ في تعجيل العقاب لهم في الدنيا بعذاب الاستئصال، وما جرى مجراه من الأسر والقتل يوم بدر، [و][1] بالنصر من الله، في قول الحسن ومجاهد والسُدّي.

والسُلُوف: التقدّم، تقول: سَلَفَ يَسْلُفُ سُلُوفاً، وأسْلَفَ إسْلافاً، وتَسَلَّفَ تسلُّفاً، وسلّفه تَسْليفاً، واستَسْلَفَ استسلافاً، والسالِفَة: أعلى العُنُق، والسُلَافَةُ: أخْلَصُ الخمر وأجْوَدُها، والسلفان: المتزوّجان بأُختَيْن. والسُنّة: الطريقة الّتي يجري عليها الأمر، ومنه: قولهم: هذا مستمرٌّ على سَنَنٍ واحد.

قوله تعالى جدّه:

وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَاتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَـٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ آيتان بلا خلاف.

أمر الله تعالى بهذه الآية نبيّهﷺ والمؤمنين أن يقاتلوا الكفّار ﴿حتّى لا تكون فتنة﴾ وهي الكفر من غير أهل العهد، وما جرى مجراه من البغي، لأنّهم يدعون الناس إلى مثل حالهم بتعزّزهم على أهل الحقّ وتطاولهم، فيفتنونهم في دينهم.

---

(١) لم يرد في الخطّية.

وقال ابن‌عبّاس والحسن: معناه: حتّى لايكون شرك. وقال ابن‌إسحاق: حتّى لا يفتن مؤمن عن دينه. والفرق بين قوله: ﴿حتّى لا تكون فتنة﴾ وبين قوله: «حتّى لا يكون كفر» أنّ كفر الذليل والأسير والشريد لا يفتن الناس في دينهم، لأنّ الذلّ لا يدعو إلى حال صاحبه كما يدعو العزّ.

وقوله: ﴿ويكون الدين كلّه لله﴾ معناه: أن يجمع أهل الباطل وأهل الحقّ على الدين الحقّ فيما يعتقدونه ويعملون به، فيكون الدين كلّه حينئذٍ لله بالاجتماع على طاعته وعبادته. و«الدين» هاهنا: الطاعة بالعبادة.

وقوله: ﴿فإن انتهوا فإنّ الله بما يعملون بصير﴾ معناه: فإن رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فإنّ الله يجازيهم مجازاة البصير بهم وبأعمالهم، باطنها وظاهرها، لا يخفى عليه شيء منها.

وقوله: ﴿وإن تولّوا فاعلموا أنَّ الله مولاكم﴾ في معناه قولان:

أحدهما: وإن تولّى هؤلاء الكفّار وأعرضوا عن الدين الحقّ واتّباعه فَثِقُوا بالله وتذكّروا ما وعدكم به أيّها المؤمنون، تسكيناً لنفوسهم وتمكيناً للحقّ عندهم.

والثاني: فاعلموا أنّ الله ينصركم عليهم على طريق الأمر بعلم هذا، ليكونوا على بصيرةٍ في أنّ الغَلَبَة لهم.

وقوله: ﴿وإن تولّوا﴾ شرط، وقوله: ﴿فاعلموا أنَّ الله﴾ أمر في موضع الجواب. وإنّما جاز ذلك لأنّ فيه معنى الخبر، فلم يخرج من أن يجب الثاني بالأوّل، كأنّه قال: فواجب عليكم العلم بأنّ الله مولاكم، أو: فينبغي أن تعلموا أنّ الله مولاكم.

و«المولى» هاهنا: هو الناصر، وهو الّذي يوليكم عن الغَلَبَة. و«المولى» على أقسام: بمعنى «الناصر» وبمعنى «الحليف» وبمعنى

«المعتِق» و «المعتَق» وبمعنى «الأَولى» و«الأحقّ» كما قال لَبِيد:

فَغَدَتْ كلا الفَرجَينِ يَحْسَبُ أنّـهُ   مَوْلى المخافَة خَلْفُها وأمامُها[١]

ومنه: قول النبيّ ﷺ: «أيّما آمرأةٍ نكحَت بغير إذْنِ مولاها فـنكاحُها باطلٌ»[٢].

أي: مَن هوأولى بالعقد عليها. وقال الأخْطَلُ يمدح عبدالملك بن مَرْوان:

فأصبَحْتَ مَـوْلاها مـن النـاسِ كـلِّهم
وأحْرى قُرَيشٍ أن تُـهابَ وتُـحْمدا[٣]

وقال أبو عُبَيْدَة[٤]: ومنه قوله: «النار مولاهم»[٥] مـعناه: الأولى بـهم، واستشهد ببيت لَبِيد المتقدّم ذكره. وقد آستوفينا أقسام «مولى» في غـير هذا الموضع[٦] فلا نطوّل بذكره هاهنا.

والتولّي عن الدين: هو الذهاب عـنه إلى خـلافه، وهـو والإعـراض بمعنىً واحد. والتولّي في الدين: هو الذهـاب إلى جـهة الحـقّ، ومـتابعة النبيّ ﷺ والنُصْرة له والمعونة له.

قوله تعالى جدّه:

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ

---

(١) من معلّقته المشهورة. راجع ديوان لَبيد بن ربيعة: ص ١٧٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ج٦ ص ٦٦ و١٦٦، والدارمي في السنن: ج ٢ ص ١٣٧ بسندهما عن عائشة.

(٣) من قصيدة طويلة. راجع ديوان الأخطل: ص ٢٨.

(٤) في مجاز القرآن: ج ٢ ص ٢٥٤.

(٥) كذا، وفي الذكر الحكيم هكذا: ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾ الحديد: ٥٧.

(٦) راجع ج ٤ ص ٤٤٦ وما بعده من هذا التفسير.

ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ آية بلا خلاف .

الغنيمةُ: ما أُخذ من أموال أهل الحرب من الكفّار بقتال، وهي هبة من الله تعالى للمسلمين. والفَيْءُ: ما أُخذ بغير قتال في قول عطاء بن السائب وسفيان الثوري، وهو قول الشافعي[١] وهو المرويّ في أخبارنا[٢].

وقال قوم[٣]: الفيء والغنيمة واحد، وقالوا: إنّ هذه الآية ناسخة للّتي في الحشر من قوله: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ لأنّه بيّن في هذه الآية: أنّ الأربعة أخماس للمقاتلة، وعلى القول الأوّل لا يحتاج إلى هذا.

وعند أصحابنا: أنّ مال الفيء للإمام خاصّةً، يفرّقه فيمن شاء، يضعه في مؤنة نفسه وذيقرابته. واليتامى والمساكين وابن السبيل من أهلبيت رسولالله، ليس لسائر الناس فيه شيء.

وأمّا خُمس الغنيمة فإنّه يقسّم عندنا ستّة أقسام: فسهمالله، وسهم رسوله للنبيّ، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للقائم مقام النبيّ صلى الله عليه وآله ينفقها على نفسه وأهل بيته من بني هاشم، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس، لأنّ الله تعالى عوّضهم ذلك عمّا أباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات، إذ كانت الصدقات محرّمة على أهل بيت الرسول عليهم السلام . وهو قول عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ومحمّد ابن عليّ الباقر ابنه عليهما السلام رواه الطبري[٤] بإسناده عنهما.

(١) راجع الأمّ: ج ٤ ص ١٣٩، وكفاية الأخيار: ج ٢ ص ١٣٢.
(٢) أنظر الخلاف: ج ٤ ص ١٨١ مسألة رقم (١).
(٣) منهم قتادة. راجع تفسير الطبري: ذيل الآية، والآية: ٧ من سورة الحشر.
(٤) في تفسيره: ذيل الآية برقم ١٦١٢٧. وفيه: عن عليّ بن الحسين عليه السلام فقط.

وقال الحسين بن عليّ المغربي حاكياً عن الصابوني من أصحابنا: إنّ هؤلاء الثلاثة فرق لا يدخلون في سهم ذي القربى وإن كان عموم اللفظ يقتضيه، لأنّ سهامهم مفردة، وهو الظاهر من المذهب.

والّذين يستحقّون الخُمس عندنا: مَن كان من ولد عبدالمطلب، لأنّ هاشماً لم يعقب إلّا منه: من الطالبيّين والعباسيّين والحارثيّين واللهبيّين، فأمّا ولد عبد مَنَاف من المطّلبيّين، فلا شيء لهم فيه.

وعند أصحابنا: الخُمس يجب في كلّ فائدة تحصل للإنسان من: المكاسب، وأرباح التجارات، والكنوز، والمعادن، والغوص، وغير ذلك ممّا ذكرناه في كتب الفقه[١].

ويمكن الاستدلال على ذلك بهذه الآية، لأنّ جميع ذلك يسمّى غنيمة.

وقال ابنعبّاس وإبراهيم وقَتادَة وعطاء: الخُمس يقسّم خمسة أقسام، فسهم الله وسهم الرسول واحد.

وقال قوم: يقسّم أربعة أقسام: سهم لبني هاشم وثلاثة للّذين ذُكِروا بعد ذلك من سائر المسلمين، ذهب إليه الشافعي[٢].

وقال أهل العراق[٣]: يقسّم الخُمس ثلاثة أقسام، لأنّ سهم الرسول صرفه الأئمّة الأربعة إلى الكراع والسلاح.

وقال مالك[٤]: يقسّم على ما ذكره الله، ويجوز للإمام أن يخرج عنهم حسب ما يراه، وإنّما جاء على طريق الأولى في بعض الأحوال.

---

(١) راجع النهاية: ج ١ ص ٤٤٧، والمبسوط: ج ٢ ص ٦٤.
(٢) راجع الأمّ: ج ٤ ص ١٤٠، والمجموع: ج ١٩ ص ٣٧٩، وتفسير الطبري: ج ١٠ ص ٥.
(٣) ويراد منه أبو حنيفة وصاحبيه، راجع المبسوط للسرخسي: ج ١٠ ص ٨، وبدائع الصنائع: ج ٧ص ١٢٤ و١٢٥.
(٤) راجع الموطّأ: ج ٢ ص ٤٥٦ ذ ح ٢٠.

وقال أبو العالية ـ وهو رجل من صالحي التابعين ـ: يقسّم ستّة أقسام، فسهم الله للكعبة، والباقي لمن ذُكِر بعد ذلك[١].

وقال ابن‌عبّاس ومجاهد: ذو القربى هم بنو هاشم. وقد بيّنّا نحن أنّ المراد بذي القربى أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وبعد النبيّ لهو القائم مقامه، وبه قال عليّ بن الحسين عليه السلام.

وروى جُبَيْر بن مُطْعِم عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّهم بنو هاشم وبنو المطّلب[٢] واختاره الشافعي.

وقال الحسن وقَتادَة: سهم الله وسهم رسوله وسهم ذي القربى لوليّ الأمر من بعده، وهو مثل مذهبنا.

وقال أبو عليّ الجُبّائي: إنّ الأئمّة الأربعة جعلوا سهم الرسول وذي القربى في الكراع والسلاح، وأجمعوا على أنّ سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل شائع في الناس، بخلاف ما قلناه.

واليتيم: مَن مات أبوه وهو صغير قبل البلوغ، وكلّ حيوان يتيم من قِبل أُمّه إلّا ابن آدم فإنّه من قِبَل أبيه.

وأمّا ابن السبيل، فهو المنقطع به في سفره، وإنّما قيل: «ابن السبيل» بمعنى: أخرجه إلى هذا المستقرّ كما يُخرجه أبوه من مستقرّه لقي محتاجاً. والمسكين: المحتاج الّذي من شأنه أن يسكنه الحاجة عمّا ينهض به الغنى.

وقوله: ﴿فأنَّ لله خمسه﴾ قيل في فتح «أنّ» قولان:

أحدهما: فعلى أنّ لله خمسه، وحذف حرف الجرّ فنصب. الثاني: أنّه

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره: ذيل الآية مسنداً.

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره: ذيل الآية برقم ١٦١٣٣.

عطف على «أنّ» الأولى، وحُذِف خبر الأُولى لدلالة الكلام عليه، وتقديره: اعلموا أنّ ما غنمتم من شيء يجب قسمته، واعلموا أنّ لله خمسه.

قال الفرّاء: إنّه جزاء بمنزلة ﴿ألم يعلموا أنّه من يحادد الله ورسوله فأنّ له نار جهنّم خالداً﴾ (١). قال الرُمّاني: هذا غلط، لأنّ «أنّ» لا تدخل على الجزاء إلّا مع العماد، كما لا تدخل على «إنّ» إلّا على هذا الوجه.

وقوله: ﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ معناه: اعلموا أنّما غنمتم من شيء لهؤلاء الّذين ذكرناهم إن كنتم مؤمنين بالله مصدِّقين له في إخباره، وما أنزله على عبده محمّد صلى الله عليه وآله من القرآن.

وقال الزجّاج: يجوز أن يكون قوله: ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ متعلّقاً بقوله: ﴿فاعلموا أنّ الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ... إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ أي: فأيْقِنُوا أنّ الله ناصركم إن كنتم شاهدتم مِن نصره (٢) ما شاهدتم (٣).

ومعنى ﴿يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾: يوم بدر، وسُمّي يوم الفرقان لأنّه تميّز أهل الحقّ مع قلّة عددهم من المشركين مع كثرة عددهم بنصر الله المؤمنين. وقيل (٤): كان يوم السابع عشر من شهر رمضان. وقيل (٥): التاسع عشر سنة اثنتين من الهجرة، وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام.

ثمّ قال: ﴿والله على كلّ شيء قدير﴾ أي: هو قادر على مجازاة مَن

---

(١) التوبة: ٦٣ وانظر معاني القرآن ج ١ ص ٤١١.

(٢) في الخطّية، نصرة الله.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤١٦.

(٤) وهو قول ابن مسعود ومحمّد بن صالح وزيد بن ثابت، ورووه عن الحسن بن عليّ عليهما السلام. راجع تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٤١٨ ـ ٤٢٠، وتفسيره: ج ١٠ ص ٧ ـ ٨.

(٥) قاله ابن مسعود برواية أُخرى وخارجة بن زيد عن أبيه والزهري وعروة بن الزبير. راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

أطاعه بجزيل الثواب، وعلى عقاب مَن عصاه بأليم العذاب.

قوله تعالى جدّه:

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا (٤٢) لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٣)﴾ آيتان في المدنيّين والبصري، وآية واحدة في الكوفي.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿بالعِدْوة﴾ بكسر العين، الباقون بضمّها، وهما لغتان. قال الراعي في الكسر:

وَعَـيْنانِ حُـمْرٌ مآقِيهِمَا كَمَا نَظَرَ العِدْوَةَ الجُؤْذَرُ[1]

وقال أوْس بن حَجَر في الضمّ:

وفَـارِسٍ لا يَـحُلُّ الحَـيُّ عُـدْوَتَهُ وَلّوْا سِـرَاعاً وَمَـاهَمُّوا بـإقْبالِ[2]

والعدْوَةُ: شفير الوادي، وقال البصريّون: الكسر أكثر اللغات. وقال أحمد بن يحيى: الضمّ أكثر. وقال قوم[3]: هما لغتان سواء.

وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم وابن كثير في روايةالبزّي وشبل: ﴿حَيِيَ﴾ بإظهار الياءَيْن، وقرأ الباقون بالإدغام. وإنّما جاز الإدغام في «حَيِيَ» للزوم الحركة في الثاني، فجرى مجرى ردّ. وإذا أخبروا عن جماعة قالوا: «حَيُوا» فخفّفوا، وقد جاء مدغماً فقالو: «حَيّوا». ومَن اختار الإظهار فلامتناع الإدغام في مضارعه من «يحيى» فجرى على شاكلته، قال الزجّاج: لأنّ الحرف الثاني ينتقل عن لفظ الياء في قولك يحيى، فأمّا

---

(١) من قصيدة يصف بها ناقةً. راجع ديوان الراعي النميري: ص ٢٠٩. وفيه: «العُدوة» بضمّ العين.

(٢) من قصيدة يرثي بها فضالة بن كلدة. راجع ديوان أوس بن حَجَر: ص ١٠٤.

(٣) منهم الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٤٦، والطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٨.

أحيا يحيي فلا يجوز فيه الإدغام عند البصريّين، لأنّ الثاني إذا سُكِّن في الصحيح من المضاعف ـ في نحو: لم يردد ـ كان الإظهار أجود، فالمعتلّ بذلك أولى لأنّ السكون له أَلْزَم، فكذلك وجه الإظهار في «يحيي» لأنّه أحقّ من «لم يردد» لأنّ السكون له أَلْزَم[١].

وقد أجاز الفرّاء الإدغام في «يحيي» وأنشد بيتاً لا يعرف شاعره:

وكأنّها بينَ النساءِ سَبيكةٌ   تَمشي بِسُدَّةِ بَيْتِها فَتُعِيُّ[٢]

تقدير معنى الآية: واذكروا أيّها المؤمنون ﴿إذ أنتم بالعدوة﴾ وهي الجهة الّتي هي نهاية الشيء من أحد جانبَيْه، ومنه قولهم: عدوتا الوادي، وهما شفيراه وجانباه، و﴿الدنيا﴾ بمعنى: الأدنى إلى المدينة، و﴿القصوى﴾ بمعنى: الأقصى منها إلى جهة مكّة، وذلك أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه نزلوا بالجانب الأدنى إلى المدينة، وقريش نزلت بالجانب الأقصى منها إلى مكّة، فنزلا[٣] الوادي بهذه الصفة، قد اكتَنفا شَفيرَيْه.

وقوله: ﴿والركب أسفل منكم﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، وإنّما نصب ﴿أسفل﴾ لأنّ تقديره: بمكانٍ أسفلَ، فهو في موضع خفضٍ، ونُصِبَ لأنّه لا ينصرف، وكان [يجوز الرفع على تقدير: والركب أشدّ سفلاً منكم، ومَن نصب][٤] يجوز أن يكون أراد: والركب مكاناً أسفلَ منكم، بجعله ظرفاً. والّذي حكيناه هو قول الحسن وقَتادَة وابن إسحاق ومجاهد والسُدّي.

وأصل «الدُنيا»: الدنوى بالواو، بدلالة قولهم: دَنَوت إلى الشيء أَدْنُو دُنُوّاً، فَقُلِبَت الواو ياءً، ولم تُقْلَب مثل ذلك في «القصوى» لأنّه ذهب

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤١٨.

(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٤١٢.

(٣) في الخطّيّة: فنزلوا.

(٤) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من الحجريّة.

بـ«الدنيا» مذهب الاسم في قولهم: الدنيا والآخرة وإن كان أصلها صـفةً فَخُفِّفَت، لأنّ الاسم أحقّ بالتخفيف. وتقول: أدناه إدناءً، واستدناه استدناءً، وتَدانَوْا تَدانِياً، وداناه مُدَانَاةً.

و«العُلْوُ»: قرار تحته قرار. و«السُفلُ» قرار فـوقه قـرار، تـقول: سَـفُلَ يَسْفُلُ سُفْلاً، وتَسَفَّلَ تَسفُّلاً، وتَسافَلَ تَسـافُلاً، وسَـفّلَ تَسـفيلاً، وسـافَلَهُ مسافَلَةً، وهو الأسفل، وهي السُفْلى.

وقوله: ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد﴾ والمواعدة: وعد كلّ واحد من الاثنين الآخر، وتَواعَد تَواعداً. و«الاختلاف»: مذهب كلّ واحد مـن الشيئين في نقيض الآخر، ومنه: الاختلاف في الميعاد، لذهاب كلّ واحد من الفريقَيْن فيما يناقض الميعاد من التقدّم والتأخّر أو الزيادة أو النقصان عمّا انعقد به الميعاد.

وقيل: اختلافهم فـي المـيعاد بـمعنى: لو تـواعـدتم أيّـها المـؤمنون الاجتماع في الموضع الّذي اجتمعتم فيه، ثمّ بلغكم كثرة عددهم مع قـلّة عددكم لتأخّرتم فنقضتم الميعاد، في قول ابن إسحاق[١].

ووجه آخر: ولو تواعدتم من غير لطف الله لكم لاختلفتم بـالعوائـق والقواطع، فذكر الميعاد لتأكيد أمره في الاتّفاق، ولولا لطف الله مـع ذلك لوقع على الاختلاف، كما قال الشاعر:

جَرَتِ الرياحُ على مَحَلِّ ديارِهِم فكأنّـما كـانُوا عـلى مِـيعادِ

وقوله: ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ معناه: ليفصل الله أمراً كان مفعولاً من عزّ الإسلام وعلوّ أهله على عَبَدَة الأوثان وغيرهم من الكفّار بحسن

(١) حكاه الطبري في تفسيره: ذيل الآية.

تدبيره ولطفه.

وقوله: ﴿ليهلك من هلك عن بيّنة﴾ معناه: ليهلك مَن هلك عن قيام حجّةٍ عليه بما رأى من المعجزات الباهرات للنبيّ صلّى الله عليه وآله في حروبه وغيرها ﴿ويحيى من حيّ عن بيّنة﴾ يعني: ليستبصر من آستبصر عن قيام حجّةٍ، فجعل الله المتّبع للحقّ بمنزلة الحيّ، وجعل الضالّ بمنزلة الهالك.

وقوله: ﴿وإنّ الله لسميع عليم﴾ معناه: سميع لما يقوله القائل في ذلك، عليم بما يضمره، فهو يجازيه بحسب ما يكون منه.

قوله تعالى جدّه:

إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٤﴾ آية بلا خلاف.

التقدير: واذكر يا محمّد ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً﴾ والهاء والميم كناية عن الكفّار الّذين قاتلوه يوم بدر ﴿ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر﴾ وهذه الرؤية كانت في المنام عند أكثر المفسّرين.

والرُؤْيا في المنام تصوّر يتوهّم معه الرؤية في اليقظة، والرؤيا على أربعة أقسام: رؤيا من الله عزّوجلّ ولها تأويل، ورؤيا من وساوس الشيطان، ورؤيا من غلبة الأخلاط، ورؤيا من الأفكار. وكلّها أضغاث أحلام إلّا الرؤيا من قِبَلِ الله تعالى الّتي هي إلهام في المنام يتصوّر به الشيء كأنّه يرى في اليقظة. ورؤيا النبيّ صلّى الله عليه وآله هذه بشارة له وللمؤمنين بالغلبة.

وقال الحسن: معنى ﴿في منامك﴾: في عينك الّتي تنام بها، وليس من الرؤيا في النوم، وهو قول البلخي. وهو بعيد، لأنّه خلاف الظاهر من مفهوم الكلام.

قال الرُمّاني: ويجوز أن يُرِيَه الله الشيء في المنام على خلاف ما هو

به، لأنّ الرؤيا في المنام تخيّل للمعنى من غير قطعٍ وإن جامعه قطع من الإنسان على المعنى، وإنّما ذلك على مثل تخييل السراب ماءً من غير قطع على أنّه ماء، فهذا يجوز أن يفعله الله، ولا يجوز أن يلهمه اعتقاداً للشيء على خلاف ما هو به، لأنّ ذلك يكون جهلاً، ولا يجوز أن يفعله الله تعالى.

و «النوم»: ضرب من السهو يزول معه معظم الحسّ، تقول: نام ينام نَوْماً، ونوّموه تنويماً، وأنَامَهُ إنـامَةً، وتَـناوَمَ تَـنَاوماً، وآستنامَ آستنامةً. و«المَنَام»: موضع النوم، كالمضطَجَع: موضع الاضطجاع.

و «القِلّة»: نقصان عن عدّة، كما أنّ الكثرة زيادة على عدّة، يقال: قَلّ يَقِلُّ قِلّةً، وقلّلَهُ تَقليلاً، واستَقَلَّ استِقْلالاً، وتقلّلَ تَقَلُّلاً. والشيء يكون قليلاً بالإضافة إلى ما هو أكثر منه، ويكون كثيراً بالإضافة إلى ما هو أقلّ منه، وأقلّه إقلالاً: إذا أطَاقَه فَصادَفَهُ قليلاً في طـاقَته، فـهو مشـتقّ مـن هـذا، واستقلَّ من المرض: إذا قَوِيَ قوّةً يزول بها المرض، أي: وجده قليلاً في قوّته لا يعتدّ به.

وقوله: ﴿لفشلتم﴾ فالفَشَلُ: ضـعف الرجـل، لأنّ الضـعف قـد يكـون لمرض من غير فَزَع، وقد يكون من فَزَع، فالفَشَل إنّما هو الضـعف عـن فَزَع. فَشَلَ يَفْشَلُ فَشَلاً فهو فشل، وفشّلَهُ تَـفْشيلاً: إذا نَسـبَه إلى الفَشَـل، وتفاشَلُوا تَفَاشُلاً.

وقوله: ﴿ولتنازعتم﴾ فالتنازع: الاختلاف الّذي يحاول كلّ واحدٍ منهم نَزْع صاحبه ممّا هو عليه، تنازَعا تَنازُعاً، ونازَعَهُ مُنَازَعَةً، ونَزَعَ عن الأمر يَنْزِعُ نُزُوعاً، واستَنْزعه: إذا طَلَب نُزُوعَهُ، وانْتَزَعَهُ: إذا اقْتَلَعَهُ عن مكانه.

وقوله: ﴿ولكن الله سلَّم﴾ فالسلامة: النجاة من الآفة، سَلَّمَ يُسَلِّمُ سَلامةً، وأَسْلَمَهُ إسلاماً: إذا دَفَعَهُ على السلامة، وأَسْـلَمَ الإنسـانُ: إذا دخـل فـي

السلامةِ من جهة الدين، وسَلَّمَهُ تسليماً: إذا نَجَّاهُ، واستسلم استسلاماً: إذا أسلم نفسه للأمر، وتَسَلَّمَ تَسَلُّماً: إذا طَلَب السلامة، وآستَلَمَ الحَجَر: إذا طَلَبَ لَمْسَهُ على السلامة، وسَالَمَهُ مُسَالَمَةً، وتَسَالَمَا تَسالُماً.

وقوله: ﴿إنّه عليم بذات الصدور﴾ فالصدر: الموضع الأجَلُّ، يكون القلب فيه، وصدر المجلس: أجَلُّه، لأنّه موضع الرئيس، وصَدْرُ الدار مشبَّه بصَدْرِ الإنسان لأنّه المستَقْبَل منه كاستقباله من الإنسان، يقال: صَدَرَ يَصْدُرُ صدراً، وأصْدَرَهُ إصْداراً، وتَصَدَّر تَصَدُّراً، وصَدَّرَهُ تَصْديراً، وصَادَرَهُ مُصَادَرَةً، وتَصادَرُوا تَصادُراً.

ففائدة الآية: أنّ الله لَطَفَ للمؤمنين بما لو لم يكن لفشلوا ولاضطرب أمرهم واختلفت كلمتهم، ولكن سلّمهم الله من ذلك بلُطْفه لهم وإحسانه بهم حتّى بلغوا ما أرادوه من عدوّهم.

قوله تعالى:

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٥﴾ آية بلا خلاف.

التقدير: اذكروا أيّها المؤمنون ﴿إذ يُريكموهم﴾ فالهاء والميم كناية عن المشركين، والكاف والميم كناية عن المؤمنين، أرَى الله تعالى الكفّار قليلين في أعيُن المؤمنين ليشتدّ بذلك طمعهم فيهم وجرأتهم عليهم، وقلَّل المؤمنين في أعين الكفّار لئلا يتأهّبوا ولا يستعدّوا لقتالهم ولا يكترثوا[١] بهم فيظفر بهم المؤمنون.

والمراد بالرؤية هاهنا: رؤية البصر، وهو الإدراك بحاسّة البصر،

---

(١) الاكتراث: الاعتناء.

والرائي هو المدرك. و«العين»: حاسّة يدرك بها المبصر، و«العين» مشتركة، فمنها: عين الماء، وعين الميزان، وعين الركبة، وعين الذهب، و «العين»: النفس. والالتقاء: اجتماع الاتّصال، لأنّ الاجتماع على وجهَيْن: اجتماع الاتّصال، واجتماع في معنىً من غير اتّصال، كاجتماع القوم في الدار وإن لم يكن هناك اتّصال، ويقال للعسكرَيْن إذا تصافّا: التقَيا لوقوع العين على العين.

فإن قيل: كيف قلّلهم الله في أعينهم مع رؤيتهم لهم؟

قلنا: بأن يتخيّلوهم بأعينهم قليلاً من غير رؤية على الصحّة لجميعهم، وذلك بلُطْفٍ من ألطافه تعالى ممّا يصدّ به عن الرؤية من قَتَام[1] يستر بعضهم ولا يستر بعضاً آخر. ورُوي عن ابن مسعود أنّه قال: رأيناهم قليلاً حتّى قلت لمن كان إلى جانبي: أتراهم سبعين رجلاً؟ فقال لي: هم نحو المائة. فلمّا أسرنا رجلاً منهم سألناه: كم كانوا؟ فقال: ألفاً[2].

وقوله: ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ إنّما كرّره في هذه الآية مع ذكرها في الآية الأُولى لاختلاف الفائدة، فمعناه في الآية الأُولى: ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً من الالتقاء على الصفة الّتي حصلتم عليها، ومعناه في الثانية: يقلّل كلّ فريق في عين صاحبه ليقضي الله أمراً كان مفعولاً من إعزاز الدين بجهادكم على ما دبّره لكم. وإنّما قال: ﴿كان مفعولاً﴾ والمعنى: يكون مفعولاً في المستقبل لتحقيق كونه لامحالة حتّى صار بمنزلة ماقد كان، إذ قد علم الله أنّه كائن لا محالة.

---

(١) القَتام والقَتَم: الغُبار، وحكي بالنون، وهو لغة فيه. (لسان العرب).

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ١٠.

وقوله: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي: ترجع الأُمور إلى ملكه وتدبيره خاصّةً، ويزول ملك كلّ من ملكه في دار الدنيا.

قوله تعالى جدّه:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٦﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين خاصّةً، يأمرهم بأنّهم إذا لَقَوْا جماعةً من الكفّار لحربهم أن يثبتوا ويذكروا الله كثيراً، ويستنصروه عليهم لكي يفلحوا ويفوزوا بالظفر بهم، وبالثواب عند الله يوم القيامة.

وقد بيّنّا أنّ معنى الإيمان هو التصديق بما أوجبه الله على المكلّفين أو ندبهم إليه. و«الفئة»: الجماعة المنقطعة من غيرها، وأصله من: فَأَوْت رأسه بالسيف إذا قطعته. و«الثبوت»: حصول الشيء في المكان على استمرار، يقال لمن استمرّ على صفة: قد ثبت كثبوت الطين. و«الذكر»: ضدّ «السهو» وقد يكون «الذكر» القول من غير سهوٍ.

والفئة المذكورة في الآية وإن كانت مطلقة، فالمراد بها المشركة أو الباغية، لأنّ الله لا يأمر المؤمنين بالثبوت لقتال أحدٍ إلّا من هو بهذه الصفة، ولا يأمر بقتال المؤمنين.

قوله تعالى جدّه:

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٧﴾ آية إجماعاً.

أمر الله تعالى هؤلاء المؤمنين الّذين ذكرهم بأن يطيعوا الله ورسوله، ولا يختلفوا فيضعفوا عن الحرب. والعامل في ﴿فتفشلوا﴾ الفاء الّتي هي

بدل من «أن» على معنى جواب النهي، كقولك: لا تأت زيداً فيهينك، ولذلك عطف بالنصب في قوله: ﴿وتذهبَ ريحكم﴾ عليه.

وقوله: ﴿وتذهب ريحكم﴾ معناه كالمثل، أي: أنّ لكم ريحاً تنصرون بها، يقال: ذهب ريح فلان، أي: كان يجري في أمره على السعادة بريحٍ تحمله إليها، فلمّا ذهبت وقف في أمره، فهذه بلاغة حسنة. وقيل: المعنى: ريح النصرة الّتي يبعثها الله مع مَن ينصره على مَن يخذله، في قول قتادة وابن زيد.

وقيل: تذهب دولتكم، من قولهم: ذهب ريحه، أي: ذهبت دولته، في قول أبي عُبَيْدَة[١] وأبي عليّ. وقال عَبِيد بن الأبْرَص:

كما حَمَيناكَ يَوْمَ النَعْفِ من شَطِبٍ والفَضْلُ للقَومِ من رِيحٍ ومَن عَدَدِ[٢]

أي: من ريحِ عزٍّ ومَن عَدَد. وقال أبو جعفر عليه السلام: هذه الآية نزلت حين أشار حبّاب بن المنذر على النبيّ صلى الله عليه وآله أن ينتقل من مكانه حتّى ينزلوا على القليب ويجعلها خلفهم، فقال بعضهم: لا تنغض[٣] مصافّك يا رسول الله، فتنازعوا، فنزلت الآية وعمل النبيّ صلى الله عليه وآله على قول حبّاب.

قوله تعالى جدّه:

وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٨﴾ آية بلا خلاف.

نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية أن يكونوا مثل ﴿الّذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس﴾ وهم قريش لمّا خرجت لتحمي العير، فلمّا

---

(١) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٤٧.

(٢) من قصيدة يمجّد مآثر قومه. راجع ديوان عَبيد: ص ٥٦.

(٣) ظاهر الخطّية: لا تنقض.

نجا أبو سفيان أرسل إليهم: أنِ ارجعوا، فقد سلمت عيركم وهم بالجحفة، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتّى نرد بدراً، وننحر جزراً، ونشرب خمراً، وتعزف علينا القيان، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز، ذكره ابن‌عبّاس ومجاهد وعُرْوَة بن الزبير وابن إسحاق.

و«البَطَر»: الخروج عن موجب النعمة ـ من شكرها والقيام بحقّها ـ إلى خلافه، وأصله: الشقّ، فمنه: البيطار لأنّه يشقّ اللحم بالمبضع، وبَطِرَ الإنسان بَطَراً وأبْطَرَه كثرة النعمة عليه إبْطاراً، وبَطّرَهُ تَبْطيراً. و«الرئاء»: إظهار الجميل ليرى مع إبطان القبيح، تقول: راءَى يُرائِي مُرَاءاةً ورياءً، والمُرائي: رجل سوء لما بيّنّا. و «النِفاق»: إظهار الايمان مع إبطان الكفر. و «الصدّ»: المنع، وقيل: هو جعل ما يدعو إلى الإعراض، فهؤلاء يصدّون عن سبيل الله بما يدعون الناس إلى الإعراض عنها، من معاداة أهلها وقتالهم عليها، وتكذيبهم بما جاء به الداعي إليها. والفرق بين «الصدّ» و«المنع»: أنّ المنع ما يتعذّر معه الفعل، والصدّ ما يدعو إلى ترك الفعل.

وقوله: ﴿والله بما تعملون محيط﴾ معناه يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: أنّه يحيط علمه بما يعملونه، الثاني: أنّه قادر على جزاء ما يعملونه من ثواب أو عقاب.

قوله تعالى جدّه:

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَاغَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَالَاتَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٩﴾ آية بلا خلاف .

التقدير: واذكروا ﴿إذ زيَّن لهم﴾ يعني: المشركين، زيَّن لهم ﴿الشيطان

أعمالهم﴾ بمعنى: حَسّنَها في نفوسهم، والتزيين هو التحسين. والمعنى: أنّ إبليس حَسّنَ للمشركين أعمالهم، وحَرّضَهم على قتال محمّد صلّى الله عليه وآله وخروجهم من مكّة، وقوّى نفوسهم وقال لهم: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس﴾ تقول: غَلَبَ يَغْلِبُ غَلَبَةً، فهو غالِبٌ، وغالَبَهُ مُغَالبةً، وتَغَالَبا تَغالُباً، وغَلّبَهُ تَغْليباً، والغَلَبَةُ: القهر للمنازع، والملك لأمره.

وقوله: ﴿وإنّي جارٌ لكم﴾ حكاية عمّا قال إبليس للمشركين، فإنّه قال لهم: إنّي جارٌ لكم، لأنّهم خافوا بني كِنَانَةَ لِما كان بينهم، فأراد إبليس بأن يسكّن خوفهم، و«الجار»: هو الدافع عن صاحبه السوء، أجارَهُ يُجِيرُهُ جِواراً، ومنه: قوله: ﴿وهو يُجِيرُ ولا يُجَار عليه﴾ [١] أي: يعقد لمن أحبّ دفع الضرر عنه من كلّ أحد ولا يُعقَد عليه، فالجار [٢]: المجير.

وقوله: ﴿فلمّا تراءت الفئتان﴾ معناه: فلمّا التقتا ورأى بعضهم بعضاً ﴿نكص﴾ [يعني:] إبليس ﴿على عَقِبَيْه﴾ والنُكُوص: هو الرجوع قهقرى خوفاً ممّا يرى، نَكَصَ يَنْكِصُ نُكُوصاً، قال زُهَيْر:

هُمُ يَضرِبُونَ حَبيكَ البَيض إذْ لحَقُوا

لا ينَكِصُونَ إذا ما آستُلحِموا وحَمُوا [٣]

واختلفوا في ظهور الشيطان لهم حتّى رأوه، فقال ابن‌عبّاس والسُدّي وقَتادَة وابن إسحاق: ظهر لهم في صورة سُراقَةَ بن مالكِ بن جَعْشَمَ الكِنانِيِّ المُدْلَجِي في جماعةٍ من جنده، وقال لهم: هذه كِنانَة قد أتتكم نجدةً، فلمّا رأى الملائكة ﴿نكص على عقبيه﴾ فقال الحارث بن هشام: إلى

(١) المؤمنون: ٨٨.
(٢) في الخطّيّة: بالجار.
(٣) من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٩٣.

أين ياسُراق؟!فقال:﴿إنّي أرى مالا ترون﴾ وهوقول أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

وقيل[١]: إنّه رأى جبرائيل بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقال أبو عليّ الجُبّائي: حوّله الله على صورة إنسانٍ علماً للنبيّ صلى الله عليه وآله بما يخبر به عنه. وقال الحسن والبلخي: إنّما هو بـوسوسة مـن غـير أن يُحوّل في صورة إنسان.

وقوله: ﴿إنّي أخاف الله والله شديد العقاب﴾ حكاية عن قول إبليس حين ولّى فقال لقريش: إنّي أرى من الملائكة ما لا ترون، إنّي أخاف الله والله شديد العقاب. وإنّما خافه من أن يأخذه في تلك الحال بعقوبته، دون أن يكون خاف معصيته فامتنع منها. قال الحسن: إبليس عدوّ الله، لا يخاف الله لكن كلّما استؤصل جند من جنوده وقعت بذلك عليه مخافة وذلّة.

وقال البلخي: هو كقولك للرجل: جمعت بين الفريقَيْن حتّى إذا وقـع الشرّ بينهم خلّيتهم وآنصرفت وقلت: اعملوا ما شئتم، وتريد بـذلك: أنّك خلّيت بينهم دون أن يكون هناك قول. والأوّل هو المشهور في التفاسير.

والواو دخلت فيقوله: ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان﴾ للعطف على خروجهم بطراً ورئاء الناس، فعطف حالهم في تزيين الشيطان أعمالهم على حالهم في خروجهم بطراً.

قوله تعالى جدّه:

إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٠﴾ آية بلا خلاف .

العامل في ﴿إذ﴾ يحتمل أن يكون أحد شيئين:

---

(١) قاله الحسن. راجع تفسير الطبري: ذيل الآية.

أحدهما: الابتداء، والتقدير: ذاك إذ يقول. والآخر: بتقدير: اذكر ﴿إذ يقول المنافقون﴾ وهم الّذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان ﴿والّذين في قلوبهم مرض﴾ الشاكّين في الإسلام مع إظهارهم كلمة الإيمان، وهم بمكّة جماعة خرجوا مع المشركين يوم بدر، فلمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا هذا القول، وهم: قَيْسُ بن الوليد بن المُغِيرَة، وأبوقيس بن الفاكه بن المغيرة والحارثُ بن زَمْعَةَ، وعليّ بن أُميّة، والعاص بن المنبّه بن الحجّاج، هذا قول مجاهد والشَعْبي.

وقال الحسن: المرض: الشك[1] ﴿والّذين في قلوبهم مرض﴾ المشركون.

وقال أبو عليّ: فُصِلوا في الذكر لأنّ المنافقين كانوا يضمرون عداوة النبيّ ﷺ والمؤمنين، وكانوا هؤلاء مرتابين، وكلّهم في معنى المنافقين، لأنّ الشكّ في الإسلام كفر.

وقوله: ﴿غرّ هؤلاء دينهم﴾ معناه: أنّ المسلمين اغترّوا بالإسلام، والغُرُور: إظهار النصح مع إبطان الغشّ، تقول: غَرَّهُ يَغُرُّهُ غُرُوراً، واغْتَرَّ به اغْتِراراً، ومنه الغرر، لأنّه عمل بما لا يؤمن معه الغرور.

وقوله: ﴿ومن يتوكّل على الله﴾ معناه: ومن يُسلم لأمر الله ويثق به ويرض بفعله، لأنّ التوكّل على الله هو التسليم لأمره مع الثقة والرضا به، تقول: وَكَلَ أمرَهُ إلى الله يَكِلُ، واتّكَلَ عليه يَتّكِلُ اتّكالاً، وتَوكّل تَوكُّلاً، وتَواكَلَ القوم تَواكُلاً: إذا اتَّكَلَ بعضهم على بعض، ووكَّلَ تَوكيلاً.

وقوله: ﴿فإنّ الله عزيز حكيم﴾ معناه: أنّه قادر لا يُغالَب، واضع الأشياء مواضعها.

---

(١) في الحجريّة: «الشرك».

قوله تعالى جدّه:

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥١﴾آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر: ﴿إذ تتوفّى﴾ بتاءَيْن، فأدغم إحداهما في الأُخرى هشام عنه، الباقون بالياء والتاء. مَن قرأ بالتاء أسند الفعل إلى الملائكة كـقوله: ﴿إذ قالت الملائكة﴾ [1] ومَن قرأ بالياء فلأنّ التأنيث غير حقيقي.

هذا خطاب من الله تعالى للنبيّ ﷺ يقول الله تـعالى له: ﴿ولو ترى﴾ الوقت الّذي تتوفّى الملائكة الّذين كفروا، بمعنى: أنّهم يقبضون أرواحهم على آستيفائها، لأنّ الموت إنّما يكون بإخراج الروح على تمامها.

وجواب ﴿لو﴾ محذوف، وتقديره: لرأيت منظراً عظيماً أو أمراً عجيباً أو عقاباً شديداً، وحذف الجواب في مثل هذا أبلغ، لأنّ الكلام يدلّ عليه، والمرئيّ ليس بمذكور في الكلام لكن فـيه دلالة عـليه، لأنّ تـقديره: لو رأيت الملائكة يضربون من الكفّار الوجوه والأدبار، وحذفه أبلغ وأوجز مع أنّ الكلام يدلّ عليه.

وقال مجاهد وسعيد بن جُبَيْر: معنى ﴿أدبارهم﴾: أستاههم، لكنّه كنّى عنه. وقال الحسن: معناه: ظهورهم.

وقال أبوعليّ: المعنى: سيضربهم الملائكة عند الموت. قال الرُمّـاني: وهذا غلط، لأنّه خلاف الظاهر، وخلاف الإجماع المتقدّم أنّه يوم بدر.

وَرَوَى الحسن: أنّ رجلاً قال: يا رسولالله، إنّي رأيت بظهر أبي جهل مثل الشِراك، فقال: ذاك ضرب الملائكة.

---

(١) آل عمران: ٤٥.

وروي عن مجاهد: أنّ رجلاً قال للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي حملت على رجل من المشركين، فذهبت لأضربه فندر رأسه، فقال: سبقك إليه الملائكة. وعن ابن‌عبّاس: أنّه كان يوم بدر.

وقوله: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ تقديره: ويقولون يعني: الملائكة للكفّار يقولون لهم: ذوقوا عذاب الحريق يوم القيامة، وحُذِفَ لدلالة الكلام عليه، ومثله قوله: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربّهم ربّنا أبْصَرْنا وسَمِعْنا﴾ (١) أي: يقولون ربّنا أبصرنا، ودلّ الكلام عليه. و«الحريق» : تفريق الأجسام الكبيرة العظيمة بالنار العظيمة، [يقال]: احْتَرَقَ احتراقاً، وأَحْرَقَ إحْراقاً، وتَحَرَّقَ تَحَرُّقاً، وحرَّقَهُ تَحْريقاً. وجواب ﴿لو﴾ محذوف، وتقديره: لرأيت منظراً هائلاً، وإنّما حُذِفَ جواب ﴿لو﴾ لأنّ ذكره يخصّ وجهاً، ومع الحذف يُظَنُّ وجوه كثيرة، فهو أبلغ.

قوله تعالى جدّه:

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥٢﴾ آية بلا خلاف .

قوله: ﴿ذلك﴾ إشارة من الملائكة للكفّار إلى ما تقدّم ذكره، من قولهم: ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ ثمّ قالوا: ذلك العذاب ﴿بما قدّمت أيديكم﴾ وموضع ﴿بما قدّمت أيديكم﴾ يحتمل وجهَيْن من الإعراب:

أحدهما: الرفع بأنّه خبر ﴿ذلك﴾ . والثاني: النصب بأنّه متّصل بمحذوف، وتقديره: ذلك جزاؤكم بما قدّمت أيديكم.

وإنّما قيل: ﴿بما قدّمت أيديكم﴾ مع أنّ اليد [لا تعمل شيئاً، لتبيّن أنّه بمنزلة ما يعمل باليد في الجناية، ولذلك لم يذكر القلوب وإن كان](٢) بها

---

(١) السجدة: ١٢.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة.

معتمد العصيان، لأنّه قصد إظهار مايقع به الجنايات في غالب الأمر وتعارف الناس. و «التقديم»: ترتيب الشيء أوّلاً قبل غيره، قَدَّمَهُ تَقْديماً، وتَـقَدّمَ تَقَدُّماً، واستَقْدَمَ استِقْداماً، وتَقادَمَ عَهدُهُ تَقادُماً، وأَقْدَمَ على الأمر إقْداماً.

وقوله: ﴿وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾ العامل في ﴿أن﴾ يحتمل شيئين:

أحدهما: أن يكون موضعه نصباً بتقدير: وبأنّ الله، أوخفضاً على الخلاف فيه. الثاني: أن يكون رفعاً بمعنى: وذلك أنّ الله،كما تقول: ذلك هذا.

وإنّما نَفَى المبالغة في الظلم عنه تعالى دون نفي الظلم رأساً، لأنّه جاء على جواب من أضاف إليه فعل جميع الظـلم، ولأنّ مـا يـنزل بـالكفّار لو لم يكن باستحقاقٍ لكان ظلماً عظيماً، ولكان فاعله ظلّاماً.

قوله تعالى جدّه:

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٣﴾ آية.

العامل في قوله: ﴿كَدَأْب آل فرعون﴾ الابتداء، وتقديره: دَأْبُهم كَدَأب آلفرعون، فموضعه رفع، لأنّه خبر المبتدأ، كما تقول: زيد خلفك، فموضع «خلفـك» رفـع بأنّه خبر المـبتدأ، ولفـظه نـصب بـالاستقـرار، فكـذلك الكاف في ﴿كَدَأْب﴾ و «الدَأْب»: العادة والطريقة، تقول: ما زال ذلك دَأْبُه ودِينُه ودَيْدَنُه.

والمعنى: أنّه جُوزِيَ هؤلاء بالقتل والأسر كـما جُـوزِيَ آل فـرعون بالغرق. وقال الزجّاج: «الدَأْب»: إدامة الفعل[1] دَأَبَ يَدْأَبُ في كـذا: إذا أقام[2] عليه. ودَأَبَ يَدْأَبُ دَأْباً ودُؤُباً فهو دائِبٌ يفعل كذا، أي: يجري فيه

(١) في معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٢٠، وفيه: «معناه عادة هؤلاء...».

(٢) في الحجريّة: «دام».

على عادة. وقال خِدَاشُ بن زُهَيْر العامري:

وما زَالَ ذاكَ الدَأْبَ حتّى تَخَاذَلَتْ   هَوازِنُ وٱرْفَضَّتْ سُلَيْمٌ وعَـامِرُ[1]

و ﴿آل فرعون﴾ المراد به أتباعه فيما دعاهم إليه من ربوبيّته، سُـمُّوا «آله» لأنّ مرجع أمرهم إليه بسببٍ وكيد، والفرق بين«آل فلان»و«أصحاب فلان»: أنّ«الأصحاب» مأخوذ من الصُحْبة لطلب علمٍ أوغيره، كالأصحاب في السفر، وكَثُرَ في الموافقة على المذهب، كما يقولون: أصحاب مـالك وأصحاب الشافعي، يُراد به الموافقة فـي المـذهب، ولا يُـوصَفون بأنّـهم آل الشافعي أو أبي حنيفة. و«الآل» يرجعون إليه بالنسب الأوْكَد الأقْرب.

وقوله: ﴿إنّ الله قوي﴾ معناه: قادر، وقد يكون «القويّ» بمعنى: الشديد، وذلك لايجوز إطلاقه على الله، وكذلك لايوصف بأنّه شديد لأنّ مـعنى الشديد من الشدّة، وهو المتداخل على صعوبة تفكّكه.

وقوله: ﴿شديد العقاب﴾، إنّما وصف عقابه بأنّه شديد دون الله تـعالى. فمعنى الآية: تشبيه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله الّتي أتى بـها محمّد صلى الله عليه وآله بحال آل فـرعون فـي التكـذيب بآيـات الله الّـتي أتـى بـها موسى عليه السلام ؛ لأنّ تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاك كتعجيله لأُولئك بـعذاب الاستئصال.

قوله تعالى:

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَابِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) من أبيات يصف وقعة الفِجار بين قريش وكنانة وبين قـيس فـي زمـن الجـاهلية. راجـع الأغاني ١٩: ٨٠.

الإشارة بقوله: ﴿ذلك﴾ إلى ما تقدّم ذكره من أخذ الله الكفّار بالعقاب، فكأنّه قال: ذلك العقاب المدلول عليه بأنّ الله لا يغيّر النعمة إلى النقمة إلّا بتغيير النفس إلى الحال القبيحة، ف ﴿ذلك﴾ ابتداءٌ، وخبره: ﴿بأنّ الله﴾ كما يقول القائل: العقاب بذنوب العباد، والكاف في ﴿ذلك﴾ للخطاب وإشارة إلى البعيد، و«ذاك»(١) إشارة إلى ما دونه، و «ذا» إشارة إلى ما هو حاضر.

وقوله: ﴿لم يك﴾ أصله: «يكون» فحذفت الواو علامة للجزم و [التقاء الساكنَيْن] ثمّ حذفت النون استخفافاً لكثرة الاستعمال، مع أنّه لا يقع بالحذف إخلال بالمعنى، لأنّ «كان» و «يكون» أُمّ الأفعال، ألا ترى أنّ كلّ فعل فيه معناها، لأنّك إذا قلت: ضَرَبَ، معناه: كان ضرب. ويضربُ، معناه: يكون يضرب، فلمّا قربت بأنّها أُمّ الأفعال وكثُر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظائرها، [وذلك] مثل: «لم يجز» و «لم يصن» كما جاز فيها.

و«التغيير»: تصيير الشيء على خلاف ما كان، [بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان، وإنّما قيل: بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان](٢) ليفرّق بينه وبين ما يصير على خلاف ما كان بالحكم فيه بما لم يكن عليه، ألا ترى أنّ المعلوم بعد أن لم يكن معلوماً لايتغيّر بهذا العلم، لأنّه لو شوهد لم يُشاهد على خلاف ما كان، والقدرة لو شوهدت لشوهدت على خلاف ما يشاهد العجز.

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبِّرة، لأنّها تدلّ على أنّه لايكون العقاب إلّا بتغيير النفس إلى ما لا يجوز أن يغيّر إليه، وهذا يبيّن

(١) في الخطّيّة والحجريّة: ذلك، والصواب ما أثبتناه.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة، وأثبتناه من الحجريّة.

أنّه لا يحسن من الله العقاب إلّا لمن فعل قبيحاً أو أخلّ بواجب، وذلك يبطل قول من قال: يجوز أن يعاقب الله البريء بجرم السقيم.

وجملة معنى الآية: أنّا أخذنا هؤلاء الّذين كذّبوا بآياتنا من مشركي قريش ببدر بذنوبهم وتغييرهم نعمة الله عليهم من بعث رسوله وتكذيبهم إيّاه وإخراجهم له من بين أظهرهم، ففعلنا بهم مثل ما فعلنا بالماضين من الكفّار.

قوله تعالى جدّه:

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٥﴾ آية بلا خلاف.

إنّما أعاد قوله: ﴿كَدَأْب آلفرعون والّذين من قبلهم﴾ لا على وجه التكرار بلا فائدة بل لوجهَيْن:

أحدهما: قال أبو عليّ: لأنّه على نوعَيْن مختلفَيْن من العقاب. وقال الرُمّاني: فيه تصريف القول في الذمّ بما كانوا عليه من قبح الفعل، وتقدير الكلام: دأب هؤلاء الكفّار مثل دأب آل فرعون.

[﴿والّذين من قبلهم﴾ يحتمل أن يكون قوم قبل آل فرعون فيكون الهاء والميم كناية عن آل فرعون][١].

ويحتمل أن يكون كناية عن هؤلاء الكفّار «كذّبوا بآياتنا».

و«التكذيب»: نسبة الخبر إلى الكذب، فالتكذيب بالحقّ مذموم، والتكذيب بالباطل ـ لأنّه باطل ـ ظاهر أمره محمود، وإنّما وجب في التكذيب بآيات الله تعجيل العقوبة ولم يجب ذلك في غيره، لِمَا في تعجيل عقوبتهم من الزجر لغيرهم، فيصلحون به مع علم الله بأنّه ليس فيهم مَن

---

(١) المخطوطة، ولم يرد في الحجريّة.

يفلح، على مذهب من يقول: لو علم الله أنّ فيهم من يؤمن لبقاه. وإنّما كان التكذيب بآيات الله من أعظم الأجرام، لِمَا يتبعه من تضييع حقوق الله فيما يلزم من طاعاته الّتي لا تصحّ إلّا بالتصديق بآياته الّتي جاءت بها رسله.

أخبر الله أنّه كما أهلك هؤلاء الكفّار بتكذيبهم النبيّ ﷺ كذلك أهلك قوماً آخرين بتكذيبهم بآيات الله، وأغرق آل فرعون قبل[1] ذلك، ثمّ أخبر أنّ كلّ هؤلاء كانوا ظالمين لنفوسهم بارتكاب معاصي الله وبترك طاعاته.

قوله تعالى جدّه:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٦﴾ آية بلا خلاف.

الشرُّ: الرمي بالمكاره، كشرر النار، ومثله: الضرر، وضدّ الشرّ: الخير، وضدّ الضرر النفع. و «الدابّة»: ما من شأنه أن يدبّ على الأرض، لكن بالعرف لا يُطْلَق إلّا على الخيل، ومن ذلك قوله: ﴿وما من دابَّة في الأرض إلّا على الله رزقها﴾[2].

وقوله: ﴿عند الله﴾ معناه: في معلوم الله وفي حكمه، وأصل «عند» أن يكون ظرفاً من ظروف المكان، إلّا أنّه قد تصرف فيها على هذا المعنى.

والفاء في قوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ معناه عطف جملة على جملة، وهو من الصلة، كأنّه قال: كفروا مصمّمين على الكفر ﴿فهم لا يؤمنون﴾ وإنّما حسن عطف جملة من ابتداء وخبره على جملةٍ من فعل وفاعل لِمَا فيها من التأدية إلى معنى الحال، وذلك أنّ صبابتهم بالكفر أدّى إلى الحال في أنّهم لا يؤمنون.

فأخبر الله تعالى في هذه الآية أنّ شرّ خصلةٍ يكون الإنسان عليها هو

---

(١) في الحجريّة: بمثل.

(٢) هود: ٦.

الكفر، لِمَا في ذلك من تضييع نِعَم الله الّتي توجب أعظم العقاب. والآية متناولة لِمَن عَلِمَ الله منه أنّه لا يؤمن، لأنّ قوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ إخبار عن نفي إيمانهم فيما بعد.

قوله تعالى جدّه:

﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ آية بلا خلاف.

قال مجاهد: هذه الآية نزلت في بني قُرَيْظَةَ، لمّا نقضت عهد النبيّ ﷺ في ألّا يحاربوه ولا يمالوا عليه، فنقضوا عهده ومالوا عليه، وعاونوا قريشاً يوم الخَنْدق، فانتقم الله منهم.

«المعاهدة»: المعاقدة على أمرٍ يتقدّم فيه للوثيقة به بالأيمان المؤكّدة على ما يعقد عليه، ونقض العهد مثل نقض الوعد، لأنّه حقّ للمعاهد كما أنّ ذلك حقّ للموعود، ونقض العزم: هو الرجوع عمّا عزم عليه. و «النقض» يكون بشيئين: أحدهما: فيما كان من بناء ومايشبهه. الثاني: في عقدٍ أو أمرٍ يعزم عليه.

وقوله تعالى: ﴿ثمّ ينقضون﴾ عطف المستقبل على الماضي، لأنّ الغرض: أنّ من شأنهم نقض العهد مرّة بعد أُخرى في مستقبل أوقاتهم بعد العهد إليهم. وقوله: ﴿فهم[1] لا يتّقون﴾ معناه: نقضوا عهدك من غير أن يتّقوا عقاب الله عاجلاً وآجلاً.

قوله تعالى جدّه:

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ آية بلا خلاف.

معنى «تَثْقفنَّ»: تصادفنّ وتلقينّ، وأصله: الإدراك بسرعة، تقول: ثَقِفَ

(١) كذا، والآية ﴿وَهُم﴾.

الكلمة فهو ثَقْفٌ، وثَقّفَه: إذا قَوّمَهُ، وثاقَفَهُ مثاقَفَةً: إذا تدارك كلّ واحدٍ منهما أمر صاحبه بسرعة. ودخلت نون التأكيد لمّا دخلت «ما» ولو لم تدخل «ما» لما حَسُنَ دخول النون، لأنّ دخول «ما» كدخول القَسَم في أنّه علامة تؤذن أنّه من مواضع التأكيد المطلوب من التصديق، لأنّ النون تدخل لتأكيد المطلوب فيما يدلّ على الطلب، وهي في ستّة مواضع: الأمر والنهي والاستفهام والعرض والقَسَم والجزاء مع «ما».

وقوله: ﴿فشرِّد بهم من خلفهم﴾ يحتمل معنيَيْن:

أحدهما: إذا أسرتهم فنكِّل بهم تنكيلاً يشرّد غيرهم من ناقضي العهد، خوفاً منك. وهو قول الحسن وقَتادَة وسعيد بن جُبَيْر والسُدّي وابن زيد.

الثاني: افْعلْ بهم من القتل ما يفرق من خلفهم، في قول الزجّاج.

و «التشريد»: التفريق على اضطراب، شَردَ يشردُ شُرُوداً، وشَرّدَهُ تَشْريداً، وتَشَرّدَ تَشَرُّداً، ودابّةٌ شَرُود. و«التشريد» و «التطريد» و «التبديد» و «التفريق» نظائر.

وقوله: ﴿لعلّهم يذَّكَّرون﴾ معناه: لكي يفكّروا فيتّعظوا وينزجروا عن الكفر والمعاصي. ورُوِي في الشواذّ: «مِن خَلْفِهِم»[١] والمعنى: نكّل بهم أنت يا محمّد من ورائهم، والأوّل أجود، وعليه القُرّاء.

قوله تعالى جدّه:

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَايُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٩﴾ آية بلا خلاف .

بُنِي المضارع مع نون التأكيد لأنّ النون لمّا أبطلت السكون اللازم

---

(١) رواه ابن خالويه في الشواذ: ص ٥٥ عن أبي حياة.

بالجزم الّذي هو أمكن في الفعل كانت على إبطال غيره من الإعراب أقوى، وإنّما بُنِي على الفتح لسلامتها من البابين الكسرة والضمّة في المؤنّث والجمع، في قولهم: لا تحسبنّ يا امرأة، ولا تحسبنّ يا قوم. وتثبت الألف مع الجازم في ﴿إمّا تخافَنَّ﴾ ولم تثبت مع الجازم في قولك: «لا تَخَفِ القوم» لأنّ الحركة في هذا عارضة، لأنّ ٱلتقاء الساكنَيْن من كلمتَيْن.

أمر الله تعالى نبيّه أنّه متى خاف ممّن بينه وبينه عهد ﴿خيانةً﴾ أن ينبذ إليه عهده ﴿على سواءٍ﴾ والخِيانَةُ: نقض العهد فيما ٱئتمن عليه، تقول: خَانَهُ يخُونُهُ خيانةً، واختانَ المال اختياناً، وتَخَوَّنَهُ تَخَوُّناً، وخَوَّنَهُ تَخْويناً.

و «النبذ»: إلقاء الخبر إلى من لا يعلمه بما يوجب أنّه حرب بنقض عهدٍ أو إقامةٍ على بغيٍ، تقول: نَبَذَ يَنْبِذُ نَبْذاً، وانتَبَذَ انتِباذاً، وتَنَابَذَ القومُ تَنَابُذاً، ونابَذَهُ مُنَابَذَةً.

وقوله: ﴿على سواءٍ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: على ٱستواءٍ في العلم به أنت وهم في أنّكم حرب لئلّا يتوهّموا أنّك نقضت العهد بنصب الحرب. والثاني: أنّ معناه: على عدلٍ، من قول الراجز:

فاضربْ وجوه الغُدُرِ الأعداء حتّى يُجيبُوك على السّواء[1]

أي: على العدل[2]. ومنه: قيل للوسط: سواء، لاعتداله إلى الجهات، كما قال حسان بن ثابت:

يا وَيْحَ أنْصارِ النبيِّ ورَهْطِهِ بَعْدَ المُغَيَّبِ في سَوَاءِ المُلْحَدِ[3]

---

(١) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٢٠ ولم ينسبه لأحد.

(٢) في المخطوطة بدل «على العدل»: إلى العدل.

(٣) من قصيدة يرثي النبيّ ﷺ. راجع ديوان حسّان: ج ١ ص ٢٦٩.

أي: في وسطه. وقال الوليد بن مسلم: معناه: على مهل. وهذا بعيد، لأنّه لا يُعرف في اللغة.

فإن قيل: كيف جاز نبذ العهد ونقضه بالخوف من الخيانة؟

قيل: إنّما فعل ذلك لظهور أمارات الخيانة الّتي دلّت على نقض العهد ولم تشتهر، ولو اشْتُهِرت لم يجب النبذ، كما حارب رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكّة لمّا نقضوا العهد بقتل خُزَاعَة وهم في ذِمَّة النبيّ صلى الله عليه وآله فلمّا فعلوا ذلك فعلاً ظاهراً مشهوراً أغنى ذلك عن نبذ العهد إليهم، ولو نقضوه على خفي لم يكن بُدٌّ من نبذ العهد إليهم، لئلّا يُنْسَب إلى نقض العهد والغدر.

وقوله: ﴿إنّ الله لا يحبّ الخائنين﴾ معناه: أنّه يبغضهم، وإنّما عبّر بحرف النفي لأنّ صفة النفي تدلّ على الإثبات إذا كان هناك ما يدلّ عليه، وهو أبلغ في هذا الموضع، لأنّ معناه: أنّهم حُرِموا محبّة الله بخيانتهم، وأوجب ذلك بغضه إيّاهم، ومحبّة الله للخلق: إرادة منافعهم، وبغضه إيّاهم: إرادة عقابهم.

والآيتان معاً نزلتا في بني قُرَيْظَة، قال الواقدي: نزلت هذه الآية في بني قَيْنُقَاع، وبهذه الآية سار النبيّ صلى الله عليه وآله إليهم.

قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٦٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ابن [عامر و][1] حمزة وحفص وأبو جعفر ﴿ولا يحسبنَّ﴾ بالياء، الباقون بالتاء. وقرأ ابن عامر ﴿أنّهم﴾ بفتح الهمزة، الباقون بكسرها.

قال أبو عليّ الفارسي: مَن قرأ بالتاء جعل ﴿الّذين كفروا﴾ المفعول

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

الأوّل و﴿سبقوا﴾ المفعول الثاني، وموضعه النصب وهو واضح، ومَن قرأ بالياء احتمل ثلاثة أشياء:

أحدها: لا يحسبنّ [النبيّ والمؤمنون][١] الّذين كفروا، وهو قول أبي‌الحسن.

الثاني: أن يكون أضمر المفعول الأوّل، وتقديره: ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنفسهم سبقونا أو إيّاهم سبقوا.

الثالث: أن يُقدَّر على حذف «أن» كأنّه قال: ولا يحسبنّ الّذين كفروا أن سبقوا.

قال الزجّاج: يقوّي ذلك أنّ في قراءة ابن مسعود: ﴿أنّهم لا يُعجزون[٢]﴾ فعلى هذا يكون «أن سبقوا» سدَّ مسدّ المفعولَيْن، كما أنّ قوله: ﴿أحِسَب الناس أن يُتْركوا أن يقولوا﴾[٣] كذلك.

ومَن فتح الهمزة جعل الجملة متعلّقة بالجملة الأُولى، والتقدير: ولاتحسبنّهم سبقوا، لأنّهم لا يفوتون فهم يُجزون على كفرهم. ومَن كسر آستأنف الكلام، قال أبوعُبَيْدَة: ﴿سبقوا﴾ معناه: فاتوا[٤] فإنّهم ﴿لا يُعجزون﴾ أي: لا يفوتون، ومثله: ﴿أم حسب الّذين يعملون السيّئات أن يسبقونا﴾ ثمّ آستأنف فقال: ﴿ساء ما يحكمون﴾[٥] فكذلك هاهنا استأنف الكلام.

وإنّما آمتنع الاقتصار على أحد المفعولَيْن في «حَسِب» لأنّ المفعول الثاني خبر عن الأوّل، والفعل متعلّق بما دلّت عليه الجملة، فهو بخلاف «أعطيت» في هذا.

و «الحُسْبان»: هو الظنّ، وقال الرُمّاني: هو شكّ يقوى فيه أحد

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الحجريّة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٢١.

(٣ و ٥) العنكبوت: ٢ و ٤.

(٤) مجاز القرآن ج ١ ص ٢٤٩.

النقيضَيْن لقوّة المعنى في حيّز[١] القولَيْن. وأصله: الحساب، لأنّ المعنى فيه داخل فيما يُحْسَب به ويُعْمَل عليه، و «الاحتساب»: قبول الحساب والاعتداد به، وفي المضارع لُغتان: فتميم يفتح السين وأهل الحجاز يكسرونها.

و «السبق»: تقدّم الشيء على طالب اللحوق به، سَبَقَ يَسْبُقُ سَبْقاً، وتَسابَقَا تَسابُقاً، وسابَقَهُ مُسابَقَةً، واستبَقُوا اسْتِباقاً، وسَبَّقَهُ تَسْبِيقاً: إذا أعطاه السَبَقَ. و «السابق» و «المصلّي» في صفة الفَرَس. و«الإعجاز»: إيجاد ما يعجز عنه، أعْجَزَه إعْجازاً وعَجَّزَه تَعْجِيزاً، وعاجَزَهُ مُعاجَزَةً، واستَعْجَزَ اسْتِعجازاً، وقال أبو عُبَيْدَة: معنى ﴿لا يُعجزون﴾: لا يفوتون[٢]. وقال الحسن: معنى «لا يُعجزون الله» : لا يفوتونه حتّى لا يثقفنّهم يوم القيامة. وقال الجُبّائي: معناه: لا يعجزونك حتّى يظفرك الله بهم. وقال الزجّاج: المعنى: لا يحسبنّ مَن أفلت من هذه الحرب قد سبق إلى الحياة[٣].

وقال الزجّاج: يجوز أن تكون ﴿لا﴾ صلة على ضعفٍ فيه، والمعنى: لا يحسبنّ الّذين كفروا أنّهم يعجزون، أي: يفوتون.

قوله تعالى جدّه:

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾ آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى المؤمنين أن يعدُّوا ما قدروا عليه من السلاح وآلة الحرب والخيل وغير ذلك، و «الإعداد»: اتّخاذ الشيء لغيره ممّا يحتاج إليه في أمره، ولو اتّخذه له في نفسه محبّةً له لم يكن إعداداً، وهو ممّا يعدّ

(١) في الخطّيّة، بدل «حيّز القولين»: خبر القولين.
(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٤٩.
(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٢١.

فيما يحتاج إليه من [أمر][١] غيره. و «الاستطاعة»: معنىً تنطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المنع، تقول: استَطاعَ استطاعةً، وطاوَعَ مطاوَعَةً، وأطاع طاعةً، وتَطَوّع تَطَوُّعاً، وانْطاعَ انْطياعاً.

وقوله [تعالى]: ﴿من قوّة﴾ أي: ممّا تقوون به على عدوّه، وقيل: معناه: من الرمي، ذكره الفرّاء[٢]، ورواه عن النبيّ ﷺ عُقْبَة بن عامر، على ما ذكره الطبري[٣]. وقال عِكْرِمَة: أراد به الحصون.

وقوله تعالى: ﴿ومن رباط الخيل﴾ فالرباطُ شَدٌّ أيسر من العقد، رَبَطَهُ يَربِطُهُ رَبْطاً ورِباطاً، وارتَبَطَهُ ارتباطاً، ورابَطَهُ مُرابَطَةً.

وقوله: ﴿ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم﴾ فالهاء في ﴿به﴾ راجعة إلى «الرباط» وذكّره لأنّه على لفظ الواحد وإن كان في معنى الجمع، لأنّه كالجِرَاب والقِرَاب والذِرَاع. و «الإرهاب»: إزعاج النفس بالخوف، تقول: أَرْهَبَهُ إرْهاباً، ورَهّبَهُ تَرْهيباً، ورَهِبَ رَهْبةً، وتَرَهَّب تَرَهُّباً، واستَرْهَبَه استِرْهاباً، وقال طُفَيْل:

وَيْلُ أُمّ حَيٍّ دَفَعتُم في نُحُورِهِم بَنِي كِلَابٍ غداةَ الرُّعْبِ والرَهَبِ[٤]

و «العدوّ»: المُراصِدُ بالمكاره لتعديتها إلى صاحبها، و «العدوّ» ضدّ «الوليّ».

وقوله: ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم﴾ تقديره: وترهبون آخرين، فهو نصب بـ ﴿ترهبون﴾ ويجوز أن يكون نصباً بقوله: ﴿وأعدّوا لهم﴾ ولآخرين من دونهم. وقيل في المعنيّين بذلك خمسة أقوال: قال مجاهد: هم بنو قُرَيْظَة. وقال السُدّي: هم أهل فارس. وقال الحسن وابن زيد: هم

---

(١) لم يرد في الحجريّة.
(٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٤١٦.
(٣) راجع: تفسيره الطبري: ذيل الآية.
(٤) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٤٩.

المنافقون. الرابع: الجنّ، وهو اختيار الطبري، قال: لأنّ الإعداد للأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة، فلم يبقَ إلّا مَن لا يُشاهَد. الخامس: قال الجُبّائي: كلّ مَن لا تعرفون عداوته داخل فيه. ومعنى ﴿لا تعلمونهم﴾ لا تعرفونهم، فلذلك لم يكن معه المفعول الثاني.

وقوله: ﴿الله يعلمهم﴾ معناه: يعرفهم، كما قال الشاعر:

فـإنّ اللهَ يـعلمُني وَوَهْـباً   وإنّا سوفَ نَـلْقَاهُ كِـلَانا[1]

وقوله تعالى: ﴿وما تنفقوا من شيءٍ في سبيل الله يُوفَّ إليكم وأنتم لا تُظْلَمون﴾ يعني: ما من شيءٍ تنفقونه في الجهاد إلّا والله يوفّيكم ثوابه على ذلك بأتمّ الجزاء ولا تُبْخَسون.

فمعنى الآية: الأمر بإعداد السلاح والكراع لإخافة أعداء الله بما يملأ صدورهم من الاستعداد لقتالهم، مع تضمّن إخلاف ما أُنفق في سبيل الله بأحْوَج ما يكون صاحبه إليه بما تربح فيه تجارته.

قوله تعالى جدّه:

وَإِنْ جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾ آية بلاخلاف .

قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿السِلم﴾ بكسر السين، الباقون بفتحها، وفي ذلك ثلاث لغات: الفتح، والكسر مع سكون اللام، وفتح السين واللام معاً.

ومعناها: المسالمة، ولذلك أنّث، قال رجلٌ من اليَمَن جاهليٌّ:

أنـائِل إنّـني سِـلْمٌ   لأهْلِكِ فاقْبَلي سِلْمي[2]

---

(١) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٢٣ ولم ينسبه لأحد.

(٢) أنشده أبو عبيدة في المجاز: ج ١ ص ٢٥٠.

قال أبو الحسن: «السلم» فيها الكسر والفتح لُغتان[١]. وقال غيره: «السلم» بفتح السين واللام على ثلاثة أوجه. تقول: أخذت الأسير سَلَماً أي: على الاستسلام. و «السَلَم»: السَلَف، على السلامة، و «السَلَم» شجرٌ واحدُها: سَلَمَة، تقول له: بالسَلاَمَة.

وقوله: ﴿وإن جَنَحوا للسَلْم﴾ معناه: إن مالوا إلى المسالمة، تقول: جَنَحَ يَجْنَحُ جُنُوحاً، وجَنَحَت السفينة: إذا مالَت إلى الوقوف، ومنه: جناح الطائر لأنّه يميل به إلى[٢] أحد شقّيه، ولا جُنَاح عليه في كذا أي: لا ميل إلى مأثم. قال أبو زيد: جَنَحَ يَجْنَحُ جُنُوحاً إذا أعطى بيده أو عدل إلى ما يحبّ القوم، وجَنَحَ العدوُّ والخيلُ، وجَنَحَت الإبل: إذا خفضت في السير.

وليس في الآية ما يدلّ على أنّ الكفّار إذا مالوا إلى الهدنة وجب إجابتهم إليها على كلّ حال، لأنّ الأحوال تختلف في ذلك: فتارة تقتضي الإجابة، وتارة لا تقتضي، وذلك إذا وتروا المسلمين بأمرٍ يقتضي الغلظة مع حصول العدّة والقوّة.

فإن قيل: إذا جازت الهدنة مع الكفّار فهلّا جاز المكافّة في أمر الإمامة حتّى يجوز تسليمها إلى من لا يستحقّها؟

قلنا: تسليم الإمامة إلى مَن لا يستحقّها فساد في الدين كفساد تسليم النبوّة إلى مثله.

وقوله: ﴿وتوكّل على الله﴾ أي: فوّضْ أمرك إليه تعالى، وثِقْ بأنّه لايدبّره إلّا على ما تقتضيه الحكمة.

واختلفوا هل في الآية نسخ؟ فقال الحسن وقَتادَة وابن زيد: نسخها

---

(١) وأبوالحسن الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٤٨.

(٢) في الحجريّة: في.

قوله: ﴿اقتلوا المشركين﴾[١] وقال قوم[٢]: ليست منسوخة، لأنّها في الموادعة لأهل الكتاب والأخرى في عبادة الأوثان.

والصحيح أنّها ليست منسوخة، لأنّ قوله: ﴿اقتلوا المشركين﴾ نزلت في سنة تسع، وبعث بها رسول‌الله إلى مكّة، ثمّ صالح أهل نجران بعد ذلك على ألْفَي حلّة: ألف في صفر وألف في رجب.

وقوله: ﴿إنّه هو السميع العليم﴾ معناه: أنّه يسمع دعاء من يدعوه، عليم بما تقتضي المصلحة من إجابته وحُسْن تدبيره.

قوله تعالى جدّه:

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ❁ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ آيتان في الكوفي والمدني[٣] وآية في البصري.

هذا خطاب من الله تعالى للنبيّ ﷺ يقول له: ﴿إن يريدوا﴾ يعني الكفّار، وقيل: هم بنو قُرَيْظَة[٤]، ومعناه: إن قصدوا بالصلح خديعتك. و«الخديعة»: إظهار المحبوب في الأمر للاستجابة له مع إبطان خلافه، خَدَعَ خِدْعاً وخَدِيعةً، واختَدَعَه اختداعاً، وتَخادَعَ له تَخادعاً، وانخَدَعَ انْخِداعاً.

وقوله: ﴿فإنّ حَسْبك الله﴾ معناه: فإنّ الله كافيك، يقال: أعطاني ما أحسبني أي: كفاني، وأصله: الحساب، وإنّما أعطاه بحساب ما يكفيه.

وقوله: ﴿هو الّذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾ فالتأييد: التمكين من الفعل على أتمّ ما يصحّ فيه، تقول: أيّدَهُ تَأْييداً، وتأيّدَ تَأيُّداً، والأيْد: القوّة.

---

(١) التوبة: ٥.
(٢) منهم الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٢٤.
(٣) في الخطّيّة: «والمدينيّين».
(٤) قاله مجاهد، راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٢٤.

والمعنى: أنّ الله قوّاه بالنصر من عنده وبالمؤمنين الّذين ينصرونه على أعدائه.

وقوله: ﴿وألّفَ بين قلوبهم﴾ و«التأليف»: الجمع على تشاكل، فلمّا جُمِعَت قلوبهم على تشاكل فيما تحبّه وتنازع إليه كانت قد أُلِّفَت، ولذلك قيل: هذه الكلمة تَأْتلف مع هذه ولا تَأْتَلف. والمراد بالمؤمنين: الأنصار، وبتأليف قلوبهم: ما كان بين الأوْس والخَزْرَج من العداوة والقتال، هذا قول أبي جعفر عليه السلام والسُدّي وبشير بن ثابت الأنصاري وابن إسحاق، وقال مجاهد: هو في كلّ متحابّين في الله. وإنّما كان الجمع على المحبّة تأليفاً بين القلوب، لأنّه مأخوذ من الأُلْفَة وهي الاجتماع على الموافقة في المحبّة، ولا يجوز في الجمع على البغضاء أن يُسمّى بذلك.

وقوله: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم﴾ فالإنفاق: إخراج الشيء عن الملك، والمعنى: لو أنفقت ما في الأرض جميعاً لتجمعهم على الأُلفة ما تَمّ لك ذاك ﴿ولكنَّ الله ألّف بينهم﴾ بلطفٍ من ألطافه وحسن تدبيره، وبالإسلام الّذي هداهم الله إليه. ونصب ﴿جميعاً﴾ على الحال.

وقوله: ﴿إنّه عزيز حكيم﴾ معناه: قادر لا يمتنع عليه شيء يريد فعله ﴿حكيم﴾ عليم، لا يفعل إلّا ما تقتضيه الحكمة، فعلى ذلك جمع قلوبهم على الأُلفة.

قوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله يقول [له][1]: يكفيك أن

---

(١) ما بين المعقوفتين من الحجريّة.

يكون ناصرك على أعدائك الله تعالى، والّذين آتّبعوك من المؤمنين من المهاجرين والأنصار. وإنّما كرّر قوله: ﴿حسبك﴾ مع أنّه قد ذُكِر فيما قبل، لأنّ المعنى هناك: إنْ أرادوا إخداعك كفاك الله أمرهم، وهاهنا: معناه عامّ في كلّ ما يحتاج فيه إلى كفاية الله إيّاه.

وقوله: ﴿ومن آتّبعك﴾ يحتمل إعرابه وجهَيْن:

أحدهما: أن يكون نصباً، والمعنى: ويكفي من آتّبعك على التأويل، لأنّ الكاف في موضع خفضٍ بالإضافة، لكنّه مفعول به في المعنى، فعطف على المعنى، وليس ذلك بكثير.

وأجاز الفرّاء الرفع[1] لقوله: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾[2] ومثله: قوله: ﴿إنّا منجُّوك وأهلَكَ﴾[3] وقال الشاعر:

إذا كانت الهَيْجَاءُ وآنشقّتِ العَصا ... فَحَسْبُكَ والضَحّاكَ سَيْفٌ مُهَنّد[4]

وهو معنى قول الشعبي وابن زيد. وقال الحسن: هو عطف على اسم الله، فيكون رفعاً. والكسائي والفرّاء والزجّاج أجازوا الوجهَيْن[5]، وحمل عليهما معاً أبو عليّ الجُبّائي.

و «الاتّباع»: موافقةالداعي فيما يدعو إليه من أجل دعائه، والمؤمنون يوافقون النبيّ ﷺ في كلّ ما دعا إليه. وقال الواقدي: نزلت هذه الآية في بني قُرَيْظَة وبني النَضِير لمّا قالوا له: نحن نُسلم ونتّبعك.

قوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ

---

(١) وهذا هو الوجه الثاني. (٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٤١٧. (٣) العنكبوت: ٣٣.

(٤) أنشده أبو عليّ القالي في ذيل أماليه: ص ١٤١ ونسبه إلى جرير ولم نجده في ديوانه.

(٥) راجع: معاني القرآن للفرّاء ج ١ ص ٤١٧ ومعاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٢٣.

يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ آية بلا خلاف.

وهذا أيضاً خطاب للنبيّ ﷺ يأمره الله بأن يحرّض المؤمنين على قتال المشركين. و «التحريض» و «الحثّ» نظائر، وهو الدعاء الوكيد بتحريك النفس على أمرٍ من الأُمور، وضدّه: «التفتير». والمعنى: حثّهم على القتال، و «التحريض»: الحثّ على الشيء الّذي يعلم معه أنّه حارض إن خالف وتأخّر، و «الحارض»: هو الّذي قارب الهلاك، ومنه قوله: ﴿حتّى تكون حَرَضاً﴾ أي: حتّى تذوب غمّاً على ذلك وتقارب الهلاك ﴿أو تكون من الهالكين﴾ (١) وحارَضَ فلان على أمره: إذا واظَبَ عليه، و «التحريض»: ترغيبٌ في الفعل بما يبعث على المبادرة إليه مع الصبر عليه. و «القتال»: محاولة الصدّ والمنع بما فيه تعرّض للقتل، و «المجاهدة»: أن يقصد إلى قتل المشركين بقتاله، ومَن يدفع عن نفسه فليس كذلك. و «الصبر»: هو حبس النفس عمّا تنازع إليه من صدّ ما ينبغي أن يكون عليه، وضدّه «الجزَع» وقال الشاعر:

فإنْ تَصْبِرا فالصَبْرُ خَيْرُ مَغَبَّة ... وإنْ تَجْزَعا فالأمرُ ما تَرَيانِ

و «الغَلَبة»: الظفر بالبغية في المحاربة قتلاً وأسراً وهزيمةً، وقد يقال في الظفر بالبغية في المنازعة بالغَلَبة. ومعنى ﴿لا يفقهون﴾ هاهنا: أنّهم على جهالةٍ، خلاف من يقاتل على بصيرةٍ وهو يرجو به ثواب الآخرة. وقال قوم(٢): معناه: لا يعلمون ما لهم من آستحقاق الثواب بالقتال.

وقوله: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ وإن كان بلفظ

---

(١) يوسف: ٨٥.
(٢) منهم ابن إسحاق، راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٢٩.

الخبر فالمراد به: الأمر، ويدلّ على ذلك قـوله ﴿الآن خفّف الله عنكم﴾ لأنّ التخفيف لا يكون إلّا بعد المشقّة.

قوله تعالى:

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة[1]: ﴿إن يكن ... مائة﴾ ﴿وإن يكن ... ألف﴾ بالياء فيهما، وافَقَهم أهل البصرة في الأُولى. وقرأ أهل الكـوفة إلّا الكسـائي ﴿ضَعْفاً﴾ بفتح الضاد، الباقون بضمّها، ولكنّهم سكّنوا العين، إلّا أبا جعفر فإنّه فتحها ومدّ وهمّز على وزن «فعلاء» على الجمع.

مَن قرأ ﴿إن يكن﴾ بالياء فلأنّ المراد به المذكّر بدلالة قوله: ﴿يغلبوا﴾ وكذلك ما وصف به المائة بقوله: ﴿صابرة﴾ لأنّهم رجـال، فـحمله عـلى المعنى كما حـمل عـلى المـعنى فـي قـوله: ﴿فله عشر أمثالها﴾[2] فأنّث لما كانت في المعنى «حسنات». ومَن قرأ بالتاء فلأنّ اللفظ لفظ التأنيث. ومَن قرأ الأوّل بالتاء والثاني بالياء فلأنّ القراءة بـالتاء فـي الأُولى أشـدّ مشاكلةً لقوله: ﴿مائة صابرة﴾ وليس كذلك في الأُخرى، لأنّه أخبر عنهم بقوله: ﴿يغلبوا﴾ .

وقال سيبويه: يقال: ضَعُفَ ضَعْفاً فهو ضَعيف، قال: وقالوا: الفَقْر كـما قالوا: الضَعْف وقالوا: الفُقْر كما قالوا: الضُعْف، فعلم بذلك أنّهما لغتان.

هذه الآية نسخت حكم ما تقدّمها، لأنّ في الأُولى كان وجوب ثبات

---

(١) في الحجريّة: «الكوفة».

(٢) الأنعام: ١٦٠.

الواحد للعشرة، والعشرة للمائة، فلمّا علم الله تعالى أنّ ذلك يشقّ عليهم وتغيّرت المصلحة في ذلك نقلهم إلى ثبات الواحد للاثنين والمائة للمائتين، فخفّف ذلك عنهم، وهو قول ابن‌عبّاس والحسن وعِكْرِمَة وقَتادَة ومجاهد والسُدّي وعطاء والبلخي والجُبّائي والرُمّاني، وجميع المفسّرين.

و«التخفيف»: رفع المشقّة بالخِفّة، و«الخِفّة»: نقيض الثِقَل، و«الخِفّة» و«السهولة» بمعنى [واحد]. و«الضَعْف»: نقصان القوّة، وهو من الضعف لأنّه ذهاب ضِعف[1] القوّة.

وقوله: ﴿بإذن الله﴾ فالإذن: الإطلاق في الفعل، لأنّه يسمع بالأُذُن، ومنه: الأذان والإيذان والاستئذان.

وقوله: ﴿الآن﴾ مبنيّ مع الألف واللام لأنّه خرج عن التمكّن بشبه الحرف، لأنّه يُنَكّر تارةً ويُعَرّف أُخرى، فاستبهم استبهام الحروف بأنّه للفصل بين الزمانَيْن على انتقال معناه إلى الّذي يليه من الوقت كما ينتقل أمس، فالأمس والغد والآن نظائر، وأحكامها مختلفة لعِلَلٍ لزمتها.

وقوله تعالى: ﴿والله مع الصابرين﴾ معناه: أنّه معهم بالمعونة لهم، والمعنى: أنّ معونة الله مع الصابرين، وحقيقة «مع» أن تكون للمصاحبة للجهة بالمعونة، وذلك لا يجوز عليه تعالى. وقيل: هذه الآية نزلت بعد الأُولى بمدّة.

قوله تعالى جدّه:

مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) في مصحّحة الحجريّة: بعض.

قرأ أهل البصرة وابن شاهِي: ﴿أن تكون﴾ بالتاء، الباقون بالياء. وقرأ أبوجعفر: ﴿أُسارىٰ﴾ و﴿من الأسارى﴾[١] بضمّ الهمزة فيها[٢] وبألف بعد السين، وافقه أبو عمرو في الثاني، الباقون بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف فيهما.

مَن قرأ بالتاء فلأنّ لفظ «الأسرى» لفظ التأنيث، فحمله على اللفظ. ومَن قرأ بالياء فلأنّ الفعل مقدّم، و«الأسرى» المراد به المذكورون، وأيضاً فقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل، وكلّ واحد من ذلك إذا انفرد يُذَكِّر الفعل معه، مثل: جاءَ الرجلُ وحَضَرَ القاضي امرأةٌ. فإذا آجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى. واختار الأخْفَش التذكير.

وقال أبو عليّ الفارسي: «الأسرى» أقْيَس من «الأُسارى» لأنّ «أسير» فَعيل بمعنى: مفعول، وما كان كذلك لا يُجْمَع بالواو والنون، ولا بالألف والتاء، وإنّما يُجْمَع على «فَعلى» مثل: جَريح وجَرْحى، وقَتيل وقَتْلى، وعَفير وعَفْرى، ولَديغ ولَدْغى، وكذلك كلّ من أُصيب في بدنه مثل: مَريض ومَرْضى، وأحْمق وحَمْقى، وسَكْران وسَكْرى. ومَن قرأ: ﴿أُسارىٰ﴾ شبّهه بـ«كُسالى» وقالوا: «كَسْلى» شبّهوه بأسرى، و«أسارى» في جمع «أسير» ليس على بابه، وقال أبو الحسن: «الأسرى» ما لم يكن موثقاً، و«الأُسارى» موثوقون[٣] قال: والعرب لا تعرف ذلك بل هما عندهم سواء[٤]. وقال الأزْهري: «الأُسارى» جمع «أسرى» فهو جمع الجمع[٥] والأسر: الشدّ على المحارب بما يصير به في قبضة الآخذ له، وأصله:

---

(١) الواردة في الآية: ٧٠.
(٢) في الحجريّة «بفتح الهمزة منهما».
(٣) في الحجريّة: موثقون.
(٤) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.
(٥) معجم تهذيب اللغة: ج ١ ص ١٥٩.

الشدّ، يقال: قَتَبٌ مَأْسُورٌ أي: مشدود، وكانوا يشدّون الأسير بالقدّ.

والمعنى: ما كان لنبيّ أن يحبس كافراً للفداء والمنّ ﴿حتّى يُثْخِنَ في الأرض﴾ والإثخان في الأرض: تغليظ الحال بكثرة القتل، وقال مجاهد: الإثْخان: القتل، و «الثَخَن» و «الغِلَظ» و «الكَثافَة» نظائر في اللغة.

وقوله: ﴿تريدون عَرَض الدنيا﴾ يعني: تريدون الفداء، و «العَرَضُ»: متاع الدنيا، وسمّاه عَرَضاً لقلّة لبثه، لأنّه بمعنَى العرض في اللغة.

وقوله: ﴿والله يريد الآخرة﴾ معناه: والله يريد عمل الآخرة من الطاعات الّتي تؤدّي إلى الثواب، وإرادة الله لنا خيرٌ من إرادتنا لأنفسنا.

وقوله: ﴿والله عزيز حكيم﴾ معناه: أُريدوا عمل الآخرة، فإنّه يعزّكم ويرشدكم إلى صلاحكم، لأنّه عزيزحكيم، فلاتخافوا قهراً مع إعزازه إيّاكم.

وهذه الآية نزلت في أُسارى بدر قبل أن يكثر الإسلام، فلمّا كَثُرَ المسلمون قال الله تعالى: ﴿فإمّا منّاً بعدُ وإمّا فداءً﴾ [1] وهو قول ابن‌عبّاس وقَتادَة، وقال: فادوهم بأربعة آلاف أربعة آلاف[2].

وفي الآية دليل على بطلان قول المجبِّرة، لأنّه تعالى فصّل إرادة نفسه من إرادتهم، ولو كان يريد ما أرادوه لم يصحّ هذا التفصيل[3].

فإن قيل: كيف يكون القتل فيهم كان أصلح وقد أسلم منهم جماعة، ومَن علم الله من حاله أنّه يؤمن يجب تبقيته؟!

قلنا: في ذلك خلاف، فمن قال: لا يجب ذلك، لا يلزمه السؤال، ومن قال: ذلك واجب قال: إنّ الله أراد أن يأمرهم بأخذ الفداء، وإنّما عاتبهم

---

(١) محمّد: ٤.

(٢) في الخطّيّة والحجريّة «بأربعة ألف» والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الخطيّة: فضّل إرادة نفسه من إراداتهم ولو كان يريد ما أرادوه لم يصحّ هذا التفضيل.

على ذلك لأنّهم بادروا إليه قبل أن يُؤمَروا به.

قوله تعالى جدّه:

لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ آية بلا خلاف.

قيل في معنى قوله: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسَّكم فيما أَخذتم﴾ قولان[1]:

قال الحسن: لولا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من أنّه لا يعذّبهم على ذلك. وقال غيره: لولا ما كتب الله فيه أنّه يغفر لأهل بدر ما تقدّم وما تأخّر.

الثاني: قال مجاهد: يعني ما ذكره من قوله: ﴿وما كنّا معذّبين حتّىٰ نبعث رسولاً﴾[2] فكأنّه قال: لا أُعذّب إلّا بعد المظاهرة في البيان وتكرير الحجّة به.

وقال قوم: لولا ما كتبه الله من أنّ الفدية ستحلّ لهم فيما بعد، ذهب إليه سعيد بن جُبَيْر.

ومعنى الآية: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم﴾ من فداء الأسرى والغنيمة عذاب عظيم، لأنّهم أخذوه قبل أن يُؤْذَن لهم، وقد كان سبق أنّ الله سيحلّه لهم في قول ابن عبّاس والحسن.

وقال الجُبّائي: المعنى: ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ وهو القرآن الّذي آمنتم به واستحققتم لذلك غفران الصغائر ﴿لمسَّكم فيما أخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾. ولا يجوز أن يكون المراد به: إلّا الصغائر، لأنّهم قبل الغفران لم يكونوا فُسّاقاً إجماعاً.

قال الجُبّائي: وقد كان من النبيّ صلّى الله عليه وآله في هذا معصية إجماعاً من غير تعيين ما هي!! وأظنّ أنّها في ترك قتل الأسرى. وهذا الّذي ذكره غير

---

(١) كذا في الخطّيّة والحجريّة والمناسب «أقوال» كما في مجمع البيان.

(٢) الإسراء: ١٥.

صحيح، لأنّه لا إجماع في ذلك، بل عندنا: لا يجوز على النبيّ صلى الله عليه وآله فعل شيء من القبائح، صغيراً كان أو كبيراً، لما في ذلك من التنفير عنه على ما بيّنّاه في غير موضع، وأكثر المفسّرين على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يقع منه خلاف لأمر الله، وقد رُوِيَ: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كره أخذ الفداء حتّى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه، فقال: يا رسول الله، هذا أوّل حربٍ لقينا فيه المشركين، أردت أن يُثخن فيهم القتل حتّى لا يعود أحد بعد هذا إلى خلافك وقتالك، فقال رسول الله: «قد كرهت ما كرهت، ولكن رأيت ما صنع القوم». فالمعصية في ذلك كانت من قومٍ من الصحابة الّذين مالوا إلى الدنيا وأخذ الفداء. وقد قال البلخي أيضاً: إنّ أجلّاء الصحابة براء من ذلك.

ورُوِيَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ الغنائم أُحلّت لي ولم تحلّ لنبيٍّ قبلي»[(١)].

ومعنى «لولا» امتناع الثاني لوقوع الأوّل، كقولك: لولا زيد بالمكان الّذي هو به لأتيتك، فامتنع الإتيان لمكان زيد. و«السبق»: يكون تقدّماً في الزمان والمكان والرتبة، بأن يكون له وإن لم يكن فيها. و«المسّ» مماسّة يقع معها إدراك، وهو كاللمس في الحقيقة. و«العظم»: ما يصغر فيه قدر غيره، ويكون ذلك بعِظَمِ الجُثّة تارةً وبعِظَمِ الشأن أُخرى. و«العظيم»: هو المستحقّ للصفة بأن قدر غيره صغير عنده.

وقال أبو جعفر عليه السلام: كان الفداء يوم بدر كلّ رجلٍ من المشركين بأربعين أُوقيّة من فضّة، والأُوقيّة أربعون مثقالاً، إلّا العبّاس فإنّ فداءه كان

---

(١) أخرجه السيوطي ضمن حديث في الدرّ المنثور: ج ٣ ص ٢٠٤ وعزاه إلى أحمد وابن المنذر بإسنادهما عن أبي ذرّ، وبلفظ آخر عن أبي هريرة وعزاه إلى مسلم والترمذي والبيهقي وابن مردويه.

مائة أُوقيّة، وكان أُخذمنه حين أُسرآثنين وعشرين أُوقية ذهباً. فقال النبيّ ﷺ: ذاك غنيمة، فَفَادِ نفسك وآبْنَي أخيك: عقيل ونَوْفَل بن الحارث، فقال: ليس معي، فقال: أين الذهب الّذي سلّمته إلى أمّ الفَضْل، وقلتَ: إن حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبدالله وقُثَم؟ فقال: مَن أخبرك بهذا؟ قال: الله تعالى، فقال: أشهد أنّك رسول الله، وآلله ما آطّلع على هذا أحد إلّاالله تعالى.

قوله تعالى جدّه:

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٦٩﴾ آية بلا خلاف.

أباح الله تعالى للمؤمنين بهذه الآية أن يأكلوا ممّا غنموه من أموال المشركين بالقهر من دار الحرب، ولفظه وإن كان لفظ الأمر فالمراد به الإباحة ورفع الحظر. و«الغنيمة»: ما أُخذ من دارالحرب بالقهر، و «الفيء»: ما رجع إلى المسلمين وآنتقل إليهم من المشركين. و«الأكل»: تناول الطعام بالفم من المضغ والبلع، فمتى فعل الصائم هذا فقد أكل في الحقيقة.

والفرق بين الحلال والمباح: أنّ الحلال من حلّ العقد في التحريم، والمباح من التوسعة في الفعل وإن آجتمعا في الحلّ. و«الطيب»: المستلذّ، وشبّه الحلال به فسمّي طيباً. و«اللذّة»: نيل المشتهى.

قال الزجّاج: الفاء في قوله: ﴿فكلوا﴾ على تقدير: قد أحللت لكم الفداء فكلوا.

وقوله: ﴿واتّقوا الله﴾ معناه: اتّقوا معاصيه، ف ﴿إنَّ الله غفور رحيم﴾ لمن أطاعه وترك معاصيه.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أبو عمرو وحده من السبعة وأبو جعفر: ﴿الأُسارىٰ﴾ الباقون: ﴿الأسرىٰ﴾ وأبو عمرو جمع المذهبَيْن في الأوّل والثاني، وحمله الباقون على النظير في المعنى. وقد فسّرناهُ فيما مضى. و«الأسير»: من أُخِذَ من دار الحرب من أهلها، ولو أخذ مسلم لكان قد فكّ أسره.

خاطب الله بهذه الآية نبيّه صلّى الله عليه وآله وأمره أن يقول لمن حصل في يده من الأسرى، يعني: من حصل في وثاقه، وسمّاه في يده، لأنّه بمنزلة ما قبض على يده بالاستيلاء عليه، ولذلك يُقال في الملك المتنازع فيه: لمن اليد؟

وقوله: ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ يعني: إسلاماً، وقيل: معناه: إن يعلم منكم خيراً في المستقبل بأن يفعلوه فيعلمه موجوداً، لأنّ ما لم يفعل لا يعلمه موجوداً. و«الخير»: النفع العظيم، وهو هاهنا: البصيرة في دين الله وحسن النيّة في أمر الله.

وقوله: ﴿يؤتكم خيراً﴾ يعني: يعطيكم خيراً ﴿ممّا أُخذ منكم﴾ من الفداء، وقال الحسن: أطلقهم بالفداء، ولو لم يسلموا لم يتركهم.

وقوله: ﴿ويغفر لكم﴾ يعني: زيادة ممّا يؤتيهم: يغفر لهم معاصيهم، ويسترها عليهم لأنّه ﴿غفور رحيم﴾.

ورُوِي[1] عن العبّاس أنّه قال: كان معي عشرون أُوقيّة فأُخِذَت منّي، فأعطاني مكانها عشرين عبداً ووعدني بالمغفرة. وقال العبّاس: فيَّ نزلت وفي أصحابي هذه الآية. وهو قول ابن‌عبّاس والضحّاك وقَتادَة وغيرهم.

قوله تعالى جدّه:

وَإِنْ يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج.١٠ ص ٣٥.

حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ آية بلا خلاف .

معنى الآية: أنّ هؤلاء الأسارى إن علم الله في قلوبهم خيراً أخلف عليهم خيراً ممّا أُخذ منهم، وإن عزموا على الخيانة ونقض العهد، وفعلوا خلاف ما وقع عليه العقد من تأدية فرض الله فقد خانوا الله قبل هذا، والمعنى: فقد خانوا أولياء الله، لأنّ الله لا يمكن أن يُخان، لأنّه عالم بالأشياء كلّها لا يخفى عليه خافية. و«الخيانة» هاهنا: نقض عقد الطاعة لله ورسوله الّتي شهدت بها الدلالة.

وقوله: ﴿فأمكن منهم﴾ والمعنى: لمّا خانوا بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين فقد أمكن الله منهم بأن غُلِبُوا وأُسِرُوا، فإن خانوا ثانياً فيمكّن الله منهم مثل ذلك. و«الإمكان»: هو القدرة على الشيء مع آرتفاع المانع، وما لو حرص عليه صاحبه أتمّ الحرص لم يصحّ أن يقع منه، فالإمكان ينافي المنع والإلجاء، كما ينافي العجز القدرة.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ معناه: عالم بما تقولونه وما في نفوسكم وبجميع الأشياء، حكيم فيما يفعله، و«الحكيم»: هو العالم بوجوه الحكمة في الفعل ممّا يصرف عن خلافها، والأصل في الحكمة المنع، فهي تمنع الفعل من الخلل والفساد.

قوله تعالى جدّه:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ آية بلا خلاف .

قرأ حمزة: ﴿ولايتهم﴾ بكسر الواو، الباقون بفتحها. قال الزجّاج: إنّما

جاز الكسر لأنّه يشبه «الصِنَاعة» كالخِياطة والقِصارة والحِياكة. وقال الشاعر في الفتح:

دَعِيهم فَهُمْ أَلْبٌ عَلَيَّ وَلايةٌ وَحَفْرُهُمُ أن يَعْلَمُوا ذاكَ دائِبُ[١]

قال أبو عُبَيْدَة: بفتح الواو مصدر «المَوْلى» تقول: مَوْلىً بيِّن الولاية، وإذا كسرت فهو من ولّيت الشيء[٢]. قال أبوالحسن: يفتح الواو من «الوَلاية» إلّا الوِلاية في السلطان بكسر الواو، وكسر الواو في الأخرى لغةً. وقرأ الأعمش بكسر الواو من الولاية في الدين هنا.

قال أبو عليّ الفارسي: الولاية هاهنا في الدين، والفتح أجْوَد، قال أبو الحسن: وهي قراءة الناس، وعن الأعمش أنّه كسر الواو وهي لغة، وليست بذلك. قال المبرّد عن الأصمعي: إنّ الأعمش لحن في كسره لذلك. قال أبو عليّ: إذا كان ذلك لغة لا يكون لحناً[٣]. قال الفرّاء: والكسر أحبّ إليَّ، لأنّها ولاية المواريث[٤]. وقال الأزهري: في النصرة والنسب بفتح الواو، وفي الإمارة بكسرها[٥].

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن أحوال المؤمنين الّذين هاجروا من مكّة إلى المدينة بقوله: ﴿إنّ الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل‌الله﴾ وعن أحوال الأنصار بقوله: ﴿والّذين آووا ونصروا﴾ النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: ﴿أُولئك﴾ يعني: المهاجرين والأنصار ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ و«الهجرة»: فراق الوطن إلى غيره من البلاد فراراً من المفتنين في الدين، لأنّهم هجروا دار الكفّار إلى دار الإسلام. و«الجهاد»: تحمّل المشاقّ في

(١) أنشده الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٤١٩ ولم ينسبه لأحد.
(٢) انظر مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٥١.
(٣) الحجّة القرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣١٠.
(٤) انظر معاني القرآن؛ للفراء: ج ١ ص ٤١٩.
(٥) معجم تهذيب اللغة: ج ٤ ص ٣٩٥٥ـ٣٩٥٦.

قتال أعداء الدين، جاهَدَ جهاداً، وجَهَدَه الأمر جهداً، واَجتهدَ اَجتهاداً، وجاهَدَ مجاهَدَةً. و«الإيواء»: ضمّ الإنسان صاحبه إليه بإنزاله عنده وتقريبه له، تقول: آواهُ يؤْويه إيواءً، وآوى يأْوِي أوْياً، و«أوَيْتُ» معناه: رجعت إلى المأْوى. و«الولاية»: عقد النصرة للموافقة في الديانة.

ثمّ أخبر تعالى عن الّذين آمنوا ولم يهاجروا من مكّة إلى المدينة فقال: ﴿والّذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من وَلايتهم من شيء﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: ولاية القرابة، نفاها عنهم لأنّهم كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الرحم، في قول ابنعبّاس والحسن وقَتادَة والسُدّي. وعن أبي جعفر: أنّهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأُولى.

الثاني: أنّه نَفَى الولاية الّتي يكونون بها يداً واحدة في الحلّ والعقد، فنفى عن هؤلاء ما أثبته للأوّلين حتّى يهاجروا.

ثمّ قال: ﴿وإن اَستنصروكم﴾ أي: طلبوا نصركم ﴿في الدين﴾ يعني: الّذين آمنوا ولم يهاجروا فعليكم نصرهم بسبب الإيمان، والّذين يجب عليكم أن تنصروهم على الكفّار ﴿إلّا على قومٍ بينكم وبينهم ميثاق﴾ يعني: موادعة ومهادنة تقتضيه من جهة أنّ عقدهم خلاف عقدهم، وقيل: إنّه نسخ ذلك بقوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [١].

وقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ يعني: عالم بما تعملون.

قوله تعالى جدّه:

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ آية بلا خلاف .

---

(١) التوبة: ٧١.

أخبر الله تعالى عن الكافرين أنّ ﴿بعضهم أولياء بعضٍ﴾ بمعنى النصرة، لأنّه ينصر بعضهم بعضاً. وقوله: ﴿إلّا تفعلوه﴾ الهاء عائدة إلى معنى ما أُمِروا به في الآية الأُولى والثانية، ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الأمر، وتقديره: إلّا تفعلوا ما أُمِرْتم به من التناصر والتعاون والبراءة من الكفّار ﴿تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ على المؤمنين الّذين لم يهاجروا، فالفتنة هاهنا: المحنة بالميل إلى الضلال، لأنّه إذا لم يتوال المؤمن المؤمن على ظاهر حاله من الإيمان والفضل، ولم يَدْعُهُ إلى التبرّي من الضلال أدّى ذلك إلى الضلال. و«الفساد» ضدّ «الصلاح» وهو الانقلاب إلى الضرر القبيح، و«الصلاح»: جريان الشيء على آستقامة. و«الوليّ»: هو المختصّ بالعقد على النصرة في وقت الحاجة، وقد يُعْقَد بالعزم، وقد يُعْقَد بالحكم.

وقيل في معنى قوله: ﴿والّذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ قولان:

أحدهما: في الميراث، في قول ابن‌عبّاس وأبي مالك. والثاني: قال قَتادَة وابن إسحاق: في النصرة.

قوله تعالى جدّه:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّ ﴿الّذين آمنوا﴾ بالله وصدّقوا رسوله ﴿وهاجروا﴾ من ديارهم وأوطانهم، يعني: من مكّة إلى المدينة ﴿وجاهدوا﴾ مع ذلك ﴿في سبيل الله﴾ وقتال أعدائه ﴿والّذين آووا﴾ من الأنصار، ومعناه: ضمّوهم إليهم ﴿ونصروا﴾ النبيّ صلّى الله عليه وآله: بأنّهم ﴿المؤمنون حقّاً﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّهم المؤمنون الّذين حقّقوا إيمانهم لما يقتضيه من الهجرة والنصرة بخلاف من أقام بدار الشرك. الثاني: قال أبو عليّ الجُبّائي: معناه: أنّهم المؤمنون حقّاً، لأنّ الله حقّق إيمانهم بالبشارة الّتي بشّرهم بها، ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا.

واختلفوا في: هل تصحّ الهجرة في هذا الزمان أو لا؟ فقال قوم: لا تصحّ، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «لا هجرة بعد الفتح»(١) ولأنّ الهجرة انتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام على هجر الأوطان، وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان؛ لاتّساع بلاد الإسلام إلّا أن يكون نادراً لا يعتدّ به.

وقال الحسن: بقيت هجرة الأعراب إلى الأمصار إلى يوم القيامة.

والأقوى أن يكون حكم الهجرة باقياً، لأنّ من أسلم في دار الحرب ثمّ هاجر إلى دار الإسلام كان مهاجراً، وسُمّي الجهاد سبيل الله لأنّه طريقٌ إلى ثواب الله في دار كرامته.

وقوله: ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ إخبار منه تعالى أنّ لهؤلاء المغفرة لذنوبهم، و«الرزق الكريم» يعني: العظيم الواسع، والكريم: الّذي يصحّ منه الكرم من غير مانع، و «الكرم»: الجود العظيم والشرف، قال الشاعر:

تلكَ المَكارِمُ لا قَعْبان من لَبَنٍ　　　شيبا بماءٍ فَعادَا بَعْدُ أبوالا(٢)

وقيل: الرزق الكريم هنا طعام الجنّة، لأنّه لا يستحيل إلى أجوافهم نَجْواً، بل يصير كالمِسْك ريحاً.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في معجمه الكبير: ج ٣ ص ٣٠٩، والبخاري في تاريخه: ج ٧ ص ١٠٩ عن ابن عبّاس.

(٢) البيت منسوب لأُميّة بن أبي الصَلْت الثقفي يذكر مآثر قومه ويذمّ غيرهم. راجع دلائل النبوّة للبيهقي: ج ١ ص ٢٩٦.

قوله تعالى جدّه:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٧٥) آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى بأنّ الّذين هاجروا بعد هجرة مَن هاجر، وقيل[1]: أراد بعد الفتح ﴿وجاهدوا﴾ مع المؤمنين بأن قال: ﴿فأولئك منكم﴾ ومعناه: حكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم ومواريثهم ونصرتهم.

وقوله: ﴿وأُولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعضٍ في كتاب الله﴾ قيل في معنى ﴿كتاب الله﴾ قولان:

أحدهما: في كتاب الله من اللوح المحفوظ، كما قال: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتابٍ من قبل أن نبرأها﴾[2]. والثاني: قال الزجّاج: يعني: في حكم الله.

ومعنى ﴿أُولوا﴾: ذوو، واحدُهُ: «ذو» ولا واحد له من لفظه.

وفي الآية دلالة على أنّ من كان قرباه أقرب إلى الميّت كان أولى بالميراث، سواء كان عصبة أو لم يكن، أو له تسمية أو لم يكن، لأنّ مع كونه أقرب تبطل التسمية، ومَن وافقنا في توريث ذوي الأرحام يستثني العصبة وذوي السهام.

وهذه الآية نسخت حكم التوارث بالنصرة والهجرة، فإنّهم كانوا لا يورّثون الأعراب من المهاجرين على ما ذكر في الآيات الأُوَل، ومَن قال: «الولاية» في الآيات الأُولة ولاية النصرة دون الميراث، يقول: ليست

(١) قاله الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٤٠٨.

(٢) الحديد: ٢٢.

هذه ناسخة لها بل هما محكمتان.

ودخلت الفاء في قوله: ﴿فأُوْلئك﴾ كما تقول: الّذي يأتيني فله درهم، لأنّ فيه معنى المجازاة.

وقال مجاهد: في هذه الآيات الثلاث ذكر ما والى به رسول‌الله بين المهاجرين والأنصار في الميراث، ثمّ نسخ ذلك بآخرها من قوله: ﴿وأُولواْ الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله﴾.

وقال عبدالله بن الزبير: نزلت في العصبات، كان الرجل يعاقد الرجل يقول: ترثني وأرثك، فنزلت: ﴿وأُولواْ الأرحام﴾ إلى آخرها.

وقال الحسن: ﴿والّذين آمنوا من بعدُ﴾ يعني:بعد فتح مكّة. وقوله: ﴿منكم﴾ معناه: مؤمنون مثلكم، ولا هجرة بعد فتح مكّة، وقال: الهجرة إلى الأمصار قائمة إلى يوم القيامة، وكان الحسن يمنع أن يتزوّج المهاجر إلى أعرابيّة. ورُوِيَ عن عمر أنّه قال: لا تنكحوا أهل مكّة فإنّهم أعراب.

وأكثر هذه السورة في قصّة بدر، وكانت في صبيحة السابع عشر من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة. ومَن شهد هذه الوقعة فله الفضل.

سورة التوبة

مدنيّة، وهي مائة وتسع وعشرون آية في الكوفي، وثلاثون في البصري والمدنيّين. قال قَتادَة ومجاهد وعثمان: هي مدنيّة وهي آخر ما نزلت على النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة.

ورُوِيَ عن حُذَيْفَةَ أنّه قال: كيف يسمّونها سورة التوبة وهي سورة العذاب؟!

ورُوِيَ عن سعيد بن جُبَيْر قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: تلك الفاضحة، ما زالت تنزل «وفيهم ومنهم» حتّى خشينا ألّا تدع أحداً. قال: وسورة الأنفال نزلت في بدر، وسورة الحشر في بني النضِير.

قوله تعالى:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١﴾ آية بلا خلاف.

قيل في علّة ترك آفتتاح هذه السورة بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» قولان:

أحدهما: ما رُوِيَ عن أُبيّ بن كَعْب: أنّه ضمّت هذه السورة إلى الأنفال بالمقاربة، فكانتا[1] كسورة واحدة، لأنّ الأُولى في ذكر العهود والأُخرى في رفع العهود. وقال عثمان: لاشتباه قصّتيهما، لأنّ الأُولى في ذكر العهود والأُخرى في رفع العهود.

---

(١) في الخطّيّة والحجريّة: فكانت.

الثاني قال المبرّد: لأنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان، وبَراءَة نزلت برفع الأمان.

ويحتمل رفع ﴿بَرَاءةٌ﴾ وجهَيْن:

أحدهما: أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، وتقديره: هذه الآيات براءة. الثاني: أن يكون مبتدأ وخبره الظرف في قوله: ﴿إلى الّذين﴾ . والأوّل أجْوَد، لأنّه يدلّ على حضور[1] المدرك، كما تقول لِمَا تراه حاضراً: حَسَنٌ والله، أي: هذا حَسَن.

ومعنى «البراءة»: انقطاع العصمة، بَرِئَ بَرَاءَةً، وأبْرَأهُ إبْراءً، وتَبّرأ تَبَرُّؤاً، وبَرِئْتُ من المرضِ وبَرَأْتُ أبْرَأُ بَرءاً، وبرّأه تبرياً. وروى أهل اللغة[2] بَرَأْتُ أَبْرُؤُ بَرْءاً، ولم يجئ من المهموز «فَعَلْتُ، أفْعَلُ» إلّا في هذا الحرف الواحد. وبَرَيْتُ القلم أبْرِيه بَرْياً بغير همز، وَبَراه السيرُ: إذا هَزلَه، وبَرَى له يَبْري: إذا تعرّض له، وبَارَاه: إذا عارضه، وأَبْرَيتُ البعيرَ: إذا جعلت لأنفه بُرَةً، بالألف.

ومعنى الآية: برئَ اللهُ من المشركين ورسولُهُ ﴿إلى الّذين عاهدتُّم من المشركين﴾ من إعطائهم الأمان والعهود والوفاء لهم بها إذا نكثوا، لأنّهم كانوا ينكثون ما كان بينهم وبين النبيّ ﷺ، فأمر الله تعالى النبيّ ﷺ أن ينبذ أيضاً إليهم عهدهم.

وقوله: ﴿إلى الّذين عاهدتم من المشركين﴾ فالعهد: العقد الّذي يتقدّم به لتوثيق الأمر، عَهِدَ عَهْداً، وعاهَدَه معاهَدَةً، وتعاهَدَ الأمر تعاهُداً، وتَعَهَّدَهُ

(١) في الحجريّة: «حصول» بدل «حضور».

(٢) كالأزهري في تهذيب اللغة: مادة «برأ».

تَعَهُّداً. وقوله: ﴿عاهدتم﴾ إنّما جاء بلفظ الخطاب لأنّ فيه دلالة على الأمر بالنبذ إلى المشركين برفع الأمان، ولولا ذلك لجاز: «عاهدنا» لأنّ معاهدة[١] النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما هي عن الله عزّ وجلّ. ويجوز رفع الأمان والبَراءَة من غير نقض العهد إذا كان مشروطاً إلى أن يرفعه الله عنهم.

قوله [تعالى]:

فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢﴾ آية بلا خلاف .

«السيح»: السير في الأرض على مَهْلٍ، تقول: ساحَ يَسِيحُ سَيْحاً وسِيَاحَةً وسُيُوحاً وسَيَحاناً، وانْساح الماءُ انْسِياحاً، وسَيَّحَهُ تَسْييحاً.

أمر الله تعالى في هذه الآية أن يقال لهؤلاء المشركين: أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين، وإنّما أجّلهم[٢] هذه الأشهر لأنّها الأشهر الحُرُم إلى آخر المحرّم من أوّل شوّال، في قول ابن‌عبّاس والزُهري.

وقال الفرّاء: كانت المدّة إلى آخر المحرّم، لأنّه كان فيهم من كان مدّته خمسين ليلة، وهو مَن لم يكن له عهد من النبيّ صلى الله عليه وآله فجعل الله ذلك له [قال]: ومعنى «الأشهر الحُرُم»: المحرّم وحده، وإنّما جمعه لأنّه متّصل بذي الحجّة وذي القعدة، فكأنّه قال: فإذا انقضت الثلاثة أشهر[٣].

وقال أبو عبدالله عليه السلام: أوّل الأربعة الأشهر يوم النَحْر، وآخرها العاشر من شهر ربيع الآخر[٤]. وهو قول محمّد بن كَعْب القُرَظِي ومجاهد.

---

(١) في الحجريّة هكذا: «لجاز عاقدنا لأنّ معاقدة...».

(٢) في الحجريّة: «أحلّهم» بدل «أجّلهم».

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٢٠.

(٤) رواه عنه العيّاشي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٣ ح ٤ عن حريز، وفي ص ٧٤ ح ٧ عن أبي‌بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

وقال الحسن: إنّما جعل لهم هذه المدّة لأنّ منهم من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فحَطَّ إليها، ومنهم من كان أقلّ فرفع إليها.

وقال أبو عليّ الجُبّائي: كان يوم النحر لعشرين من ذي القعدة إلى عشرين من ربيع الأوّل، لأنّ الحجّ كان في تلك السنة في ذلك الوقت ثمّ صار في السنة الثانية في ذي الحجّة وفيها حجّة الوداع، وكان سبب ذلك النسيء الّذي كان في الجاهليّة.

وقرأ بَراءَةَ على الناس يوم النَحْر بمكّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأنّ أبا بكر كان على الموسم في تلك السنة، فأتبعه النبيّ صلى الله عليه وآله بعليٍّ عليه السلام، وقال: «لا يبلّغ عنّي إلّا رجل منّي» في قول الحسن وقَتادَة ومجاهد والجُبّائي.

وروى أصحابنا: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان ولّاه أيضاً الموسم، وأنّه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر فقال: يا رسول‌الله أَنَزَلَ فيَّ قرآن؟ فقال: لا، ولكن لا يؤدّي إلّا أنا أو رجل منّي(١).

ورَوَى الشعبي عن محرّر(٢) بن أبي هريرة قال: قال أبو هريرة: كنت أُنادي مع عليّ عليه السلام حين آذن المشركين، فكان إذا اصحل صوته فيما(٣) ينادي دعوت مكانه، قال: فقلت: يا أَبَه أيّ شيء كنتم تقولون؟ قال: كنّا نقول: لا يحجّ بعد عامنا هذا مشرك ـ قال: وما حجّ بعد عامنا مشرك ـ ولا يطوفنّ بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلّا مؤمن، ومَن كانت بينه وبين رسول‌الله صلى الله عليه وآله مدّة فإنّ أجله إلى أربعة أشهر، فإذا انقضت أربعة أشهر فإنّ

---

(١) رواه القمّي في تفسيره: ج ١ ص ٢٨١ بسنده عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبدالله عليه السلام، والعيّاشي في تفسيره أيضاً: ج ٢ ص ٧٣ ـ ٧٤ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.

(٢) في الخطّيّة: «بحر» وفي الحجريّة: «محرز» والصواب ما أثبتناه وهو الموافق لكتب الرجال.

(٣) وفي المطبوعتين: «اضمحلّ صوته ممّا».

الله بريء من المشركين ورسولُهُ[١]. وفُتِحَت مكّة سنة ثمان، ونزلت بَراءَة سنة تسع، وحجّ رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة الوداع سنة عشر.

وقوله: ﴿واعلموا أنّكم غير معجزي الله﴾ معناه: أنّكم غير فائتين كما يفوت ما يعجز عنه، لأنّكم حيث ما كنتم في سلطان الله وملكه. و«الإعجاز» إيجاد العجز، و«العجز» ضدّ «القدرة» عند مَن أثبته معنىً.

وقوله: ﴿وأنّ الله مخزي الكافرين﴾ فالإخزاء: الإذلال بما فيه الفضيحة والعار. و«الخزي»: النكال الفاضح.

قوله [تعالى]:

وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ آية إجماعاً.

«الأذان»: الإعلام في قول ابن زيد والزجّاج والجُبّائي، تقول: آذنَني فلان كذا فأذنْتُ أي: أعلمني فَعلِمْت. وقال بعضهم: معناه: النداء الّذي يسمع بالأُذن.

وقال الفرّاء والزجّاج: إنّما ارتفع لأنّه عطف على قوله: ﴿براءة﴾[٢]. وقيل: معناه: عليكم أذانٌ، لأنّ فيه معنى الأمر[٣].

و[«الحجّ»: القصد إلى أعمال المناسك على ماأمر الله به][٤]. وقد بيّـنّا شرائط الحجّ وأركانه وفرائضه فيكتب الفقه[٥] ولانطول بذكره هاهنا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٤٥ ـ ٤٦ بأسانيد عدّة.

(٢) معاني القرآن؛ للفرّاء: ج ١ ص ٤٢٠، معاني القرآن وإعرابه؛ للزجّاج: ج ٢ ص ٤٢٨.

(٣) العبارة في الخطّيّة هكذا: «وقيل: معناه: عليكم أذان. وقال الفرّاء والزجّاج: إنّما ارتفع لأنّه عطف على ما أمر الله به».

(٤) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة، وأثبتناه من الحجريّة.

(٥) كالمبسوط والنهاية وغيرهما.

و ﴿الحجّ الأكبر﴾ قال عطاء ومجاهد وعامر وبِشْر بن عُبَادَة: هو ما فيه الوقوف بعَرَفَة، والأصغر: العمرة.

وقال مجاهد: الحجّ الأكبر القِرَان، والحجّ الأصغر الإفراد.

وقيل في معنى ﴿يوم الحجّ الأكبر﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن عليّ عليه السلام أنّه يوم «عَرَفَة» وهو المرويّ عن عمر وابن‌عبّاس بخلاف فيه[1]، وبه قال عطاء ومجاهد وابن الزبير وأبو حنيفة[2].

الثاني: في رواية أُخرى[3] عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام[4] وابن‌عبّاس وسعيد بن جُبَيْر وعبدالله بن أبي أوفى وإبراهيم ومجاهد: أنّه يوم النّحْر، وهو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام[5]. قال: وسُمِّي بالحجّ الأكبر لأنّه حجّ فيه المشركون والمسلمون ولم يحجّ بعدها مشرك.

الثالث: قال مجاهد وسفيان[6]: هو جميع أيّام الحجّ.

أعلَمَ الله تعالى في هذه الآية المشركين أنّه ورسوله بريء من المشركين، وأنّه ﴿إن تبتم﴾ ورجعتم إلى الإيمان وطاعة الرسول ﴿فهو خير لكم وإن﴾ أعرضتم و﴿توليتم فاعلموا أنّكم﴾ لا تفوتون الله وأنّ الله يبشّر الكافرين ﴿بعذاب أليم﴾ [أي]: شديد مؤلم.

قال الحسن: الحجّ الأكبر ثلاثة أيّام في أيّام الحجّ، اجتمعت في تلك الأيّام الثلاثة أعياد المسلمين وأعياد اليهود وأعياد النصارى، فقال

---

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٤٩ ـ ٥٠. (٢) في الطبري: «أبو جُحَيْفَة».

(٣) رواه الطبري أيضاً: ص ٥٢ ـ ٥٣ بسنده عن ابن عمر.

(٤) رواه العيّاشي: ج ٢ ص ٧٧ ح ٢٠ عن الصادق عليه السلام عن ابن‌عبّاس عنه عليه السلام، والطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٥١ و٥٢ بسنده عن الشعبي وأبي إسحاق.

(٥) رواه العيّاشي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٦ و٧٧ ح ١٦ و١٩ عن عبدالرحمن عنه عليه السلام.

(٦) في الحجريّة: مجاهد وشعبان.

رسول‌الله ﷺ: لم يكن فيما خلا، ولا يكون إلى يوم القيامة.

قوله [تعالى]:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ آية في الكوفي والمدنيّين واثنان في البصري.

استثنَى‌الله تعالى من بَراءَته عزّ وجلّ وبَراءَة رسوله ﷺ من المشركين مَن كان لهم العهد، في قول الزجّاج[١]. وقال الفرّاء: هذا استثناء في موضع نصبٍ، وهم قوم من بني كِنَانَة كان قد بقي من أجلهم تسعة أشهر، فقال الله تعالى: ﴿فأتمّوا إليهم عهدهم إلى مدّتهم﴾ لا تحطّوهم إلى الأربعة أشهر[٢].

وقال مجاهد: عنى بذلك جماعةً من خُزَاعَة ومُدْلَج.

وقال ابن‌عبّاس: توجّه بذلك إلى كلّ مَن كان بينه وبين رسول‌الله عهد قبل بَراءَة. وينبغي أن يكون ابن‌عبّاس أراد بذلك مَن كان بينه وبينه عقد هدنة أو إلى قومٍ من المشركين لم يتعرّضوا له ﷺ بعداوةٍ، ولا ظاهروا عليه عدوَّه، لأنّ النبيّ ﷺ صالح أهل هَجَر، وأهل البَحْرَيْن وأيلة[٣] ودَوْمَة الجَنْدَل وأذْرُح[٤] وأهل مِعَا[٥] وهم ناس من اليهود في توجّهه إلى

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٣٠. (٢) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٢١.

(٣) «أيلة» بالفتح مدينة على ساحل بحرالقلزم ممّا يلي‌الشام. وقيل: آخر أرض‌الحجاز وأوّل أرض الشام وهي مدينة لليهود الّذين حرّم الله عليهم صيد السمك، وبها في يد اليهود عهد لرسول‌الله ﷺ. (معجم البلدان). وفي الخطّيّة والحجريّة: «أبلّه».

(٤) «أذرح» بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة مجاور لأرض الحجاز، وفتحت أذرح في حياة رسول‌الله ﷺ سنة تسع وصولح أهل أذرح على مائة دينار جزية. (معجم البلدان). وفي الخطّيّة: «أذرج» وفي الحجريّة: «أدرج».

(٥) «معا» سهلة بين صُلبين إذا أخذت من سعد من أرض اليمامة إلى هجر. (معجم البلدان). وفي الخطّيّة والحجريّة: «معنا».

تَبُوك أو في مرجعه منها، وله عهود بالصلح والجزية غير هذه، ولم ينبذ إليهم بنقض عهد، ولا حاربهم بعد أن صاروا أهل ذمَّة إلى أن مضى لسبيله، ووَفَى لهم بذلك مَن بعده، فمَن حمل ذلك على جميع العهود فقد أخطأ.

وقال الحسن: هذا آستثناء من قوله تعالى: ﴿اقتلوا المشركين﴾: ﴿إلّا الّذين عاهدتّم عند المسجد الحرام﴾ ثمّ نُقلِت إلى هاهنا، وباقي الناس على خلافه.

وقوله: ﴿ثمّ لم ينقصوكم شيئاً﴾ فالنقصان: حطّ العدّة عن عدّة، والزيادة: إلحاق العدّة بعدّة، والمعنى: ثمّ لم ينقصوكم من شروط العهد شيئاً، ولم يظاهروا عليكم أحداً. فالمظاهرة: المعاونة على العدوّ للظهور عليه، فهؤلاء إنْ لم يعاونوا عليكم أحداً من أعدائكم ولا نقصوكم شيئاً من حقّكم في عهدهم فأتمُّوا إليهم عهدهم إلى مدّتهم، [وهو] أمن من الله تعالى إلى أن يبلغوا المدّة الّتي واقفوكم(١) عليها. قال قَتادَة: وهم مشركو قريش كانوا عاهدوه في الحُدَيْبِيّة، وبقي من مدّتهم أربعة أشهر بعد يوم النَحْر.

و «الإتمام»: بلوغ الحدّ في العدّة من غير زيادة ولا نقصان، وهاهنا معناه: إمضاء الأمر على ما تقدّم به العهد إلى انقضاء أجل العقد. و «المدّة»: زمان طويل الفسحة، واشتقاقه من: مَدَدت له في الأجَل للمُهْلَة، والمعنى: إلى انقضاء مدّتهم.

وقرأ عطاء: ﴿ثمّ لم ينقضوكم﴾ بالضاد المعجمة وهي شاذّة. و﴿أنّ﴾ بفتح الهمزة، لأنّ تقديره: بأنّ الله بريء من المشركين. ولا يجوز أن يكون المراد: نبذ العهد إلى مكّة، لأنّ مكّة فُتِحَت سنة ثمان وصارت دار الإسلام،

---

(١) وفي الحجريّة: «وافقوهم».

ونبذ العهد كان في سنة تسع، فعُلِمَ بذلك أنّ المراد غيرهم.

قوله تعالى:

فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ آية بلا خلاف .

«الانسلاخ»: إخراج الشيء ممّا لابَسَه، وكذلك «سلخ الشاة»: إذا نُزِعَ الجلد عنها، وسَلَخنا شهر كذا نَسْلَخُهُ سَلْخاً وسُلُوخاً. وقيل في ﴿الأشهر الحُرُم﴾ قولان:

أحدهما: رجب وذوالقعدة وذوالحجّة والمحرّم، ثلاثة سَرْدٌ وواحدفَرْد.

الثاني: الأشهر الأربعة الّتي جعل الله لهم أن يسيحوا فيها آمنين، وهي عشرون من ذي الحجّة والمحرّم وصَفَر وشهر ربيع الأوّل وعشر من شهر ربيع الآخر، في قول الحسن والسُدّي وغيرهما.

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله والمؤمنين أنّه إذا انقضت مدّة هؤلاء المعاهدين ـ وهي الأربعة الأشهر ـ أن يقتلوا المشركين حيث وجدوهم. قال الفرّاء: سواء كان في الأشهر الحُرُم أو غيرها أو في الحلّ أو في الحَرَم[1] وأن يأخذوهم ويحصروهم.

و«الحَصْر»: المنع من الخروج عن محيط، وأُحْصِر الرجل إحصاراً، وحاصَرَهُ العدوّ محاصرةً وحِصاراً، وحَصِرَ في كلامه حَصَراً، وانْحَصَرَ الشيء انْحِصاراً. و«الحَصْر» و«الحَبْس» و«الأسْر» نظائر.

وقوله: ﴿واقعدوا لهم كلّ مرصد﴾ يعني: كلّ موضع يرقب فيه العدوّ، و«المَرْصَد»: الطريق، ومثله: المَرْقَب والمَرْبَأ. يقال: رَصَدَهُ يَرْصُدُهُ رَصْداً،

(١) معاني القرآن: ج ١ ص.٤٢١.

ونُصِب ﴿كُلَّ مرصد﴾ على تقدير: على كلّ مرصد، على قول الأَخْفَش[(١)] كما قال الشاعر:

نُغالي اللَحمَ للأضْـيافِ نِـيّاً ونُرْخِصُهُ إذا نَضِجَ القُدورُ[(٢)]

أي: نُغالي باللحم. وقال الزجّاج: هو ظرف، كقولك: ذهبت مَذْهباً[(٣)]. وقال الشاعر:

إنّ المنيّةَ للفتَى بالمَرْصَدِ[(٤)]

فجعله بمنزلة: المحدود. و «المَرْصَد» مبهم، والطريق محدود، فهذا فرق ما بينهما.

وٱستُدِلَّ بهذه الآية على أنّ تارك الصلاة متعمّداً يجب قتله، لأنّ الله تعالى أوجب الامتناع من قتل المشركين بشرطَيْن: أحدهما: أن يتوبوا من الشرك، والثاني: أن يقيموا الصلاة، فإذا لم يقيموا الصلاة وجب قتلهم.

قوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ آية بلا خلاف.

قوله تعالى: ﴿أحد﴾ ليست الّتي تقع في النفي في مثل قولك: ما جاءني أحد، لأنّ الإيجاب لا يصحّ فيه أعمّ العامّ الّذي هو هو على الجملة[(٥)] والتفصيل، كقولك: ليسوا بها مجتمعين ولا متفرّقين، ولا يصحّ مثل ذلك

(١) معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٤٩.
(٢) أنشده الأخفش في المعاني: ج ١ ص ٢٥٠، ج ٢ ص ٥٤٩، ولم ينسبه لأحد.
(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٣١.
(٤) أنشده أبو عُبَيدة في المجاز: ج ١ ص ٢٥٣ ونسبه إلى عامر بن الطُفَيل، وصدره: ولقد علمت وما إخال سواءه.
(٥) كذا في المطبوعتين، وفي المخطوطة العبارة هكذا: «العام الّذي هو على الجملة».

في الإيجاب، ويصحّ في الاستفهام لأنّ فيه معنى النفي، ولولا ذلك لم يصحّ جوابه بـ«لا». والتقدير: وإنْ استجارك أحد من المشركين استجارك، فأُضمر الفعل، ولم يجز في الجواب أن يقول: إنْ يقوم أحد زيد يذهب، لقوّة «إنْ» أنّها للفعل خاصّةً، ومثله أنشد الأَخْفَش:

لا تَجْزَعي إنْ مُنْفِسا أَهْلَكْتُهُ وإذا هَلَكْتُ فعندَ ذلكَ فاجْزَعي[١]

فأخبر ثمّ جزم على جواب الجزاء لأنّها شرط، وليس كذلك الجواب لأنّه قد يكون بالفاء، ولا يجوز إضمار الفعل في شيء من حروف المجازاة إلّا في «إنْ» لأنّها أُمّ الباب، وهي الأصل الّذي يلزمه، قال الشاعر:

فإنْ أنتَ تَفْعَل فللفاعلين أنتَ المُجيرينَ تلكَ الغِمارا[٢]

وأمّا قول الشاعر:

فَمَتى واغِلٌ يَنُبْهُم يُحَيُّوه ويُعْطَفْ عليه كأْسُ السّاقِي[٣]

فإنّما هو ضرورة، لا يجوز مثله في الكلام. قال الفرّاء: ﴿استجارك﴾ في موضع جزم، وأن فرّق بين الجازم والمجزوم بـ﴿أحد﴾ وذلك جائز في «إنْ» خاصّةً، وقد يفرّق بينهما وبين المجزوم بالمنصوب والمرفوع، فالمنصوب مثل قولك: إنْ أخاكَ ضَرَبْتَ ظَلَمْتَ، والمرفوع مثل قوله تعالى: ﴿إنِ امرؤٌ هَلَكَ ليس له وَلَدٌ﴾[٤].

أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أنّه متَى استجار به أحد من المشركين الّذين

(١) أنشده في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٥٠ ونسبه سيبويه إلى النمر بن تولب في الكتاب: ج ١ ص ١٣٤.

(٢) أنشده الفرّاء في معانيه: ج ١ ص ٤٢٢ ولم ينسبه لأحد، وفيه «المجيزين» وبهامشه أنّه منسوب إلى الكُمَيْت.

(٣) أنشده الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٣٢ ونسبه إلى عدي بن زيد وفيه «يَزُرْهم» بدل «يَنُبْهُم».

(٤) معاني القرآن للفرّاء: ج ١ ص ٤٢٢ والآية من سورة النساء: ١٧٦.

أمرتك بقتالهم أي: طلب منه [منك الأمان حتّى يسمع كلام الله فإنّه يجب عليه أن يوجره. و«الإجارة» العقد على ذمام][1] الجار في رفع الأذى عن صاحبه، وقيل[2]: المعنى: إن استأمنك أحد فأمّنْه ﴿حتّى يسمع كلام الله﴾.

والمشرك يصحّ أن يسمع كلام الله على الحقيقة، لأنّ حكاية كلام الله يُطْلَق عليه الاسم بأنّه كلام الله لظهور الأمر فيه، ولا يحتاج أن يُقَدَّر أصل له، كما يقال: هذا كلام سيبويه وغيره، ومَن ظنّ أنّ الحكاية تفارق المحكيّ لأجل هذا الظاهر فقد غلط، لأنّ المراد ما ذكرناه فيما يقال في العرف: إنّه كلام الله.

وقوله: ﴿ثمّ أبلغه مأمنه﴾ فالإبلاغ: التصيير إلى منتهى الحدّ، و«الإبلاغ» و «الأداء» نظائر.

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال: المعارف ضروريّة، لأنّها لوكانت كذلك لما كان لطلب ما هو عالم به معنىً.

ومعنى قوله: ﴿لا يعلمون﴾: إخبار عن جهلهم في أفعالهم، لا أنّهم لايعقلون، وإنّما أراد: لا ينتفعون بمثله، ولا يعرفون ما لهم وعليهم من الثواب والعقاب.

قوله تعالى:

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ آية بلا خلاف .

قال الفرّاء: هذا على التعجُّب، كما تقول: كيف يُستبقى مثلك؟! أي: لاينبغي أن يُستَبقى، وفي قراءة عبدالله: «كيف يكون [لهم] عهدٌ عند الله

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة. (٢) قاله الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٥٧.

ولا ذمّة» فأدخل الكلام «لا» مع الواو، ولأنّ معنَى الأوّل جحد[١]. وقال غيره: في الكلام حذف، لأنّ الكلام خرج مخرج الإنكار عليهم، وتقديره: كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله مع إضمار الغدر في عهدهم؟! فجاء الإنكار أن يكون لهم عهد مع ما ينبذ من العهد على ذلك، وذلك يقتضي إضمار الغدر فيما وقع من العهد. ثمّ استثنى من ذلك: ﴿الّذين عاهدتُّم عند المسجد الحرام﴾ فكان ذلك إيجاباً فيهم، لأنّ ما قبله في معنَى النَفي، والتقدير: ليس للمشركين عهد إلّا الّذين. وموضع ﴿الّذين﴾ يحتمل الجرّ والنصب. وحكى الكسائي: أين كنت لتنجو منّي؟ أي: ما كنت.

و«المسجد»: الموضع المهيّأ لصلاة الجماعة، والمراد هاهنا: مسجد مكّة خاصّةً، وأصله: موضع السجود كالمجلس موضع الجلوس. و«الحرام»: المحظور بعض أحواله، فالخمر حرام لحظر شربها وسائر أنواع التصرّف فيها، والأُمّ حرام لحظر نكاحها، والمسجد الحرام لحظر صيده وسفك الدم فيه وابتذاله ما يبتذل به غيره.

وقوله: ﴿فما أستقاموا لكم﴾ معناه: ما استمرّوا لكم على العهد. و«الاستقامة»: الاستمرار على جهة الصواب، ومتى كان الاستمرار على وجه الخطأ لا يُسمّى استقامة. ومعنى ﴿فاستقيموا لهم﴾ أي استمرُّوا لهم على العهد مثلهم.

والمراد بالّذين عُوهِدوا عند المسجد الحرام قيل فيهم ثلاثة أقوال: قال مجاهد: هم خُزاعَة. وقال ابن إسحاق: هم قوم من بني كِنَانة. وقال ابن عبّاس: هم قريش.

وقوله: ﴿إنّ الله يحبّ المتّقين﴾ إخبار منه تعالى أنّه يحبّ مَن يتّقي

---

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٢٣.

معاصيه ويعمل بطاعاته، وأنّه يريد ثوابه ومنافعه.

وفي الآية دليل على أنّ تمكين الحربي من المقام في دار الإسلام بعد قضاء حاجته ليس بجائز.

قوله تعالى:

كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ آية بلا خلاف.

في الآية حذف، وتقديرها: كيف لهم عهد أو كيف[1] لا تقتلونهم؟ وحُذِف، لأنّ قوله في الآية الأولى: ﴿كيف يكون للمشركين عهد﴾ دلّ على ذلك، ومثله قول الشاعر:

وخَبَّرتُماني أنّما الموتُ في القُرى ... فكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ وقَليبُ[2]

ويُروى: «وهذي» أي: كيف مات وليس في قرية. وقال الحُطَيْئة في حذف الفعل بعد «كيف»:

فَكيفَ ولَمْ أعْلَمْهُم خَذَلُوكُم ... على مُعْظَمٍ ولا أدِيمَكُمُ قَدُّوا[3]

أي: كيف تلومونني على مدح قوم تذمّونهم. والمعنى: كيف لهم، يعني: لهؤلاء المشركين عهد، وهم ﴿إنْ يظهروا عليكم﴾ بمعنى: علوا عليكم بالغَلَبة، لأنّ الظهور هو العلوّ بالغَلَبة، وأصله: خروج الشيء إلى حيث يصحّ أن يُدْرَك ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ معناه: لا يراعون فيكم، و«الرُقُوب»: هو العمل في الأمر على ما تقدّم به. العمل، والمراقبة والمراعاة نظائر في اللغة.

وقوله: ﴿إلًّا ولا ذِمّة﴾ قيل في معنى «الإلّ» ستّة أقوال:

---

(١) في الحجريّة: «وتقديرهما: كيف لهم عهد وكيف ...».

(٢) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ٣ ص ٤٨٧ ونسبه إلى كعب الغَنَوي.

(٣) من قصيدة يمدح بني سعد. راجع ديوان الحطيئة: ص ٤١.

أوّلها: قال مجاهد وابن زيد: إنّ معناه: العهد. الثاني ـ في رواية أُخرى عن مجاهد ـ: أنّه اسم الله. ومنه قول أبي‌بكر لمّا سمع كلام مُسَيْلَمة: لم‌يخرج هذا من إلٍّ، فأين يذهب بكم. الثالث: قال ابن‌عبّاس: هو القَرابة. الرابع: قال الحسن: هو الجوار. الخامس: قال قَتادَة: هو الحلف. السادس: قال أبوعُبَيْدَة: هو اليمين. والأصل في جميع ذلك: «العهد» وهو مأخوذ من «الأليل» وهو البريق، يقال: ألَّ يَؤُلُّ إذا لمع، و«الألَّة»: الحَرْبَة لِلَمَعَانها، وأُذُن مُؤَلَّلَة مشبّهة بالحَرْبَة في تَحديدها. وقال الزجّاج: أصله: التحديد. قال الشاعر:

وَجَدْناهُم كاذِباً إلُّهُمْ وذُو الإلِّ والعَهْدِ لا يَكْذِبُ[(١)]

أي: ذو العهد. وقال ابن مقبل:

أَفْسَدَ النـاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الإلَّ وأَعْراقَ الرَحِم[(٢)]

يعني: القرابة. وقال حسّان:

لَعَمْرُكَ إنّ إلَّكَ في قُرَيشٍ كَإلِّ السَقْبِ مِن رَأْلِ النَعَامِ[(٣)]

وقوله: ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ معناه: يقولون قولاً يرضيكم[(٤)] بذلك في الظاهر، [ويأبى قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم][(٥)] ثمّ أخبر تعالى عن حالهم بأنّ أكثرهم فاسقون [قال أبو عليّ الجبّائي: أراد أنّهم كلّهم فاسقون لكن وضع الخصوص موضع العموم لأنّ المشركين كلّهم فاسقون][(٦)] وقال ابن الأخشاد: أراد بذلك أنّهم متمرّدون في شركهم،

(١) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٦١ ولم ينسبه لأحد.
(٢) راجع ديوان ابن مقبل: ص ٤٠٧.
(٣) من أبيات يذمّ أبي سفيان. راجع ديوان حسّان بن ثابت: ج ١ ص ٣٩٤.
(٤) في الخطّيّة: «يرضونكم» بدل «يرضيكم».
(٥) ما بين المعقوفتين من الحجريّة.
(٦) ما بين المعقوفتين من الخطّيّة.

لأنّ الفاسق هو الخارج من الشيء، من قولهم: فَسَقَت الرُطَبَةُ. وإنّما كان أكثرهم بهذه الصفة ولم يكن جميعهم وإن كانوا كلّهم فاسقين [لأنّ المراد به: رؤساؤهم][(١)].

قوله تعالى:

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩﴾ آية.

قيل فيمن نزلت هذه الآية بسببه قولان:

قال مجاهد: نزلت في أبي سفيان لمّا جمعهم على طعامه فأطعم حلفاءه وترك حلفاء النبيّ ﷺ. وقال أبو علي الجُبّائي: نزلت في قومٍ من اليهود دخلوا في العهد فيما دلّت عليه هذه الصفة.

ومعنى ﴿اشتروا بآيات الله﴾: استبدلوا بحجج الله وبيّناته العظيمة الشأن ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي: عوضاً قليلاً. وأصل «الاشتراء»: استبدال ما كان من المتاع بالثمن، ونقيضه البيع، وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن. و«الثمن»: ما كان من العين والورق في الأصل، ثمّ قيل لما أخذوه بدل آيات الله: ثمن، لأنّه بمنزلته في أنّه يُسْتَبدل به.

وقوله: ﴿فصدّوا عن سبيله﴾ أي: صدّوا عن الإسلام، ومعنى هذه الفاء كمعنى جواب الجزاء، لأنّ اشتراءهم هذا أدّاهم إلى الصدّ عن سبيل الله. و«الصدّ»: هو المنع. ثمّ أخبر تعالى عنهم أنّهم بئس ما كانوا يعملون من هذا الاستبدال.

قوله تعالى:

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠﴾ آية بلا خلاف.

قد بيّنّا أنّ المراقبة هي المراعاة لما تقدّم من العهد الّذي يلزم الديانة،

---

(١) سقط من الخطّيّة والحجريّة، وأثبتناه من المطبوع كما يقتضيه السياق.

لئلّا يقع إخلال بشيء منه. و«الإلّ»: العهد، و«الذِمّة»: عقد الجوار، وهما متقاربان، وفُصّل بينهما بأنّ «الذِمّة» عقد يوجب الذمّ نقضه، و«الإلّ» الّذي هو العهد عقد يدعو إلى الوفاء به [و] البيان الّذي فيه، لأنّه يلوح المعنى الّذي يدعو إلى الوفاء، إذ أصل كلّ واحد منهما يقتضي هذا.

وإنّما أُعيد ذكر ﴿لا يرقبون من مؤمن إلًّا ولا ذمَّةً﴾ لأنّه في صفة ﴿الّذين اشتروا بآيات الله ثمناً﴾ والأوّل في صفة جميع الناقضين للعهد، وقال في الثاني: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ [لأنّه قال في الأُولى: فخلوا سبيلهم أي مكّنوهم من مخالطتهم، ليتمكّنوا من اختيار طرائقهم، ثمّ إذا تحقّقتم سلامة صدورهم وحسن آثارهم فهم إخوانكم في الدين][1] فلذلك كرّر بوصفَيْن مختلفَيْن. وقال الجُبّائي: لأنّه في صفة اليهود خاصّةً، والأوّل في صفة الناقضين عامّةً، وإنّما ذُمُّوا بترك المراقبة، لأنّ مع تركها الغالب أن يقع إخلال بما تقدّم من العقد، فلزمت المراقبة لهذه العلّة. وترك المراقبة في عهد المؤمن أعظم منها في ترك عهد غيره، لكثرة الزواجر عن الغدر بالمؤمن، لأنّه ليس من شأنه الغدر.

أخبر الله تعالى عن هؤلاء المشركين أنّهم لا يراعون في المؤمن عقد العهد ولا ذمّة الجوار، وأنّهم مع ذلك معتدون. و«الاعتداء»: الخروج من الحقّ، وأصله: المجاوزة، ومنه: «التعدّي» وهو تجاوز الحدّ، ومعاداة القوم: مجاوزة الحدّ في البغضة، وكذلك «العداوة» و«الاستعداء»: طلب معاملة العدوّ في الإيقاع به، و«العَدْو»: مجاوزة حدّ السعي.

والغرض بالآية: حثّ المسلمين على قتالهم، وأن لا يبقوا عليهم كما

---

(١) ما بين المعقوفتين من الخطّيّة، لم يرد في الحجريّة.

أنّهم لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا عليهم.

قوله تعالى:

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ آية .

شَرَطَ الله لهؤلاء المشركين بأنّهم متى تابوا ورجعوا عمّا هم عليه من الشرك إلى طاعة الله، والاعتراف بوحدانيّته، والإقرار بالنبيّ ﷺ، وأقاموا الصلاة المفروضة[1] على ما شرّعها الله، وأعْطَوْا الزكاة الواجبة عليهم، فإنّهم يكونون إخوان المؤمنين في الدين والإيمان، وتقديره: فهم إخوانكم.

و «التوبة»: هي الندم على القبيح لقبحه مع العزم على ترك العَوْد إلى مثله في القبح، وفي الناس مَن قال: إلى مثله في صفته، فَمَن قال ذلك قال: توبة المجبوب من الزنا هي الندم على الزنا مع العزم على ترك المعاودة إلى مثله على ما يصحّ ويجوز من الإمكان، وهو أنّه لو ردّ الله عزّ وجلّ عضوه ما زنى، فأمّا مَن نسي الذنب فإنّ توبته صحيحة ولا يُؤَاخذ بالذنب، لأنّه مكلّف قد أدّى جميع ما عليه في الحال، فقد تخلّص بذلك من العقاب.

فإن قيل: لِمَ شرط مع التوبة من الشرك وحصول الإيمان إيتاء الزكاة، مع أنّه ليس كلّ مسلم عليه الزكاة؟

قلنا: إنّما يجب عليه بشرط الإمكان، فإذا أقرّ بحكم الزكاة مع التعذّر عليه دخل في حكم الصفة الّتي يجب بها.

وقوله: ﴿ونفصّل الآيات﴾ معناه: نبيّنها ونميّزها بخاصّة لكلّ واحد منها بما يتميّز به من غيرها، حتّى يظهر مدلولها على أتمّ ما يكون من الظهور

---

(١) في الخطّيّة والحجريّة: «المفروضات» بدل «المفروضة».

فيها ﴿لقوم يعلمون﴾ ذلك ويثبتونه[١] دون الجُهّال الّذين لا يعقلون عن الله.

قوله تعالى:

﴿وَإِنْ نَكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة وابن عامر ﴿أئمّة﴾ بهمزتَيْن، إلّا هشاماً عن ابن عامر فإنّه فصل بين الهمزتَيْن بألف، الباقون بهمزة واحدة وياء بعدها، وفصل بينهما بألف أبو جعفر المروزي عن المسيِّبي والسوسنجردي عن يزيد بن إسماعيل[٢]. وقرأ ابن عامر والحسن: ﴿لا إيمان لهم﴾ بكسر الألف، الباقون بفتحها. الكسر يحتمل وجهَيْن:

أحدهما: أنّهم ارتدّوا ولا إسلام لهم، ذكره الزجّاج، قال: ويجوز «لا إيمان لهم» على المصدر، وتقديره: لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد.

والآخر: لأنّهم كفروا لا إيمان لهم. ويحتمل أن يكون المراد: أنّهم إذا آمنوا إنساناً[٣] لا يفون به فلا إيمان لهم.

ومَن فتح الهمزة فلقوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ ولقوله: ﴿عهدهم﴾ فأثبت لهم الأيمان.

فإن قيل: كيف نَفَى فقال: ﴿إنّهم لا أيمان لهم﴾ وقد أثبتها في أوّل الآية بقوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾؟!

قلنا: اليمين الّتي أثبتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها، وما نفى[٤] إنّما المراد به: أنّهم لا أيمان لهم يفون بها، ويتمسّكون بموجبها.

---

(١) كذا في الحجريّة، وفي الخطّيّة: «ويبينونه» وفي مجمع البيان «ويتبينونه».

(٢) في الخطّيّة: «عن زيد عن إسماعيل».

(٣) في الحجريّة: «المراد أنّهم آمنوا إيماناً ...».

(٤) في الحجريّة: ولم يفوا و.

وقال أبو عليّ النحوي: «أئمّة»[١] على وزن «أفعلة» جمع «إمام» نحو: مثال وأمثلة، فصار: أأممة، واجتمع همزتان: ألف «أفعلة» والهمزة الّتي هي فاء الفعل، والّتي هي فاء الفعل ساكنة، فنقل إليها حركة الّتي بعدها ليمكن النطق بها، فَمَن خفّفها أتى بالهمزتَيْن، الأُولى مفتوحة والثانية مكسورة، ومَن كره ذلك قلب الثانية ياءً ولم يجعلها بين بين، لأنّ همزة بين بين في تقدير التحقيق، وذلك مكروه عندهم.

وقال الرُمّاني: إنّما جاز اجتماع الهمزتَيْن في كلمةٍ، لئلّا يجتمع على الكلمة تغيير الإدغام والانقلاب مع خفّة التحقيق لأجل ما بعده من السكون، وهو مذهب ابن أبي إسحاق من البصريّين، والباقون لا يجيزونه، ذكره الزجّاج، قال: لأنّه يلزم عليه أن يقرأ «أأدم» بهمزتَيْن وذلك باطل بالاتّفاق، وعلى هذا القول: «هذا أأمّ» بهمزتَيْن، قال: وإنّما قُلِبَت الهمزة في «أئمّة» على حركتها دون حركة ما قبلها، لأنّ الحركة إنّما نقلت إلى الهمزة لبيان زنة الكلمة، فلو ذهبت تقلبها[٢] على ما قبلها لكان مناقضاً للغرض فيها، وإذا بنيت من «الإمامة» هذا أفعل من هذا، قلت: هذا أوَمُّ من هذا ـ في قول المازني ـ لأنّ أصله: كان أأمُّ، فلم يمكنه أن يبدل منها ألفاً لاجتماع الساكنَيْن، فجعلها واواً، كما قالوا في جمع «آدم»: أوَادِم. قال الزجّاج: وهو القياس، وهذا أيَمُّ من هذا في قول الأخْفَش، قال: لأنّها صارت الياء في «أيِمّة» بدلاً لازماً.

وقوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ فالنكث: نقض العهد الّذي جعل لتوثيق

---

(١) في الحجريّة: «أيمّة» بدل «أئمّة».

(٢) كذا في الحجريّة وفي مجمع البيان ومحتمل الخطّيّة: «بقلبها».

الأمر، وذلك بالخلاف لما تقدّم من العزم. و«الأيمان»: جمع يَمين، وهو القَسَم، و«القَسَم»: هو قول عقد بالمعنى لتأكيده، وتغليظ الأمر فيه، نحو: والله ليكوننَّ، وتالله ما كان. فيجوز أن يكون مِن: أعطى صفقةَ يمينه، ويجوز أن يكون من: يمن التيسير في فعله.

وقوله: ﴿وطعنوا في دينكم﴾ فالطعن هو الاعتماد بالعيب، وأصله: الطعن بالرمح، ونحوه في الشيء لنقض بنيته.

وقوله: ﴿فقاتلوا أئمّة الكفر﴾ أمر من الله تعالى بقتال أئمّة الكفر، وهم رؤساء الضلالة والكفّار، و«الإمام»: هو المتقدّم للاتّباع، فأئمّة الكفر: رؤساء الكفر. والإمام في الخير مهتدٍ هادٍ، وفي الشرّ ضالٌّ مضلّ، كما قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمّةً يدعون إلى النار﴾ (١) والمعنيّ بأئمّة الكفر: رؤساء قريش، في قول ابن‌عبّاس ومجاهد. وقال قَتادَة: هم أبو جهل بن هشام وأُميّة بن خَلَف وعُتْبَة بن رَبِيعة وأبو سُفْيان بن حَرْب وسُهَيْل بن عمرو، وهم الّذين همّوا بإخراجه، وكان حُذَيْفَة يقول: لم يأتِ أهل هذه الآية.

ورُوِي عن أبي جعفر عليه السلام: أنّها نزلت في أهل الجمل. ورُوِي ذلك عن عليّ عليه السلام وعمّار وغيرهما (٢).

ويقول حُذَيْفَة: قال يزيد بن وَهَب: وقوله: ﴿إنّهم لا أيْمان لهم﴾ معناه: لا تؤمنوهم. ومَن كسر معناه: لأنّهم كفرة لا إيمان لهم.

وقوله: ﴿لعلّهم ينتهون﴾ معناه: لكي ينتهوا.

وفي الآية دلالة على أنّ الذمّي إذا أظهر الطعن في الإسلام فإنّه يجب قتله،

---

(١) القصص: ٤١.

(٢) كأبي الطفيل والحسن البصري والشعبي وأبي عثمان مولى بني قصي. راجع تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٧٨ ـ ٧٩ ح ٢٤ ـ ٢٨.

لأنّ عهده معقود على أن لا يطعن في الإسلام، فإذا طعن فقد نكث عهده.

قوله تعالى:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾ آية بلا خلاف .

قوله: ﴿أَلَا﴾ كلمة موضوعة للتحضيض على الفعل، وأصلها: «لا» دخلت عليها ألف الاستفهام فصارت تحضيضاً، كما أنّها إذا دخلت على «ليس» صارت تقريراً، و«لا» موافقة للتحضيض بالاستقبال، و«ليس» إنّما هي للحال، فهي موافقة للحال بهذا المعنى، وإذا قال: ﴿ألا تقاتلون﴾ كان معناه: التحضيض على قتالهم، وإذا قال: «ألا قاتلتم» كان ذلك تأنيباً، لأنّ ما يُلْزَم إذا تُرِكَ ذُمّ على تركه ويحضّ على فعله قبل وقته. حضّ الله تعالى المؤمنين على قتال الكفّار الّذين ﴿نكثوا أيمانهم وهمُّوا بإخراج الرسول﴾ من مكّة، أي: قصدوه. و«الهمّ»: مقاربة الفعل بالعزم من غير اتّباع له، وقد ذُمُّوا بهذا الهمّ ففيه دليل على العزم، وقد يستعمل «الهمّ» على مقاربة العزم.

وقوله: ﴿وهم بَدَءُوكم أوّل مرَّة﴾ فالبدو [فعل الشيء قبل غيره، وهو فعل الشيء أوّلاً، بدأ يبدأ بدءاً وابتدأ ابتداءً، والمرّة] [١]: فعل ما لم يتكرّر، والمرّة الفعلة من المرّ. و«المـرّة» و«الكَـرّة» و«الدفـعة» نـظائر. ومعنى ﴿بَدَءُوكم أوّل مرّة﴾: بدأُوا حلفاء النبيّ ﷺ بالقتال من خُزاعَة، في قول الزجّاج [٢] وقال ابن إسحاق والجُبّائي: بدأُوا بنقض العهد. وقال الطبري: بدأوهم بخروجهم إلى بدر لقتالهم.

وقوله: ﴿أتخشونهم﴾ معناه: أتخافونهم؟ ثمّ قال: ﴿فالله أحقّ أن تخشوه﴾

---

(١) ما بين المعقوفتين من الخطّيّة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٢ ص ٤٣٦.

أي: تخافوه ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ وفي ذلك غاية الفصاحة، لأنّه جمع بين التقريع والتشجيع، والمعنى: أتخشون أن ينالكم من قتالهم مكروه، فالله أحقّ أن تخشوا عقابه في ارتكاب معاصيه إن كنتم مصدّقين بعقابه وثوابه.

قوله تعالى:

قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ آيتان بلا خلاف.

هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين بأن يقاتلوا هؤلاء الناقضين للعهد البادئين بقتال حلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله من خُزاعَة، فإنّهم إذا قاتلوهم يعذّب الله الكفّار بأيديهم يعني: بأيدي المؤمنين الّذين يقاتلونهم ﴿وينصركم﴾ يعني أيّها المؤمنون ينصركم الله ﴿عليهم ويشفِ﴾ بذلك ﴿صدور قوم مؤمنين﴾ وفي ذلك دليل على أنّه كان اشتدّ غضب جماعة المؤمنين لله، فوعدهم الله النصر[١] في قول قَتادَة والزجّاج. وفيها دلالة على نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّه وعده النصر، فكان الأمر على ما قال.

وقوله: ﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ قيل: المراد بهم خُزاعَة الّذين قاتلوهم، في قول السُدّي وغيره، لأنّهم كانوا حلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله.

و«التعذيب»: إيقاع العذاب بصاحبه[٢] و «العذاب»: ألم يستمرّ به، قال عَبِيد بن الأبْرَص:

والمَرْءُ ما عاشَ في تَكْذِيبٍ طُولُ الحياةِ لَـهُ تَـعْذِيبُ[٣]

---

(١) في الخطّيّة: «فدعوا الله النصر» بدل «فوعدهم الله النصر».

(٢) في الحجريّة: «لصاحبه» بدل «بصاحبه».

(٣) ديوان عبيد: ص ٢٦.

ومعنى ﴿يعذّبهم الله بأيديكم﴾ أي: أنّكم إذا تناولتموهم بالسلاح من السيوف والنبل والرماح أنزل الله بهم العذاب. وقال أبو عليّ: ذلك مجاز والمعنى: أنّه لمّا كان ذلك بأمرالله أضافه إلى نفسه. وهو أحسن من الأوّل.

وقوله: ﴿ويخزهم﴾ معناه: يذلّهم، والإخزاء: الإذلال بما فيه الفضيحة على صاحبه، خَزِيَ خَزْياً، وأخْزَاهُ الله إخْزاءً.

وقوله: ﴿ويشفِ صدور قوم مؤمنين﴾ فالشفاء: سلامة النفس بما يزيل عنها الأذى، فكلّما وافق النفس وأزال عنها الهمّ فهو شفاء. وقيل: ﴿ويشفِ صدور قوم مؤمنين﴾ يعني: خُزاعَة، لأنّهم نقضوا العهد بقتالهم، في قول مجاهد والسُدّي. و«الصدور» جمع الصدر، وهو الموضع الأجلّ الّذي يصدر عنه الأمر، ومنه: الإيراد والإصدار. ويجوز في ﴿ويخزهم﴾ ثلاثة أوْجُه من الإعراب: الجزم باللفظ وعليه القُرّاء، والنصب على الصرف[1] والرفع على الاستئناف ولم يُقْرأ بهما.

وقوله: ﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ معناه: يبطل غيظهم ويعدمه، و«الإذهاب»: جعل الشيء يذهب، و«الذهاب»: الانتقال عن الشيء، و«المجيء»: الانتقال إلى الشيء. و«الغيظ»: نقص الطبع بانزعاج[2] النفس، تقول: غَاظَه يغيظه غَيْظاً، واغتاظَ اغتياظاً، وغَايَظَهُ مُغَايَظةً.

وقوله: ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ معناه: يقبل الله توبة من يشاء من عباده. ووجه اتّصال قوله: ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ بما قبله من وجهَيْن: أحدهما: بشارتهم بأنّ فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر إلى الإيمان.

---

(١) كذا في الخطّية والحجريّة، وفي المطبوعة: «على الظرف» بدل «على الصرف».

(٢) في الخطّيّة: «بإزعاج» بدل «بانزعاج».

والآخر: أنّه ليس فيقتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبة. ورفع ﴿ويتوب﴾ بخروجه عن موجب القتال فاستأنفه.

وقوله: ﴿والله عليمحكيم﴾ معناه: عليم بتوبتهم إذا تابوا، حكيمفي أمركم بقتالهم إذا نكثوا قبل أن يتوبوا ويرجعوا، لأنّ أفعاله كلّها صواب وحكمة.

قوله تعالى:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ آية بلا خلاف .

قوله: ﴿أم حسبتم﴾ من الاستفهام الّذي يتوسّط الكلام، فيُجعل بـ«أم» ليفرّق بينه وبين الاستفهام المبتدأ الّذي لم يتّصل بكلام. ولو كان المراد الابتداء لكان: إمّا بالألف أو بـ«هل» كقوله: ﴿هل أتى على الإنسان﴾ [(١)] والمعنى: ظننتم أن تُتْركوا؟ و«الظنّ» و«الحُسبان» نظائر، و«الحسبان» قوّة المعنى في النفس من غير قطع، وهو مشتقّ من «الحساب» لدخوله فيما يحتسب به ﴿أن تُتْركوا﴾ معنى «الترك»: هو ضدٌّ ينافي الفعل المبتدأ في محلّ القدرة عليه. ويستعمل بمعنى: «ألا يفعل» كقوله: ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ [(٢)].

وقوله: ﴿ولمّا يعلم الله الّذين جاهدوا منكم﴾ إذا قيل: لمّا يفعل، فهو نفي للفعل مع تقريب لوقوعه، وإذا قيل: لم يفعل، فهو نفي بعد إطماع في وقوعه، والمعنى: ولمّا يجاهدوا ويمتنعوا أن يتّخذوا وليجةً ويعلم الله ذلك منكم، فجاء مجيء نفي العلم لنفي المعلوم، لأنّه متى كان عَلِمَ الله أنّه كائن، وكان أبلغ وأوجز لأنّه أتى على طريقة نفي صفات الله تعالى.

---

(١) الإنسان: ١. (٢) البقرة: ١٧.

وقوله: ﴿ولم يتّخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ تقديره: ولمّا يعلم الله الّذين آمنوا الّذين لم يتّخذوا من دون الله [ولا رسوله][١] وليجةً، فالوليجة: الدخيلة في القوم من غيرهم، تقول: وَلَجَ يَلِجُ وُلُوجاً، وأَوْلَجَ إيْلاجاً، وتَوَلَّجَ تَوَلُّجاً بمعنى الدخول. و«الوليجة» و«الدخيلة» و«البطانة» نظائر، وكلّ شيء دخل في شيءٍ وليس منه فهو وليجة، قال طَرَفَة:

فإنَّ القَوافي يَتَّلِجْنَ مَوَالِجاً ... تَضَايَقَ عنه أنْ تولّجَه الإبَرْ[٢]

وقال آخر:

متّخذاً من عضواتٍ تَوْلَجا ... متّخِذاً فيها إياداً دَوْلَجا[٣]

يعني: الكأس. وقال الفرّاء: نُهُوا أن يتّخذوا بطانةً يفشون إليهم أسرارهم[٤]. وقال الجُبّائي: اتّخاذ الوليجة من دون الله ودون رسوله هو النفاق. نُهُوا أن يكونوا منافقين، وهو قول الحسن، فإنّه قال: الوليجة هي الكفر والنفاق.

وفي الآية دلالة على أنّه لا يجوز أن يُتّخذ من الفُسّاق وليجةً، لأنّ في ذلك تأنيساً[٥] بالفسق، يجري مجرى الدعاء إليه، مع أنّ الواجب معاداة الفُسّاق والبراءة منهم، ومع ذلك فهو غير مأمون على الأسرار والاطّلاع عليها. قال الزجّاج: كانت براءة تُسمّى «الحافرة» لأنّها حفرت عن قلوب المنافقين، لأنّه لمّا فُرِضَ القتال تميّز المؤمنون من المنافقين، ومَن يوالي

(١) ما بين المعقوفتين من الحجريّة.

(٢) من أبيات يذكر عمرو بن هند. راجع ديوان طَرَفة بن العبد: ص١٦١ وفيه: «تضايق عنها أن تولّجه ...».

(٣) أورد صدره في الصحاح مادّة «ولج» وعجزه في مجاز القرآن: ج١ ص٢٥٤، وفيه: «ضعواتٍ» وفي الحجريّة «عصوات» وفي هامش الصحاح نسبه لجرير ولم نعثر عليه في ديوانه.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص٤٢٦.

(٥) في الحجريّة: «تأنيباً».

المؤمنين ممّن يُوالي أعداءهم[١].

قوله تعالى:

﴿مَاكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن‌كثير وأبوعمرو: ﴿مسجدالله﴾ على‌التوحيد، الباقون على‌الجمع. فمن قرأ على التوحيد، قال الحسن: أراد به المسجد الحرام. وبه قال الجُبّائي. ويحتمل أن يكون أراد المساجد كلّها، لأنّ لفظ الجنس يدلّ على القليل والكثير. ومَن قرأ على‌الجمع يحتمل أن يكون أراد جميع المساجد، ويحتمل أن يكون أراد المسجد الحرام، وإنّما جمع لأنّ كلّ موضعٍ منه مسجد يُسْجَد عليه، فالقراءتان متناسبتان. والأصل في «المسجد»: هو موضع السجود، وفي العرف يُعبّر به عن البيت المهيّأ لصلاة الجماعة فيه.

أخبر الله تعالى أنّه ليس لمشركٍ أن يعمر مسجد الله، و«العمارة»: أن يجدّد منه ما استرمّ[٢] من الأبنية، ومنه: قولهم: «اعتمر» إذا زار، لأنّه يجدّد بالزيارة ما استرمّ من الحال.

وقوله: ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ نصب على الحال، فالشهادة خبر عن علم مشاهدةٍ وذلك بأن يشاهد المعنى، أو يظهر ظهور ما يُشاهَد كظهور المعنى في شهادة أن لا إله إلّا الله. والمعنيُّ بذلك أحد شيئين:

أحدهما: أنّ فيما يخبرون به دليلاً على كفرهم، لا أنّهم يقولون: نحن كفّار، ولكن‌كمايقال للرجل: إنّ‌كلامك ليشهد أنّك ظالم، هذا قول الحسن.

والثاني: قال السُدّي: إنّ النصراني إذا سُئِل ما أنت؟ قال: نصراني، واليهودي يقول: أنا يهودي، وعابد الوثن يقول: مشرك، فذلك شهادتهم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٣٧.

(٢) استرم الحائط أي حان له أن يرمّ إذا بعد عهده بالتطيين. (لسان العرب: رحم)

على أنفسهم بالكفر.

وقال الكلبي: معناه: شاهدين على النبيّ بالكفر، وهو من أنفسهم.

وقوله: ﴿أُولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾ إخبار منه تعالى أنّ أعمال هؤلاء الّذين شهدوا على أنفسهم بالكفر باطلة بمنزلة ما لم يعمل، لأنّهم أوقعوها على وجهٍ لا يستحقّ بها الثواب، وأنّهم مع ذلك مخلّدون في نار جهنّم، معذّبون بأنواع العذاب.

قوله تعالى:

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ آية.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه ينبغي ألّا ﴿يعمر مساجد الله﴾ إلّا ﴿مَن آمن بالله و﴾ أقرّ بوحدانيّته واعترف باليوم الآخر يعني: يوم القيامة، ثمّ ﴿أقام﴾ بعد ذلك ﴿الصلاة﴾ بحدودها، وأعطى ﴿الزكاة﴾ الواجبة ـ إن وجبت عليه ـ إلى مستحقّها ﴿ولم﴾ يَخَفْ سوى ﴿الله﴾ أحداً من المخلوقين، فإذا فعلوا ذلك فإنّهم يكونون ﴿من المهتدين﴾ إلى الجنّة ونيل ثوابها، لأنّ «عسى» من الله واجبة ليست على طريق الشكّ، وهو قول ابن‌عبّاس والحسن. وقال قوم: إنّما قال: ﴿عسى﴾ ليكونوا على طريق الحذر[1] ممّا يحبط أعمالهم.

ويدخل في عمارة المساجد عمارتها بالصلاة فيها، والذكر لله والعبادة له، لأنّ تجديد أحوال الطاعة لله [من أوكد الأسباب الّتي تكون بها عامرة، كما أنّ إهمالها][2] من أوكد الأسباب في إخرابها.

---

(١) في الخطّيّة: «على حذر» بدل «على طريق الحذر».

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة، أثبتناه من الحجريّة.

وذكر قوله: ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلّا الله﴾ بعد ذكر قوله: ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ يدلّ على أنّ الإيمان لا يقع على أفعال الجوارح، لأنّه لو كان الإيمان متناولاً لذلك أجمع لما جاز عطف ما دخل فيه عليه، ومَن حمل ذلك على أنّ المراد به التفصيل وزيادة البيان فيما يشتمل على الإيمان تاركٌ للظاهر.

و «الخشية»: انزعاج النفس لتوقّع ما لا يؤمن من الضرر، تقول: خَشِيَ يَخْشَى خَشْيَةً فهو خاشٍ، ومثله: خافَ يَخافُ خَوْفاً ومَخَافَةً فهو خائفٌ، و«الخاشي» نقيض «الآمن». و«الاهتداء» المذكور في الآية هو التمسّك بطاعة الله الّتي تؤدّي إلى الجنّة، وفاعلها يُسمّى مهتدياً.

قوله تعالى:

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَايَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَايَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ آية.

خاطب الله تعالى بهذه الآية قوماً جعلوا القيام بسَقْي الحجيج وعمارة المسجد الحرام من الكفّار مع مقامهم على الكفر مساوياً أو أفضل من إيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، فأخبر تعالى أنّهما لا يستويان عند الله في الفضل، لأنّ الّذي آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله أفضل ممّن قام بسقي الحجيج ولم يفعل ذلك. وفي الآية حذف أحد أمرَيْن: أحدهما: أن يكون تقديره: كإيمان من آمن بالله، فأقام الاسم مقام المصدر لأنّ أصل «السقاية» مصدر، كما قال الشاعر:

لَعَمْرُك ما الفِتْيانُ أن تَنْبُتَ اللِحَىٰ ولكِنَّما الفِتْيانُ كُلُّ فَتىً نَدِي[1]

---

(١) أنشده الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٢٧ ولم ينسبه لأحد.

أي: فتيان نبات. و«السِقَاية»: آلة تُتّخذ لسقي الماء، وقيل: كانوا يسقون الحجيج الماء والشراب. وبيت البئر سقاية أيضاً.

قال الرُمّاني: المشبّه لا يجوز أن يكون مجاهداً في سبيل الله، لأنّه لا يعرف الله فيتّبع أمره في ذلك، والمجبّر إذا عرف الله صحّ أن يكون مطيعاً بالجهاد لاتّباعه أمر الله فيه.

ورُوِي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام: أنّ الآية نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام والعبّاس [1].

وروَى الطبري بإسناده عن ابن عبّاس: أنّها نزلت في العبّاس حين قال يوم بدر: إن سبقتمونا إلى الإسلام والهجرة لم تسبقونا إلى سقاية الحاجّ وسَدَنَة البيت، فأنزل الله الآية [2].

ورَوَى الطبري بإسناده عن الحسن: أنّها نزلت في عليّ والعبّاس وعثمان وشَيْبَة [3].

وقال الشعبي: نزلت في عليّ والعبّاس [4]. وبه قال ابن وهب والسُدّي [5].

وقوله: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ إخبار منه تعالى أنّه لا يهدي أحداً ممّن ظلم نفسه وكفر بآيات الله وجحد وحدانيّته إلى الجنّة، كما أنّه يهدي إليها مَن كان عارفاً بذلك فاعلاً لطاعته مجتنباً لمعصيته.

واختلفوا في سبب نزول الآية: فقال قوم: سأل المشركون اليهود فقالوا: نحن سُقَاة الحجيج وعُمّار المسجد الحرام، أفنحن أفضل أم محمّد

---

(١) رواه العيّاشي في تفسيره: ج ١ ص ٨٣ ح ٣٤ و٣٥.

(٢) في تفسيره: ج ١٠ ص ٦٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٨.

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره في ذيل الآية، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ص ٢٤٤ وما بعده، بأسانيد عدّة.

(٥) المصدر السابق.

وأصحابه؟ فقالت اليهود لهم: أنتم أفضل؛ عناداً للنبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين. وقال آخرون: تفاخر المسلمون الّذين جاهدوا والّذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا، فنزلت الآية، ذكره الزجّاج[١].

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ آية بلا خلاف.

موضع ﴿الّذين﴾ رفع بالابتداء، وخبره: ﴿أعظم درجة﴾ أخبر الله تعالى: أنّ ﴿الّذين آمنوا﴾ [يعني]: صدّقوا بالله واعترفوا بوحدانيّته، وأقرّوا بنبوّة نبيّه ﴿وهاجروا﴾ [عن] أوطانهم الّتي هي دارالكفرإلى دارالإسلام ﴿وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجةً عند الله﴾ ومعناه: يتضاعف فضلهم عندالله مع شرف الجنس، ولو قال: «أعلى درجةً» أفاد شرف الجنس فقط.

وقوله: ﴿وأُولئك هم الفائزون﴾ إخبار منه تعالى أنّ مَن وصفه هم الّذين يظفرون بالبغية ويدركون الطلبة، لأنّ الفوز هو الظفر بالبغية، وهو و«الفلاح» و«النجاح» نظائر. وقيل: إنّه يلحق بمثل منزلة المجاهد مَن لم يجاهد، بأن يجاهد في طلب العلم الديني فيتعلّمه ويعلّم غيره ويدعو به إلى الله[٢]. وربما كانت هذه المنزلة فوق تلك.

فإن قيل: كيف قال: ﴿أعظم درجةً﴾ من الكفّار بالسقاية والسدانة؟

قلنا: على ما روينا عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام وابن عبّاس وغيرهم لا يتوجّه السؤال [عن ذلك][٣] لأنّ المفاضلة جرت بينهم، لأنّ لجميعهم الفضل عند الله. ومَن لا يقول ذلك يجيب عنه بجوابَيْن: أحدهما:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٢ ص ٤٣٨.

(٢) في الحجريّة: يدعو إليه وإلى الله.

(٣) ما بين المعقوفتين من الحجريّة.

أنّه على تقدير: أنّ لهم بذلك منزلة كما قال تعالى: ﴿أصحاب الجنّة يومئذٍ خيرٌ مستقَرّاً﴾ (١) هذا قول الحسن وأبي عليّ. الثاني: قال الزجّاج: المعنى: أعظم من غيرهم درجة (٢).

و«الّذي» يجوز وصفها، ولايجوز وصف «من» إذا كانت بمعنى «الّذي» لأنّ «من» يكون تارةً معرفةموصولة [وأُخرى يكون نكرة موصوفة وليس كذلك «الّذي» لأنّها لا يكون إلّا معرفة موصولة] (٣) فلذلك افترقا. وقيل: معنى الفائزين: أنّهم الظافرون بثواب الله الّذي استحقّوه على طاعتهم.

قوله تعالى:

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ آية بلاخلاف.

في الآية إخبار من الله تعالى بالبشارة، وإعلام للّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا برحمةٍ من جهته تعالى، و«البشرى» و«البشارة»: الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه، تقول: بَشّرْتُه وأُبشِّرُهُ بُشْرىً، وأبْشِرُ إبْشاراً، واستَبْشَرَ استبشاراً، وتَبَاشَرَ تباشُراً، وَبَشّرَهُ تَبْشيراً. فأمّا باشَرَهُ مُباشَرَةً فبمعنى: لاقَاهُ ببشرته.

﴿ورضوان﴾ وهومعنىً يستحقّ بالإحسان، يدعو إلى الحمد على ماكان، ويضادّ: سخط الغضبان، تقول: رَضِيَ رضاً وَرِضْواناً، وأرْضاه إرْضَاءً، وتَرَضّاهُ تَرَضِّياً، وارتَضَاهُ ارتِضَاءً، واستَرْضاهُ استِرْضاءً، وتَراضَوْا تَراضِياً.

وقوله: ﴿وجنّات﴾ يعني: البساتين الّتي يجنّها الشجر، وأمّا الرياض فهي الموطّأة للخُضر الّتي قد ينبت فيها نبات الزهر، ومنه: «الرياضة» لأنّها توطئة لتقريب العمل.

---

(١) الفرقان: ٢٤.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٣٨.
(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في المطبوعتين.

[وقوله]: ﴿لهم فيها نعيم مقيم﴾ فالنَعيم: لين العيش اللذيذ، وهو مشتقّ من «النَعْمَة» وهي اللين، وأمّا «النِعْمَة» بكسر النون فهي منفعة يستحقّ بها الشكر لأنّها كَنَعْمِ العيش، و«المقيم»: الدائم، بخلاف الراحِل، فكأنّه قال: المقيم أبداً.

قوله تعالى:

خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ آية بلا خلاف.

﴿خالدين﴾ نصب على الحال من الهاء والميم في قوله: ﴿لهم﴾ والخُلُود في العرف: الدوام في الشيء، كالخُلُود في الجنّة مأخوذ من قولهم: «خَلَد هذا الكتاب في الديوان» على تقدير الدوام من غير انقطاع. و«الأبد»: الزمان المستقبل من غير آخر، كما أنّ «قطّ» للماضي تقول: مارأيته قطّ، ولا أراه أبداً. وجمع «الأبد»: آباد وأُبُود، تقول: لاأفعل ذلك أبد الأبيد، وتأبّدَ المنزلُ: إذا أقفر وأتى عليه الأبَدُ، والأوابِدُ: الوحش، سُمِّيت بذلك لطول أعمارها وبقائها، وقيل: لم يَمُت الوحشي حَتْف أنفه وإنّما يموت بآفةٍ، وجاء فلان بآبِدَة أي: بداهية، وأتان أبِدٌ: تسكن القَفر متأبِّدة.

وقوله: ﴿إنّ الله عنده أجر عظيم﴾ إخبار منه تعالى أنّ عنده الجزاء، أي: في مقدوره الجزاء الّذي يستحقّ بالأعمال، تقول: أجَرَهُ يأْجُرُهُ أجراً، وآجَرَهُ إجارَةً، واستأجَرَهُ استِئْجاراً، ومنه: الأجير.

وقوله: ﴿عظيم﴾ يعني: كبير[١] متضاعف لاتبلغه نعمة غيره من الخلق، و«الأبد»: قطعة من الزمان متناهية[٢] في اللغة، قال الحرّ بن البَعِيث[٣]:

(١) في الخطّيّة: «كثير» بدل «كبير».
(٢) في الحجريّة: قطعة من الدهر متتابعة.
(٣) في الخطّيّة: «جرير» بدل «الحرّ بن البعيث».

أَهَاجَ عليك الشَوْقَ أطلالُ دِمْنَةٍ بناصِفَةِ البُرْدَيْنِ أو جانِبِ الهَجْلِ
أتى أَبَدٌ من دون حِدْثانِ عَهْدِها وجَرّتْ عَلَيها كُلُّ نافِجَةٍ شَمْلِ(١)

ومن الدليل على أنّ «الأبد» قطعة من الدهر أنّه ورد مجموعاً في كلامهم، قالت صفيّة بنت عبدالمطّلب تخاطب ولدها الزُبَيْر:

وخَالَجت آباد الدُهورِ عليكُمُ وأسماء لم تشعرْ بذلكَ أيّمُ
فَلَو كانَ زَبْرٌ مُشْركاً لَعَذَرْتُه ولكن زَبْراً يَزْعمُ الناس مُسلمُ

ويقال: تأبّدَ الربيع إذا مرّ عليه قطعة من الدهر، وليس يعنون بذلك أنّه مرّ عليه أبدٌ لا غاية له، قال مُزَاحِم العقيلي:

أتَعْرفُ بالغَرِّينَ داراً تَأبّدَتْ مِن الحيِّ واستَبْقَتْ عليها العَوَاصِفُ

فأمّا «الخلود» فليس في كلام العرب ما يدلّ على أنّه بقاء لا غاية له، وإنّما يخبرون به عن البقاء إلى مدّةٍ، كما قال المخبّل السَعْدِي:

إلّا رَماداً هامِداً دَفَعَتْ عَنْه الرياحَ خَوالِدٌ سُحْمُ(٢)

أراد دفع الرياح عن النّوى إلى هذا الوقت هذه الأثافي الّتي بقيت إلى هذا الوقت.

قوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ آية بلا خلاف .

رُوي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام: أنّ هذه الآية نزلت في حاطِب ابن أبي بَلْتَعَة حيث كتب إلى قريش بخبر النبيّ صلى الله عليه وآله حين أراد فتح مكّة.

(١) أنشده في اللسان: مادة «شمل».
(٢) أنشده الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٤٣.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتّخاذ آبائهم وإخوانهم أولياء متَى استَحبّوا الكفر وآثروه على الإيمان. و«الاتّخاذ» هو الافتعال من أخذ الشيء، و«الاتّخاذ»: إعداد الشيء لأمرٍ من الأُمور، واتّخاذهم أولياء: هو أن يعتقدوا موالاتهم ووجوب نصرتهم فيما ينوبهم، وليس ذلك بمانع من صلتهم والإحسان إليهم، لأنّه تعالى حثَّ على ذلك فقال: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾[١]. و«الأب» و«الوالد» نظائر، و«الأخ»: الشقيق في النسب من قِبَل الأب والأمّ، وكلّ من رجع[٢] مع آخر إلى واحد في النسب من والد ووالدة فهو أخ. و«الأولياء»: جمع وليّ وهو من كان مختصّاً بإيلاء النصرة[٣] في وقت الحاجة. وقال الحسن: مَن تولّى المشركَ فهو مشرك. وهذا إذا كان راضياً بشركه، ويكون سبيله سبيل مَن يتولّى الفاسق أن يكون فاسقاً.

وقوله: ﴿إن استحبّوا الكفر على الإيمان﴾ معناه: إن طلبوا محبّة الكُفر على الإيمان، وقد يكون استحبّ بمعنى: أحبّ، كما أنّ استجابَ بمعنى: أجاب، ثمّ أخبر تعالى: أنّ مَن استَحبّ الكفّار على المؤمنين فإنّهم أيضاً ظالمون نفوسهم، والباخسون حظّها من الثواب، لأنّهم وضعوا الموالاة في غير موضعها [لأنّ موضعها أهل الإيمان][٤].

قوله تعالى:

قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوٰنُكُمْ وَأَزْوٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوٰلٌ

(١) لقمان: ١٥.
(٢) في الخطّيّة: «رفع» بدل «رجع».
(٣) في الحجريّة: التصرّف.
(٤) ما بين المعقوفتين من الخطّيّة.

ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أبوبكر عن عاصم: ﴿وعشيراتكم﴾ على الجمع، الباقون على التوحيد.

مَن جمع فلأنّ كلّ واحد من المخاطبين له عشيرة، فإذا جمع قال: وعشيراتكم، ومَن أفرد فلأنّ: «العشيرة» تقع على الجمع. وقال أبو الحسن[1]: العرب لا تجمع «العشيرة»: عشيرات، وإنّما يقولون: عشائر.

أمر الله تعالى بهذه الآية نبيّه ﷺ أن يخاطب هؤلاء الّذين تخلّفوا عن الهجرة إلى دار الإسلام، وأقاموا بدار الكفر، وقال الجُبّائي: هو خطاب للمؤمنين أجمع، وتحذير لهم من ترك الجهاد، وحثّ لهم عليه. فأمره أن يقول لهم: ﴿إن كان آباؤكم﴾ الّذين ولدوكم ﴿وأبناؤكم﴾ الّذين ولدتموهم، وهم الأولاد الذكور ﴿وأزواجكم﴾ جمع «زوجة» وهي المرأة الّتي عقد عليها عقدة نكاح صحيح، لأنّ ملك اليمين والمعقود عليها عقد شبهة لا تُسمّى زوجة ﴿وعشيرتكم﴾ وهي[2] الجماعة الّتي ترجع إلى عقدٍ كعقد العِشْرَةِ، ومنه: «المعاشرة» وهي الاجتماع على عقدٍ يعمّ، ومنه: «العشار»: النوق الّتي أتى على حملها عشرة أشهر ﴿وأموال﴾ جمع مال ﴿اقترفتموها﴾ أي: اقتطعتموها واكتسبتموها، ومثله: «الاحتراف» و«الاقتراف»: اقتطاع الشيء عن مكانه إلى غيره ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ يعني: ما اشتريتموه طلباً للربح تخافون خسرانها ووقوفها ﴿ومساكن﴾ جمع مسكن، وهي المواضع الّتي تسكنونها وترضونها ﴿أحبّ إليكم من الله ورسوله﴾ يعني: آثر

---

(١) أراد: الأخفش.

(٢) في الخطّيّة: «ذلكم» بدل «وهي».

في نفوسكم وأقرب إلى قلوبكم، و«المحبّة»: إرادة خاصّة للشيء، فَمَن أحبّ الجهاد فقد أراد فعله، [و] مَن أحبّ الله أراد شكره وعبادته، ومن أحبّ النبيّ أراد إجلاله وإعظامه. والّذي اقتضى نزول هذه الآية: محبّتهم الّتي منعتهم عن الهجرة.

وقوله: ﴿فتربّصوا﴾ أي: فتثبّتوا، و«التربُّص»: التثبّت في الشيء حتّى يجيء وقته. و«التربّص» و«التنظّر» و«التوقّف» نظائر في اللغة، ونقيضه: التَعجّل بالأمر. وقال مجاهد: قوله ﴿حتّى يأتي الله بأمره﴾ من عقوبة عاجلة أو آجلة.

وقوله: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ معناه: أنّه لا يهديهم إلى الثواب والجنّة، لأنّه تعالى قد هداهم إلى الإيمان فقال: ﴿وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى﴾[1].

قوله تعالى:

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ آية بلاخلاف.

أقسم الله تعالى في هذه الآية ـ لأنّ لام ﴿لقد﴾ لام القَسَم ـ بأنّه نصر المؤمنين ﴿في مواطنَ كثيرةٍ﴾ و «مواطن» في موضع جرّ بـ «في» وإنّما نُصِب لأنّه لا ينصرف، لأنّه جمع لا نظير له في الآحاد فلا ينصرف، وجُرّ ﴿كثيرة﴾ على الموضع وأنّثه على اللفظ. و«مواطن» جمع «موطن». ومعنى «النصر»: المعونة[2] على العدوّ، و«المعونة» قد تكون في حمل الثقيل، وتكون في شراء متاع، وتكون في قضاء حاجة، ولا يكون النصر إلّا المعونة على العدوّ خاصّةً. و«الموطن»: هو الموضع الّذي يقيم فيه

(١) فصّلت: ١٧.

(٢) في الحجريّة: «الغلبة» بدل «المعونة».

صاحبه، وإنّما قد أقاموا في هذه المواطن للقتال.

ومعنى ﴿كثيرة﴾: رُوِي عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّها كانت ثمانين موطناً[١]. و«الكثيرة» عدّة زائدة على غيرها، فهي: كثيرة بالإضافة إلى ما دونها، وقليلة بالإضافة إلى ما فوقها.

وقوله: ﴿ويوم حُنَين﴾ [معناه: ونصركم في يوم حنين][٢] و«حُنَيْن» اسم وادٍ بين مكّة والطائف، في قول قَتادَة.

وقال عُرْوَة[٣]: هو وادٍ إلى جانب ذي المِجَاز. فلذلك صُرِفَ، ويجوز ترك صرفه على أنّه اسم للبقعة، قال الشاعر:

نَصَروا نَبيّهُم وشَدُّوا أزْرَهُ بِحُنَيْنَ يومَ تَواكُلِ الأبطالِ[٤]

وقوله: ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ فالإعجاب: السرور بما يُتَعجَّب منه، و«العجب»: السرور بالنفس على الفخر بما يُتَعجّب منه. وقال قَتادَة: إنّه كان سبب انهزام المسلمين يوم حُنَيْن: أنّ بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين يوم حُنَيْن لأنّهم كانوا اثني عشر ألفاً، فقال: لن نُغْلَب اليوم عن قلّة، فانهزموا بعد ساعة. وقيل: إنّهم كانوا عشرة آلاف. وقال بعضهم: ثمانية آلاف. والأوّل أشْهَر. ولمّا انهزموا لم يبقَ مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا تسعة نفر من بني هاشم، وأيْمَن ابن أُمّ أيْمَن، والعبّاس بن عبدالمطّلب، وأبوسفيان بن الحارث ابن عبدالمطّلب، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام في آخرين، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله كفّاً من الحصباء فرماهم به وقال: «شاهَت الوجوه» فانهزم المشركون.

وقوله: ﴿فلم تغن عنكم شيئاً﴾ معناه: لم تغنِ كثرتكم شيئاً، الإغناء:

---

(١) رواه الصدوق في معاني الأخبار: ٢١٨.
(٢) ما بين المعقوفتين من الخطّيّة.
(٣) في الخطّيّة: وقال غيره.
(٤) قائله حسّان بن ثابت مذكور في ديوانه: ج ١ ص ٥١٢.

إعطاء ما يرفع الحاجة، ولذلك قيل في الدعاء: أغناك الله وقوله: ﴿فلم تغن عنكم شيئاً﴾ معناه: لم تُعْطِكُم ما يرفع حاجتكم.

وقوله: ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ معناه: ليس فيها موضع يصلح لكم لفراركم عن عدوّكم، و«الضيق»: مقدار ناقص عن مقدار، و«الرَحْب»: السعة في المكان، وقد يكون في الرزق، و«السعة»: في النفقة.

وقوله: ﴿ثمّ ولّيتم مدبرين﴾ فالإدبار: الذهاب إلى جهة الخَلْف، والإقبال: إلى جهة القُدّام، والمعنى: ولّيتم عن عدوّكم منهزمين، وتقديره: ولّيتموهم الأدبار.

وكان غَزْوَة حُنَيْن عقيب الفتح في شهر رمضان أو في شوّال سنة ثمان.

فإن قيل: كيف قال: إنّه نصرهم في مواطن كثيرة، والمؤمنون منصورون في جميع الأحوال؟

قلنا عنه جوابان: أحدهما: أنّ ذلك إخبار بأنّه نصرهم دفعات كثيرة، ولا يدلّ على أنّه لم ينصرهم في موضع آخر. وقال البلخي: لأنّهم لمّا انهزموا لم يكونوا منصورين، وكان ذلك منهم خطأ وإن وقع مكفَّراً.

قوله تعالى:

ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه حين انهزم المسلمون وبقي النبيّ صلى الله عليه وآله في نفرٍ من قومه أنّه أنزل السكينة، وهي الرحمة الّتي تسكن إليها النفس ويزول معها الخوف، حتّى رجعوا إليهم وقاتلوهم وهزمهم الله تعالى بأن أنزل النصر وأنزل السكينة، وقيل: السكينة هي الطمأنينة والأمنة. وقال الحسن: هي

الوقار، قال الشاعر:

لِلّٰهِ قَبرٌ غَـالَها مـاذَا يَـجنٌّ لَقد أجَنّ سكينةً ووقَار[١]

وقوله: ﴿وأنزل جنوداً لم تروها﴾ و«الجـنود»: هـي الجـموع[٢] الّـتي تصلح للحروب، والمراد بها هاهنا: الملائكة، جُنْد وأجْنَاد وجُنُود، فأنزل الله الملائكة مدداً للمؤمنين، وقال الجُبّائي: إنّما نزلت الملائكة يوم حُنَيْن من جهة الخاطر الّذي يشجّع قلوبهم ويُجبّن عنهم أعداءهم، ولم تقاتل إلّا يوم بدر خاصّةً.

وقوله: ﴿وعذّب الّذين كفروا﴾ معناه هـاهنا: القـتل والأسـر وسـلب الأموال مع الإذلال والصغار، ثمّ قال: ﴿وذلك﴾ يعني: ذلك العذاب ﴿جزاء﴾ من جحد نِعَم الله وأنكر وحدانيّته، وجحد نبوّة نبيّه مع ما أعدّه لهم مـن عذاب النار.

قوله تعالى:

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ آية بلاخلاف.

معنى ﴿ثمّ﴾ هاهنا: العطف على الفعل الأوّل، وقد ذكرت ﴿ثمّ﴾ فـي ثلاثة مواضع متقاربة: فالأوّل: عطف على ما قبلها، والثانية: عطف عـلى ﴿ولّيتم مدبرين ثمّ أنزل الله سكينته﴾ والثالثة: عطف على ﴿أنزل ... ثمّ يتوب﴾ وإنّما حسن عطف المستقبل على الماضي لأنّه مشاكله، فإنّ الأوّل تذكير بنِعَمِه والثاني وعد بنِعَمِه.

و«التوبة»: هي الندم على ما مضى من القبيح، والعزم على أن لا يعود

---

(١) أنشده أبو عُبَيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٥٥ ونسبه إلى أبي عُرَيْف الكُلَيْبي.

(٢) في الخطّيّة: «الجمع» بدل «الجموع».

إلىمثله: إمّا في الجنس أو في القبح على الخلاف فيه. فشرط الندم بالعزم، لأنّ الندم إنّما هو على الماضي والعزم على ما يستقبل. فلو لم يجتمعا لم تكن توبة.

ومعنى ﴿ثمّ يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾: أنّه يقبل التوبة من بعد هزيمة مَن انهزم، ويجوز أن يكون المراد: بعد كُفْر مَن كَفَر [يقبل] توبة مَن يتوب ويرجع إلى طاعة الله والإسلام، ويندم على ما فعل من القبيح ﴿على من يشاء﴾ وإنّما علّقه بالمشيئة لأنّ قبول التوبة وإسقاط العقاب عندها تفضّل ـ عندنا ـ ولو كان ذلك واجباً لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة، كما لم يعلّق الثواب على الطاعة والعِوَض على الألم في موضع بالمشيئة، ومَن خالف في ذلك قال: إنّما علّقها بالمشيئة لأنّ منهم من له لطف يؤمّن عنده. فالله تعالى يشاء أن يلطف له مع صرف العمل في ترك التوبة إلى الله.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ معناه: أنّه ستّار للذنوب، لا يفضح أحداً على معاصيه بل يسترها عليه إذا تاب منها، وهو رحيم بعباده.

قوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين، يخبرهم فيه: بأنّ المشركين أنجاس، ويأمرهم أن يمنعوا المشركين من أن ﴿يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم [هذا﴾ أي:] الّذي أشار إليه، وهي سنة تسع من الهجرة الّتي نبذ فيها براءة المشركين، وكانت بعده حجّة الوداع، وهو قول قَتادَة وغيره من

المفسّرين. والمراد بالمسجد الحرام: الحَرَم كلّه، في قول عطاء وغيره.

وكلّ شيء مستَقْذَر في اللغة يُسمّى نَجْساً، فإذا [استعملت هذه اللفظة مع الرجس قيل: «رجس نجس» بخفض الراء والنون، وإذا][١] استعمل مفرداً قيل: «نَجَس» بفتح النون والجيم معاً، ويقع على الذكر والأُنثى سواء. وظاهر الآية يقتضي: أنّ الكفّار أنجاس، ولا يجوز مع ذلك أن يُمَكّنوا من دخول شيءٍ من المساجد، لأنّ شركهم أُجْرِي مجرى القذر الّذي يجب تجنّبه. وعلى هذا مَن باشَرَ يد كافرٍ وجب عليه أن يغسل يده إذا كانت يده أو يد المشرك رطبة، وإن كانت أيديهما يابستَيْن مسحها بالحائط. وقال الحسن: مَن صافح مشركاً فليتوضّأ. ولم يفصِّل.

واختلفوا في هل يجوز دخولهم المسجد الحرام بعد تلك السنة أم لا؟ فرُوِي عن جابر بن عبدالله وقَتادَة: أنّه لا يدخله أحد إلّا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الذمّة.

وقال عمر بن عبدالعزيز: لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام، ولا يدخل أحد من اليهود والنصارى سائر المساجد[٢] بحال. وهذا هو الّذي نذهب إليه. وقال الطبري وقَتادَة: سُمُّوا أنجاساً لأنّهم لا يغتسلون من جنابة.

وقوله: ﴿وإن خفتم عيلة﴾ فالعَيْلَة: الفقر، تقول: عالَ يَعِيلُ إذا افتقر، قال الشاعر:

وما يَدْري الفَقيرُ مَتى غِناه ... وما يَدْري الغَنيُّ متى يَعِيلُ[٣]

وكانوا خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين، فقال الله تعالى: ﴿وإن

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الحجريّة.

(٢) في الحجريّة: شيئاً من المساجد.

(٣) أنشده في الصحاح: مادّة «عيل» ونسبه إلى أُحَيْحَة بن الحلّاج.

خفتم عيلة﴾ يعني: فقراً بانقطاعهم، فالله يغنيكم من فضله إن شاء، في قول قَتادَة ومجاهد. وإنّما علّقه بالمشيئة لأحد أمرَيْن:

أحدهما: لأنّ منهم من لا يبلغ هذا المعنى الموعود به، لأنّه يجوز أن يموت قبله، في قول أبي عليّ.

الثاني: لتنقطع الآمال إلى الله تعالى، كما قال: ﴿لتدخلنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمين﴾[١].

وقوله: ﴿إنّ الله عليم حكيم﴾ معناه: عالم بمصالحكم، حكيم في منع المشركين من دخول المسجد الحرام.

قوله تعالى:

قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَايُحَرِّمُونَ مَاحَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَايَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ آية بلا خلاف .

قوله تعالى: ﴿قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ أمر من الله تعالى لنبيّه والمؤمنين بأن يقاتلوا الّذين لا يعترفون بتوحيد الله ولا يقرّون باليوم الآخر والبعث والنشور. وذلك يدلّ على صحّة مذهبنا في اليهود والنصارى وأمثالهم أنّهم[٢] لا يجوز أن يكونوا عارفين بالله وإن أقرّوا بذلك بلسانهم، وإنّما يجوز أن يكونوا معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلمٍ، والآية صريحة بأنّ هؤلاء الّذين هم أهل الكتاب الّذين تؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وأنّه يجب قتالهم ﴿حتّى يعطوا الجزية عن يدٍ﴾ ومَن قال: إنّهم[٣] يجوز أن يكونوا عارفين بالله تعالى، قال: الآية

---

(١) الفتح: ٢٧. (٢) في الحجريّة: أنّه. (٣) في الخطّيّة: إنّه.

خرجت مخرج الذمّ لهم، لأنّهم بمنزلة من لا يقرّ به في عِظَم الجرم، كما أنّهم بمنزلة المشركين في عبادة الله بالكفر. وقال الجُبّائي: لأنّهم يضيفون إليه ما لا يليق به، فكأنّهم لا يعرفونه. وإنّما جُمِعَت هذه الأوصاف لهم ولم يذكروا بالكفّار من أهل الكتاب التحريض على قتالهم بما هم عليه من صفات الذمّ الّتي توجب البراءة منهم والعداوة لهم.

وقوله: ﴿ولا يدينون دين الحقّ﴾ يدلّ على أنّ دين اليهوديّة والنصرانيّة غير دين الحقّ، وذلك يقوّي أنّهم غير عارفين بالله، لأنّهم لو كانوا [عارفين به لكانوا][1] في ذلك محقّين. فأمّا اعتقادهم بشريعة التوراة فإنّما وصف بأنّه غير حقّ لأمرَيْن:

أحدهما: أنّها نُسِخَت، فالعمل بها بعد النسخ باطل غير حقّ.

الثاني: أنّ التوراة الّتي [هي] معهم مُغَيّرة مُبَدّلة، لقوله: ﴿يحرّفون الكلم عن مواضعه﴾[2] ويقلّبونه عن معانيه.

وقوله: ﴿ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله﴾ معناه: أنّهم لا يعترفون بالإسلام الّذي هو الدين الحقّ، ولا يسلّمون لأمر الله الّذي بعث به نبيّه محمّداً ﷺ في تحريم حرامه وتحليل حلاله. و«الدين» في الأصل: الطاعة، قال زُهَيْر:

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بني أَسَدٍ ... في دينِ عَمْرٍو وحالَتْ بيننا فَدَك[3]

وقوله: ﴿حتّى يعطوا الجزية عن يدٍ﴾ فالجِزْية: عطيّة عقوبة جزاء على

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الحجريّة.

(٢) النساء: ٤٦، المائدة: ١٣.

(٣) من قصيدة ذمٍّ للحارث الصيداوي عندما أغار على غنم الشاعر واستاقها وراعيه يساراً. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٥١.

الكفر بالله على ما وظّفه[١] رسول الله ﷺ على أهل الذمّة ـ وهو على وزن «جِلْسَة» و«قِعْدَة» لنوعٍ من الجزاء ـ. وإنّما قيل: ﴿عن يدٍ﴾ ليفارق حال الغضب على الآخذ[٢] وقال أبو عليّ: معناه: يعطونها من أيديهم، يجيئون بها بنفوسهم لا ينوب عنهم فيها غيرهم إذا قدروا عليه، فيكون أذلّ لهم. وقال قوم: معناه: عن نقد، كما يُقال: باع يداً بيدٍ[٣]. وقال آخرون: معناه: عن يدٍ لكم عليهم ونعمة تسدونها إليهم بقبول الجزية منهم[٤]. وقال الحسين بن عليّ المغربي: معناه: عن قهر، وهو قول الزجّاج[٥].

وقوله: ﴿وهم صاغرون﴾ فالصَغَار: الذلّ والنكال الّذي يَصْغَرُ قدر صاحبه، صَغُرَ يَصْغَرُ صَغَاراً [فهو صاغِرٌ][٦] وقيل: الصَغار: إعطاء الجِزية قائماً والآخذ جالس، ذهب إليه عِكْرِمَة.

والجِزْية لا تُؤْخذ عندنا إلّا من اليهود والنصارى والمجوس، وأمّا غيرهم من الكفّار على اختلاف مذاهبهم من عُبّاد الأصنام والأوثان والصابئة وغيرهم فلا يُقْبَل منهم غير الإسلام أو القتل أو السبي. وإنّما كان كذلك لِمَا علم الله تعالى من المصلحة في إقرار هؤلاء على كفرهم ومنع ذلك في غيرهم، لأنّ هؤلاء على كفرهم يقرّون بألسنتهم بالتوحيد وبعض الأنبياء وإن لم يكونوا على الحقيقة عارفين، وأُولئك يجحدون ذلك كلّه، فلذلك فرّق بينهما.

فإن قيل: إعطاء الجِزْية منهم لا يخلو أن يكون طاعةً أو معصيةً، فإن

---

(١) في الحجريّة: على ما وضعه. (٢) في الحجريّة: الغصب على إقرار حدّ.
(٣) منهم الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٧٧.
(٤) ذكره الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٥١ ونسبه إلى أبي عُبَيدة.
(٥) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٤٢ (٦) ما بين المعقوفتين سقط من الخطّيّة.

كان معصية فكيف أمرالله بها؟ وإن كان طاعةً وجب أن يكونوا مطيعين لله.

قلنا: إعطاؤهم ليس بمعصية، وأمّا كونها طاعة لله فليس كذلك، لأنّهم إنّما يعطونها دفعاً لقتل أنفسهم[1] لا طاعة لله، فإنّ الكافر لا يقع منه طاعة عندنا بحال، لأنّه لو فعل طاعةً لله لاستحقّ الثـواب، والإحـباط بـاطل، فكان يجب أن يكون مستحقّاً للثواب، وذلك خلاف الإجماع.

قوله تعالى:

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ﴿عُزَير ابنالله﴾ بالتنوين عاصم والكسائي وعبدالوارث عن أبي عمرو، الباقون بترك التنوين. وقرأ عاصم وحـده: ﴿يضاهؤن﴾ بـالهمزة، البـاقون بغير همزة.

مَن ترك التنوين في ﴿عزير﴾ قيل في وجه ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: لأنّه أعجمي معرفة لاينصرف. والثاني: لأنّ «ابن» هاهنا صفة بين عَلَمَيْن، والخبر محذوف، والتقدير: معبودنا أونبيّنا عُزَير ابنالله. الثالث: أنّه حذف التنوين لالتقاء الساكنَيْن تشبيهاً بحرف اللين، كما قال الشاعر:

فألْـفَيْتُه غَـيْرَ مُسْـتَعْتَبٍ ولا ذاكِرَ ٱلله إلّا قَليلا[2]

هذا الوجه قول الفرّاء[3] وعند سيبويه هو ضرورة في الشعر. وقال أبو عليّ: مَن نوّنه جعله مبتدأً وجعل «ابناً» خبره، ولابدّ مع ذلك من التنوين فـي

---

(١) في الحجريّة: دفعاً للقتل عن أنفسهم.

(٢) لأبي الأسود الدؤلي، من قصيدة يذمّ امرأة تزوّجها فطلّقها. راجع ديوانه: ص ٤٩.

(٣) انظر معاني القرآن: ج ١ ص ٤٣١.

حال السعة والاختيار، لأنّ عُزيراً وغيره، ينصرف، عجميّاً كان أو عربيّاً[١].

ومَن حذف التنوين يحتمل وجهَيْن:

أحدهما: أنّه جعل الموصوف والصفة بمنزلة اسم واحد، كما يقال: «لا رجل ظريف»[٢] وحذف التنوين ولم يحرّك لالتقاء الساكنَيْن، كما يحرّك: يا زيد العاقل، لأنّ الساكنَيْن كأنّهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة، فحذف الأوّل منهما ولم يحرّك لكثرة الاستعمال.

والوجه الآخر: أن يجعل الأوّل مبتدأ والآخر الخبر، مثل مَن نوّن وحذف التنوين لالتقاء الساكنَيْن، وعلى هذا قراءة من قرأ[٣]: ﴿قل هو الله أحدُ الله﴾ فحذف التنوين لالتقاء الساكنَيْن.

فإن قيل: كيف أخبر الله [عن اليهود بأنّهم يقولون: «عُـزَيْر ابـن الله» واليهود تنكر هذا؟!

قلنا: إنّما أخبر الله][٤] بذلك عنهم لأنّ فيهم من كان يذهب إليه، والدليل على ذلك: أنّ اليهود في وقت ما أنزل الله القرآن سمعت هذه الآية فلم تنكرها، وهو كقولك: الخوارج تقول بتعذيب الأطفال، وإنّما يقول بذلك الأزارقة منهم خاصّةً. وقال ابن عبّاس: القائل لذلك جماعة جاؤوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا له ذلك، وهم: سلّام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف[٥] فأنزل الله فيهم الآية.

وقوله: ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ معناه: أنّه لا يرجع إلى معنىً صحيح، فهو لا يجاوز أفواههم، لأنّ المعنى الصحيح ما رجع إلى ضرورة العقل

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣١٨.

(٢) في الخطّيّة: «الا رجل ظريف» بدل «لا رجل ظريف».

(٣) نسب هذه القراءة ابن خالويه في مختصر شواذّ القرآن: ص ١٨٢ إلى نصر بن عاصم وأبي عمرو.

(٤) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

(٥) في الخطّيّة: «الضيف» بدل «الصيف».

أو حجّته أو برهانه أو دليل سمعي.

وقوله: ﴿يضاهئون قول الّذين كفروا من قبل﴾ معناه: يشابهون، ومنه قولهم: «امرأة ضَهْيَاء»[١] الّتي لا تحيض ولا تخرج ثدياها، أي: أشبهت الرجال. وقال أبو عليّ الفارسي: ليست ﴿يضاهئون﴾ من قولهم: امرأة ضَهْيَاء، لأنّ هذه الهمزة زائدة غير أصليّة، لأنّه ليس في الكلام شيء على وزن «فَعْيَلاً» ويشبه أن يكون ذلك لغة، كما قالوا: أرجأت وأرجيت. واختار الزجّاج أن تكون الهمزة أصليّة، كما جاء كثير من الأشياء على وزنٍ لا يطّرد نحو: «كَنَهْبَل»[٢] وهو الشجر العظام. وكذلك «قَرَنْفُل» لا نظير له، ووزنه: «فَعَنْلُل».

وقال ابن‌عبّاس: ﴿الّذين كفروا﴾ أراد به عَبَدَة الأوثان. وقال الفرّاء: شابهوهم في عبادة اللّات والعزّى ومناة الثالثة الأُخرى[٣]. وقال قوم: في قولهم: الملائكة بنات الله. وقال الزجّاج: شابهوهم في تقليدهم أسلافهم في هذا القول.

وقوله: ﴿قاتلهم الله﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال ابن‌عبّاس: معناه: لعنهم‌الله. الثاني: معناه: قتلهم‌الله، كقولهم: عافاه الله أي أعفاه من السوء. الثالث: أنّه كالمقاتل لغيره في عداوة الله.

وقوله: ﴿أنّى يؤفكون﴾ معناه: كيف يُصرَفون عن الحقّ إلى الإفك الّذي هو الكذب؟ ورجل مأفُوك عن الخير، وأرض مأفوكة: صُرِفَ عنها المطر، قال الشاعر:

---

(١) كذا، وفي اللسان: «امرأةٌ ضَهْيَأٌ» بوزن «فَعْلأٌ».

(٢) على وزن «فَنَعْلَل».

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٣٣.

أنّى ألمّ بك الخيالُ يَطيفُ(١)

قوله تعالى:

اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن هؤلاء اليهود [والنصارى] الّذين حكى حكايتهم أنّهم ﴿اتّخذوا أحبارهم﴾ وهو جمع «حَبْر» وهو العالم الّذي صناعته تَحبير المعاني بحسن البيان عنها. وقيل: حَبْر وحِبْر ـ بفتح الحاء وكسرها ـ حكاه الفرّاء. و«الرهبان»: جمع راهب، وهو الخاشي الّذي يظهر عليه اللباس الخشنة(٢). وقد كثر استعماله على متنسّكي النصارى.

ورُوِي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّ معنى «اتّخاذهم إيّاهم أرباباً» قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف ما أمر الله [تعالى](٣) وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام(٤) فسمّى الله ذلك اتّخاذهم إيّاهم أرباباً من حيث كان التحريم والتحليل لا يسوّغ إلّا لله تعالى، وهو قول أكثر المفسّرين.

وقوله: ﴿والمسيح ابن مريم﴾ عطف على «الأرباب» أي: واتّخذوا عيسى ربّاً.

وقوله: ﴿وما أُمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ معناه: أنّ الله تعالى لم يأمر هؤلاء اليهود والنصارى ولا غيرهم إلّا بعبادة الله وحده لا شريك له، ثمّ أخبر فقال: ﴿لا إله إلّا هو سبحانه﴾ يعني: تنزيهاً له عمّا يشركون، ومعنى

---

(١) صدر بيت لكعب بن زهير وعجزه: ومطافه لك ذكرة وشعوف، راجع ديوانه: ص ٥٨.

(٢) كذا في الخطّية، وفي الحجريّة: عليه للناس الخشية، وفي مجمع البيان: عليه لباس الخشية.

(٣) رواه الترمذي في سننه: ج ٥ ص ٢٧٨ ح ٣٠٩٥، والطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٨٠ ـ ٨١ مسنداً عن طرق عدّة.

(٤) رواه العيّاشي عنهما عليهما السلام في تفسيره: ج ٢ ص ٨٦ ـ ٨٧ ح ٤٥ ـ ٤٩.

«سبحانه»: براءة من الله من السوء، كما قال الشاعر:

أَقُــولُ لمّــا جــاءَني فَـخْرُهُ   سُبْحانَ مِن عَلْقَمة الفـاخِرِ[١]

والآية تدلّ على أنّ المشرك مع الله في التحليل والتحريم على مخالفة أمر الله كالمشرك في عبادة الله، لأنّ استحلال ما حرّم الله كفر بإجماع، وكلّ كافر مشرك. ولا يلزم على ذلك أن يكون من قبل الشيطان بإغوائه فارتكب المعاصي أن يكون كافراً على ما استدلّ به بعض الخوارج، لأنّ العاصي إذا قبل من الشيطان ما يعتقد أنّه معصية ولا يقصد بذلك طاعة الشيطان ولا تعظيمه يكون فاسقاً ولا يكون كافراً، وليس كذلك من ذكره الله تعالى في الآية، لأنّهم كانوا يقبلون تحريم علمائهم وأحبارهم ويقصدون بذلك تعظيمهم.

ولا يلزم على ذلك قبول العامّي من العالِم، لأنّ العامّي يعبد بالرجوع إلى العالِم فيقبل منه ما أدّى اجتهاده إليه وعلمه، فإذا قصد العالِم وأفتاه بغير ما علمه فهو المخطئ دون المستفتي. وليس كذلك هؤلاء، لأنّهم ماكانوا تعبّدوا بالرجوع إلى الأحبار والقبول منهم، لأنّهم لو كانوا تعبّدوا بذلك لما ذمّهم الله على ذلك.

قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ آية إجماعاً .

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفّار من اليهود والنصارى أنّهم ﴿يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم﴾ والإطفاء: إذهاب نور النار، ثمّ استُعْمِل في إذهاب كلّ نور، و﴿نور الله﴾: القرآن والإسلام، في قول المفسّرين: السُدّي

---

(١) للأعشى من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة. راجع ديوان الأعشى: ص ٩٤.

والحسن. وقال الجُبّائي: ﴿نور الله﴾ الدلالة والبرهان، لأنّه يُهتدى بهما كما يُهتدى بالأنوار.

وواحد «الأفواه» : «فم» في الاستعمال، وأصله: «فَوَه» فحُذِفَت الهاء وأُبدِلَت من الواو ميم، لأنّه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها. ولمّا سمّى الله تعالى الحُجَج والبراهين «نوراً» سمّى معارضتهم له: «إطفاءً» وأضاف ذلك إلى الأفواه، لأنّ الإطفاء يكون بالأفواه، وهو النَفْخ. وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم، لأنّ النفخ يؤثّر في الأنوار الضعيفة دون الأقباس العظيمة، ذكره الحسين بن عليّ المغربي.

وقوله: ﴿ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره﴾ فالإباء: الامتناع ممّا طلب من المعنى، قال الشاعر:

وَإِن أَرادُوا ظُلْمَنا أبينا

أي: منعناهم من الظُلْمِ. وليس «الإباء» من الكراهية في شيءٍ على ما تقوله المجبّرة، لأنّهم يقولون: فلان يأبى الضيم، فيمدحونه، ولا مدحة في كراهية الضيم لتساوي الضعيف والقويّ في ذلك، وإنّما المدح في المنع منه ولذلك مُدِحَ عروة بن الورد بأنّه أبيٌّ للضيم، بمعنى: أنّه ممتنع منه، وقوله: «وإن أرادوا ظُلْمنا أبينا» يدلّ على ذلك، لأنّه لا مدحة في أن يكرهوا ظلم من يظلمهم، وإنّما المدحة في منع من أراد ظلمهم.

و«المعنى» في الآية: يمنع الله إلّا إتمام نوره ولو كره الكافرون، ولايجوز على قياس ﴿ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره﴾ أن تقول: ضربت إلّا أخاك، لأنّ في «الإباء» معنى النفي، فكأنّه قال: لا يمكّنهم الله إلّا أن يتمّ نوره، وإذا لم يكن في اللفظ مستثنىً منه لم تدخل «إلّا» في الإيجاب[1]

---

(١) العبارة في الخطّيّة هكذا: وإذا لم يكن في اللفظ إلّا مستثنى منه لم تدخل في الإيجاب.

وتدخل في النفي على تقدير الحذف، قال الشاعر:

وهَل لي أُمٌّ غَيرها إن تَـرَكْـتُها أَبَى الله إلّا أن أكُونَ لها ابنما[١]

والتقدير في الآية: ويأبى الله كـلّ شـيء إلّا إتـمام نـوره، فـي قـول الزجّاج[٢] وأنكر أن يكون في الآية معنَى الجحد.

قوله تعالى:

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ آية .

أخبر الله تعالى بأنّـه ﴿هو الّذي أرسل رسوله﴾ مـحمّداً صلى الله عليه وآله وحـمّله الرسالة الّتي يؤدّيها إلى أُمّته ﴿بالهدى﴾ يعني: بالحجج والبيّنات والبـيان لمـا يـؤدّيهم العـمل بـه إلى ثـواب الجـنّة، و﴿دين الحقّ﴾ هـو الإسـلام وما تضمّنه من الشرائع، لأنّه الّذي يستحقّ عليه الجزاء بالثواب، وكلّ دين سواه باطل لأنّه يستحقّ به العقاب.

ومن شأن الرسول أن يكون أفضل من جميع أُمّته من حـيث يـجب عليهم طاعته وامتثال ما يأمرهم به بما هو مصلحة لهم، ولأنّه رئيس لهم في الدين، ويقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه.

وقوله: ﴿ليظهره على الدين كلّه﴾ معناه: ليعلي دين الإسلام على جميع الأديان بالحجّة والغَلَبة والقهر لهم، وقال البـلخي: ظـهوره عـلى جـميع الأديان بالحكم لأنّ جميع الأديان نال[٣] المسلمون مـنهم وغـزوا فـيهم وأخذوا سبيهم وجزيتهم.

وفي الآية دلالة على صدق نبوّته صلى الله عليه وآله لأنّها تضمّنت الوعـد بـظهور

---

(١) للمتلمس الضبعي راجع ديوانه: ص ٣٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٤٤.

(٣) في الخطّيّة: بدل «نال»: نالوا.

الإسلام على جميع الأديان، وقد صحّ ظهوره عليها. وقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ ذلك يكون عند خروج المهديّ عليه السلام(١). وقال ابن عبّاس: [إنّ الهاء في ﴿ليظهره﴾ عائدة إلى الرسول صلى الله عليه وآله أي:](٢) يعلّمه الله الأديان كلّها حتّى لا يخفى عليه شيء منها.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يعلمهم: ﴿أنّ كثيراً من﴾ أحبار اليهود وعلمائهم ورؤسائهم، وكثيراً من رهبان النصارى ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ من حيث كانوا يأخذون الرشا في الأحكام ـ في قول الحسن والجُبّائي ـ وأكل المال بالباطل، تملّكه من الجهات الّتي يحرم منها أخذه.

وقيل في معنى ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ وجهان:

أحدهما: أنّهم يتملّكون، فوضع «يأكلون» موضعه، لأنّ الأكل غرضهم. والآخر: يأكلون متاع أموال الناس من الطعام، فكأنّهم يأكلون الأموال، لأنّها ثمن المأكول، كما قال الشاعر:

ذَرِ الآكلِينَ الماءَ لؤماً فَما أرى   يَنالُونَ خيراً بعد أكْلِهِم الماءَ(٣)

أي: ثمن الماء.

وقوله: ﴿ويصدّون عن سبيل الله﴾ معناه: يمنعون غيرهم من اتّباع

---

(١) رواه العيّاشي في تفسيره: ج ١ ص ٨٧ ح ٥٢ عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

(٣) أنشده في اللسان: مادّة «أكل» ولم ينسبه إلى أحد، وفيه: «من الآكلين الماء ظُلْماً ...».

الإسلام الّذي هو سبيل الله الّتي دعاهم إلى سلوكها، والغرض بذلك التحذير من اتّباعهم، والتهوين على المسلمين مخالفتهم.

وقوله: ﴿والّذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ معناه: الّذين يُخَبّؤون أموالهم من غير أن يخرجوا زكاتها، لأنّهم لو أخرجوا زكاتها وكنزوا ما بقي لم يكونوا ملومين بلا خلاف، وهو قول ابن عبّاس وجابر وابن عمر والحسن والسُدّي والجُبّائي قال: وهو إجماع. وأصل «الكنز»: كبس الشيء بعضه على بعض، ومنه قولهم: كنز التمر والطعام، قال الهُذَلِيّ:

لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أطْعَمْتُ نَازِلَكُمْ   قِرْفَ الحَتِيِّ وعِنْدي البُرُّ مَكْنُوزُ[1]

الحَتِيُّ: سُوِيْقُ المُقْلِ.

وقوله: ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ إنّما لم يقل: «ولا ينفقونهما» لأحد أمرَيْن:

أحدهما: أن تكون الكناية عائدة إلى مدلول عليه، وتقديره: ولا ينفقون الكنوز أو الأموال. والآخر: أن يكون اكتفى بأحدهما عن الآخر للإيجاز، ومثله: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها﴾[2] وقال حسّان:

إنّ شَرْخَ الشبابِ والشَعَرَ الأسـ   ـودَ مالَمْ يُعاصَ كان جُنُونا[3]

ولَم يقُل يعاصيا وقال الآخر:

نَحنُ بما عِنْدَنا وأنْتَ بِما   عِنْدَكَ راضٍ والرأيُ مختَلِفُ[4]

وكان يجب أن يقول[5]: راضيان. ومعنى البيت: نحن بماعندنا راضون

---

(١) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ٢ ص ٨٩.

(٢) الجمعة: ١١.

(٣) راجع ديوان حسّان بن ثابت: ج ١ ص ٢٣٦.

(٤) لقيس بن الخطيم، راجع ديوانه: ص ٢٣٩.

(٥) في الخطّيّة: «يكون» بدل «يقول».

وأنت بما عندك راضٍ، وحُذِفَ الخبر من الأوّل لدلالة الثاني عليه، كما حُذِف المفعول في الثاني لدلالة الأوّل عليه في قوله: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ (١) والتقدير: والذاكرات الله، ومثل ذلك الآية، وتقديرها: والّذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله ويكنزون الفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله. وموضع ﴿والّذين يكنزون﴾ يحتمل وجهَيْن من الإعراب:

أحدهما: أن يكون نصباً بالعطف على اسم ﴿إنّ﴾ وتقديره: ويأكلها الّذين يكنزون الذهب(٢). الثاني: أن يكون رفعاً على الاستئناف.

وقال ابن عمر: كلّ ما أخرَجْتَ زكاته فليس بكنز. وبه قال عِكْرِمَة.

وقال الجُبّائي وغيره: ﴿الّذين يكنزون﴾ نزلت في مانعي الزكاة من أهل الصلاة. وقال قوم: نزلت في المشركين(٣). والأولى أن تُحمل الآية على العموم في الفريقَيْن.

وقوله: ﴿فبشّرهم بعذاب أليم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّ أصل «البُشرى» ممّا يظهر في بَشَرَة الوجه من فرح أو غمّ، إلّا أنّه كثر استعماله في الفرح، كما قال الجعدي:

وأراني طَرِباً في إثْرِهِم طَرَبَ الوَالِهِ أو كالمُخْتَبَلِ(٤)

لأنّ أصل «الطَرَب» ما يستخفّ من سرور أو حزن. والثاني: أنّه وضع «الوعيد بالعذاب الأليم» موضع «البشرى بالنعيم».

ورُوِي(٥) عن عليّ عليه السلام أنّه قال: كلّ مالٍ زاد على أربعة آلاف فهو

---

(١) الأحزاب: ٣٥.
(٢) في الحجريّة: «ويأكلون الّذين ...» بدل «ويأكلها الّذين ...».
(٣) منهم الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٤٤.
(٤) أنشده في اللسان: مادّة «خبل» ولم ينسبه لأحد.
(٥) رواه عنه عليه السلام الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ٨٣ ـ ٨٤ مسنداً عن جعدة بن هبيرة.

كنز، أدّيتَ زكاته أو لم تؤدَّ، وما دونها فهو نفقة.

وقال أبوذرّ: مَن ترك بيضاء أو صفراء كُوِيَ بها[١].

وسئل رسول الله ﷺ عند نزول هذه الآية: أيّ مال نتّخذ؟ فقال: «لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة تعين أحدكم على دينه»[٢].

قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَاكَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَاكُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ آية بلا خلاف.

قوله: ﴿يوم يُحمى﴾ متعلّق بقوله: ﴿فبشّرهم بعذاب أليم﴾ في يوم يحمى عليها، ومعناه: أنّه يُدخل الذهب والفضّة إلى النار فيوقد عليها، يعني: على الكنوز الّتي كنزوا، فالهاء في قوله: ﴿عليها﴾ عائدة على الكنوز أو الفضّة.

و «الإحماء»: جعل الشيء حارّاً في الإحساس، وهو فوق الإسخان، وضدّه: «التبريد» تقول: حَمَى حِمَىً، وأحْمَاهُ إحماءً واحتمى احتماءً إذا امتنع من حرّ النار.

وقوله: ﴿فتكوى﴾ فالكَيّ: إلصاق الشيء الحارّ بالعضو من البدن، ومنه: قولهم: «آخر الداء الكيّ» لغلظ أمره، كقطع العضو إذا عَظُمَ فساده، تقول: كَوَاه يَكْوِيه كَيّاً، واكتَوَى اكتِوَاءً.

وقوله: ﴿جباههم﴾ جمع «جَبْهَة» وهي صفحة أعلى الوجه فوق الحاجبَيْن، وَجَبَهَهُ بالمكروه يَجْبَهُهُ جَبْهاً: إذا استقبله به. ﴿وجنوبهم﴾ جمع «جَنْب». و«الجَنْب» و«الضِلْع» و«الأيطل» نظائر. ﴿وظهورهم﴾ جمع

---

(١) أخرجه الطبري أيضاً: ج ٦ ص ٣٥٩ مرفوعاً عن النبيّ ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ج ٥ ص ٣٦٦، والطبري أيضاً في تفسيره: ج ١٠ ص ٨٤ مسنداً عن سالم بن أبي الجعد.

«ظَهْر» وهو الصفحة العليا من خلف، المقابلة للبَطْن، يقال: «كَتَب في ظهر الدرج وبطنه» إذا كتب في جانبيْه. والمعنى: أنّ الله يحمي هذه الكنوز بالنار ليكوي بها جباه مَن كنزها ولم يخرج حقّ الله منها وجنوبهم [وظهورهم] فيكون ذلك أشدّ لعذابهم وأعظم لخزيهم.

وقوله: ﴿هذا ما كنزتم﴾ أي: يقال لهم: هذا ما ذخرتموه لأنفسكم ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ ومعناه: فالقوا وذوقوا[1] جزاء ما كنتم تدّخرونه من منع الزكوات والحقوق الواجبة في أموالكم.

قوله تعالى:

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ آية بلاخلاف.

قرأ أبو جعفر: ﴿اثنا عَشْر﴾ و﴿أحد عَشْر﴾ و﴿تسعة عَشْر﴾ بسكون الشين فيهنّ، إلّا أنّ النهرواني روى عنه حذف الألف الّتي قبل العين.

لمّا ذكر الله تعالى وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير إخراج حقّ الزكاة وغيرها من حقوق الله منه[2] اقتضى ذلك أن يذكر النهي عن مثل حاله، وهو الظلم في الأشهر الحُرُم الّذي تؤدّي إلى مثل حاله أو شرّ منها في سوء المنقلب، فأخبر تعالى ﴿إنّ عِدّة الشهور﴾ في السنة على ما تُعبّد المسلمون بأن يجعلوه لسنتهم دون ما يعتبره مخالفو الإسلام ﴿اثنا عشر شهراً﴾ وإنّما قُسّمت السنة اثني عشر شهراً لتوافق أمر الأهلّة مع نزول

(١) في الحجريّة: «فاطعموا» بدل «فالقوا وذوقوا».

(٢) في الحجريّة: «الحقوق الّتي لله» بدل «حقوق الله».

الشمس في اثني عشر بُرْجاً تجري على حساب متّفق، كما قال: ﴿والشمس والقمر بحُسْبان﴾ [(١)] و«الشهر»: مأخوذ من: «شهرة أمره» لحاجة الناس إليه في معاملاتهم، ومحلّ ديونهم، وحجّهم، وصومهم، وغير ذلك من مصالحهم المتعلّقة بالشريعة.

وقوله: ﴿في كتاب الله﴾ معناه: فيما كتبه الله في اللوح المحفوظ، وفي الكتب المنزلة على أنبيائه. وقوله: ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾ متّصل بـ﴿عند الله﴾ والعامل فيها الاستقرار.

ثمّ بيّن أنّ من هذه الاثني عشر شهراً أربعة حُرُم وهي: ذوالقعدة، وذوالحجّة، والمحرّم، ورجب، ثلاثة سَرْدٌ وواحد فرد كما يعتقده العرب. ومعنى ﴿حُرُم﴾: أنّه يعظّم انتهاك المحارم فيها أكثر ممّا يعظّم في غيرها، وكانت العرب تعظّمها حتّى أنّ رجلاً لو لقي قاتل أبيه لم يهجه لحرمته.

وإنّما جعل الله تعالى بعض الشهور أعظم حرمةً من بعضٍ لما علم في ذلك من المصلحة في الكفّ عن الظلم فيها لعظم منزلتها، وأنّه ربما أدّى ذلك إلى ترك الظلم أصلاً، لانطفاء النائرة تلك المدّة وانكسار الحميّة، فإنّ الأشياء تجرّ إلى أشكالها.

وقوله: ﴿ذلك الدين القيّم﴾ معناه: التديّن بذلك هو الدين المستقيم.

وقوله: ﴿فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم﴾ نهي منه تعالى لخلقه عن أن يظلموا أنفسهم، لأنّ مَن فعل قبيحاً يستحقّ عليه العقاب فقد ظلم نفسه بذلك بإدخال الضرر عليها. وقال أبو مسلم: معناه: لا تَدَعُوا قتال عدوّكم في هذه الأشهر بأجمعهم[(٢)] ولا تمتنعوا من أحدٍ إلّا من دخل تحت الجزية

(١) الرحمن: ٥.

(٢) في الحجريّة: بأجمعكم.

والصَغَار وكان من أهلها، بدلالة قوله: ﴿وقاتلوا المشركين كافّة﴾ و«كافّة» مشتقّة من: «كُفَّة الشيء» وهي طَرَفُه، وإنّما أُخِذ من: أنّ الشيء إذا انتهى إلى ذلك كفّ عن الزيادة: ولا يُثنّى «كافّة» ولا يُجْمع.

وقوله: ﴿وقاتلوا المشركين كافّة﴾ أمر منه تعالى بقتال المشركين أجمع، أمر الله تعالى المؤمنين بأن يقاتلوهم كما أنّ المشركين يقاتلونهم كذلك.

والضمير في قوله: ﴿فيهنّ﴾ يحتمل أن يكون عائداً على ﴿الشهور﴾ كلّها، على ما قال ابن‌عبّاس. ويحتمل أن يعود على «الأربعة الحُرُم» على ما قال قَتادَة لعِظَم أمرها، واختار الفرّاء رجوعه إلى الأشهر الحُرُم، وقال: لأنّه لو رجع إلى «الاثني عشر» لقال: فيها[١].

والصحيح أنّ الجميع جائز، وإنّما خصّ الأربعة أشهر بذلك في قول قَتادَة لتعاظم الظلم، لا أنّ الظلم يجوز فعله على حال من الأحوال.

وقوله: ﴿ذلك الدين القيّم﴾ معناه: ذلك الحساب الصحيح هو الدين القيّم، لا ما كانت عليه العرب من النسيء. وقيل: معناه: ذلك التديّن هو الدين القيّم.

وقوله: ﴿كافّة﴾ نصب على المصدر، ولا يدخل عليها الألف واللام، لأنّه من المصادر الّتي لا تنصرف لوقوعه موقع «معاً» و«جميعاً» بمعنى المصدر الّذي هو في موضع الحال المؤكّدة[٢] فهو في لزوم النكرة نظير «أجمعين» في لزوم المعرفة.

وقوله: ﴿واعلموا أنّ الله مع المتّقين﴾ [أمر من الله تعالى [ل] خلقه أن يعرفوا أنّه تعالى مع المتّقين][٣] لمعاصيهم وما يؤدّي إلى عقابه، ويكون

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٣٥.

(٢) في الحجريّة: «المذكورة» بدل «المؤكّدة».

(٣) ما بين المعقوفتين من الخطّيّة.

معهم بالنصرة والولاية دون الاجتماع في مكانٍ أو محلٍّ، لأنّ الله لا يجوز عليه ذلك، لأنّه من أمارات الحدث.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٧﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أبو جعفر وابن فرج عن البزّي: ﴿إنّما النَسيُّ﴾ بالتشديد من غير همز، قلب الهمزة ياءً وأُدغم الياء الأولى فيها فلذلك شدّد. الباقون: ﴿النَسِيء﴾ ممدود مهموز على وزن «فعيل» وروى[1] ابن مجاهد وابن مسعود[2] عن عُبَيْد بن عقيل عن شِبْل عن ابن كثير: ﴿النَسْءُ﴾ على وزن «النَسْع». وقرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر ﴿يُضَلّ﴾ بضمّ الياء وفتح الضاد، وقرأ يعقوب بضمّ الياء وكسر الضاد [الباقون بفتح الياء وكسر الضاد][3].

وقال أبو عليّ: وجه قراءة ابن كثير إذا قرأه على وزن «النَسْع» أنّ ﴿النسيّ﴾ التأخير، قال أبو زيد: نَسَأْتُ الإبلَ في ظِمْئِها يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك، والمصدر «النَسْء» ويقال: الإبل نَسَأْتها على الحوض، وأنا أَنْسَؤُها إذا أخّرتها عنه. قال[4]: وما رُوِي عن ابن كثير من قراءته بالياء فذلك على إبدال الياء من الهمزة، ولا أعلمها لغة في «التأْخير» كما أنّ «أرجيت» لغة في «أرجأت». وما رُوِي فيه من التشديد فعلى تخفيف الهمزة، لأنّ «النسيّ» بتشديد الياء على وزن «فعيل» تخفيف قياسي،

(١) رواه في السبعة في القراءات: ص ٣١٤، الحجّة: ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) في الخطّيّة: «سعدان» بدل «مسعود».

(٣) ما بين المعقوفتين من الحجريّة.

(٤) أي: أبو عليّ.

وسيبويه لا يجيز نحو هذا القلب الّذي في «النسي» إلّا في ضرورة الشعر، وأبو زيد يراه ويروي كثيراً عن العرب[١].

ومَن قرأ بالمدّ والهمز فلأنّه أكثر هذا في المعنى، قال أبو زيد: أَنْسَأْتُه الدَيْن إنْساءً إذا أَخّرته، واسم ذلك: «النَسِيئَة» و «النساء». وكان «النسيء في الشهور» تأخير حرمة شهرٍ إلى شهرٍ آخر ليست له تلك الحرمة، فيحرّمون بهذا التأخير ما أحلّ الله، ويحلّون ما حرّم الله. و«النسيء» مصدر ك «النذير» و«النكير» و«عذير الحيّ» ولا يجوز أن يكون «فعيلاً» بمعنى «مفعول» لأنّه إن حمل على ذلك، كان معناه: إنّما المؤخّر زيادة في الكفر، والمؤخّر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر، وإنّما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة.

وقال أبو عُبَيْدة فيما رَوى عن الثوري من قوله: ﴿إنّما النسيء زيادة في الكفر﴾ قال: كانوا قد وكّلوا قوماً من بني كِنَانَة يقال لهم: بنو فقيم، وكانوا يؤخّرون المحرّم، وذلك نساء الشهور، ولا يفعلون ذلك إلّا في ذي‌الحجّة إذا اجتمعت العرب للموسم، فينادي منادٍ: أن افعلوا ذلك لحاجة أو لحرب، وليس كلّ سنة يفعلون ذلك، فإن أرادوا أن يحلّوا المحرّم نادوا: هذا صفر وأنّ المحرّم الأكبر صفر، وربما جعلوا صفراً محرّماً مع ذي‌القعدة حتّى يذهب الناس إلى منازلهم إذا نادى المنادي بذلك، وكانوا يسمّون المحرّم صفراً، ويقدّمون صفراً سنةً ويؤخّرونه[٢].

وقال الفرّاء: والّذي يقوم به رجل من بني كِنَانَة يقال له: نُعَيْم بن يَعبرْ[٣] وكان رئيس الموسم، فيقول: أنا الّذي لا أُعاب ولا أُجاب ولا يُردّ

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٢٤.
(٢) راجع مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
(٣) في المصدر: نعيم بن ثعلبة.

لي قضاء، فيقولون: نعم صدقت، أنْسِئْنا شهراً، أو أخّر عنّا حرمة المحرّم واجعلها في صفر وأحِلّ المحرّم، فيفعل ذلك، وإنّما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حُرُم لا يُغِيرُون فيها، وكان معاشهم في الغارة[١]. والّذي كان يَنْسأها حين جاء الإسلام هو جُنَادَة بن عوف بن أبي أُميّة وكان في بني عدوان[٢] قبل بني كِنَانَة، قال الشاعر:

أَلَسْنا النّاسِئِينَ على مَعَدٍّ ... شُهورَ الحِلِّ نَجعَلُها حَراما[٣]

وقال ابن عبّاس: كانوا يجعلون المحرّم صفراً. وقال أبو عليّ: كانوا يؤخّرون الحجّ في كلّ سنة شهراً، وكان الّذين ينسئون: بنو سُلَيْم وغَطَفَان وهَوَازِن. ووافق حجّ المشركين في السنة الّتي حجّ فيها أبو بكر في ذي القعدة، فلمّا حجّ النبيّ ﷺ في العام المقبل وافق ذلك في ذي الحجّة، فلذلك قال: ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض.

وقال مجاهد: فكان النسيء المنهيّ عنه في الآية تأخير الأشهر الحُرُم عمّا رتّبها الله، وكانوا في الجاهليّة يعملون ذلك، وكان الحجّ يقع في غير وقته، واعتقاد حرمة الشهر في غير أوانه، فبيّن تعالى أنّ ذلك زيادة في الكفر.

قال أبو عليّ: مَن قرأ ﴿يَضِلّ﴾ بفتح الياء وكسر الضاد قال: ﴿الّذين كفروا﴾ لا يخلون أن يكونوا مضلّين لغيرهم أو ضالّين هم في أنفسهم، فإذا كان كذلك لم يكن في حسن إسناد الضلال في قوله ﴿يضلّ﴾ إشكال، ألا

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٢) كذا. وفي الطبري ومجمع البيان: جنادة بن عوف بن أُميّة الكناني. وكذلك في الإصابة: ج ١ ص ٢٤٦ برقم ١٢٠٧.

(٣) أنشده في اللسان: مادّة «نسأ» ونسبه إلى عُمير بن قيس بن جِذْل الطِعَان. وفي مجمع البيان نسبه إلى الكُمَيْت.

ترى أنّ المضلّ لغيره ضالّ بفعله إضلال غيره، كما أنّ الضالّ في نفسه الّذي لم يضلّه غيره لا يمتنع إسناد الضلال إليه. ومَن ضمّ الياء وكسر الضاد فمعناه: أنّ كبراءهم وأتباعهم يضلّونهم بأمرهم إيّاهم بحملهم على هذا التأخير في الشهور. ورُوِي في التفسير: أنّ رجلاً من كِنَانَة يقال له: أبو ثُمامة، كان يقول للناس في منصرفهم من الحجّ: إنّ آلهتكم قد أقسمت لنحرمنّ، وربما قال: لنحلّنّ هذا الشهر، يعني: المحرّم فيحلّونه ويحرّمون صفراً، وإن حرّموه أحلّوا صفراً، وكانوا يسمّونها[١] الصفرَيْن، فهذا إضلال من هذا المنادي. ومَن قرأ بضمّ الياء وفتح الضاد ـ وقيل: إنّها قراءة ابن مسعود ـ يقوّي ذلك قوله: ﴿زُيِّن لهم سوء أعمالهم﴾ أي: زيّن ذلك لهم حاملوهم عليه وداعوهم إليه، وعلى هذه القراءة يكون ﴿الّذين كفروا﴾ في موضع رفع بأنّهم فاعلون والمفعول به محذوف، وتقديره: يضلّ بنسي[٢] الشهور الّذين كفروا تابعيهم والآخذين لهم بذلك[٣].

ومعنى قوله: ﴿ليواطئوا﴾ فالمواطأة: موافقة أمر التوطئة به، والمعنى: ليواطئوا العدّة في الأربعة أشهر.

وقوله: ﴿زُيِّن لهم سوء أعمالهم﴾ قال الحسن وأبو عليّ: المزيِّن لهم أنفسهم والشيطان. وقيل: زيّن بالشهوة ليجتنبوا المشتهى، فذكر ذلك للتحذير والاعتراف به. و«التزيين» يكون بمعنى الفعل له ويكون بمعنى تقبّل الطبع[٤].

وإنّما سمّى الله تعالى نسأهم[٥] زيادة في الكفر من حيث إنّهم اعتقدوا أنّ

---

(١) في المطبوعة، يسمّونهما.

(٢) في الحجريّة: «منسئو» بدل «بنسي».

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٣٢٤.

(٤) في الخطّيّة: يكون بمعنى تقبّل الطبع له، ويكون بمعنى تقبّل الفعل.

(٥) في الحجريّة سمّي إنساؤهم.

ذلك صحيح وصواب، فلذلك كان كفراً. فلا حجّة في ذلك أن تكون أفعال الجوارح كفراً.

وقوله: ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ معناه: أنّه لا يهديهم إلى طريق الجنّة إذا كانوا كفّاراً مستحقّين لعقاب الأبد.

قوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لجماعة من المؤمنين، وعتاب وتوبيخ لهم بأنّهم إذا قيل لهم على لسان رسوله: ﴿انفروا في سبيل الله﴾ ومعناه: اخرجوا في سبيل الله، يعني: الجهاد، وسمّاه سبيل الله لأنّ بالقيام به يتوصّل إلى نعيم الجنّة ورضا الله تعالى، و«النفر»: الخروج إلى الشيء لأمرٍ هيّج عليه، وضدّه: الهدوء، تقول: نَفَر إلى الثغر يَنْفِرُ نَفْراً ونَفِيراً، ولا يقال: «النُفُور» إلّا في المكروه[1] كنفور الدابّة عمّا تخاف.

وقوله: ﴿اثّاقلتم إلى الأرض﴾ أصله: «تثاقلتم» وأُدغِمت التاء في الثاء لمناسبتها لها، وأُدخلت ألف الوصل ليمكن الابتداء بها، ومثله: «ادّاركوا» قال الشاعر:

تُولي الضَجيعَ إذا ما استَافَها خَصِراً عَذْبَ المَذَاقِ إذا ما اتّـابَعَ القُـبَلُ[2]

والتثاقل: تعاطي إظهار ثقل النفس، ومثله: التباطؤ، وضدّه: التسرّع.

ومعنى ﴿اثّاقلتم إلى الأرض﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: إلى المقام بأرضكم ووطنكم. الثاني: لما أُخرج من الأرض

---

(١) في الخطّيّة: المنكر.

(٢) أنشده الفرّاء في المعاني: ج ١ ص ٤٣٨ ولم ينسبه لأحد.

من الثمر والزرع، قال الحسن ومجاهد: دُعُوا إلى الخروج إلى غزوة تَبُوك بعد فتح مكّة وغزوة الطائف، وكان أيّام إدراك الثمرة ومحبّة القعود في الظلّ، فعاتبهم الله تعالى على ذلك.

والآية مخصوصة بقومٍ من المؤمنين دون جميعهم، لأنّ من المعلوم أنّ جميعهم لم يكن بهذه الصفة من التثاقل في الجهاد، وهو قول الجُبّائي وغيره. فقال الله تعالى لهم على جهة التوبيخ والتعنيف: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية؟ وهو استفهام والمراد به الإنكار، و«الرضا»: هو الإرادة غير أنّها لا توصف بذلك إلّا إذا تعلّقت بما مضى من الفعل، و«الإرادة» توصف بما لم يوجد بعد، قال تعالى مخبراً: ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلّا قليل﴾ أي: ليس الانتفاع بما يظهر للحواسّ بالإضافة إلى نعيم الآخرة إلّا قليل، أي: قدر يسير، والمراد الانتفاع بما يظهر للحواسّ، ومنه قولهم: تمتّع بالرياض والمناظر الحسان، ويقال للأشياء الّتي لها أثمان: «متاع» تشبيهاً بالانتفاع به.

قوله تعالى:

إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ آية بلا خلاف .

هذا تحذير من الله تعالى لهؤلاء الّذين استبطأهم ووصفهم بالتثاقل عن سبيل الله بقوله: ﴿إلّا تنفروا﴾ أي: إن لم تخرجوا إلى سبيل الله الّتي دُعِيتم إليها من الجهاد ﴿يعذّبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم﴾ يقومون بنصرة نبيّه ولا يتثاقلون فيه، و«الاستبدال»: جعل أحد الشيئين بدل الآخر مع الطلب له، والتعذيب تطويل[1] وقت العذاب، لأنّه من الاستمرار، وقد

(١) في الحجريّة: بطول.

يكون عقاباً وغير عقاب.

وقوله: ﴿ولا تضرّوه شيئاً﴾ قيل فيمن يرجع إليه الهاء قولان:

أحدهما: إنّها تعود على اسم الله تعالى، في قول الحسن، قال: لأنّه غنيّ بنفسه عن جميع الأشياء. والآخر: قال الزجّاج: إنّها تعود إلى النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّ الله عصمه من جميع الناس[1].

وقوله: ﴿والله على كلّ شيء قدير﴾ معناه: قادر على الاستبدال بكم وعلى غيره من الأشياء، وفيه مبالغة.

قوله تعالى:

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَاتَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وحده: ﴿وكلمةَ الله هي العليا﴾ بالنصب عطفاً على قوله تعالى: ﴿وجعل كلمة الّذين كفروا السفلى﴾ على تقدير: وجعل كلمة الله هي العليا، ومَن رفع استأنف، وهو أبلغ لأنّه يفيد: أنّ كلمة الله العليا على كلّ حال.

وهذا أيضاً زجر آخر وتهديد لمن خاطبه في الآية الأولى بأنّهم إن لم ينصروا النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يقاتلوا معه ولم يجاهدوا عدوّه ﴿فقد نصره الله﴾ أي: [قد] فعل الله به النصر حين ﴿أخرجه﴾ الكفّار من مكّة ﴿ثاني اثنين﴾ وهو نصب على الحال، أي: هو ومعه آخر، وهو أبو بكر في وقت كونهما في الغار من حيث قال ﴿لصاحبه﴾ يعني أبابكر: ﴿لا تحزن﴾ أي: لا تخف ولا تجزع ﴿إنّ الله معنا﴾ أي: ينصرنا. و«النصرة» على ضربَيْن: أحدهما:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٤٨.

يكون نعمةً على مَن ينصره. والآخر: لايكون كـذلك، فـنصرة المـؤمنين للنبيّ عليه السلام تكون إحساناً من الناصر إلى نفسه، لأنّ ذلك طاعة لله ولم تكن نعمة على النبيّ صلى الله عليه وآله. والثاني: مَن ينصر غيره لينفعه بما تدعو إليه الحكمة، كان ذلك نعمة عليه، مثل نصرة الله لنبيّه صلى الله عليه وآله.

ومعنى ﴿ثاني اثنين﴾ أحد اثنين، يقولون: هـذا ثـاني اثـنين، وثـالث ثلاثة، ورابع أربعة، وخامس خمسة، لأنّه مشتقّ من المضاف إليـه، وقـد يقولون: خامس أربعة، أي: خمس الأربعة بمصيره فيهم بعد أن لم يكن.

و «الغار»: ثقب عظيم في الجبل، قيل: وهو جبل بمكّة يقال له: ثور، في قول قَتادَة. وقال مجاهد: مكث النبيّ صلى الله عليه وآله في الغار مع أبي بكر ثلاثاً. وقال الحسن: أنبت الله على باب الغار ثُمامَة، وهي شجرة صغيرة. وقال غيره: ألهم الله العنكبوت فنسجت على باب الغار. وأصل «الغار»: الدخول إلى عمق الخباء، و[منه] قوله: ﴿إن أصبح ماؤكم غَوْراً﴾ [١] وغارَتْ عـينُهُ تَغُورُ غَوْراً: إذا دخلت في رأسه، ومنه: أغار على القوم: إذا أخرجهم من أخبيتهم بهجومه عليهم.

وقوله: ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ قيل فيمن تعود الهاء إليه قولان:

أحدهما: قال الزجّاج: إنّها تعود إلى النبيّ صلى الله عليه وآله [٢]. الثاني: قال الجُبّائي: تعود على أبيبكر لأنّه كان الخائف واحتاج إلى الأمـن، لأنّ مَـن وُعِـدَ بالنصر فهو ساكن القلب. والأوّل أصحّ، لأنّ جميع الكـنايات قـبل هـذا وبعده راجعة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ألا ترى أنّ قوله: ﴿إلّا تنصروه﴾ الهاء راجـعة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بلا خلاف، وقوله: ﴿فقد نصره الله﴾ فالهاء أيضاً راجعة إلى

(١) الملك: ٣٠.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٤٩.

النبيّ ﷺ وقوله: ﴿إذ أخرجه﴾ يعني: النبيّ ﷺ ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ يعني: صاحب النبيّ ﷺ ثمّ قال: ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ وقال بعده: ﴿وأيّده بجنود﴾ يعني: النبيّ ﷺ فلا يليق أن يتخلّل ذلك كلّه كناية عن غيره. وتأييد الله إيّاه بالجنود ما كان من تقوية الملائكة لقلبه بالبشارة بالنصر من ربّه، من إلقاء اليأس في قلوب المشركين حتّى انصرفوا خائبين.

وقوله: ﴿وجعل كلمة الّذين كفروا السفلى﴾ أي: جعلها نازلة دنيّة، وأراد بذلك أنّه يسفل وعيدهم للنبيّ ﷺ وتخويفهم إيّاه، وأبطله ونصر رسول الله والمؤمنين عليهم، فعبّر عن ذلك بأنّه يجعل كلمتهم[١] كما قال، [لا أنّه خلق كلمتهم كما قال][٢]: ﴿وجعلوا الملائكة الّذين هم عِبَاد الرحمن إناثاً﴾[٣]. وقيل[٤]: إنّ ﴿كلمة الّذين كفروا﴾ الشرك، و﴿كلمة الله﴾ التوحيد، وهي قول: لا إله إلّا الله. وقيل: كلمتهم هو ما تغامزوا عليه من قتله، و ﴿كلمة الله﴾ ما وعد به من النصر والنجاة.

ثمّ أخبر أنّ ﴿كلمة الله هي العليا﴾ المرتفعة، أي: هي المنصورة بغير جعل جاعل، لأنّها لا يجوز أن تدعو إلى خلاف الحكمة.

وقوله: ﴿والله عزيز﴾ معناه: قادر لا يُقْهَر ﴿حكيم﴾ في أفعاله واضع الأشياء مواضعها، ليس فيها وجه من وجوه القبح.

وليس في الآية ما يدلّ على فضل لأبيبكر، لأنّ قوله: ﴿ثاني اثنين﴾ مجرّد الإخبار أنّ النبيّ ﷺ خرج ومعه غيره. وكذلك قوله: ﴿إذ هما في الغار﴾ خبر عن كونهما فيه. وقوله: ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ لا مدح فيه أيضاً،

---

(١) في الحجريّة، وجعل كلمتهم كذلك.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة، أثبتناه من الحجريّة.

(٣) الزخرف: ١٩. (٤) قاله ابن عبّاس. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ٩٦.

لأنّ تسمية الصاحب لا تفيد فضيلةً، ألَا ترى أنّ الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكَفَرْت بالّذي خلقك﴾ [١] وقد يسمّون البهيمة بأنّها صاحب الإنسان، كقول الشاعر:

وصَاحِبي بازِلٌ شَمُولُ [٢]

وقد يقول الرجل المسلم لغيره: أرسل إليك صاحبي اليهودي، ولا يدلّ ذلك على الفضل. وقوله: ﴿لا تحزن﴾ إن لم يكن ذمّاً فليس بمدح، بل هو نهي محض عن الخوف. وقوله: ﴿إنّ الله معنا﴾ قيل: إنّ المراد به النّبيّ ﷺ ولو أُريد به أبوبكر معه لم يكن فيه فضيلة، لأنّه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يفعل القبيح: لا تفعل إنّ الله معنا، يريد: أنّه مطّلع علينا، عالم بحالنا. و«السكينة» قد بيّنّا أنّها نزلت على النبيّ ﷺ بما بيّنّاه من أنّ التأييد بجنود الملائكة كان يختصّ بالنبيّ ﷺ فأين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد؟ ولم نذكر هذا للطعن على أبي‌بكر، بل بيّنّا أنّ الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح.

قوله تعالى:

انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ آية بلا خلاف .

هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن ينفروا إلى جهاد المشركين ﴿خِفافاً وثِقالاً﴾. وقيل في معنى ﴿خِفافاً وثِقالاً﴾ ثمانية أقوال:

---

(١) الكهف: ٣٨.

(٢) كذا في النُسخ، وهو شطر بيت لعبيد بن الأبرص في الفخر وصدره:

قطعته غدوة مشيحا وصاحبي بادن خبوب

والمشيح: المجد في السير، والبادن: الناقة الجسيمة، والخبوب: الّتي تمشي خبباً، من خبّ، أي راوح بين يديه ورجليه، فعَبّر عن ناقته بصاحبي، انظر ديوان عبيد بن الأبرص: ٢٧.

أحدها: قال الحسن ومجاهد والضحّاك والجُبّائي: إنّ معناه: شُبّاناً وشيوخاً. وثانيها: قال أبوصالح: معناه: أغنياء وفقراء. وثالثها: قال ابن‌عبّاس وقَتادَة: نشاطاً وغير نشاط. ورابعها: قال أبو عمرو: رُكْباناً ومُشَاةً. وخامسها: قال ابن زيد: ذا ضيعة[١] وغير ذي ضيعة[٢]. وسادسها: قال الحَكَم: مشاغيل وغير مشاغيل. وسابعها: قال الفرّاء: ذو العيال والميسرة هم الثِقال، وذو العسرة وقلّة العيال هم الخِفاف[٣]. وثامنها: أن يُحْمل على عمومه فيدخل فيه جميع ذلك، وهو الأوْلى والألْيَق بالظاهر، وهو اختيار الطبري والرُمّاني، ويكون ذلك على حال خِفّة النفير وثقله، لأنّ هذا الّذي ذُكِر يجري مجرى التمثيل لما يعمل هذا العمل به[٤].

وقوله: ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ أمر من الله لهم بأن يجاهدوا في قتال أعدائه بأموالهم وأنفسهم، والجهاد بالمال واجب كالجهاد بالأنفس، وهو الإنفاق في سبيل الله، وظاهر الآية يدلّ على وجوب ذلك بحسب الإمكان، فمن لم‌يطق‌الجهاد إلّا بالمال فعليه‌ذلك، يُعِين به مَن ليس‌له مال.

وظاهر الآية يقتضي وجوب مجاهدة البُغَاة، كما يجب مجاهدة الكفّار، لأنّه جهاد في سبيل الله، ولقوله: ﴿فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾[٥] فأوجب قتال البُغَاة إلى حين يرجعوا إلى الحقّ.

وقوله: ﴿ذلكم خير لكم﴾ إشارة إلى الجهاد، وتقديره: ذلك الجهاد خير لكم، [وإنّما قال: ﴿خير لكم﴾][٦] وإن لم يكن في ترك الجهاد خير لأحد أمرَيْن: أحدهما: خير من تركه إلى المباح. والثاني: أنّ فيه الخير لكم

(١ و ٢) في الحجريّة: صنعة. (٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٣٩.

(٤) في الخطّيّة: «يعمد هذا العقد به» بدل «يعمل هذا العمل به».

(٥) الحُجُرات: ٩. (٦) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

لا في تركه، فلا يكون «خير» بمعنى: أفْعل من كذا.

وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ معناه: إن كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا أنّ هذا خير. وقال أبو عليّ: معناه: إن كنتم تعلمون صدق الله فيما وعد به من الثواب الدائم.

وقال أبو الضُحى: أوّل ما نزل من سورة براءة ﴿انفروا﴾. وقال مجاهد: أوّل ما نزل قوله: ﴿لقد نصركم الله﴾.

وقال ابن‌عبّاس: نسخ هذه الآية قوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافّة﴾[١]. وقال جعفر بن قَيْس[٢]: هذا ليس بمنسوخ، لأنّ المنسوخ ما لا يجوز فعله. وهذا ليس بصحيح، لأنّه يجوز أن يكون وجوبه زال إلى الندب أو الإباحة[٣].

قوله تعالى:

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) آية بلا خلاف.

هذه الآية في قومٍ تخلّفوا عن النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يخرجوا معه إلى غزوة تبوك، وحسن الكناية عنهم وإن لم يجْرِ لهم ذكر، لكونهم داخلين في جملة الّذين أُمروا بالخروج مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الجهاد وأن ينفروا معه.

والمعنى: ﴿لو كان﴾ المدعوّ إليه ﴿عرضاً قريباً﴾ من الغنيمة ومايطمع فيه من المال ﴿وسفراً قاصداً﴾ معناه: سفراً سهلاً باقتصاده من غير طول في آخره[٤].

---

(١) التوبة: ١٢٢. (٢) في الخطّيّة: حيس.

(٣) في الخطّيّة: «لان المنسوخ حال الخوف، وهذا ليس صحيح، لأنّه يجوز أن يكون وجه ذلك إلى الندب أو الاباحة». (٤) في الخطّيّة: «في أمره» بدل «في آخره».

وسُمِّي العدل قصداً لأنّه ممّا ينبغي أن يُقْصَد ﴿لاتّبعوك﴾ يعني: خرجوا معك، وبادروا إلى اتّباعك ﴿ولكن بَعُدَت عليهم الشُقَّة﴾ أي: بَعُدَت عليهم المسافة، لأنّهم دُعُوا إلى الخروج إلى تبوك ناحية الشام، فالشقّة: القطعة من الأرض الّتي يشقّ ركوبها على صاحبها لبُعْدِها، ويحتمل أن يكون من «الشقّ» ويحتمل أن يكون من «المشقّة». و«الشقّة» السفر والمشاقّة[1] وقُرَيْش يضمّون الشين، وقَيْس يكسرونها، وقُرَيش يضمّون العين من ﴿بَعُدت﴾.

وقوله: ﴿وسيحلفون بالله لو آستطعنا لخرجنا معكم﴾ [إخبار منه تعالى أنّ هؤلاء الّذين ذكرهم يحلفون ويقيمون على وجه الاعتذار إليك ويقولون فيما بعد: ﴿لو آستطعنا لخرجنا معكم﴾][2] أي: لو قدرنا وتمكّنّا من الخروج لخرجنا معكم، ثمّ أخبر تعالى: أنّهم ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بذلك، وأخبر تعالى: أنّه ﴿يعلم إنّهم﴾ يكذبون في هذا الخبر الّذي أقسموا عليه.

وفي الآية دلالة على أنّ الاستطاعة قبل الفعل، لأنّهم لا يخلون من أحد أمرَيْن: إمّا أن يكونوا مستطيعين من الخروج وقادرين عليه ولم يخرجوا، أو لم يكونوا قادرين عليه وإنّما حلفوا أنّهم لو قدروا في المستقبل لخرجوا. فإن كان الأوّل فقد ثبت أنّ القدرة قبل الفعل، وإن كان المراد الثاني فقد أكذبهم الله في ذلك وبيّن أنّه لو فعل لهم الاستطاعة لَمَا خرجوا، وفي ذلك أيضاً تقدّم القدرة على المقدور، وليس لهم أن يحملوا الاستطاعة على آلة السفر وعدّة الجهاد، لأنّ ذلك ترك للظاهر من غير ضرورة، فإنّ حقيقة الاستطاعة القدرة، وإنّما يشبّه غيرها بها على ضربٍ من المجاز، على أنّه إذا كان عدم الآلة والعدّة يعذر صاحبه في التأخّر

(١) في الخطّيّة: «المسافة» بدل «المشاقّة».

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

فَمَن ليس فيه قدرة أوْلى بأن يكون معذوراً.

وفي الآية دلالة على النبوّة، لأنّه أخبر أنّهم سيحلفون في المستقبل على ذلك بالله ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ فجاءوا فيما بعد وحلفوا على ما أخبر به.

قوله تعالى:

عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب فيه بعض العتاب للنبيّ صلى الله عليه وآله في إذْنه لمن استأذنه في التأخّر فأذِنَ له، فأخبر الله بأنّه كان الأوْلى أن لا تأذن لهم وتلزمهم الخروج معك، حتّى إذا لم يخرجوا ظهر نفاقهم، لأنّه متى أذِنَ لهم ثمّ تأخّروا لم يُعْلَم ألِنفاقٍ كان تأخّره أم لغيره[1] وكان الّذين استأذنوه منافقين.

وحقيقة «العَفْو»: الصفح عن الذنب، ومثله: «الغُفْران» وهو ترك المؤاخذة على الأجرام، وقد كان يجوز أن يعفو الله عن جميع المعاصي كفراً كان أو غيره، غير أنّه أخبر أنّه لا يعفو عن عقاب الكفر، لإجماع الأُمّة على ذلك، وما عداه من الفسق باقٍ على ما كان عليه من الجواز.

وإنّما قال: ﴿عفا الله عنك﴾ على غير لفظ المتكلّم، لأنّه أفخم من الكناية، لأنّ هذا الاسم من أسماء التعظيم، كما أنّ قولك: «إنْ رَأَى الأمير» أفخم من قولك: «إنْ رأيتَ».

وقال أبو عليّ الجُبّائي: في الآية دلالة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان وقع منه ذنب في هذا الإذن! قال: لأنّه لا يجوز أن يقال: لِمَ فعلتَ ما جعلت لك فعله؟ كما لا يجوز أن يقول: لِمَ فعلتَ ما أمرتُك بفعله؟ وهذا الّذي ذكره غير صحيح، لأنّ قوله: ﴿عفا الله عنك﴾ إنّما هي كلمة عتاب له صلى الله عليه وآله لِمَ فعل

---

(١) في الحجريّة: بالنفاق كان تأخّره أم بغيره.

ما كان الأولى به أن لا يفعله، لأنّه وإن كان له فعله من حيث لم يكن محظوراً فإنّ الأوْلى أن لا يفعله، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب أخاً له: لِمَ عاتبته وكلّمته بما يشقّ عليه؟ وإن كان له معاتبته وكلامه بما يثقل عليه. وكيف يكون ذلك معصية وقد قال الله في موضع آخر: ﴿فإن استأْذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم﴾ [1] وإنّما أراد الله أنّه كان ينبغي أن ينتظر تأكيد الوحي فيه. ومَن قال: هذا ناسخ لذلك، فعليه الدلالة.

وقوله: ﴿لِمَ أذنت﴾ فالإذْن: رفع التبعة، عاتب الله تعالى نبيّه ﷺ: لِمَ أذِن لقومٍ في التأخّر عن الخروج معه إلى تبوك وإن كان له إذْنهم لكن كان الأولى أن لا يأْذن لهم ﴿حتّى يتبيّن لك﴾ حتّى يظهر لك ﴿الّذين صَدَقوا﴾ في قولهم: لو استطعنا لخرجنا معكم، لأنّه كان فيهم مَن اعتلّ بالمرض والعجز وعدم الحمولة ﴿وتعلم الكاذبين﴾ منهم في هذا القول.

قوله تعالى:

لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى نبيّه بعلامة المنافقين والكاذبين بأن بيّن أنّه لا يستأذن أحدٌ النبيّ ﷺ في التأخّر عنه والخروج معه إلى جهاد أعدائه، ولا يسأله الإذْن في التأخّر القوم ﴿الّذين يؤمنون بالله﴾ ويصدّقون به ويقرّون بوحدانيّته ويعترفون باليوم الآخر، و «الاستئذان»: طلب الإذْن من الآذِن.

ومعنى قوله: ﴿أن يجاهدوا﴾ فيه حذف، وتقديره: لأن لا يجاهدوا بحذف «لا» لأنّ ذمّهم[2] قد دلّ عليه، هذا قول أبي عليّ الجُبّائي. وقال الحسن: تقديره [: كراهية أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم.

---

(١) النور: ٦٢.

(٢) في الخطّيّة: «دينهم» بدل «ذمّهم».

وقال الزجّاج: هو في موضع نصب، لأنّ تقديره:][١] في أن يجاهدوا، فلمّا حذف حرف الجرّ انتصب[٢] وعند سيبويه وغيره: هو في موضع الجرّ.

وقوله: ﴿والله عليم بالمتّقين﴾ إخبار منه تعالى بأنّه يعلم مَن يتّقي معصية الله ويخاف عقابه ومَن لا يتّقيه. قال ابن‌عبّاس: هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوه في القعود عن الجهاد، وعذر للمؤمنين، فقال: لم يذهبوا حتّى يستأذنوه، والمعنى: أنّه لم يخرجهم من صفة المتّقين، إلّا أنّه عَلِمَ أنّهم ليسوا منهم.

فإن قيل: أيّ الجهادَيْن أفضل: أجهاد السيف أم جهاد العلم؟

قيل: هذا بحسب الحاجة إليه والمصلحة فيه، وكذلك الجهاد بالمال والجهاد بالنفس، وإنّما يقع التفاضل مع استواء الأحوال إلّا بمقدار الخصلة الزائدة من خصال الفضل.

وأجاز الرُمّاني الجهاد مع الفُسّاق إذا عاونوا على حقٍّ في قتال الكفّار، لأنّهم مطيعون في ذلك الفعل، كما هم مطيعون في الصلاة والصيام وغير ذلك من شريعة الإسلام. والظاهر من مذهب أصحابنا: أنّه لا يجوز ذلك إلّا ما كان على وجه الدفع عن النفس وعن بيضة الإسلام.

قوله تعالى:

إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنّه إنّما يستأذن النبيّ صلى الله عليه وآله في التأخّر عن الجهاد والقعود عن القتال معه القوم ﴿الّذين لا يؤمنون بالله﴾ أي: لا يصدّقون بالله ولا يعترفون به ﴿واليوم الآخر﴾ يعني: بالبعث والنشور

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٥٠.

﴿وارتابت قلوبهم﴾ يعني: اضطربت وشكّت. و«الارتياب»: هو الاضطراب في الاعتقاد بالتقدّم مرّة والتأخّر أخرى. و«الريبة»: شكّ معه تهمة، رابني رَيْباً ورَيْبةً، وارتاب ارتياباً، واستراب استرابةً.

وقوله: ﴿فهم في رَيْبهم يتردّدون﴾ معناه: فهم في شكّهم يذهبون ويرجعون. و«التردّد»: هو التصرّف بالذهوب والرجوع مرّات متقاربة، مثل: المتحيّر، ردّه ردّاً، وردّدته ترديداً، وتردّد تردّداً، وارتدّ ارتداداً، ورادّه مرادّة، وترادّ القوم ترادّاً[١] واستردّه استرداداً.

وقوله: ﴿فهم في ريبهم يتردّدون﴾ يدلّ على بطلان قول من يقول: إنّ المعارف ضرورة، لأنّه تعالى أخبر أنّهم في شكّهم يتردّدون، وهذه صفة الشاكّ المتحيّر في دينه، الّذي ليس على بصيرة في أمره.

وقيل في معنى ﴿اليوم الآخر﴾ قولان:

أحدهما: [إنّه آخر يوم من أيّام الدنيا، والمؤذِن بالكرّة الأخيرة][٢].

الثاني [وهو الأقوى][٣]: إنّه يوم الجزاء والحساب، وهو يوم القيامة، وهو الأظهر في مفهوم هذه اللفظة.

قوله تعالى:

وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: أنّ هؤلاء المنافقين ﴿لو أرادوا الخروج﴾ مع النبيّ ﷺ نصرة له ورغبة في جهاد الكفّار كما أراد المؤمنون ذلك ﴿لأعدّوا﴾ للخروج ﴿عدّة﴾ وهو ما يتهيّأ لهم معها الخروج، ولكن لم يكن لهم في ذلك نيّة، وكان عزمهم على أنّ النبيّ ﷺ إن لم يأذن لهم في الإقامة

---

(١) في الحجريّة: «ترداداً» بدل «ترادّاً». (٢ و ٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

لخرجوا وأفسدوا عليك، وضربوا بين أصحابك وأفسدوا قلوبهم، فَكَرِه الله خروجهم على هذا الوجه، لأنّ ذلك كفر ومعصية، والله يكره ذلك ولم يكره الخروج الّذي أمرهم به، وهو أن يخرجوا لنصرة نبيّه، وقتال عدوّه، والجهاد في سبيله كما خرج المؤمنون لذلك ﴿فثبَّطهم﴾ الله [عن الخروج الّذي عزموا عليه، ولم يثبّطهم][(١)] عن الخروج الّذي أمرهم به، لأنّ الأوّل كفر والثاني طاعة.

وقوله: ﴿وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ يحتمل شيئين:

أحدهما: أن يكون القائلون لهم ذلك أصحابهم الّذين نهوهم عن الخروج مع النبيّ نصرةً له ورغبةً في الجهاد.

والثاني: أن يكون ذلك من قول النبيّ صلى الله عليه وآله لهم على وجه التهديد، لاعلى وجه الإذن، ويجوز أن يكون إذْنه لهم في القعود الّذي عاتبه الله عليه، وأنّه كان الأولى أن لا يأذن لهم فيه. ولا يجوز أن يكون ذلك من قول الله، لأنّه لو كان كذلك لكان مباحاً لهم التأخّر، اللّهمّ إلّا أن يكون ذلك على وجه التهديد، فيجوز أن يكون ذلك من قول الله.

و«العُدّة» و«الأُهبة» و«الآلة» نظائر. و«الانبعاث»: الانطلاق بسرعة في الأمر، ولذلك يقال: فلان لاينبعث في الحاجة، أي: ليس له نفاذ فيها. و«التثبيط»: التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه، ومثله: التربيث والتعقيل.

وقوله: ﴿مع القاعدين﴾ يعني: مع النساء والصبيان، والمرضى والزمنى، ومَن ليس به حراك. قال ابن إسحاق: كان الّذين استأذنوه أشرافاً ورؤساء كعبدالله بن أُبيّ بن أبيسلول والجدّ بن قيس. وزاد مجاهد: رفاعة بن التابوت وأوس بن قبطي.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

قوله تعالى:

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم ما زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ آية بلا خلاف.

بيّن الله تعالى في هذه الآية الوجوه في كراهية انبعاثهم، ووجه الحكمة في تثبيطهم عن ذلك، وهو ما علم من أنّ في خروجهم مفسدة للمؤمنين، لأنّه قال: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلّا خَبالاً﴾ قال الفرّاء: لو قال: «ما زادوكم» يريد به خروجهم لكان جائزاً، وهذا من سعة العربية. و«الخَبال»، الفساد. و«الخَبال»: الموت، و«الخَبال»: الاضطراب في الرأي بتزيين أمرٍ لقومٍ وتقبيحه لآخرين ليختلفوا وتفترق كلمتهم.

وقوله: ﴿ولأوضعوا خِلالكم يبغونكم الفتنة﴾ والإيضاع: الإسراع في السير بطرح العُلَق، قال الشاعر:

أرانا مُوضِعِينَ لأمْرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطَعامِ وبالشَرَابِ[1]

وقال آخر:

يَالَيْتَني فيها جَذَعْ أخَبُّ فيها وأَضَعْ[2]

وربما قالوا للراكب: «وضع» بغير ألف، ومنه: وضعت الناقة تَضَع وَضْعاً، وأوْضَعتها إيضاعاً، ومعنى «الإيضاع» هاهنا: إسراعهم في الدخول بينهم للتضريب بنقل الكلام على وجه التخويف[3] قال الحسن: معناه: مشوا بينكم بالنميمة لإفساد ذات بينكم.

وقوله: ﴿وفيكم سمّاعون لهم﴾ قيل في معناه قولان:

---

(١) لامرئ القيس، من قصيدة يرثي الحارث بن عمرو. راجع ديوان امرئ القيس: ص ٧٢.

(٢) قائله دُرَيْد بن الصِمّة، من أبيات قالها يوم حُنَيْن وقد كان شيخاً همّاً لا قوّة فيه. راجع ديوان دُرَيْد: ص ٩٣.

(٣) في الخطّيّة: «التحريف» بدل «التخويف».

أحدهما: قال قَتادَة وابن إسحاق[١] فيكم القائلون منهم عند سماع قولهم. وقوله: ﴿إلّا خبالاً﴾ استثناء منقطع، وتقديره: ما زادوكم قوّة ولكن طلبوا لكم الخَبال. ويحتمل أن يكون المعنى: أنّهم على خَبالٍ في الرأي فيعقده[٢] حتّى يصير خَبالاً، فعلى هذا يكون الاستثناء متّصلاً.

الثاني: قال مجاهد وابن زيد: لهم عيون ينقلون إليهم ما يسمعون منكم، وقال الحسن: عيون منهم ينقلون أخباركم إلى المشركين.

وقوله: ﴿يبغونكم الفتنة﴾ معناه: يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة، وقال الحسن: يبغونكم أن تكونوا مشركين. وأصل «الفتنة»: إخراج خبث الذهب بالنار، تقول: بغيتك كذا، بمعنى: بغيت لك، ومثله: جلبتك وجلبت لك وعلّمتك وعلّمت لك.

و﴿خِلالكم﴾ أي: بينكم، مشتقّ من «التخلّل» وهي الفُرَجُ تكون بين القوم في الصفوف وغيرها، ومنه: قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «تراصّوا في الصفوف، لا يتخلّلكم أولاد الحذف»[٣].

وقوله: ﴿والله عليم بالظالمين﴾ معناه هاهنا: عالم بمن يستأذن النبيّ صلى الله عليه وآله في التأخّر شكّاً في الإسلام ونفاقاً، وعالم بمن سمع حديث المؤمن وينقله إلى المنافقين، فإنّ هؤلاء ظالمون أنفسهم، وباخسون لها حظّها من الثواب.

قوله تعالى:

لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ آية.

---

(١) في الحجريّة: «ابن أبي إسحاق».

(٢) في الخطّيّة: فيقعده.

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير: ج ١ ص ١١٩ بإسناده عن البراء بن عازب. ومثله الحاكم في المستدرك: ج ١ ص ٢١٧.

أقسم الله تعالى أنّ هولاء المنافقين ﴿ابتغوا﴾ أي: طلبوا إفساد ذات بينكم، وافتراق كلمتكم في يوم أُحُد حتّى انصرف عبدالله بن أُبيّ بأصحابه وخذل النبيّ صلى الله عليه وآله وكان هو وجماعة من المنافقين يبغون للإسلام الغوائل قبل هذا، فسلّم الله المؤمنين من فتنتهم وصرفها عنهم.

وقوله: ﴿وقلّبوا لك الأُمور﴾ فالتقليب: هو تصريف الشيء بجعل أسفله أعلاه مرّة بعد أُخرى، فهؤلاء صرفوا القول في المعنى للحيلة والمكيدة.

وقوله: ﴿حتّى جاء الحقّ﴾ أي: حتّى أتى الحقّ ﴿وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ أي: في حال كراهتهم لذلك، فهي جملة في موضع الحال، و«الظهور»: خروج الشيء إلى حيث يقع عليه الإدراك، وقد يظهر المعنى للنفس إذا حصل العلم به.

قوله تعالى:

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ آية.

قال ابن‌عبّاس ومجاهد وابن زيد: نزلت هذه الآية في الجدّ بن قيس[١] وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا دعا الناس إلى الخروج إلى غزوة تبوك لقتال الروم، جاءه الجدّ بن قيس فقال: يا رسول‌الله، إنّي رجل مستهتر بالنساء، فلا تفتنّي ببنات الأصفر! قال الفرّاء: سُمّي الروم أصفر، لأنّ حبشيّاً غلب على ناحية الروم، وكان له بنات قد أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة، فكُنّ صُفراً لُعْساً[٢] فنزلت هذه الآية فيه.

وقال الحسن وقَتادَة وأبوعُبَيْدة وأبوعليّ والزجّاج: معنى

---

(١) كان سيّدبني سلمة من الأنصار، وكان ممّن يُرمى بالنفاق، مات في خلافة عثمان. (أُسد الغابة).

(٢) جمع «لَعْسَاء» وهي الّتي في لونها سواد، وتكون مشربّة بالحمرة. (لسان العرب).

﴿ولا تفتنّي﴾: ولا توهمني [١] بالعصيان في المخالفة الّتي توجب الفرقة. فتضمّنت الآية أنّ من جملة المنافقين مَن استأذن النبيّ صلى الله عليه وآله في التأخّر عن الخروج، و«الإذْن» رفع التبعة في الفعل، وهو والإباحة بمعنىً، وقال له: ﴿لا تفتنّي﴾ أي: لاتؤثمني بأن تكلّفني المشقّة في ذلك فأهمّ بالعصيان، أو لا تفتنّي ببنات الأصفر [٢] على ماحكيناه. فقال الله تعالى: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ أي: وقعوا في الكفر والمعصية بهذا القول وبهذا الفعل، و«السقوط»: الوقوع إلى جهة السفل، ووقوع الفعل: حدوثه وسقوطه اتّضاعه [٣].

وقوله: ﴿وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين﴾ إخبار منه تعالى: أنّ جهنّم مطيفة بما فيها من جميع جهاتها بالكافرين، و«الإحاطة» و«الإطافة» و«الإحداق» نظائر في اللغة، ولا يدلّ ذلك على أنّها لا تحيط بغير الكفّار من الفُسّاق، ألَا ترى أنّها تحيط بالزبانية والمتولّين للعقاب، فلا تعلّق للخوارج بذلك.

قوله تعالى:

إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله بأنّ هؤلاء المنافقين الّذين ذكرهم متى نال النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين ﴿حسنة﴾ أي: نعمة من الله تعالى وظفر بأعدائهم، وغنيمة ينالونها، ساءهم ذلك وأحزنهم، وإن تصبهم ﴿مصيبة﴾ أي: آفة في النفس أو الأهل أو المال، وأصلها: «الصَوْب» وهو الجري إلى الشيء، يقال: صابَ يَصُوبُ صَوْباً، ومنه: صَوَّب الإناء إذا ميّله للجري،

(١) في الحجريّة: لا تؤثمني.
(٢) في الحجريّة: أصفر.
(٣) في الحجريّة: «أيضاً» بدل «اتّضاعه».

و«الصَوَاب»: إصابة الحقّ ﴿يقولوا﴾ يعني: هؤلاء المنافقين ﴿قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ ومعناه: قد حذرنا واحترزنا، في قول مجاهد وغيره، ومعناه: أخذنا أمرنا من مواضع الهلكة، فسلمنا ممّا وقعوا فيه ﴿ويتولّوا﴾ أي: يعرضوا ﴿وهم فرحون﴾ يعني: فرحين بتأخّرهم وسلامتهم ممّا نال المؤمنين من المصيبة، و«الإصابة»: وقوع الشيء بما قصد به.

قوله تعالى:

قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَاكَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يقول لهؤلاء المنافقين الّذين يفرحون بمصيبات المؤمنين وسلامتهم منها: ﴿لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّ كلّ ما يصيبنا من خير أو شرّ فهو ممّا كتبه الله في اللوح المحفوظ من أمرنا، وليس على ما تظنّون وتتوهّمون من إهمالنا من غير أن نرجع [في] أمرنا إلى تدبير ربّنا، هذا قول الحسن.

الثاني: قال الجُبّائي والزجّاج: يحتمل أن يكون معناه: لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلّا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الّذي وعدنا. وقال البلخي: يجوز أن يكون ﴿كتب﴾ بمعنى: علم، ويجوز أن يكون بمعنى: حكم. والأوّلان أقوى.

فإن قيل: ما الفائدة في كتب ما يكون من أفعال العباد قبل كونها؟

قلنا: في ذلك مصلحة للملائكة ما يقابلون به فيجدونه متّفقاً في الصحّة، مع أنّ تصوّره على كثرته أهول في النفس وأملأ للصدر.

وقوله: ﴿هو مولانا﴾ يحتمل معنيَيْن: أحدهما: أنّه مالكنا ونحن عبيده.

والثاني: قال أبو عليّ معناه أنّه يتولّى حياطتنا ودفع الضرر عنّا.

وقوله: ﴿وعلى الله فليتوكّل المؤمنون﴾ أمر منه تعالى للمؤمنين أن يتوكّلوا عليه تعالى دون غيره، و«التوكّل»: تفويض الأمر إلى الله، والرضا بتدبيره، والثقة بحسن تدبيره[1] كما قال: ﴿ومن يتوكّل على الله فهو حسبه﴾[2] وحرف الجرّ الّذي في معنى الظرف متعلّق بالأمر في قوله: ﴿فليتوكّل﴾ [وتقديره: فليتوكّل][3] على الله المؤمنون، وإنّما جاز تقديمه لأنّه لايلبس، ولا يجوز تقديمه على حرف الجزاء لأنّه يلبس بالجزاء في الجواب.

قوله تعالى:

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ آية بلا خلاف.

رَوَى ابن فليح والبزّي إلّا النقّاش ﴿هل تّربّصون﴾ بتشديد التاء، وجهه: أنّه أراد «تتربّصون» فأدغم أحد التاءَيْن في الأُخرى.

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول لهؤلاء المنافقين: ﴿هل تربّصون بنا﴾ والتربّص: التمسّك بما ينتظر به مجيء حينه، ولذلك قيل: تربّص بالطعام إذا تمسّك به إلى حين زيادة سعره.

وقوله: ﴿إلّا إحدى الحُسنَيَيْن﴾ معناه واحدة من الحسنيين وأحد الشيئين واحد منهما، وأحد العشر وَاحِدٌ منها، وإحدَى النساء واحدة منهنّ. و«الحسنيان»: عظيمتان في الحُسْن من النِعَم، ومعناهما هاهنا: إمّا الغَلَبة بنصر الله عزّوجلّ أو الشهادة المؤدّية إلى الجنّة، في قول ابن عبّاس والحسن ومجاهد وقَتادَة وغيرهم.

---

(١) في الحجريّة: «اختياره» بدل «تدبيره».

(٢) الطلاق: ٣.

(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة، أثبتناه من الحجريّة.

و ﴿هل﴾ حرف من حروف الاستفهام، والمراد هاهنا: التقريع بالتربّص المؤدّي صاحبه إلى كلّ ما يكرهه من خيبته وفوز خصمه ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه.

وقوله: ﴿ونحن نتربّص بكم﴾ أي:قل لهؤلاء: ونحن أيضاً نتوقّع بكم أن يوقع الله بكم عذاباً ﴿من عنده﴾ يهلككم به ﴿أو بأيدينا﴾ بأن ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا.

وقوله ﴿فتربّصوا﴾ صورته صورة الأمر والمراد به: التهديد، كما قال: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ (١) ﴿واستفزز من استطعت﴾ (٢) وإنّما قلنا ذلك لأنّ تربّص المنافقين بالمؤمنين تمسّك بما يؤدّي إلى الهلاك، وذلك قبيح لا يريده الله ولا يأمره به، وتربّص المؤمنين هو التمسّك بما يؤدّي إلى النجاة فجاز أن يأمر الله به.

وقال الفرّاء: العرب تُدغم لام «هل» [و «بل»] (٣) في التاء خاصّةً، وهو كثير في كلامهم.

قوله تعالى:

قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ آية بلاخلاف.

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول لهؤلاء المنافقين ﴿أنفقوا﴾ وصورته صورة الأمر وفيه ضرب من التهديد، وهو مثل قوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (٤) وإنّما هو بيان عن توسعة التمكين من الطاعة والمعصية، وقال قوم: معناه الخبر الّذي تدخل فيه «إن» للجزاء، كما قال كُثير:

---

(١) فُصّلت: ٤٠.

(٢) الإسراء: ٦٤.

(٣) راجع معاني القرآن: ج ١ ص ٤٤١.

(٤) الكهف: ٢٩.

أسِيئي بنا أو أحْسِني لا مَلُومةً لديـنا ولا مَقْليّةً إنْ تَقَلّتِ[١]

كأنّه قال: إن أحسنت أو أسأت لم تُلامي، وإنّما حسن أن يأتي بصيغة الأمر على معنى الخبر بتوسعة التمكين، لأنّه بمنزلة الأمر في طلب فعل ما يتمكّن الّذي قد عرفه المخاطب، كأنّه قيل: اعملْ بحسب ما يوجبه الحقّ فيما مكّنت من الأمرَيْن. ووجه آخر: أنّ كلّ واحد من الضربَيْن كالمأمور به في أنّه لا يعود وبال الفاسد[٢] إلّا على المأمور.

وقوله: ﴿طوعاً﴾ فالطَوْع: الانقياد بإرادة لمن عمل عليها، والكره: فعل الشيء بكراهة حمل عليها.

وقوله: ﴿لن يتقبّل منكم﴾ معناه: لا يجب لكم به الثواب [على ذلك مثل: تقبّل الهديّة ووجوب المكافأة، وتقبّل التوبة وإيجاب الثواب][٣] عليها، ومثله في كلّ طاعة.

وقوله: ﴿إنّكم كنتم قوماً فاسقين﴾ إخبار منه تعالى وخطاب لهؤلاء المنافقين بأنّهم كانوا فاسقين متمرّدين عن طاعة الله، فلذلك لم يقبل نفقاتهم، وإنّما كانوا ينفقون أموالهم في سبيل الله للرياء ودفعاً عن أنفسهم.

قوله تعالى:

وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً: ﴿أن يقبل﴾ بالياء، الباقون بالتاء.

وجه قراءة مَن قرأ بالياء: أنّ التأنيث ليس بحقيقي فجاز أن يُذكّر،

---

(١) من قصيدةٍ له يمدح عزّة. راجع ديوان كثيّر عزّة: ص ٥٧.

(٢) في الحجريّة: «العائد» بدل «الفاسد».

(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

كقوله: ﴿فمن جاءه موعظة﴾[1] وَمن قرأ بالتاء فعلى ظاهر التأنيث.

«المنع» أمر يضادّ الفعل وينافيه، والمعنى هاهنا: أنّ هؤلاء المنافقين منعوا أنفسهم أن يفعل بهم قبول نفقاتهم، كما يقول القائل: منعته برّي وعطائي.

وقوله: ﴿أن تُقبل﴾ في موضع نصب، وتقديره: وما منعهم من أن تُقبل، وحذف «من». وقوله: ﴿إلّا أنّهم كفروا بالله ورسوله﴾: ﴿أنّهم﴾ في موضع رفع، والعامل في إعراب ﴿أنّهم﴾ يحتمل أحد أمرَيْن: أحدهما: ما منعهم من ذلك إلّا كفرهم. والثاني: أن يكون تقديره: ما منعهم الله منه إلّا لأنّهم كفروا بالله.

وعندنا: أنّ الكافر لا يقع منه الإنفاق على وجهٍ يكون طاعةً، لأنّه لو أوقعها على ذلك الوجه لاستحقّ الثواب، والإحباط باطل، فكان يؤدّي إلى أن يكون مستحقّاً للثواب، وذلك خلاف الإجماع. وعند مَن خالفنا من المعتزلة وغيرهم يصحّ ذلك، غير أنّه ينحبط بكفره، فأمّا الصلاة فلا يصحّ أن تقع منهم على وجهٍ تكون طاعةً بلا خلاف، لأنّ الصلاة طريقها الشرع، فمن لا يعترف بالشرع لا يصحّ أن يوقعها طاعةً، وليس كذلك الإنفاق، لأنّ العقل دالّ على حسنه فجاز أن يعلموا حسنه غير أنّهم وإن علموا ذلك لا يقع منهم كذلك على ما بيّنّاه.

وقوله: ﴿ولا يأتون الصلاة إلّا وهم كسالى﴾ أي يقومون إليها على وجه الكسل، وذلك ذمّ لهم بأنّهم يصلّون الصلاة على غير الوجه الّذي أُمِرُوا به، من النفاق الّذي يبعث على الكسل عنها دون الإيمان الّذي يبعث على النشاط لها.

---

(١) البقرة: ٢٧٥.

وقوله: ﴿ولا ينفقون إلّا وهم كارهون﴾ إخبار منه تعالى بأنّهم لا ينفقون ما ينفقونه لكونه طاعةً، بل ينفقونه كارهين لذلك، وذلك يقوّي ما قلناه.

قوله تعالى:

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ آية بلا خلاف .

هذا نهي للنبيّ ﷺ والمراد به: المؤمنون، والمعنى: لا يروق ناظركم أيّها المؤمنون ظاهر حسنها، يعني: أموال المنافقين والكفّار وأولادهم تستحسنونه بالطبع البشري. وإنّما قلنا ذلك لأنّ النبيّ ﷺ مع زهده لا يجوز أن يعجب بها إعجاب مشتهٍ لها.

وقوله: ﴿إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا﴾ قيل في معنى ذلك وجوه:

أحدها: قال ابن عبّاس وقَتادَة والفرّاء: إنّ فيه التقديم والتأخير، والتقدير: فلا تعجبك أموالهم و [لا] أولادهم في الحياة الدنيا إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الآخرة، فيكون الظرف على هذا متعلّقاً بـ«أموالهم وأولادهم» ومثله: قوله تعالى: ﴿فألقِه إليهم ثمّ تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾ (١) وتقديره: فألقِه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثمّ تولَّ عنهم.

الثاني: قال ابن زيد: معناه: إنّما يريد الله ليعذّبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان المنفعة بها.

والثالث: قال الجُبّائي: تقديره: إنّما يريد الله ليعذّبهم في الحياة الدنيا عند تمكّن المؤمنين من أخذها وغنمها فيتحسّرون عليها، ويكون ذلك جزاء على كفرهم نِعَم الله تعالى بها.

---

(١) النمل: ٢٨.

والرابع: قال البلخي والزجّاج: إنّ معناه: فلا تعجبك أموالهم فإنّها وبال عليهم، لأنّ الله يعذّبهم بها، أي: بما يكلّفهم من إنفاقها في الوجوه الّتي أمرهم بها، فتزهق أنفسهم لشدّة ذلك عليهم لإنفاقهم، وهم مع هذا كلّه كافرون، وعاقبتهم النار، فيكون قوله: ﴿وهم كافرون﴾ إخباراً عن سوء أحوالهم وقلّة نفع المال والولد لهم، ولا يكون عطفاً على ما مضى.

والخامس: أن يكون المعنى: أنّ مفارقتها وتركها والخروج عنها بالموت صعب عليهم شديد، لأنّهم يفارقون النِعَم، ولا يدرون إلى ماذا يصيرون بعد الموت، فيكون حينئذٍ عذاباً عليهم، بمعنى: أنّ مفارقتها غمّ وعذاب، ومعنى: ﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي: تهلك وتذهب بالموت، يقال: زَهَقَ ما عند فلان، أي: ذهب أجمع[١].

السادس: قال الحسن: أخبر الله تعالى عن علمه فيهم بأنّهم[٢] يموتون على النفاق، وقال: ليعذّبهم بزكاتها وإنفاقها في سبيل الله ـ وهو قول البلخي أيضاً والزجّاج[٣] ـ مع اعتقادهم أنّ ذلك ليس بقُربة، فيكون ذلك عذاباً أليماً.

واللام في قوله: ﴿ليعذّبهم﴾ يحتمل أن يكون بمعنى «أن» والتقدير: إنّما يريد الله أن يعذّبهم. ويحتمل أن تكون لام العاقبة والتقدير: إنّما يريدالله أن يملي لهم فيها ليعذّبهم. و «الزَهْق»: الخروج بصعوبة، وأصله: الهلاك، ومنه: قوله: ﴿قل جاء الحقّ وزَهَقَ الباطل﴾[٤] وكلّ هالكٍ زاهقٌ، زَهَقَ يَزْهَقُ زُهُوقاً. والزاهق من الدوابّ: السمين الشديد السمن، لأنّه هالك، يثقل بدنه في السير والكرّ والفرّ، وزهق فلان بين أيدي القوم، إذا زهق

---

(١) في الحجريّة: زهق بضاعة فلان أي ذهبت أجمع.
(٢) في الحجريّة: عن فاقتهم أنّهم.
(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٥٤.
(٤) الإسراء: ٨١.

زهق في قفالهم[١] حتّى يهلك منهم. و«الإعجاب»: السرور بما يتعجّب منه، تقول: أعجبني حديثه، أي: سرّني بطرف حديثه.

وليس في الآية ما يدلّ على أنّ الله تعالى أراد الكفر على ما يقوله المجبّرة، لأنّ قوله: ﴿وهم كافرون﴾ في موضع الحال، كقولك: أُريد أن تذمّه وهو كافر، وأُريد أن تضربه وهو عاصٍ، وأنت لا تريد كفره ولا عصيانه، بل تريد ذمّه في حال كفره وعصيانه، وتقدير الآية: إنّما يريد الله عذابهم وإزهاق أنفسهم أي: إهلاكها في حال كونهم كافرين، كما يقول القائل للطبيب: اختلف إليَّ كلّ يوم وأنا مريض، وهو لا يريد المرض، ويقول لغلامه: اختلف إليَّ وأنا محبوس، ولا يريد حبس نفسه.

قوله تعالى:

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين: أنّهم يقسمون ﴿بالله إنّهم﴾ لمنكم، يعني: من المؤمنين وعلى دينهم الّذي يدينون به. ثمّ قال الله تعالى مكذّباً لهم[٢]: ﴿وما هم منكم﴾ أي: ليسوا مؤمنين مثلكم، ولا مطيعين لله في اتّباع دينه كما أنتم كذلك ﴿ولكنّهم قوم يَفرقون﴾ إخبار منه تعالى أنّ هؤلاء المنافقين يفرقون من إظهار الكفر لئلّا يُقتَلوا، و«الفرق»: انزعاج النفس بتوقّع الضرر، وأصله من مفارقة الأمن إلى حال الانزعاج.

قوله تعالى:

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب: ﴿أو مَدْخلاً﴾ بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها، وقرأ شاذّ «مُدْخلاً» بضمّ الميم وسكون الدال[٣].

---

(١) في الحجريّة: «إذا زهق سابقاً لهم». (٢) في الخطّيّة: «منكراً لهم» بدل «مكذّباً لهم».

(٣) قرأه عبدالله بن مسلم. راجع مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه: ص ٥٨.

أخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين أنّهم لو وجدوا ملجأً، ومعناه: لو أدركوا مطلوبهم، يقال: وجدت الضالّة وجداناً، ووجدت على الرجل وَجْداً وموجدةً، و«الملجأ»: الموضع الّذي يُتَحَصَّن فيه، ومثله: المَعْقِل، والمَوْئِل، والمعتصم، والمنتصر. وقال ابن‌عبّاس: معناه هاهنا: حرزاً. وقال قتادة: أي: حصناً. ومثله يستعمل في «الناصر» و«المساعد».

وقوله: ﴿أو مغارات﴾ أي: لو وجدوا مغارات، وهي جمع «مَغَارَة» وهي المدخل الساتر مَن دخل فيه، وقال ابن‌عبّاس: معناه: المَغَارات والغِيران. و«الغار»: الثقب[1] الواسع في الجبل، ومنه: غارت العين من الماء إذا غابت في الأرض، وغارت عينه إذا دخلت في رأسه. و«المدّخل»: المسلك الّذي يتدسّس بالدخول فيه، وهو مفتعل من «الدخول» كـ«المتّلج» من «الولوج» وأصله: «مدتخل»[2] وقال ابن‌عبّاس وأبوجعفر والفرّاء: «المدّخل»: الأسراب في الأرض[3].

وقوله: ﴿لولّوا إليه﴾ معناه لعدلوا إليه. وقوله: ﴿وهم يجمحون﴾ الجماح: مضيّ المارّ مسرعاً على وجهه، لا يردّه شيء عنه، وقال الزجّاج: فرسٌ جَمُوحٌ، هو الّذي إذا حمل لم يردّه اللجام[4]. وقيل: هو المشي بين المشيَيْن، قال مُهَلْهَل:

لَقَد جَمَحَتْ جِماحاً في دِمَائِهِم
حتّى رأيتُ ذَوي أجْسامِهِم جَمَدُوا[5]

وقال الزجّاج: معنى ﴿مدَّخلاً﴾ أي: لو وجدوا قوماً يدخلون في

---

(١) في الحجريّة: النقب.

(٢) في مجمع البيان: «مُدْتَخِل» التاء بعد الدال. في الحجريّة: «متدخل».

(٣) تفسير الطبري: ج ١٠ ص ١٠٦، معاني القرآن: ج ١ ص ٤٤٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٥٥.

(٥) أنشده في الطبري: ج ١٠ ص ١٠٧ وفيه: «ذوي أحسابهم خمدوا».

جملتهم أو قوماً يدخلونهم في جملتهم يعتصمون بهم لفعلوا[١].

قوله تعالى:

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ آية.

قرأ يعقوب: ﴿يلمزك﴾ بضمّ الميم، الباقون بكسرها، وهما لغتان.

وهذه الآية فيها إخبار: أنّ من جملة المنافقين الّذين ذكرهم ﴿مَن يلمزك﴾ يا محمّد ﷺ ﴿في الصدقات﴾ أي: يعيبك، في قول الحسن. و«اللَمْز» العَيْب على وجه المساترة، و «الهَمز» العيب ـ بكسر العين وغمزها ـ في قول الزجّاج، تقول: لَمَزَهُ يَلْمِزُهُ ويلمُزهُ، بالكسر والضمّ، وهي صفة ذمّ، قال الشاعر:

إذا لقيتُكَ تُبدِي لِي مُكاشَرَةً ... وإن تَغَيَّبْتُ كُنتَ الهامِزَ اللُّمَزَهْ[٢]

وقال رُؤْبَة:

قارَبْتُ بينَ عَنَقِي وَجَمْزي ... في ظلِّ عَصْرَيْ باطِلي وَلَمْزِي[٣]

قال أبو عُبَيْدَة: ﴿يلمزك﴾ معناه: يعيبك[٤]. وقال قَتادَة: معناه: يطعن عليك. و «الهمز»: الغيبة، ومنه: قوله: ﴿همَّازٍ مشَّاءٍ بنَمِيم﴾[٥]. وقيل لأعرابي: أتهمز الفأرة؟ قال: الهرّ يهمزها، فأوقع الهمز على الأكل. والهَمْز كاللَمْز، ومنه: قوله: ﴿أيُحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه مَيّتاً﴾[٦].

و«الصدقات»: جمع «صَدَقة» وهي العطيّة للفقير على وجه البرّ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٥٥.

(٢) أنشده أبو عُبَيْدة في المجاز: ج ١ ص ٢٦٣ ونسبه إلى زياد الأعْجَم، وفيه: «وإن أُغيّب فأنت العائب اللُمَزه».

(٣) راجع ديوان رُؤْبة بن العجّاج: ص ٦٤.

(٤) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٦٢.

(٥) القلم: ١١.

(٦) الحُجرات: ١٢.

والصلة، والصدقة الواجبة في الأموال حرام على رسول‌الله وأهل بيته، كأنّهم جُعِلُوا في تقدير الأغنياء، فأمّا البرّ على وجه التطوّع فهو مباح لهم.

وقوله: ﴿فإن أُعطوا منها رضوا﴾ يعني: من الصدقات رضوا بذلك وحمدوك عليه ﴿وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ يعني: إذا لم يعطوا ما طلبوه من الصدقات سخطوا وغضبوا.

والصدقة محرّمة على مَن كان غنيّاً، واختلفوا في حدّ الغنى، فقال قوم: هو من ملك نصاباً من المال. وقال آخرون: هو من كانت له مادّة تكفيه، ملك النصاب أو لم يملك.

والّذي كان يلمز النبيّ صلى الله عليه وآله في الصدقات بَلْتَعَة بن حاطِب، وكان يقول: إنّما يعطي محمّد الصدقات من يشاء، فربما أعطاه النبيّ صلى الله عليه وآله فيرضى وربما منعه فسخط، فتكلّم فيه، فنزلت الآية فيه.

قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّ هؤلاء المنافقين الّذين طلبوا منك الصدقات وعابوك بها لو ﴿رضوا﴾ بما أعطاهم الله ورسوله ﴿وقالوا﴾ مع ذلك ﴿حسبنا الله﴾ أي كفانا الله، وأنّه سيعطينا ﴿الله من فضله﴾ وإنعامه ﴿و﴾ يعطينا ﴿رسوله﴾ مثل ذلك، وقالوا: ﴿إنّا إلى الله راغبون﴾ والجواب محذوف، والتقدير: لكان خيراً لهم وأعْوَد عليهم، وحذف الجواب في مثل هذا أبلغ، لأنّه لتأكيد الخبر به استغني عن ذكره.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى

ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه ليست الصدقات الّتي هي زكاة الأموال إلّا للفقراء والمساكين ومَن ذكرهم في الآية.

وآختلفوا في الفرق بين «الفقير» و«المسكين»: فقال ابن عبّاس والحسن وجابر وابن زيد والزُهَري ومجاهد: الفقير: المتعفّف الّذي لا يسأل، والمسكين: الّذي يسأل. ذهبوا إلى أنّه مشتقّ من: المسكنة بالمسألة.

وروى أبو هُرَيْرَة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ليس المسكين الّذي تردّه الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان، ولكنّ المسكين الّذي لا يجد غنىً فيغنيه ولا يسأل الناس إلحافاً»[١].

وقال قَتادَة: الفقير: ذو الزَمَانَة من أهل الحاجة، والمسكين: مَن كان صحيحاً محتاجاً.

وقال قوم: هما بمعنىً واحدٍ إلّا أنّه ذُكِر بالصفتين لتأكيد أمره، قال الشاعر:

أنا الفَقيرُ الّذي كانَتْ حَلُوبَتُهُ وَفْقَ العِيالِ فَلَم يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ[٢]

ويسمّى المحتاج فقيراً تشبيهاً بأنّ الحاجة كأنّها قد كسرت فقار ظهره، يقال: فَقُرَ الرجل فَقْراً، وأفْقَره الله إفقاراً، وافْتَقَرَ افْتِقاراً، وتَفَاقَر تَفَاقُراً. وسمّي المسكين بذلك تشبيهاً بأنّ الحاجة كأنّها سكنته عن حال أهل السعة والثروة، قال الله تعالى: ﴿أمّا السفينة فكانت لمساكين يعملون في

(١) أخرجه النسائي في السنن: ج ٥ ص ٨٥، وأحمد في المسند: ج ٢ ص ٣٩٣ و٤٥٧ بالإسناد عنه.
(٢) للراعي النميري، من قصيدة طويلة يمدح عبدالملك بن مروان. راجع ديوان الراعي: ص ٩٠.

البحر﴾ (١) فمن قال: المسكين أحسن حالاً احتجّ بهذه الآية، ومَن قال: هما سواء قال: السفينة كانت مشتركة بين جماعة لكلّ واحد منهم الشيء اليسير.

وقوله: ﴿والعاملين عليها﴾ يعني: سُعاة الزكاة وجُباتها، وهو قول الزُهَري وابن زيد وغيرهم.

وقوله: ﴿والمؤلّفة قلوبهم﴾ معناه: أقوام أشراف كانوا في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله فكان يتألّفهم على الإسلام ويستعين بهم على قتال غيرهم، ويعطيهم سهماً من الزكاة، وهل هو ثابت في جميع الأحوال أم في وقت دون وقت؟ فقال الحسن والشعبي: إنّ هذا كان خاصّاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. وروى جابر عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام واختاره الجُبّائي: بأنّه ثابت في كلّ عصر إلّا أنّ من شرطه أن يكون هناك إمام عدل يتألّفهم على ذلك.

وقوله: ﴿وفي الرقاب﴾ يعني: المكاتبين، وأجاز أصحابنا أن يُشترى به عبد مؤمن إذا كان في شدّة، ويُعتق من مال الزكاة، ويكون ولاؤه لأرباب الزكاة. وهو قول ابن عبّاس وجعفر بن مبشّر.

وقوله: ﴿والغارمين﴾ قال [مجاهد و] قَتادَة والزُهَري وجميع المفسّرين، وهو قول أبي جعفر عليه السلام (٢): إنّهم الّذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا إسراف، فتُقضى عنهم ديونهم.

و﴿في سبيل الله﴾ يعني: الجهاد بلا خلاف، ويدخل فيه ـ عند أصحابنا ـ جميع مصالح المسلمين، وهو قول ابن عمر وعطاء، وبه قال البلخي، فإنّه

---

(١) الكهف: ٧٩.

(٢) أخرجه العيّاشي: ج ٢ ص ٩٤ ح ٧٨ موقوفاً عن الصباح بن سيّابة.

قال: تُبنى منه المساجد والقناطر وغير ذلك، وهو قول جعفر بن مبشِّر.

و﴿ابن السبيل﴾ وهو المسافر المنقطع به، فإنّه يُعطى من الزكاة وإن كان غنيّاً في بلده، من غير أن يكون ديناً عليه، وهو قول مجاهد وقَتادَة، قال الشاعر:

أنـا ابـن الحَـرْبِ رَبّـتْني وَلِـيداً   إلى أن شِبْتُ وٱكْتَهَلَتْ لِدَاتِي[١]

وقال بعضهم: جعل الله الزكاة لأمرَيْن: أحدهما: سدّ خلة، والآخر[٢]: تقوية ومعونة لعزّ الإسلام. واستدلّ بذلك على أنّ المؤلّفة قلوبهم في كلّ زمان.

وٱختلفوا في مقدار ما يُعطَى الجابي للصدقة، فقال مجاهد والضحّاك: يُعطَى الثمن بلا زيادة.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص والحسن وابن زيد: هو على قدر عمالته. وهو المرويّ في أخبارنا.

وقال ابن‌عبّاس وحُذَيْفَة وعمر بن الخطّاب وعطاء وإبراهيم وسعيد بن جُبَيْر، وهو قول أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام: إنّ لقاسم الزكاة أن يضعها في أيّ الأصناف شاء.

وكان بعض المتأخّرين لا يضعها إلّا في سبعة أصناف، لأنّ المؤلّفة قد انقرضوا، وإن قسّمها الإنسان عن نفسه ففي ستّة، لأنّه بطل سهم العامل، وزعم أنّه لا يجزي في كلّ صنف أقلّ من ثلاثة.

وعندنا: أنّ سهم المؤلّفة والسُعاة وسهم الجهاد قد سقط اليوم، ويُقَسّم

---

(١) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ١١٥ ولم ينسبه لأحد.

(٢) في الخطّيّة: «والثاني» بدل «والآخر».

في الخمسة الباقية كما يشاء ربّ المال، وإن يضعها في فرقةٍ منهم جاز.

وقوله: ﴿فريضة من الله﴾ نصب على المصدر، أي: فرض ذلك فريضة. وكان يجوز الرفع على الابتداء ولم يُقْرَأ به، ومعناه: أنّ ما فرضه الله وقدّره واجب عليكم.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ معناه: عالم بمصالحكم، حكيم فيما يوجبه عليكم من إخراج الصدقات وغير ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ آية بلا خلاف .

قرأ نافع وحده: ﴿أُذْنُ خيرٍ﴾ [بالتخفيف] الباقون بالتثقيل. وكلّهم أضاف ورفع ﴿ورحمةٌ﴾ إلّا حمزة[1] فإنّه جرّ ﴿ورحمةٍ﴾ وكان يجوز النصب على «ورحمةً يفعل ذلك» . ولم يقرأ به أحد.

قال أبو عليّ: تخفيف ﴿أُذْنُ﴾ من «أُذُن» قياس مطّرد، نحو: طُنْب وطُنُب، وعُنْق وعُنُق، وظُفْر وظُفُر، لأنّ ذلك تخفيف وتثقيل لاتّفاقهما في الوزن وفي جمع التكسير، تقول: آذان وأطناب وأعناق وأظفار، فأمّا «الأُذن» في الآية فإنّه يجوز أن يطلق على الجملة وإن كان عبارة عن جارحة فيها، كما قال الخليل في الناب من الإبل إنّه: سُمّيت به لمكان الناب البازل، فسمّيت الجملة كلّها به. ويجوز أن يكون «فعلاً» من أذِنَ يأْذَنُ إذا استمع، ومعناه: أنّه كثير الاستماع، مثل: «شُلُل» و«أُنُف»

---

(١) في الحجريّة: «أبا عمرو» بدل «حمزة».

و«شُحُح» قال أبو زيد[١]: يقولون رجل أُذُنٌ، ويَقَنٌ: إذا كان يصدّق بكلّ ما يسمع. فكما أنّ «يَقَن» صفة كـ «بَطَل» كذلك «أُذُن» كـ «شُلُل» ويقولون: أذِنَ يأْذَنُ إذا استمع، ومنه: قوله: ﴿وأذِنَت لربّها﴾[٢] أي: استمعت، وقوله: ﴿ائذن لي﴾[٣] أي استمع، وفي الحديث: «ما أذِنَ الله لشيءٍ كأذَنِهِ لنبيٍّ يتغنّى بالقرآن»[٤] قال الشاعر:

فــي سَماعٍ يَأْذَنُ الشَيخُ له وحَدِيثٍ مثلِ ما ذِيٍّ مُشَارِ[٥]

والمعنى ـ في الإضافة ـ: مستمع خيرٍ لكم وصلاح ومصغ إليه، لا مستمع شرٍّ وفساد. ومَن رفع ﴿رحمة﴾ فالمعنى فيه: أُذُن خيرٍ ورحمةٌ، أي: مستمع خير ورحمة، فجعله الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه، كما قال: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين﴾[٦] ويجوز أن يقدّر حذف المضاف من المصدر. وأمّا من جرّ فعطفه على ﴿خير﴾ كأنّه قال: أُذُن خيرٍ ورحمةٍ، وتقديره: مستمع خيرٍ ورحمةٍ، وجاز هذا كما كان[٧]: مستمع خيرٍ، لأنّ «الرحمة» من «الخير» وإنّما خصّ تشريفاً، كما قال: ﴿اقرأ باسم ربّك الّذي خلق﴾ ثمّ قال: ﴿خَلَق الانسان من عَلَق﴾[٨] وإن كان [قوله تعالى]: ﴿خلق﴾ عمّ الإنسان وغيره. والبُعد بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف، ألَا ترى أنّ من قرأ: ﴿وقيلِهِ يا ربِّ﴾[٩] إنّما جعله عطفاً على ﴿وعنده علم الساعة﴾[١٠] وعلم قيله[١١].

---

(١) في النوادر: ص ٢٢١. (٢) الانشقاق: ٢. (٣) الآية ٤٩ من هذه السورة المباركة.
(٤) أخرجه مسلم في الصحيح: ج ١ ص ٥٤٦ ح ٢٣٤ عن أبي هريرة.
(٥) أنشده في اللسان: مادّة «أذن» ونسبه إلى عديّ بن زيد.
(٦) الأنبياء: ١٠٧. (٧) في الحجريّة: «جاز» بدل «كان».
(٨) العلق: ١ و ٢. (٩) و (١٠) الزخرف: ٨٨ و ٨٥ على الترتيب.
(١١) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٢٧ ـ ٣٣٠ (بتلخيص).

ورُوي: أنّ الأعمش قرأ: «قل أُذُن خيرٌ ورحمةٌ» وهي قراءة آبن مسعود.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّ من جملة هؤلاء المنافقين الّذين وصفهم وذكرهم مَن يؤذي النبيّ صلّى الله عليه وآله. و«الأذى»: هو ضرر ربما تنفر منه النفس في عاجل الأمر، وأنّهم يقولون: هو أُذُن، يعنون: النبيّ صلّى الله عليه وآله. ومعنى «أُذُن»: أنّه يصغي إلى كلّ أحد فيقبل ما يقوله، في قول ابن عباس وقَتادَة ومجاهد والضحّاك. وقيل: أصله من «أذِنَ» إذا آستمع، على ما بيّنّاه، قال عديّ بن زيد:

أيّـها القَـلبُ تـعَلّل بـدَدَنْ   إنّ هَمّي في سَماعٍ وأذَنْ[1]

وقيل[2]: السبب في ذلك: أنّ قوماً من المنافقين تكلّموا بـما أرادوه، وقالوا: إن بلغه آعتذرنا إليه، فإنّه أُذُن يسمع ما يُقال له، فـقال الله تـعالى: ﴿قل﴾ يا محمّد ﴿أُذُن خير لكم﴾ لا أُذن شرّ لكم، وليس بـمعنى «أفـعل» وإنّما معناه: أُذُن صلاح، ولو رفع «خير» لكان معناه: أصلح، وهي قـراءة الحسن والأعشى والبُرْجُمي.

وإنّما قال بعد ذلك: ﴿يؤمن بالله﴾ لأنّ معناه: أنّه لإيمانه بـالله يـعمل بالحقّ فيما يسمع من غيره، وقيل: يصغي إلى الوحي من قبل الله.

وقوله: ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ قال ابن عبّاس: معناه: ويصدّق المـؤمنين. وقيل[3]: دخلت اللام كما دخلت في قوله: ﴿رَدِفَ لكم﴾[4] وتقديره: ردفكم، واللام مقحمة، ومثله: ﴿لربّهم يَرهَبُون﴾[5] ومعناه: يـرهبون ربّـهم، واللام

---

(١) أنشده السيّد المرتضى في أماليه: ج ١ ص ٣٣.

(٢) قاله الكلبي. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٣٧٧.

(٣) قائله الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٤٤.

(٤) النمل: ٧٢.

(٥) الأعراف: ١٥٤.

مقحمة. وقال قوم: دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق وإيمان الأمان.

وقوله: ﴿ورحمة للّذين آمنوا منكم﴾ يعني: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله رحمة للمؤمنين منكم، وإنّما خصّ المؤمنين بالذكر وإن كان رحمة للكفّار أيضاً من حيث انتفع المؤمنون به دون غيرهم من الكفّار، ثمّ قال: ﴿والّذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ أي: مؤلم موجع، جزاءً لهم على أذاهم للنبيّ صلى الله عليه وآله.

وقال ابن إسحاق: نزلت هذه الآية في نبتل بن الحارث كان يقول: إنّي لأنال من محمّد ما شئت، ثمّ آتيه أعتذر إليه وأحلف له فيقبل، فجاء جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّه يجلس إليك رجل أدلم، ثائر شعر الرأس، أسفع الخدّين، أحمر العينين كأنّهما قدران من صفر، كبده أغلظ من كبد الجمل، ينقل حديثك إلى المنافقين فاحذره، وكان ذلك صفة نبتل بن الحارث من منافقي الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من اختار[1] أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث. ذكره ابن إسحاق.

قوله تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)﴾ آية.

أخبر الله تعالى: أنّ هؤلاء المنافقين يُقسمون بالله أنّهم على دينكم، وأنّ الّذي بلغكم عنهم باطل ﴿ليرضوكم﴾ ومعناه: يريدون بذلك رضاكم لتحمدوهم عليه، ثمّ قال تعالى: ﴿والله ورسوله أحقُّ أن يرضوه﴾ أي: الله ورسوله أولى بأن يطلبوا مرضاتهما ﴿إن كانوا مؤمنين﴾ مصدّقين بالله مقرّين بنبوّة نبيّه.

---

(١) في ظاهر الخطّيّة: «من أحبّ» بدل «من اختار».

والفرق بين «الأحقّ» و«الأصلح»: أنّ «الأحقّ» قد يكون موضعه[١] غير الفعل، كقولك: زيد أحقّ بالمال، و«الأصلح» لا يقع هذا الموقع لأنّه من صفات الفعل، وتقول: الله أحقّ بأن يُطاع، ولا تقول: أصلح.

وقيل في وجه[٢] ضمير الواحد في قوله: ﴿والله ورسوله أحقّ أن يرضوه﴾ قولان:

أحدهما: إنّه لمّا كان رضا رسول‌الله رضا الله ترك ذِكْره، لأنّه دالّ عليه، والتقدير: والله أحقّ أن يرضوه ورسوله أحقّ أن يرضوه، كما قال الشاعر:

نَحنُ بِما عِنْدَنا وأنت بِما عندَكَ راضٍ والرأْيُ مختلفُ[٣]

والثاني: إنّه لا يذكر على طريق المجمل مع غيره، تعظيماً له بإفراد الذِكْر المعظّم بما لا يجوز إلّا له، ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله لمن سمعه يقول: مَن أطاع الله ورسوله فقد هَدَى: «ومن يعصهما فقد غَوَى» بئس خطيب القوم أنت، فقال: كيف أقول يا رسول‌الله فقال: قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، وإنّما أراد ما قلناه.

قوله تعالى:

أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ آية بلا خلاف.

يقول‌الله تعالى على وجه [التهديد و] التقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين:

---

(١) في الخطيّة: «من صفة» بدل «موضعه». (٢) في الحجريّة: «في ردّ» بدل «في وجه».

(٣) البيت مشهور منسوب لقيس بن الخَطِيم، من قصيدة طويلة يذكر حرباً بين قومه وغيرهم لم يشهدها، وأنّما أجاب شاعراً ذكرها. وقيل: هي لغيره. راجع ديوان قيس بن الخطيم: ص ١١٥ وهامش للمحقّق.

﴿ألم يعلموا﴾ أي: أوَ ما علموا ﴿أنّه من يحادد الله﴾ أي: من يتجاوز حدود الله الّتي أمر المكلّفين أن لا يتجاوزوها، فالمحادّة: مجاوزة الحدّ بالمشاقّة، [ومثله: المباعدة] والمعنى: مصيرهم في حدٍّ غير حدّ أولياء الله، فـ«المخالفة» و«المحادّة» و«المجانبة» و«المعاداة» نظائر في اللغة.

وإنّما قال لمن لا يعلم: ﴿ألم يعلموا﴾ لأحد أمرَيْن:

أحدهما: على وجه الاستبطاء لهم والتخلّف عن علمه. والآخر: أنّه يجب أن تعلموا الآن بهذه الأخبار. وقال الجُبّائي: معناه: ألم يخبرهم النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك.

وقوله: ﴿فأنّ له نار جهنّم خالداً فيها﴾ يحتمل أن يكون العامل في «أنّ» أحد الأمرين أحدهما أن يكون على التكرير، لأنّ الأُولى للتأكيد مع طول الكلام، وتقديره: فله نار جهنّم، أو: فبأنّ له نار جهنّم[1]. قال الزجّاج: ولو قُرئ: «فإنّ» بكسر الهمزة على وجه الاستئناف كان جائزاً، غير أنّه لم يقرأ به أحد.

وقوله: ﴿ذلك الخزي العظيم﴾ معناه: ذلك الّذي ذكرناه من أنّ له نار جهنّم هو الخِزْي، يعني: الهوان بما يُستحى من مثله، تقول: خَزي خِزْياً إذا انقمع للهوان، فأَخْزَاهُ إخْزاءً وخِزْياً.

قوله تعالى:

يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) كذا في الخطّيّة، وفي مجمع البيان هكذا «قوله: فأنّ له نار جهنّم» يحتمل أن يكون العامل في «أنّ» أحد الأمرين: إمّا أن يكون على تقدير حذف الجارّ على معنى فلأنّ له نار جهنّم، أو فبأنّ له نار جهنّم. وإمّا أن يكون أعاد «أنّ» الأُولى على التكرير، للتوكيد بسبب طول الكلام.

قيل في معنى ﴿يحذر المنافقون﴾ قولان:

أحدهما: قال الحسن ومجاهد، واختاره الجُبّائي: إنّ معناه الخبر عنهم بأنّهم كانوا يحذرون أن تنزل فيهم آية يفتضحون بها، لأنّهم كانوا شاكّين، حتّى قال بعضهم: لوددت أن أضرب كلّ واحد منكم مائة وألّا ينزل فيكم قرآن! ذكره أبو جعفر وقال: نزلت في رجلٍ يقال له: مَخْشِيُّ بن الحُـمَيِّر الأشْجعي[1].

الثاني: قال الزجّاج: إنّه تهديد، ومعناه: ليحذروا[2]. وحَسُنَ ذلك، لأنّ موضوع الكلام على التهديد، و«الحذر» إعداد ما يـتّقي الضـرر، ومـثله: «الفرق» و«الفزع» تقول: حَذِرْتُ حَذَراً، وتَحَذَّرَ تَحَذُّراً، وحاذَرَهُ مُحاذَرَةً وحِذَاراً، وحَذَّرَهُ تَحْذِيراً. و«المنافق»: والّذي يظهر مـن الإيـمان خـلاف ما يبطنه من الكفر، واشتقّ ذلك من «نَافِقَاء اليَرْبُوع» لأنّه يُخفي باباً ويظهر باباً، ليكون إذا أُتِيَ من أحدهما خرج من الآخر.

وقوله: ﴿تنبّئهم بما في قلوبهم﴾ أي: تخبرهم، غير أنّ «تنبّهم» يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل بمنزلة: أعلمت.

وقوله: ﴿قل استهزؤا﴾ أمر للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يقول لهؤلاء المنافقين: ﴿استهزؤا﴾ أي: اطلبوا الهُزْء، و «الهُزْء»: إظهار شيء وإبطان خلافه للتلهّي به[3] وهو بصورة الأمر، والمراد به: التهديد.

وقوله: ﴿إنّ الله مُخْرج ما تحذرون﴾ إخبار من الله تعالى أنّ الّذي تخافون من ظهوره فإنّ الله يظهره، بأن يبيّن لنبيّه صلى الله عليه وآله باطن حالهم ونفاقهم.

---

(١) تفسير الطبري: ج ١٠ ص ١٢٠.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٥٩.
(٣) في الحجريّة: للتهزّؤبه.

قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ آية.

خاطب الله تعالى نبيّه ﷺ فأقسم، لأنّ اللام لام القَسَم: بأنّك يا محمّد ﷺ إنْ سألت هؤلاء المنافقين عمّا تكلّموا به ﴿ليقولنّ إنّما كنّا نخوض ونلعب﴾ قال الحسن وقَتادَة: هؤلاء[١] قالوا في غزوة تَبُوك: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات!! فأطلع الله نبيّه ﷺ على ما قالوه، فلمّا سألهم النبيّ عن ذلك على وجه التأنيب لهم والتقبيح لفعلهم: لِمَ طعنتم في الدين بالباطل والزور؟ فأجابوا بما لا عذر فيه، بل هو وبال عليهم: بأنّا ﴿كنّا نخوض ونلعب﴾.

و«الخَوْض»: دخول القَدَم فيما كان مائعاً من الماء أو الطين، هذا في الأصل، ثمّ كثُر حتّى صار في كلّ دخولٍ منه أذىً وتلويث. و«اللعب»: فعل ما فيه سقوط المنزلة لتعجل اللذّة[٢] من غير مراعاة الحكمة[٣] كفعل الصبيّ، وقالوا: ملاعب الأسنّة أي: أنّه لشجاعته يقدم على الأسنّة كفعل الصبيّ الّذي لا يفكّر في عاقبة أمره، فقال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿قل﴾ لهم: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن﴾ قال أبو عليّ: ذكر الاستهزاء هاهنا مجاز، لأنّه جعل الهُزْء بالمؤمنين وبآيات الله هزءاً بالله. و«الهُزْء»: إيهام أمرٍ على خلاف ما هو به، استصغاراً لصاحبه.

---

(١) في الخطّيّة: «كانوا» بدل «هؤلاء».

(٢) في الحجريّة: «ليحصّل اللذّة» بدل «لتعجل اللذّة».

(٣) في الخطّيّة: «مراعاة اذن الحكمة».

قوله تعالى:

﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ عاصم: ﴿إن نَعْفُ﴾ بنون مفتوحة وضمّ الفاء ﴿نعذّب﴾ بالنون وكسر الذال ﴿طائفةً﴾ بالنصب، الباقون بضمّ الياء في ﴿يُعف﴾ ﴿تُعذّب طائفةٌ﴾ بضمّ التاء ورفع ﴿طائفة﴾.

مَن قرأ بالنون فلقوله ﴿ثمّ عفونا عنكم﴾[1] ومَن قرأ بالتاء فالمعنى ذاك بعينه. وأمّا ﴿تعذّب﴾ فَمَن قرأ بالتاء فلأنّ الفعل في اللفظ مسند إلى مؤنّث.

قوله تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا﴾ صورته صورة النهي والمراد به التهديد، والمراد: أنّ الله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن يقول لهؤلاء المنافقين الّذين يحلفون بأنّهم ماقالوا ما قالوه إلّا لعباً وخوضاً على وجه التهزّؤ بآيات الله: ﴿لا تعتذروا﴾ بالمعاذير الكاذبة فإنّكم بما فعلتموه ﴿قد كفرتم﴾ بعد أن كنتم مُظْهرين الإيمان الّذي يحكم لمن أظهره بأنّه مؤمن، ولا يجوز أن يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقّين للثواب ثمّ يرتدّون، لِمَا قلناه في غير موضع: إنّ المؤمن لا يجوز عندنا أن يكفر، لأنّه كان يؤدّي إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم، لبطلان التحابط، والإجماع يمنع من ذلك. و«الاعتذار»: إظهار ما يقتضي العذر، و«العذر»: ما يسقط الذمّ عن الجناية.

وقوله: ﴿إن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة﴾ إخبار منه تعالى أنّه إن عفا عن قومٍ منهم إذا تابوا يعذّب طائفةً أُخرى لم يتوبوا. و«العفو»: رفع

---

(١) البقرة: ٥٢.

التبعة عمّا وقع من المعصية، وترك العقوبة عليها، ومثله: «الصفح» و«الغفران».

وقوله: ﴿بأنّهم كانوا مجرمين﴾ معناه: أنّه إنّما يعذّب الطائفة الّتي يعذّبها لكونها مجرمة مذنبة مرتكبة لِمَا يستحقّ به العقاب. و«الإجرام»: الانقطاع عن الحقّ إلى الباطل، وأصله: «الصَرم» تقول: جَرَمَ التَمَرَ يَـجْرِمُهُ جَـرْماً وجِراماً إذا صَرَمَه، والجرم صرم الحـقّ بـالباطل، وتَـجَرَّمَت السـنة: إذا تَصَرّمت، قال لَبِيد:

دِمَـنٌ تَـجَرّمَ بَـعدَ عَـهْدِ أنـيسِها   حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلَالُها وحرامُها[١]

قال الزجّاج والفرّاء: نزلت الآية[٢] في ثلاثة نفرٍ فَهَزَأَ اثنان وضـحك واحد[٣]. قال ابن إسحاق: كـان الّـذي عَـفا عـنه مَـخْشِيّ بـن حَـمِين الأشْجعي[٤] حليف بني سَلَمَة، لأنّه أنكر منهم بعض ما سـمع. فـجُعِلت «طائفة» للواحد ويُراد بها: نفس طائفة، وأمّا في الآية فـيقال للـجماعة: «طائفة» لأنّهم يطيفون بالشيء، وقوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[٥] يجوز أن يُراد به واحدٌ على ما فسّرناه.

قوله تعالى:

﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى بأنّ المنافقين الّذين يظهرون الإيمان ويسرّون الكـفر ﴿بعضهم من بعض﴾ والمعنى: أنّ بعضهم يضاف إلى بعض بالاجتماع على

(١) من معلّقته المشهورة. راجع ديوان لبيد: ص ١٦٤. (٢) في الخطّيّة: «نزلت الآيتان».
(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٥٩ ومعاني القرآن: ج ١ ص ٤٤٥.
(٤) راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ١٢٠، وفي مجمع البيان: «مخشيّ بن حُمَيِّر الأشجعي».
(٥) النور: ٢.

النفاق، كما يقول القائل لغيره: أنت منّي وأنا منك، والمعنى: أنّ أمرنا واحد لا ينفصل، وقيل: بعضهم من بعض فيما يلحقهم من مقت الله وعذابه، أي: منازلهم متساوية في ذلك.

ثمّ أخبر: أنّ هؤلاء المنافقين ﴿يأمرون﴾ غيرهم ﴿بالمنكر﴾ الّذي نهى الله عنه وتوعّد عليه من الكفر بالله ونبيّه، وجحد آياته ﴿وينهون عن المعروف﴾ يعني: الأفعال الحسنة الّتي أمر الله بها وحثّ عليها ﴿و﴾ أنّهم ﴿يقبضون أيديهم﴾ أي: يمسكون أموالهم عن إنفاقها في طاعة الله ومرضاته، وهو قول قَتادَة، وقال الحسن ومجاهد: أراد إمساكها عن الإنفاق في سبيل الله. وقال الجُبّائي: أراد به إمساك الأيدي عن الجهاد في سبيل الله.

وقوله: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ معناه: تركوا أمر الله، حتّى صار بمنزلة المنسيّ بالسهو عنه فجازاهم الله بأن صيّرهم بمنزلة المنسيّ من ثوابه ورحمته، وذكره ذلك لازدواج الكلام. وقال قَتادَة: أي : نُسُوا من الخير ولم يُنْسَوا من الشرّ.

ثمّ أخبر تعالى فقال: ﴿إنّ المنافقين﴾ الّذين يخادعون المؤمنين بإظهار الإيمان مع إبطانهم الكفر ﴿هم الفاسقون﴾ الخارجون عن الإيمان بالله وبرسوله وعن طاعاته.

قوله تعالى:

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ آية.

أخبر الله تعالى بأنّه ﴿وَعَدَ المنافقين والمنافقات﴾ الّذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر ﴿نار جهنّم﴾ يعاقبون فيها أبد الآبدين، وكذلك الكفّار الّذين يتولّونهم، وهم على ظاهر الكفر، فلذلك أفردهم بالذِكْر ليعلم

أنّ الفريقَيْن معاً يتناولهم الوعيد. وتقول: وَعَدْتُه بالشرّ وعيداً، ووَعَدْتُه بالخير وَعْداً، وأوْعَدْتُه إيعاداً، وتَوعَّدْته تَوعُّداً في الشرّ لا بالخير، وواعَدْته مُواعَدَةً، وتَواعَدُوا تَواعُداً.

وقوله: ﴿هي حسبهم﴾ يعني: نار جهنّم والعقاب فيها كافيهم ﴿ولعنهم الله﴾ يعني: أبعدهم الله عن جنّته وخيره ﴿ولهم﴾ مع ذلك ﴿عذاب مقيم﴾ ومعناه: دائم لا يزول. وقيل: معنى ﴿هي حسبهم﴾ أي: هي كفاية ذنوبهم[١]، ووفاء لجزاء عملهم. و«اللعن»: الإبعاد من الرحمة عقاباً على المعصية، ولذلك لا يقال: لعن البهيمة، كما لا يُدْعى لها بالعفو[٢].

قوله تعالى:

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَـٰدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَـٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ آية بلا خلاف.

الكاف في قوله: ﴿كالّذين﴾ في موضع نصب، والتقدير: احذروا أن يحلّ بكم من العذاب والعقوبة كالّذين، ويحتمل أن يكون المراد: وعدكم الله على الكفر كما وعد الّذين من قبلكم، فشبّه المنافقين في عدولهم عن أمر الله للاستمتاع بلذّات الدنيا بمن قبلكم، مع أنّ عاقبة أمر الفريقَيْن يؤول إلى العقاب، مع أنّ الأوّلين كانوا أشدّ من هؤلاء قوّة في أبدانهم وأطول أعماراً وأكثر أموالاً وأشدّ تمكّناً، فلم يقدروا أن يدفعوا عن نفوسهم ما حلّ بهم من عقاب الله.

---

(١) قاله الزجّاج في معانيه: ج ٢ ص ٤٦٠.

(٢) في الخطّية: «لا يدعى لها بالعقوبة».

وقوله: ﴿فاستمتعوا بخَلَاقهم﴾ فالاستمتاع: هو طلب المتعة، وهي فعل ما فيه اللذّة من المآكل والمشارب والمناكح، ومعناه: أنّهم تمتّعوا بنصيبهم من الخير العاجل وباعوا بذلك الخير الآجل فهلكوا بشرّ استبدال، كما تمتّعتم أيّها المنافقون ﴿بخلاقكم﴾ أي: بنصيبكم، و«الخَلَاق» : النصيب، سواء كان عاجلاً أو آجلاً.

وقوله: ﴿وخضتم كالّذي خاضوا﴾ خطاب للمنافقين بأن قيل لهم: خضتم في الباطل والكذب على الله كالّذين خاضوا يعني من تقدّم من الكفّار. ثمّ قال: أُولئك يعني الّذين تقدموهم في الكفر والّذين تابعوهم على ذلك من المنافقين وغيرهم من الكفّار ﴿حبطت أعمالهم﴾ لأنّهم [كانوا] أوقعوها على خلاف ما أمرهم الله به، فلم يستحقّوا عليها ثواباً بل استحقّوا عليها العقاب، فلذلك كانوا خاسرين أنفسهم ومهلكين لها بفعل المعاصي المؤدّي إلى الهلاك.

ورُوِي عن ابن‌عبّاس أنّه قال في هذه الآية: ما أشبه الليلة بالبارحة ﴿كالّذين من قبلكم﴾ هؤلاء بنو إسرائيل لشبّهنا بهم، لا أعلم إلّا أنّه قال: «والّذي نفسي بيده، لتتّبِعُنَّهم حتّى لو دخل الرجل منهم جحر ضبٍّ لدخلتموه»(١). ومثله(٢) روي عن أبي‌هريرة عن النبيّ ﷺ(٣). وعن أبي‌سعيد الخُدَري مثله(٤).

قوله تعالى:

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ١٢٢.
(٢) في الخطّيّة: ممّا.
(٣) أخرجه عنه أحمد بن حنبل في المسند: ج ٢ ص ٣٢٧.
(٤) أخرجه عنه الطبراني في المعجم: ج ٦ ص ٢٥١.

مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ آية في الكوفي والبصري، وآيتان في المدنيّين آخر الأولى: ﴿وثمود﴾ .

قوله: ﴿ألم﴾ صورته صورة الاستفهام والمراد به: التقرير والتحذير، وإنّما حَسُن في الاستفهام أن يخرج إلى معنى التقرير لأنّ الاحتجاج بما يلزمهم الإقرار به. فقال الله تعالى مخاطباً لنبيّه: ألم يأت هؤلاء المنافقين الّذين وصفهم خبر ﴿مَن﴾ كان ﴿قبلهم﴾ من ﴿قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مَدْين﴾ على وجه الاحتجاج عليهم فيتّعظوا، لأنّ الأُمم الماضية والقرون السالفة إذا كان الله تعالى إنّما أهلكها ودمّرها لتكذيبها رسلها، كان ذلك واجباً في كلّ أُمّة يساوونهم في هذه العلّة، فأقلّ أحوالهم ألّا يأمنوا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأُولئك. قال الرُمّاني: والحكمة تقتضي إذا تساوى جماعة في آستحقاق العقاب أن لا يجوز العفو عن بعضهم دون بعض مع تساويهم في الأحوال، وإنّما يجوز العدول من قوم إلى قومٍ في الواحد منّا للحاجة. وهذا يتمّ على قول مَن يقول بالأصلح، ومَن لا يقول بذلك يقول: هو متفضّل بذلك، وله أن يتفضّل على من يشاء، ولا يلزم أن يفعل ذلك بكلّ مكلّف.

وقوله: ﴿والمؤتفكات﴾ قال الحسن وقَتادَة: هي ثلاث قريات لقوم لوطٍ. ولذلك جمعها بالألف والتاء، وقال في موضع آخر: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ [١] فجاء به على طريق الجنس. قال الزجّاج: معناه: ائتفكت [الأرض] بأهلها: انقلبت[٢]. و«مَدْين» اسم البلد الّذي كان فيه شعيب عليه السلام

(١) النجم: ٥٣.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٦١.

وقيل: مدين ابن إبراهيم، اسم له.

وقوله: ﴿أتتهم رسلهم بالبيّنات﴾ معناه: جاءت هؤلاء المذكورين الرُسُلُ من عند الله، معها حجج ودلالات على صدقها، فكذّبوا بها فأهلكهم الله. وحُذِف لدلالة الكلام عليه. ثمّ قال: ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ أي: لم يكن الله ظالماً لهم بهذا الإهلاك ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بأن فعلوا من الكفر والمعاصي ما استحقّوا به الهلاك.

وقيل: إنّ الله تعالى أهلك قوم نوح بالغرق، وأهلك عاداً بالريح الصرصر العاتية، وأهلك ثمود بالرجفة والصاعقة، [وأهلك قوم إبراهيم بالتشتيت وسلب الملك والنعمة، وأهلك أصحاب مَدْين بعذاب يوم الظلّة،][1] وأهلك قوم لوط بانقلاب الأرض، كلّ ذلك عدلاً منه على من ظلم نفسه وعَصَى الله، واستحقّ عقابه.

قوله تعالى:

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ آية بلا خلاف .

لمّا ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بأنّ بعضهم من بعض بالاتّفاق والتعاضد، اقتضى أن يذكر المؤمنين، ويصفهم بضدّ أوصافهم، فقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ أي: يلزم كلّ واحد منهم نصرة صاحبه، وأن يواليه. وقال الرُمّاني: العقل يدلّ على وجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً، لأنّها تجري مجرى استحقاق الحمد على طاعة الله والذمّ على معصيته، ولا يجوز أن يرد الشرع بخلاف ذلك. وإذا قلنا:

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

«المؤمن وليّ الله» معناه: أنّه ينصر أولياء الله وينصر دينه، و«الله وليّه» بمعنى: أولى بتدبيره وتصريفه، وفرض طاعته عليه.

ثمّ قال: ﴿يأمرون بالمعروف﴾ يعني: المؤمنين يأمرون بما أوجب الله فعله أو رُغِّب فيه عقلاً أو شرعاً، وهو المعروف ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما نهى الله تعالى عنه، وزُهِّد فيه إمّا عقلاً أو شرعاً، ويضيفون إلى ذلك: إقامة ﴿الصلاة﴾ أي: إتيانها بكمالها والمداومة عليها، ويخرجون زكاة أموالهم حسب ما أوجبها الله عليهم، ويضعونها حيث أمر الله بوضعها فيه ﴿ويطيعون الله ورسوله﴾ أي: يمتثلون أمرهما ويتّبعون إرادتهما ورضاهما، ثمّ قال: ﴿أولئك سيرحمهم الله﴾ يعني: المؤمنين الّذين وصفهم أن ستنالهم في القيامة رحمة الله.

ثمّ أخبر عن نفسه فقال: ﴿إنّ الله عزيز حكيم﴾ [فالعزيز معناه][1]: قادر لا يغلبه أحد من الكفّار والمنافقين، حكيم في عقاب المنافقين وإثابة المؤمنين، وغير ذلك من الأفعال.

وإنكار المنكر يجب بلا خلاف سمعاً، وعليه الإجماع، وكذلك الأمر بالمعروف واجب. فأمّا العقل فلا يدلّ على وجوبهما أصلاً، لأنّه لو أوجب ذلك لوجب أن يمنع الله من المنكر، لكن يجب على المكلّف إظهار كراهة المنكر الّذي يقوم مقام النهي عنه.

وفي الآية دلالة على أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الأعيان، لأنّ الله تعالى جعل ذلك من صفات المؤمنين، ولم يخصّ قوماً دون قوم.

---

(١) ما بين المعقوفتين أثبتناه من الحجريّة. وفي الخطّية: أي قادر.

قوله تعالى:

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: بأنّه كما وعد المنافقين بنار جهنّم والخلود فيها كذلك ﴿وعد الله المؤمنين﴾[1] المعترفين بوحدانيّته وصدق رسله ﴿و﴾ كذلك ﴿المؤمنات جنّات﴾ يعني: بساتين يجنّها الشجر ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ وتقديره: تجري من تحت أشجارها الأنهار، وقيل: أنهار الجنّة أخاديد في الأرض، فلذلك قال: ﴿من تحتها﴾ وأنّهم ﴿فيها﴾ خالدون، أي: دائمون ﴿ومساكن طيّبة﴾ معناه: وعدهم مساكن طيّبة، و«المسكن»: الموضع الّذي يُسْكَن، ورَوَى الحسن: أنّها قصور من اللؤلؤ والياقُوت الأحمر والزَبَرْجَدُ الأخضر مبنيّة بهذه الجواهر.

وقوله: ﴿في جنّات عدن﴾ فالعدن: الإقامة والخلود ومنه: المعدن، ومنه قال الأعشى:

وإنْ يَستَضِيفُوا إلى حِلْمِهِ ... يُضافُوا إلى راجحٍ قَد عَدَنْ[2]

وروي[3]: أنّها جنّة لا يسكنها إلّا النبيّون والشهداء والصالحون.

وقوله: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ قال الرُمّاني: «الرضوان» معنىً يدعو إلى الحمد بالإجابة، يستحقّ مثله بالطاعة فيما تقتضيه الحكمة وإنّما صار

---

(١) في الخطّيّة زيادة: «بثواب الجنّة والخلود فيها».

(٢) نقل البيت تبعاً للطبري، وفي ديوان الأعشى: ص ٢١٠:

وإن يُستضافُوا إلى حُكْمِهِ ... يُضافوا إلى هادنٍ قد رَزَنْ

(٣) رواه الطبري في تفسيره: ذيل «الآية» بسنده عن أبي الدرداء عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

«الرضوان» أكبر الثواب، لأنّها لا يوجد منه شيء إلّا بالرضوان، إذ هو الداعي إليه والموجب له في قول أبي عليّ. وقال الحسن: لأنّ ما يصل إلى قلبه من السرور برضوان الله،أكبر من جميع ذلك. وإنّما رفع ﴿رضوان﴾ لأنّه استأنفه للتعظيم، كما يقول القائل: أعطيتك ووصلتك، ثمّ يقول: وحُسْنُ رأيي فيك ورضاي عنك خير من جميع ذلك.

وقوله: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ معناه: هذا النعيم الّذي وصفه هو النجاح العظيم الّذي لا شيء فوقه ولا أعظم منه.

قوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٧٣) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى في هذه الآية نبيّه صلّى الله عليه وآله أن يجاهد الكفّار والمنافقين. و«الجهاد»: هو ممارسة الأمر الشاقّ. والجهاد يجب باليد واللسان والقلب، فمن أمكنه الجميع وجب عليه جميعه، ومن لم يقدر باليد فباللسان، فإن لم يقدر فبالقلب. واختلفوا في كيفيّة جهاد الكفّار والمنافقين، فقال ابن‌عبّاس: جهاد الكفّار بالسيف، وجهاد المنافقين باللسان والوعظ والتخويف. وهو قول الجُبّائي.

وقال الحسن وقَتادَة: جهاد الكفّار بالسيف، وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، وكانوا أكثر من يصيب الحدود.

وقال ابن مسعود: هو بالأنواع الثلاثة بحسب الإمكان، فإن لم يقدر فليكفهرّ في وجوههم، وهو الأعمّ.

وروي في قراءة أهل البيت عليهم السلام . ﴿جاهد الكفّار بالمنافقين﴾.

وقوله: ﴿واغلظ عليهم﴾ أمر منه تعالى لنبيّه أن يقوّي قلبه على إحلال

الألم بهم، بإسماعهم الكلام الغليظ الشديد ولا يرقّ عليهم.

ثمّ قال: ﴿ومأواهم جهنّم﴾ أي: منزلهم جهنّم ومقامهم[1] و«المأوى»: منزل مقام، لا منزل ارتحال. ومثله: «المثوى» و«المسكن». وقوله: ﴿وبئس المصير﴾ إخبار منه تعالى: أنّ مرجع هؤلاء ومأواهم بئس المرجع وبئس المأوى.

قوله تعالى:

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَـٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَالَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَانَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ آية بلا خلاف .

اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية، فقال عُرْوَة وآبن إسحاق ومجاهد: إنّها نزلت في الجُلاس[2] بن سُوَيْد بن الصامِت بأنّه قال: فإن كان ما جاء به محمّد حقّاً لنحن شرّ من الحمير، ثمّ حلف بالله أنّه ما قال.

وقال قَتادَة: نزلت في عبدالله بن أُبيّ بن سلول حين قال: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ﴾[3]. وقال الحسن: كان ذلك في جماعة من المنافقين.

وقال الواقدي والزجّاج: نزلت في أهل العقبة، فإنّهم ائتمروا أن يغتالوا رسولالله في عقبةٍ في الطريق عند مرجعهم من تبوك، وأرادوا أن يقطعوا اتساع[4] راحلته، ثمّ ينخسوا به فأطلعه الله على ذلك، وكان ذلك من

(١) في الخطّيّة: «أي منزل مقامهم جهنّم».

(٢) في الطبري ومجمع البيان: «جُلاس».

(٣) المنافقون: ٨.

(٤) كذا في الخطّيّة والحجريّة، وفي مجمع البيان: أنساع، ولعلّه الصواب.

معجزاتهﷺ لأنّه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلّا بوحيٍ من الله تعالى، فسار رسول‌الله في العقبة وحده وأمر الناس كلّهم بسلوك بطن الوادي، وكانوا اثني عشر رجلاً أو خمسة عشر رجلاً على الخلاف فيه، وعرّفهم واحداً واحداً عمّار بن ياسر وحُذَيْفَة، فإنّ أحدهما كان يقود ناقة رسول‌الله والآخر يسوقها، والحديث مشروح في كتاب الواقدي(١).

وقال أبو جعفر: كانوا ثمانية من قريش وأربعة من العرب.

وقوله: ﴿وهمّوا بما لم ينالوا﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:

[أحدها]: قال مجاهد: همّ المنافقون بما لم يبلغوه من التنفير برسول‌الله. الثاني: قال قَتادَة: همّوا بما ذكر في قوله: ﴿ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ﴾ فلم يبلغوا ذلك. والثالث: رُوِي عن مجاهد: أنّهم همّوا بقتل مَن أنكر عليهم ذلك.

وقال بعضهم(٢): كان المنافقون قالوا: لو رجعنا وضعنا التاج على رأس عبدالله بن أُبيّ، فلمّا وقفوا على ذلك حلفوا بأنّهم ما قالوا ذلك ولا همّوا به. فأخبر الله تعالى [عن حالهم] أنّهم ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ ثمّ أقسم تعالى بأنّهم قالوا ذلك، لأنّ لام «لقد» لام القَسَم، وأنّهم ﴿قالوا كلمة الكفر﴾ وهي كلّ كلمة فيها جحد لنِعَم الله أو بلغت منزلتها في العِظَم، وكانوا يطعنون في الإسلام والنبوّة، وأخبر أنّهم همّوا بما لم يبلغوه.

و«الهمّ»: مقاربة الفعل بتغليبه في النفس، تقول: هَمّ بالشيء يَهُمُّ همّاً، ومنه: قوله: ﴿ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى﴾(٣) وليس «الهمّ» من «العزم» في شيء، إلّا أن يبلغ نهاية العزم(٤) في النفس. و«النيل»: لحوق الأمر، ومنه: قوله: «نال السيف» و«نال ما اشتهى أو قدّر أو تمنّى» فهؤلاء

---

(١) كتاب المغازي: ج ٣ ص ١٠٤٢ ـ ١٠٤٤.
(٢) كالواقدي في مغازيه: ج ٣ ص ١٠٦٨.
(٣) يوسف: ٢٤.
(٤) في الخطّية: القوّة.

قدّروا في أنفسهم من كيد الإسلام ما لم يبلغوه.

وقوله: ﴿وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ يعني: ما فتح الله عليهم من الفتوح وأخذ الغنائم واستغنوا بعد أن كانوا محتاجين. وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّهم عملوا بضدّ الواجب، فجعلوا موضع شكر الغنى أن نقموا، قال الشاعر:

ما نَقَمُوا مِن بَني أُمَيّةَ إلّا ... أنّهمُ يَحْلِمُونَ إنْ غَضِبُوا[1]

والآخر: إنّهم بطروا النعمة بالغنى، فنقموا بطراً وأشراً، فهم لا يفلحون بهذه الحال ولا بعدها. و«الفضل»: الزيادة في الخير على مقدارٍ ما، و«التفضّل»: هو الزيادة من الخير الّذي كان للقادر عليه أن يفعله وأن لا يفعله.

ثمّ قال تعالى: ﴿فإن يتوبوا﴾ هؤلاء المنافقون ويرجعوا إلى الحقّ ﴿يك خيراً لهم﴾ في دينهم ودنياهم، فإنّهم ينالون بذلك رضا الله ورسوله والجنّة ﴿وإن يتولّوا﴾ أي: يعرضوا عن الرجوع إلى الحقّ وسلوك الطريق الصحيح ﴿يعذّبهم الله عذاباً أليماً﴾ أي: مؤلماً ﴿في الدنيا﴾ بما ينالهم من الحسرة والغمّ وسوء الذكر وأنواع المصائب، ﴿و﴾ في ﴿الآخرة﴾ بعذاب النار ﴿وما لهم في الأرض﴾ أي ليس لهم في الأرض ﴿من وليّ﴾ أي: محبّ ﴿ولا نصير﴾ يعني: مَن ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله.

وقيل[2]: إنّ جُلاساً تاب بعد ذلك، وقال: استثنى الله تعالى لي التوبة، فَقَبِل الله توبته.

---

(١) البيت لعبدالله بن قيس الرقيات، كما في ديوانه: ص ٤.

(٢) قاله هشام بن عروة عن أبيه. راجع تفسير الطبري: ج ١٠ ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَـٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّ من جملة المنافقين الّذين تقدّم ذكرهم ﴿من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ﴾ أي: منه ﴿ولنكوننّ من الصالحين﴾ بإنفاقه في طاعة الله وصلة الرحم والمواساة، وأن يعمل الأعمال الصالحة الّتي يكون بها صالحاً.

وقيل: نزلت الآية في بَلْتَعَة بن حاطب، كان محتاجاً فنذر لئن استغنى ليصّدّقنّ، فأصاب اثني عشر ألف درهم، فلم يتصدّق، ولم يكن من الصالحين، هكذا قال الواقدي[1]. وقال ابن إسحاق: هما بَلْتَعَة ومُعَتِّب بن قُشَيْر. وقيل: سبب ذلك أنّه قُتِل مولىً له، فأخذ ديته اثني عشر ألف درهم، أعطاه النبيّ صلّى الله عليه وآله.

فإن قيل: كيف يصحّ أن يعاهد الله من لا يعرفه؟

قلنا: إذا وصفه بأخصّ صفاته جاز منه أن يصرف عهده إليه وإن جاز أن يكون غير عارف. وقال الجُبّائي: كانوا عارفين، وإنّما كفروا بالنبيّ صلّى الله عليه وآله.

و«المعاهدة»: هي أن يقول: عليَّ عهد الله لأفعلنَّ كذا، فإنّه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره الله، لأنّ الله تعالى حكم بذلك، وقدّر وجوبه عليه في الشرع. والآية دالّة على وجوب الوفاء بالعهد.

واللام الأُولى من قوله: ﴿لئن آتانا من فضله﴾ والثانية من قوله: ﴿لنصّدّقنّ﴾ جميعاً لام القَسَم، غير أنّ الأُولى وقعت موقعه والثانية وقعت موقع الجواب، والتقدير: علينا عهدالله لنصّدّقنّ إن آتانا من فضله. ولايجوز

---

(١) كتاب المغازي: ج ٣ ص ١٠٦٨ ـ ١٠٦٩.

أن تكون اللام الأُولى لام الابتداء، لأنّ لام الابتداء لا تدخل إلّا على الاسم المبتدأ، لأنّها تقطع ما قبلها أن يعمل فيما بعدها، إلّا في باب «إنّ» فإنّها زحلقت إلى الخبر لئلّا يجتمع تأكيدان. ويجوز أن يقول القائل: إن رزقني الله مالاً أصلحت منه، ولا يجوز أن يقول: إن رزقني الله مالاً صلحت بفعل الصلاة أو الصوم، لأنّ ذلك واجب عليه، آتاه مالاً أو لم يؤته.

قوله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦﴾ آية بلا خلاف.

أخبرالله تعالى عن هؤلاء المنافقين الّذين عاهدوا الله وقالوا: متى آتانا الله من فضله لنصّدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين: أنّه آتاهم ما اقترحوه، ورزقهم ما تمنّوه من الأموال، وأنّهم[1] لمّا آتاهم ذلك شحّت نفوسهم عن الوفاء بالعهد.

ومعنى ﴿لمّا﴾ معنى «إذا» إلّا أنّ «لمّا» الغالب عليها الجزاء، وهي اسم، لأنّها تقع في جواب «متى» على تقدير الوقت، كقولك: «متى كان هذا؟» فيقول السامع: لمّا كان ذلك. و«لمّا» و«لو» لا يكونان إلّا لما مضى، بخلاف «إنْ» و«إذا» فإنّهما لِمَا يُستقبل، إلّا أنّ «لو» على تقدير نفي وجوب الثاني لانتفاء الأوّل، و«لمّا» يدلّ على وقوع الثاني لوقوع الأوّل.

و«البخل»: منع النائل[2] لشدّة الإعطاء، ثمّ صار في أسماء الدين[3] منع الواجب، لأنّ من منع الزكاة فهو بخيل، قال الرُمّاني: ولا يجوز أن يكون البخل منع الواجب بمشقّة الإعطاء، قال زُهَيْر:

إنّ البَخيلَ مَلُومٌ حيثُ كان ولـ ـكنّ الجَوادَ على عِلّاتِهِ هَرِمُ[4]

(١) في الخطّيّة: «أنّه» بدل «أنّهم».
(٢) كذا، وفي مجمع البيان: السائل.
(٣) في الحجريّة: «الّذي» بدل «الدين».
(٤) من قصيدة يمدح هرم بن سنان. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٩١.

قال: لأنّه يلزم على ذلك أن يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقّة. وإنّما قال زُهَيْر ما قاله لأنّ البخل صفة نقص، قال الرُمّاني: ومَن منع ما لا يضرّه بذله ولا ينفعه منعه ممّا تدعو إليه الحكمة فهو بخيل، لأنّه لا يقع المنع على هذه الصفة إلّا لشدّةٍ في النفس وإن لم يرجع إلى ضرر، إذ الشدّة من غير ضرر معقولة، كما يصفون الجوزة بأنّها لئيمة لأجل الشدّة.

وقال عبدالله بن عمر والحسن ومحمّد بن كَعْب القُرَظي: يُعْرَف المنافق بثلاث خصال: إذا حدّث كذب، وإذا وعد خلف، وإذا آئتُمِن خان. وخالفهم عطاء بن أبي رباح في ذلك وقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما قال ذلك في قومٍ من المنافقين. ورُوِي أنّ الحسن رجع إلى قول عطاء.

وقوله: ﴿وتولّوا﴾ أي: أعرضوا عمّا عاهدوا الله عليه. وقوله: ﴿وهم معرضون﴾ إخبار منه بأنّهم معرضون عن الحقّ بالكلّية.

قوله تعالى:

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ آية بلا خلاف .

بيّن الله تعالى: أنّه أعقب هؤلاء المنافقين، ومعناه: أورثهم وأدّاهم إلى نفاق في قلوبهم بخلُهم بما آتاهم الله من فضله مع الإعراض عن أمر الله، وهو قول الحسن. وقال مجاهد: معناه: أعقبهم ذلك بحرمان التوبة كما حُرِم إبليس. وجعل ذلك أمارة ودلالة على أنّهم لا يتوبون أبداً [كما لهم على ما كسبت أيديهم]. والضمير في قوله: ﴿يلقونه﴾ يحتمل أن يكون عائداً[1] إلى أحد شيئين: أحدهما مَن قال: أعقبهم بخلُهم ردّ الضمير إليه،

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

والمعنى: يلقون جزاء بخلهم، ومَن ذهب إلى أنّ الله أعقبهم ردّ الضمير إلى اسم الله.

وقوله: ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه﴾ فالإخلاف: نقض ما تقدّم به العقد من وعد أو عزم، وأصله: الخلاف، لأنّه فعل خلاف ما تقدّم به العقد. و«الوعد»[1]: متى كان بأمرٍ واجبٍ أو ندبٍ أو أمرٍ حَسنٍ قَبُحَ الإخلاف، وإن كان الوعد وعداً بقبيح كان إخلافه حسناً.

وقوله: ﴿وبما كانوا يكذبون﴾ يقوّي قول من قال: إنّ الضمير عائد إلى الله؛ لأنّه بيّن أنّه إنّما فعل ذلك جزاءً على إخلافهم وعده، وجزاءً على ما كانوا يكذبون في إخبارهم عليه.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ آيـة بلاخلاف.

الألف في قوله: ﴿ألم يعلموا﴾ ألف آستفهام، والمراد به: الإنكار. يقول الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ألم يعلم هؤلاء المنافقون ﴿أنّ الله يعلم سرّهم﴾ يعني: ما يخفون في أنفسهم وما يتناجون به بينهم، والمعنى: أنّه يجب عليهم أن يعلموا [ذلك]، تقول: أسرّه إسراراً، واستسرّ به استسراراً، وسارّه مسارّةً وسِراراً، وتسارّا تسارّاً. و«الإسرار»: إخفاء المعنى في النفس، و«النجوى»: رفع الحديث بإظهار المعنى لمن يسلم عنده من إخراجه إلى عدوّ فيه، لأنّه من النجاة، تقول: ناجاهُ مناجاةً، وتَنَاجَوْا تَناجياً، فكأنّ هؤلاء المنافقون يسرّون في أنفسهم الكفر ويتناجون به بينهم، وقيل: السرّ

(١) في الخطّيّة: دون الوعد.

والنجوى واحد، مكرّر باختلاف اللفظَين، كما يقول القائل: آمرك بالوفاء وأنهاك عن الغدر، والمعنى واحد [مكرّر باختلاف اللفظَين][١].

وقوله: ﴿إنّ الله علّام الغيوب﴾ معناه: يعلم كلّ ما غاب عن العباد ممّا غاب عن إحساسهم أو إدراكهم من موجود أو معدوم من كلّ وجه يصحّ[٢] أن يعلم منه، لأنّها صفة مبالغة، واقتضى ذكر العلم ـ هاهنا ـ: حال المنافقين في كفرهم سرّاً وإظهارهم الإيمان جهراً، فقيل لهم: إنّ المجازي لكم يعلم سرّكم ونجواكم، وممّا جاء باختلاف اللفظين والمعنى واحد قول ذي الرُمّة[٣]:

لَمْياءُ فـي شَـفتَيْها حُـوّة لَـعَسٌ وفي اللّثّاتِ وفي أنيابها شَنَبُ[٤]

فاللَعَس: حُوّة، وكرّر لاختلاف اللفظَين، ويمكن أن يكون لمّا ذكر «الحُوّة» خشي أن يتوهّم السامع سواداً قبيحاً، فبيّن أنّه لَعَس لأنّه يستحسن ذلك.

قوله تعالى:

ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَايَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ آية بلا خلاف .

قيل: نزلت هذه الآية في عليّة بن زيد الحارثي وزيد بن أسْلَم العَجْلاني، فجاء عليّة بصاع من تمر فنثره في الصدقة، وقال: يا رسول الله، عملت في النخل بصاعَيْن، فصاعاً تركته لأهلي وصاعاً أقرضته ربّي. وجاء زيد بن أسْلَم بصدقة، فقال معتب بن قُشَيْر وعبدالله بن نبتل[٥]: إنّما أراد الرياء.

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.
(٢) في الخطّيّة: «يصلح» بدل «يصحّ».
(٣) كذا في الخطّيّة، وفي الحجريّة هكذا: كما قال ذو الرمّة في معنىً واحدٍ بلفظين مختلفين.
(٤) ديوان ذي الرمة ص ٢٦. . .
(٥) في المطبوعتين، نهيك.

وقال قَتادَة وغيره من المفسّرين: إنّ هذه الآية نـزلت فـي حـبحاب أبيعقيل[١] لأنّه أتَى النبيّ ﷺ بصاعٍ من تمر وقال: يا رسـولالله، إنّـي عملت في النخل بصاعين من تمر، فـتركت للـعيال صـاعاً وأهـديت لله صاعاً، وجاء عبدالرحمن بن عَوْف بأربعة آلاف دينار، وهي شطر مـاله للصدقة، فقال المنافقون: إنّ عبدالرحمن لعظيم الرياء، وقالوا في الآخر: إنّ الله لغـنيّ عـمّا أتَـى بـه. فأنـزل الله تـعالى الآيـة فـقال: ﴿الّذين يلمزون المطَّوّعين﴾ أي: ينسبونهم إلى النقص في النفس، يقولون: لَمَزَه يَلْمِزُهُ لَمْزاً إذا انـتقصه وعـابه. و«المـطَّوّعين» [عـلى وزن] «المـتفعّلين» وتـقديره: المتطوّعين، فأُدغمت التاء في الطاء، ومعناه: المتنفّلين من طاعة الله بـما ليس بواجبٍ عليهم، لأنّ الحسن[٢] قد يكون واجباً وقد يكون ندباً وقد يكون مباحاً، ولا يستحقّ المدح إلّا على الواجب والندب، دون المباح.

وقوله: ﴿والّذين لا يجدون إلّا جهدهم﴾ والجهد: هذه[٣] الحـمل عـلى النفس بما يشقّ، تقول: جَهَدَه يَجْهَدُهُ جَـهْداً وجَـهْداً ـ بـالضمّ والفـتح ـ كالوُجْد والوَجْد، والضُعْف والضَعْف، وقال الشـعبي: الجَـهْد فـي العـمل، والجُهْد في القوت[٤].

وقوله: ﴿فيسخرون منهم﴾ يعني: المنافقين يهزؤون بالمطّوّعين ﴿سخر الله منهم﴾ أي: يجازيهم على سخريّتهم بأنواع العذاب ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي: مؤلم موجع، ولمّا كان ضرر سخريّتهم عائداً عليهم، جـاز أن يـقال: سخر الله منهم لا أنّه[٥] يفعل السخريّة.

---

(١) اسد الغابة ١: ٣٦٦. (٢) في الحجريّة: «الخير» بدل «الحسن». (٣) في الحجريّة: هو.
(٤) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ١٣٧ مسنداً. كذا في الحجريّة، وفي الخطّيّة: «في القول» بدل «في القوت». (٥) في الخطّيّة: «لأنّه تعالى».

قوله تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ آية بلا خلاف.

قوله: ﴿استغفر لهم﴾ صيغته صيغة الأمر، والمراد به: المبالغة في الأياس من المغفرة، بأنّه لو طلبها طلبة المأمور بها أو تركها ترك المنهيّ عنها لكان ذلك سواء في أنّ الله لا يفعلها، كما قال في موضع آخر: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾[١].

و«الاستغفار»: طلب المغفرة من الله تعالى بالدعاء بها، و«المغفرة»: ستر المعصية برفع العقوبة عليها. وتعليق «الاستغفار» بالسبعين مرّة، والمراد به: المبالغة لا العدد المخصوص، ويجري ذلك مجرى قول القائل: لو قلت ألف مرّة ما قبلت، والمراد بذلك: إنّي لا أقبل منك، وكذلك الآية المراد بها: نفي الغفران جملةً، وما رُوِي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «والله لأزيدنّ على السبعين»[٢] خبر واحد لا يلتفت إليه، ولأنّ في ذلك: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله استغفر للكفّار! وذلك لا يجوز بالإجماع، وقد رُوِي أنّه قال: «لو علمت أنّي لو زدت على السبعين مرّةً لغَفَرَ لفعلتُ»[٣].

وكان سبب نزول هذه الآية: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا مات ميّت صلّى عليه واستغفر له، ولم يكن بمنزلة المنافقين بعد، فأعلمه الله تعالى أنّ في جملة مَن تصلّي عليهم مَن هو منافق، وأنّ استغفاره له لا ينفع على حال قلّ ذلك أم كثُر، ثمّ نَهَى الله نبيّه أن يصلّي على أحدٍ منهم وأن يستغفر له حين عرّفَه إيّاهم بقوله: ﴿ولا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على

(١) المنافقون: ٦. (٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ١٣٨ مسنداً عن قتادة.
(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول: ص ٢١١ ـ ٢١٢ ح ٥٣٨ عن عمر بن الخطّاب.

قبره﴾ (١) الآية.

وقوله: ﴿ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسوله﴾ إشارة منه تعالى إلى [أنّ] ارتفاع الغفران إنّما كان لأنّهم كفروا بالله وجحدوا نِعَمه، وكفروا برسوله فجحدوا نبوّته ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ فمعناه: أنّه لا يهديهم إلى طريق الجنّة والثواب.

فأمّا الهداية إلى الإيمان فالإقرار بتوحيد الله والاعتراف بنبوّة النبيّ ﷺ فقد هَدَى الله إليه كلّ مكلّف متمكّن من النظر والاستدلال بأن نصب له على ذلك الدلالة وأوضحها له.

قوله تعالى:

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَاتَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: بأنّ جماعة من المنافقين الّذين خلّفهم النبيّ ﷺ ولم يُخرجهم معه إلى تَبُوك لمّا استأذنوه في التأخّر فأذِنَ لهم، فرحوا بقعودهم ﴿خلاف رسول الله﴾ و«المخلّف»: المتروك خلف من مضى، ومثله: المؤخّر عمّن مضى، تقول خَلّفَ تَخْليفاً، وتَخَلّفَ تَخَلُّفاً. و«الفرح» ضدّ «الغمّ» والغمّ: ضيق الصدر بفوت المشتهى، وعند البصريّين من المعتزلة هو اعتقاد وصول الضرر إليه في المستقبل أو فوت المنفعة عنه، والفرح اعتقاد وصول المنفعة إليه في المستقبل أو دفع الضرر المظنون أوالمعلوم عنه. ومعنى ﴿خلاف رسول الله﴾ قال أبوعُبَيْدَة: بعد رسول الله (٢) وأنشد:

---

(١) الآية: ٨٤ التالية.

(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٦٤.

عَـقَب الربـيعُ خِـلافَهُم فَكأنّـما بَسَطَ الشَواطِبُ بينَهنّ حَصِيرا[١]

وقال غيره[٢]: معناه المصدر من قولك: خَالفَ خِلافاً، وهو نصب على المصدر.

وقوله: ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ إخبار منه تعالى: أنّ هؤلاء المخلّفين فرحوا بالتأخّر، وكرهوا إنفاق أموالهم والجهاد بنفوسهم في سبيل الله. فالجهاد بالمال: هو تحمّل لمشقّة الإنفاق في وجوه البرّ، والجهاد بالنفس: هو تعريضها لما يشقّ عليها اتّباعاً لأمر الله.

وقوله: ﴿وقالوا لا تنفروا في الحرّ﴾ معناه: أنّهم قالوا لنُظَرائهم ومَن يقبل منهم: لا تخرجوا في الوقت الحارّ، فقال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قل﴾ لهم ﴿نار جهنّم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون﴾ لأنّهم تَوَقَّوا [بالقعود] عن الخروج حرّ الشمس، فخالفوا بذلك أمر الله وأمر رسوله، فاستحقّوا حرّ نار جهنّم، وكفى بهذا الاختيار جهلاً ممّن اختاره.

وقوله: ﴿لو كانوا يفقهون﴾ معناه: لو كانوا يفقهون وعظ الله وتحذيره وتزهيده في معاصيه.

قوله تعالى:

فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ آية بلا خلاف.

قوله: ﴿فليضحكوا﴾ صيغته صيغة الأمر والمراد به: التهديد. وإنّما قلنا: إنّه بصورة الأمر لأنّ اللام ساكنة، ولو كانت لام الإضافة لكانت مكسورة، لأنّها تؤذن بعملها للجزاء المناسب لها، فلذلك أُلزمت الحركة.

---

(١) للحارث بن خالد المخزومي، من قصيدة يصف بها قومه وديارهم وإبلهم. راجع ديوان الحارث: ص ٦٣، وفيه: «الرذاذ» بدل «الربيع».

(٢) وهو الطبري في تفسيره: ج ١٠ ص ١٣٩.

والمراد بالآية: الإخبار عن [حال] هؤلاء المنافقين، وأنّها في [وجه] الضحك كحال المأمور منه[١] فيما يؤول إليه من خير أو شرّ على صاحبه، فلذلك دخله معنى التهدّد. و«الضحك»: حال تَفَتُّح وانبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجُّب مع فرح، و«الضحّاك» هو الإنسان خاصّة. و«البكاء»: حال يظهر عن غمّ في الوجه مع جري الدموع على الخدّ، وهو ضدّ «الضحك» تقول: بكى بُكاءً، وأبْكَاهُ الله إبْكاءً، وبَكّاهُ تَبْكِيةً، وتَباكى تَباكُياً، واستَبْكى استبكاءً.

ومعنى الآية: أن يقال لهؤلاء المنافقين: فاضحكوا بقليل تمتّعكم في الدنيا، فإنّكم ستبكون كثيراً يوم القيامة إذا حُصّلتم في العقاب الدائم ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ نصب ﴿جزاء﴾ على المصدر، أي: تُجْزَون على معاصيكم، ذلك جزاء على أفعالكم الّتي آكتسبتموها.

قوله تعالى:

فَإِنْ رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ آية بلا خلاف .

قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿فإنْ رجعك الله﴾ يعني: إنْ رَدّك الله ﴿إلى طائفة منهم﴾ يعني: جماعة. فالرجوع: هو تصيير الشيء إلى المكان الّذي كان فيه، تقول: رَجَعْتُه رَجْعاً، كقولك: رَدَدْتُه ردّاً، وقد يكون التصيير إلى الحال الّتي كان عليها كرجوع الماء إلى حال البرودة. و«الطائفة»: الجماعة الّتي من شأنها أن تطوف، ولهذا لا يقال في جماعة الحجارة: طائفة، وقد

---

(١) في الخطّيّة: المأمور به.

يُسمّى الواحد بأنّه طائفة، بمعنى: نفس طائفة، والأوّل أظهر.

وقوله: ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ أي: طلبوا منك الإذْن في الخروج في غزوة أُخرى، و«الإِذْن»: رفع التبعة في الفعل، وأصله: أن يكون [بقولٍ] يُسْمَع بالأُذُن. و«الخروج»: الانتقال عن محيط، فقال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله: قل لهم حينئذٍ: ﴿لن تخرجوا معي أبداً﴾ أي: لا يقع منكم الخروج أبداً، فالأبد: الزمان المستقبل من غير انتهاءٍ إلى حدّ، ونظيره للماضي: «قط» إلّا أنّه مبنيّ كما بُنِي «أمس» لتضمّنه حروف التعريف، وأُعْرِب «الأبد» كما أُعْرِب «غد» لأنّ المستقبل أحقّ بالتنكير.

وقوله: ﴿ولن تقاتلوا معي عَدُوّاً﴾ إخبار بأنّهم لا يفعلون ذلك أبداً ولايختارونه. وقوله: ﴿إنّكم رضيتم بالقعود أوّل مرّة فاقعدوا مع الخالفين﴾ معناه: إخبار منه تعالى أنّهم رضوا بالقعود أوّل مرّة فينبغي أن يقعدوا مع الخالفين. وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الحسن وقَتادَة: هم النساء والصبيان. وقال ابنعبّاس[١]: هم مَن تأخّر من المنافقين. وقال الجُبّائي[٢]: هم كلّ مَن تأخّر لمرضٍ أو نقص. وقيل: معناه: مع أهل الفساد، مشتقّاً من قولهم: خَلَفَ خُلُوفاً، أي: تغيّر إلى الفساد. وقيل[٣]: «الخالف» كلّ مَن تأخّر عن الشاخص.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) وهو القول الثاني.
(٢) وهو القول الثالث.
(٣) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٦٥.

هذا نهي من الله تعالى لنبيّهﷺ عن أن يصلّي على أحدٍ من المنافقين أو يقوم على قبره، ومعناه: أن يتولّى دفنه أو ينزل في قبره، كما يقال: قام فلان بأمر فلان. وقال ابن‌عبّاس وابن عمر وقَتادَة وجابر: صلّى رسول‌اللهﷺ على عبدالله بن أُبيّ بن أبي سلول وألبسه قميصه قبل أن يُنْهى عن الصلاة على المنافقين.

وقال أَنَس: أراد أن يصلّي عليه، فأخذ جبرائيل بثوبه وقال له: ﴿لا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾.

والصلاة على الأموات فرض على الكفايات، إذا قام به قوم سقط عن الباقين، وأقلّ مَن يسقط به الفرض واحد. وهي دعاء ليس فيها قراءة ولا تسبيح، وفيه خلاف. وفيها خمس تكبيرات عندنا، وعند الفقهاء أربع تكبيرات، فالتكبيرة الأُولى يشهد بعدها الشهادتين، ويكبّر بالثانية ويصلّي بعدها على النبيّﷺ، ويكبّر الثالثة ويدعو للمؤمنين والمؤمنات، ويكبّر الرابعة ويدعو للميّت إنْ كان مؤمناً، وعليه إنْ كان منافقاً، ويكبّر الخامسة ويقف يومئ إلى يمينه حتّى تُرْفَع الجنازة، وليس فيها تسليم.

وسمعت أبا الطيّب الطبري ـ وكان إمام أصحاب الشافعي ـ يقول: الخلاف بيننا وبينكم في عبارة، لأنّ عندكم ينصرف بالخامسة، وعندنا بالتسليم، فجعلتم مكان التسليم التكبير، وذلك خلاف في عبارة.

وقوله: ﴿مات﴾ موضع ﴿مات﴾ جرّ لأنّه صفة لـ ﴿أحد﴾ لأنّ تقديره: على أحدٍ ميّتٍ [منهم] و﴿أبداً﴾ منصوب متّصل، و«أحد» هذه هي الّتي تكون في النفي دون الإيجاب، لأنّه يصحّ النهي عن الصلاة عليهم مجتمعين ومتفرّقين، كما يصحّ في النفي ولا يمكن في الإيجاب، لأنّه كَنَفْي الضدّين في حال واحدة، فإنّه لا يصحّ إثباتها في حالٍ أصلاً.

و«القبر»: حفرة يُدْفَن فيها الميّت، تقول: قَبَرْتُه أَقْبِرُهُ قَبْراً، فأنا قابرٌ وهو مَقْبور، وأَقْبَرْتُ فلاناً إقباراً إذا جعلته بقَبْره.

وقوله: ﴿إنّهم كفروا بالله ورسوله﴾ والمعنى: إنّما نهيتك عن الصلاة عليهم لأنّهم كفروا بالله ورسوله، فهي للتعليل، وإنّما كُسِرَت لتحقيق الإخبار بأنّهم على الصفة الّتي ذكرها، وأنّهم ﴿ماتوا وهم فاسقون﴾ [أي]: خارجون عن طاعة الله إلى معصيته.

قوله تعالى:

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ آية بلا خلاف .

قد مضى تفسير مثل هذه الآية فلا وجه لإعادته[١] وبيّنّا أنّه خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله والمراد به الأُمّة. ينهاهم الله أن يعجبوا بما أعطى الله الكفّار من الأموال والأولاد في الدنيا حتّى يدعوهم ذلك إلى الصلاة عليهم، ولاينبغي أن يغترّوا بذلك، فإنّما ﴿يريد الله أن يعذّبهم﴾ بها ﴿في الدنيا﴾[٢] لأنّهم لاينفقونها في طاعة الله، ولا يخرجون حقّ الله منها. ويجوز أن يعذّبهم بها في الدنيا بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم، وبما يأخذها المسلمون على وجه الغنيمة، وبما يشقّ عليهم من إخراجها في الزكاة والإنفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشتدّ[٣] ذلك عليهم، ويكون عذاباً لهم ﴿و﴾ أنّ نفوسهم ﴿تزهق﴾ أي: تهلك بالموت ﴿وهم كافرون﴾ أي: في حال كفرهم، فلذلك عذّبهم الله في الآخرة.

و«الإعجاب»: هو إيجاد السرور بما يتعجّب منه من عظيم الإحسان،

---

(١) عند تفسير الآية: ٥٥ المتقدّمة.
(٢) وفي الخطّية: «في الآخرة» بدل «في الدنيا».
(٣) في الحجريّة: «وتشدّد» بدل «فيشتدّ».

تقول: أعجبني أمره إعجاباً إذا سررت بموضع التعجّب منه. و«الزَهْـق»: خروج النفس بمشقّة شديدة، ومنه: قوله: ﴿فإذا هو زاهق﴾ (١) أي: هالك.

وقيل: في وجه حسن تكرّر هذه الآية [دفعتين] قولان:

أحدهما: قال أبو عليّ: يجوز أن تكـون الآيـتان فـي فـريقَيْن مـن المنافقين، كما يقول القائل: لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو.

الثاني: أن يكون الغرض البيان عن قوّة هذا المعنى فـيما يـنبغي أن يحذر منه، مع أنّه للتذكير في موطنَيْن بَعُدَ أحدهما عن الآخـر، فـيجب العناية به، وليس ذلك بقبيح، لأنّ الواحد منّا يحسن به أن يقوم في مقام بعد مقام، ويكرّر الوعظ والزجر والتخويف، ولا يكون ذلك قبيحاً.

قوله تعالى:

وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَجَـٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ آية بلا خلاف .

بيّن الله تعالى في هذه الآية: أنّه إذا أنـزل سـورة مـن القـرآن عـلى النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿أن آمنوا﴾ ومعناه: بأن آمـنوا، فـحُذِفَت البـاء وجـعلت ﴿أن آمنوا﴾ في موضع نصب، والتقدير: بالإيمان على وجه الأمر، ولا يـجوز الحذف مع صريح المصدر، وإنّما جاز مع «أن» للزوم الصلة والحمل على التأويل في اللفظ كما حُمِل على المعنى.

وهذا خطاب للمؤمنين وأمر لهم بأن يدوموا على الإيمان ويتمسّكوا به في مستقبل الأوقات، ويدخل فيه المنافق ويتناوله الأمر بأن يستأنف الإيمان ويترك النفاق، ثمّ يجاهدوا بعدذلك بنفوسهم وأموالهم لأنّه لا ينفعهم

(١) الأنبياء: ١٨.

الجهاد مع النفاق.

وقوله: ﴿استأذنك أُولُوا الطَوْل منهم﴾ معناه: أنّ ذوي الغنى من المنافقين إذا أُنزلت السورة يأمرهم فيها بالإيمان والجهاد يستأذنون النبيّ صلى الله عليه وآله في القعود والتأخّر عنه، مع اعتقادهم بطلان الإسلام ويشتدّ ذلك عليهم ويكون عذاباً لهم، وهو قول الحسن وابن‌عبّاس، [فإنّهما] قالا: إنّما لحق هؤلاء الذمّ لأنّهم أقوى على الجهاد.

[وقوله]: ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ إخبار منه تعالى أنّ هؤلاء المنافقين من ذوي الغنى يقولون للنبيّ صلى الله عليه وآله: اتركنا نكن مع القاعدين من الصبيان والزمنى والمرضَى الّذين لا يقدرون على الخروج.

قال الرُمّاني: و«السورة» جملة من القرآن تشتمل على آيات قد أحاطت بها كما يحيط سور القصر بما فيه. وسُؤْر الهرّ: بقيّته من الماء.

والجهاد بالقتال دفعاً عن النفس معلوم حسنه عقلاً، لأنّه مركوز في العقل وجوب التحرّز من المضارّ، وليس في العقل ما يدلّ على أنّه يجب على الإنسان أن يمنع غيره من الظلم، وإنّما يعلم ذلك سمعاً.

قوله تعالى:

رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ آية بلاخلاف.

أخبر الله تعالى بأنّ هؤلاء الّذين قالوا ﴿ذرنا نكن مع القاعدين﴾ من المنافقين ﴿رَضُوا﴾ لنفوسهم أن ﴿يكونوا مع الخوالف﴾ وهم النساء والصبيان والمرضى والمقعدون، قال الزجّاج: ﴿الخَوَالف﴾ النساء لتخلّفهنّ عن الجهاد، ويجوز أن يكون جمع «خالفة» في الرجال، و«الخالف»

و«الخالفة» الّذي هو غير نجيب[١] ولم يأتِ في «فاعل» «فواعل» صفة إلّا حرفين، قولهم: فارس وفوارس، وهالك وهوالك.

وقوله ﴿وطبع على قلوبهم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّه تعالى يجعل نكتةً سوداء في قلب المنافق والكافر، لتكون علامةً للملائكة يعرفون بها أنّه ممّن لا يفلح أبداً.

الثاني: أن يكون المراد بذلك الذمّ لها بأنّها كالمطبوع عليها، فلا يدخلها خير ولا ينتفي عنها شرّ، لأنّ حال الذمّ لها تقتضي صفات الذمّ، كما أنّ حال المدح تقتضي صفات المدح، كما قال جَرير في قصيدةٍ أوّلها:

أَتَصحوا أم فُؤادُكَ غَيرُ صاحٍ عَشيّةَ هَمّ صَحْبُكَ بالرّوَاح
أَلَسْتُم خَيْرَ من رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ[٢]

ولا تحمل إلّا على المدح دون الاستفهام. و«الطبع» في اللغة هو الختم، يقال: طبعه وختمه بمعنىً واحد.

قوله تعالى:

لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ آية بلا خلاف .

[لمّا] أخبر الله تعالى عن حال المتأخّرين عن النبيّ صلى الله عليه وآله والقاعدين عن الجهاد معه، وأنّهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون، أخبر عن الرسول صلى الله عليه وآله ومن معه من المؤمنين المطيعين لله ورسوله بأنّهم يجاهدون في سبيل الله ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ فالأموال ينفقونها في مرضاة الله وعدّة الجهاد، ويقاتلون الكفّار بنفوسهم. ثمّ أخبر عمّا أعدّ لهم من

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٦٥، وفيه: غير منجب.

(٢) من قصيدة يمدح بها عبدالملك بن مروان. راجع ديوان جرير: ص ٧٣ و ٧٤.

الجزاء على أفعالهم تلك وآنقيادهم لله ورسوله، فقال: ﴿أُولئك﴾ يعني: النبيّ والّذين معه ﴿لهم الخيرات﴾ في الجنّة ونعيمها وخيراتها، وأنّهم ﴿المفلحون﴾ أيضاً الفائزون بكرامة الله.

و«الخَيْرات»: هي المنافع الّتي تسكن النفس إليها وترتاح بها من النساء الحِسَان وغيره من نعيم الجنان، واحده: خَيْرَة، هذا قول أبي عُبَيْدة، وقال رجل من بني عَدِيّ:

وَلَقَد طَعَنْتُ مَجامِعَ الرَبَلاتِ رَبَلاتِ هِنْدٍ خَيرَةِ المَلَكاتِ[1]

و«الفلاح»: النجاح بالوصول إلى البغية، من: نُجْح الحاجة، وهو قضاؤها.

قوله تعالى:

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ آية بلا خلاف .

بيّن الله تعالى أنّه ﴿أعدَّ﴾ لهؤلاء المؤمنين والرسول ﴿جنّات﴾ يعني: بساتين ﴿تجري من تحتها﴾ ومعناه: من تحت أشجارها ﴿الأنهار﴾.

و«الإعداد»: جعل الشيء مهيّئاً لغيره، تقول: أعدّ إعْداداً، واستعدّ له استعداداً، وهو من «العدد» لأنّه قد عَدّ الله جميع ما يحتاج إلى تقديمه له من الأُمور، ومثله: «الاتّخاذ». والوجه في إعداد ذلك قبل مجيء وقت الجزاء: أنّ تصوّره لذلك أدعى إلى الطاعة وآكد في الحرص عليها. ويحتمل أن يكون المراد: أنّه سيجعل لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار، غير أنّه ترك الظاهر. وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ نصب على الحال، ومعناه دائمين في هذه الجنّات وفي نعيمها.

---

(١) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٦٧.

وقوله: ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ إشارة إلى ما أعدّه لهم، وإخبار منه بأنّه الفوز العظيم، و«الفوز»: النجاة من الهلكة إلى حال النعمة، وسُمّيت المهلكة مفازةً تفاؤلاً بالنجاة، وإنّما وصفه بالعظيم لأنّه حاصل على جهة الدوام.

قوله تعالى:

وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وقُتَيْبة: ﴿المُعْذِرُون﴾ بسكون العين وتخفيف الذال، الباقون بفتح العين وتشديد الذال. وجه قراءة مَن قرأ بالتخفيف: أنّه أراد: جاءوا بعُذْر، ومَن قرأ بالتشديد احتمل أمرَيْن:

أحدهما: أنّه أراد: المعتذرون، كان لهم عُذْر أو لم يكن، وإنّما أدغم التاء في الذال لقرب مخرجهما، مثل قوله: ﴿يذّكّرون﴾ و﴿يذّكّر﴾ وغير ذلك، وأصله: يتذكّرون. الثاني: أنّه أراد: المقصّرون، و«المعذّر»: المقصّر، و«المعذّر»: المبالغ الّذي له عُذْر، وأمّا «المعتذر» فإنّه يقال لمن له عُذْر ولمن لا عُذْر له، قال لَبِيد:

إلى الحَوْلِ ثمّ ٱسمُ السلامِ عَـلَيْكُما وَمنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فَقَدِ ٱعتَذَرْ[1]

معناه: جاء بعُذْر. وقال الزجّاج: يجوز أن يكون ﴿المُعْذِرون﴾ الّذين يعتذرون فيوهمون أنّ لهم عذراً، ولا عذر لهم[2]. ورُوِي عن ابن عبّاس أنّه قرأ بالتخفيف، وقال: لعن الله المُعْذِرين، أراد: مَن يعتذر بغير عذر، وبالتخفيف من بلغ أقْصَى العذر. وأصل «التعذير»: التقصير مع طلب إقامة العذر، عَذّرَ في الأمر تَعْذيراً إذا لم يبالغ فيه، والفرق بين «الاعتذار»

---

(١) من قصيدة يخاطب ابنتيه لمّا حضرته الوفاة. راجع ديوان لَبيد: ص ٧٩.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٦٤.

و«التعذير»: أنّ «الاعتذار» قد يكون بعذر من غير تصحيح في الأمر، و«التعذير» تقصير يطلب معه إقامة العذر فيه.

واختلفوا في معنى ﴿وجاء المعذّرون﴾ على قولَيْن:

أحدهما قال قَتادَة وآختاره الجُبّائي: إنّه من عَذّرَ في الأمر تَعْذيراً إذا قَصّر.

والثاني قال مجاهد[١]: جاء أهل العذر جملة على معنى المعتذرين. وقال الحسن: اعتذروا بالكذب. وقال قوم: إنّما جاؤوا معرضين بالعذر غير حادّين يعرضون ما لا يريدون فعله. وقال ابنإسحاق: نزلت الآية في بني غِفَارٍ: خِفَاف بن أيماء بن رَحَضَة وقومه.

ومعنى الآية: أنّ قوماً من الأعراب جاؤوا إلى النبيّ ﷺ يظهرون أنّهم مؤمنون، ولم يكن لهم في الإيمان والجهاد نيّة فيعرضون نفوسهم عليه، وغرضهم أن يأذن النبيّ ﷺ لهم في التخلّف، فجعلوا عرضهم أنفسهم عليه عذراً في التخلّف عن الجهاد.

وقوله: ﴿وقعد الّذين كذبوا الله ورسوله﴾ يعني: المنافقين، لأنّهم الّذين كذبوا الله ورسوله فيما كانوا يظهرون من الإيمان، فقال الله ﴿سيصيب الّذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ أي: ينالهم عذاب مؤلم موجع في الآخرة.

قوله تعالى:

لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ آية بلا خلاف .

عذر الله تعالى في هذه الآية مَن ذَكَره ووَصَفه، فقال: ﴿ليس على

---

(١) وهذا هو القول الثاني.

الضعفاء﴾ وهو جمع «ضعيف» وهو الّذي قوّته ناقصة بالزمانة وغيرها ﴿ولا على المرضى﴾ وهو جمع «مريض» وهم الأعلّاء ﴿ولا على الّذين لا يجدون ما ينفقون﴾ يعني: من ليس معه نفقة الخروج [وآلة السفر ﴿حرج﴾ يعني: ضيق وجُناح، وأصل «الضيق»: الّذي يتعذّر معه الأمر][1].

وقوله: ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ شرط تعالى في رفع الجُناح والإثم عن المذكورين أن ينصحوا لله ورسوله بأن يخلصوا العمل من الغشّ، يقال: نَصَحَ في عمله نَصْحاً، وناصَحَ نفسه مُناصَحَةً، ومنه: التوبةُ النَصُوحُ. ثمّ قال: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ أي: ليس على من فعل الحسن الجميل طريق، و«الإحسان» هو إيصال النفع إلى الغير لينتفع به مع تعرّيه من وجوه القبح، ويصحّ أن يحسن الإنسان إلى نفسه ويحمل على ذلك، وهو إذا فعل الأفعال الجميلة الّتي يستحقّ بها المدح والثواب.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ معناه: ساتر على ذوي الأعذار بقبول العذر منهم ﴿رحيم﴾ بهم لا يلزمهم فوق طاقتهم.

وقال قَتادَة: نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو المُزَني وغيره. وقال ابنعبّاس: نزلت في عبدالله بن مَغْقل[2] المُزَني، فإنّه وجماعة معه جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: احملنا، فقال رسول الله ﷺ: ما أجد ما أحملكم عليه.

قوله تعالى:

وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

(٢) كذا، وفي أُسد الغابة: ج ٣ ص ٢٦٥: «عبدالله بن المغفّل» وذكر خبر البكّائين.

وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَايُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على الأُولى، والتقدير: ليس على الّذين جاؤوك وسألوك حملهم حيث لم يكن لهم حملان، فقلت لهم يا محمّد: ﴿لا أجد ماأحملكم عليه﴾ أي: ليس لي حملان. فحينئذٍ ﴿تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع﴾ يبكون ﴿حَزَناً أن لا يجدوا ما ينفقون﴾ في هذا الطريق ويتابعونك حرج وإثم ولا ضيق، وإنّما حُذِف لدلالة الكلام عليه.

و«الحمل»: إعطاء المركوب من فرس أو بعير أو غير ذلك، تقول حَمَلَهُ يَحْمِلُهُ حَمْلاً: إذا أعطاه ما يحمل عليه، وحَمَلَ على ظَهْره حَمْلاً، وحَمَّلَه الأمر تَحْميلاً، وتَحَمّل تَحَمُّلاً، واحتمله احتمالاً، وتَحَامَلَ تَحامُلاً. واللام في قوله: ﴿لتحملهم﴾ لام الغرض، والمعنى: جاؤوك وأرادوا منك حملهم، وتقول: وَجَدْتُ المال وَجْداً وجِدةً، وَوَجَدْتُ الضالّة وِجْداناً، ووَجَدْتُ عليه ـ من الموجَدة ـ وَجْداً. و«الفَيْض»: الجري عن امتلاءٍ من قولهم فاض الإناء بما فيه، فهؤلاء القوم جرت أعينهم عن امتلاء من حزن قلوبهم. و«الحُزْن»: ألَم في القلب بفوت أمرٍ، مأخوذ من: «حَزْن الأرض» وهي الغليظة المسلك.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في نفرٍ من مُزَيْنَة. وقال محمّد بن كَعْب القُرَظِي وابن إسحاق: نزلت في سبعة نفر من قبائل شتّى. وقال الحسن: نزلت في أبي موسى وأصحابه.

وقال الواقدي[1]: البكّاؤون سبعة من فقراء الأنصار، فلمّا بَكَوا حمل عثمان منهم رجلين، والعبّاس بن عبدالمطّلب رجلين، ويامين بن كَعْب بن

(١) في كتاب المغازي: ج ٣ ص ٩٩٤.

نسيل النضري من بني النضير ثلاثة، ومن جملة البكّائين: عبدالله بن مَغفَّل المزني. وقال الواقدي: كان الناس بتَبُوك ثلاثين ألفاً، وعشرة آلاف فارس[١].

قوله تعالى:

إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ آية بلا خلاف.

بيّن الله تعالى في هذه الآية: أنّ ﴿السبيل﴾ والطريق بالعقاب والحرج إنّما هو على الّذين يطلبون الإذْن من رسول‌الله في المقام ﴿وهم﴾ مع ذلك ﴿أغنياء﴾ يتمكّنون من الجهاد في سبيل الله، الراضين بكونهم ﴿مع الخَوالف﴾ من النساء والصبيان ومَن لا حَرَاك به.

ثمّ قال: ﴿وطبع الله على قلوبهم﴾ بمعنى: وَسَم قلوبهم بسِمَةٍ تعرفها الملائكة فيميّزون بينهم وبين غيرهم من المؤمنين. ويحتمل أن يكون المراد: أنّه بمنزلة المطبوع في أن لا يدخلها الإيمان كما لو طُبِعُوا على الكفر، ومثله: قوله: ﴿صمّ بكم عمي﴾[٢] ومعناه: لترك تلفّظهم بالحقّ وعدولهم عن سماع الحقّ، وانصرافهم عن النظر إلى الصحيح، كأنّهم صمّ بكم عمي، وهم لا يعلمون ذلك، ولا يدرون إلى ما يصير أمرهم من عقاب الأبد، ولا يعرفون ما يلزمهم من أحكام الشرع ما يعرفه المؤمنون. وقال البلخي: معناه: لأُلفهم للخلاف والمعصية كأنّهم لا يعلمون. والتقدير: أن حكم هؤلاء المذكورين بهذه الأوصاف بخلاف مَن قد تحصّن من العقاب بالإيمان، لأنّهم قد فتحوا على أنفسهم أبواب العذاب.

قوله تعالى:

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ

---

(١) المصدر السابق: ص ١٠٠٢.

(٢) البقرة: ١٨ و ١٧١.

أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّ هؤلاء القوم الّذين تأخّروا عن الخروج مع النبيّ صلى الله عليه وآله من غير عُذْرٍ كان يبيحهم ذلك إذا عاد النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنون أنّهم كانوا يجيئون إليهم ويعتذرون إليهم عن تأخّرهم بالأباطيل والكذب، فقال الله تعالى لنبيّه: قل يا محمّد لهم: ﴿لا تعتذروا﴾ فلسنا نصدّقكم على ما تقولون، فإنّ الله تعالى قد أخبرنا ﴿من أخباركم﴾ وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ أي: سيعلم الله فيما بعد عملكم هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه؟ ويحتمل أن يكون المراد به يحلّ في الظهور محلّ ما يرى ﴿ثمّ تُردُّون﴾ أي: ترجعون ﴿إلى﴾ من يعلم ﴿الغيب والشهادة﴾ يعني: السرّ والعلانية، الّذي لا يخفى عليه بواطن أموركم ﴿فينبّئكم بما كنتم تعملون﴾ أي: فيخبركم بأعمالكم كلّها، حسنها وقبيحها، فيجازيكم عليها أجمع.

و«الاعتذار»: إظهار ما يقتضي العُذْر، ويمكن أن يكون صحيحاً ويمكن أن يكون فاسداً، كاعتذار هؤلاء المنافقين. والفرق بين «الاعتذار» و«التوبة»: أنّ «التوبة» إقلاع عن سيّئة قد وقعت، و«الاعتذار» إظهار ما يقتضي أنّها لم تقع، ولذلك يجوز أن يتوب إلى الله ولا يجوز أن يعتذر إليه، و«الاعتذار» الّذي يجب قبوله: هو ما كان صاحبه محقّاً، فأمّا الاعتذار بالباطل فهو أسْوَأ لحال صاحبه، قال الشاعر:

إذا آعتَذَرَ الجانِي مَحَا العُذْرُ ذَنْبَه ... وكلُّ آمريءٍ لايقبَلُ العُذْرَ مُذْنِبُ[1]

---

(١) أنشده ابن عبد ربّه في العقد الفريد: ج ٢ ص ١١٤ ولم ينسبه لأحد.

قوله تعالى:

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ آية بلا خلاف .

أخبرالله تعالى عن هؤلاء الّذين يعتذرون بالباطل إلى النبيّ والمؤمنين في تأخّرهم عن الخروج معهم: أنّهم سيقسمون أيضاً على ذلك للمؤمنين ﴿إذا أنقلبتم إليهم﴾ يعني: إذا رجعتم إليهم ﴿لتعرضوا عنهم﴾ أي: لتصفحوا عنهم ولا توبّخوهم ولا تعنّفوهم. ثمّ أمر الله تعالى المؤمنين والنبيّ صلى الله عليه وآله أن يعرضوا عنهم إعراض المقت وبيّن ﴿إنّهم رجس﴾ أي: هم كالنتن في قبحه، وهم أنجاس، ويقال: «رِجْس نِجْس» على الاتّباع، وأنّ (مأواهم) يعني: مصيرهم ومآلهم ومستقرّهم ﴿جهنّم جزاء﴾ أي: مكافاة على ماكانوا يكسبونه من المعاصي، و«الجزاء»: مقابلة العمل بما يقتضيه من خير أو شرّ.

قال أحمد بن يحيى ثعلب: اللام في قوله: ﴿لتعرضوا عنهم﴾ ليست لام غرض، وإنّما معناه: لإعراضكم عنه، [وإنّما علّق ـ هاهنا ـ بذلك لئلّا يتوهّم أنّه إذا رضي المؤمنون فقد رضي الله عنهم أيضاً، فذكر ذلك ليزول هذا الإلباس][١] لأنّ المنافقين لم يحلفوا لهم لكي يعرضوا، ولكنّهم حلفوا تبرّؤاً من النفاق، ولإعراض المسلمين عنهم، وأنشد:

سَمَوْتَ ولَم تَكُنْ أهلاً لتَسْمُو ولكنّ المضيع قَد يُصابُ

أراد: ما كنت أهلاً للسموّ.

قوله تعالى:

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ آية بلا خلاف .

بيّن الله تعالى: أنّ هؤلاء المنافقين يقسمون بالله طلباً لمرضاتكم عنهم ﴿فإن ترضوا﴾ أيّها المؤمنون ﴿عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ الخارجين من طاعته إلى معصيته. والمعنى: أنّه لا ينفعهم رضاكم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم، وليس حصول رضى المؤمنين شرطاً في انتفاء رضىالله عنهم، فإنّ الله تعالى لا يرضى عن الفاسقين على كلّ حال رضي المؤمنون عنهم أو لم يرضوا. وإنّما علّق هاهنا بذلك لئلا يتوهّم أنّه إذا رضي المؤمنون فقد رضي الله عنهم أيضاً، فذكر ذلك ليزول هذا الإلباس، ولأنّ المراد بذلك: أنّه إذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغي لكم أيضاً أن لا ترضوا عنهم.

قوله تعالى:

ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ آية بلا خلاف .

أخبرالله تعالى في هذهالآية: أنّ ﴿الأعراب﴾ الجُفاة الّذين لايعرفون الله ورسوله حقّ معرفتهما ﴿أشدّ كفراً ونفاقاً﴾ وجحوداً لنِعَمالله، وأعظم نفاقاً من غيرهم. وقيل: إنّها نزلت في أعرابٍ كانوا حول المدينة من أسدَ وغَطَفَان[1].

فكفرهم أشدّ لأنّهم أقسى وأجفى من أهل المدن، ولأنّهم أبعد عن سماع التنزيل ومخالطة أهل العلم والفضل. ويقال: رجلٌ عربيٌّ إذا كان من العرب وإن سكن البلاد، وأعرابيٌّ إذا كان ساكناً في البادية.

ورُوِي[2]: أنّ زيد بن صوحان كانت يده اليسرى قد قُطِعَت يوم

---

(١) قاله الواحدي في أسباب النزول: ص ٢١٢ ح ٥٤١.

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٤ مسنداً عنه، وفيه: «يوم نهاوند».

اليمَامَة، وكان قاعداً يوماً يروي الحديث وإلى جانبه أعرابي، فقال له: إنّ حديثك يعجبني وإنّ يدك تريبني! فقال زيد: إنّها الشمال، فقال: والله ماأدري اليمين يقطعون أو الشمال! فقال زيد: صدق الله، وقرأ ﴿الأعراب أشدّ كفراً﴾ الآية.

وقوله: ﴿وأجدر﴾ معناه: أخلق وأولى وأقرب إلى ﴿أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ من الشرائع والأحكام. وموضع ﴿أن﴾ نصب، لأنّ تقديره: أجدر بأن، فحذف الباء فانتصب، وتقديره: أجدر بترك العلم، غير أنّ الباء لا تُحْذَف مع المصدر الصريح، وإنّما تحذف مع «أن» للزوم العلم بها، وحملها على التأويل و«أجدر» مأخوذ من: جَذْر الحائط.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ معناه: عالم بأحوالهم وبواطنهم، حكيم فيما يحكم به عليهم من الكفر وغير ذلك من أفعاله.

قوله تعالى:

وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَايُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ابن‌كثير وأبوعمرو ﴿دائرة السُوء﴾ بضمّ السين، الباقون بفتح السين.

مَن فتح أراد المصدر، وإنّما أضاف «الدائرة» إلى «السوء» تأكيداً، كما يقال: عيني رأسه، وشمس النهار، تقول: سُؤْتُه أسُوؤُهُ سَوْءاً ومُساءَةً ومسائِيةً، وقوله: ﴿ما كان أبوك آمرأ سَوْء﴾ [١] لا يجوز فيه غير فتح السين، وكذلك في قوله: ﴿وظننتم ظنّ السَوْء﴾ [٢] لأنّ الضمّ بمعنَى الاسم، وتقديره: عليهم دائرة العذاب والبلاء.

---

(١) مريم: ٢٨. (٢) الفتح: ١٢.

أخبر الله تعالى: أنّ من جملة هؤلاء المنافقين ﴿من الأعراب مَن يتَّخِذ﴾ ما ينفقه في الجهاد وغيره من طرق الخير ﴿مغرماً﴾ أي: غرماً، من قولهم: غَرّمْتُه غُرْماً وغَرَامَةً. و«الغُرْم»: لزوم نائبة في المال من غير جناية، ومنه: قوله: ﴿من مَغْرم مُثْقَلون﴾ [١] وأصل «المغرم»: لزوم الأمر، ومنه: قوله: ﴿إنَّ عذابَها كان غَراماً﴾ [٢] أي: لازماً، وحبٌّ غرام أي: لازم، و«الغَـريم»: كلّ واحد من المتداينَيْن، وغَرّمْتُه كذا: ألزمته إيّاه في ماله.

وقوله: ﴿ويتربّص بكم الدوائر﴾ فالتَرَبُّص: التمسّك بالشيء لعاقبةٍ، ومنه: التربّص بالطعام لزيادة السعر، فهؤلاء يتربّصون بالمؤمنين لعاقبةٍ من الدوائر، و«الدائرة» جمعها «دوائر» وهي العواقب المذمومة، [وقال الفرّاء والزجّاج: كانوا يتربّصون بهم الموت والقتل[٣]][٤] وإنّما خصّ رفع النعمة بالدوائر دون رفع النقمة، لأنّ «النعمة» أغلب وأعمّ، لأنّ كلّ واحد لا يخلو من نِعم[٥] الله وليس كذلك «النقمة» لأنّها خاصّة، والنعمة عامّة، وقد قيل: «دارت لهم الدنيا» بخلاف «دارت عليهم» ثمّ قال تعالى: ﴿عليهم دائرة السَوْء﴾ يعني: على هؤلاء المنافقين دائرة العذاب والبلاء، في قراءة مَن قرأ بالضمّ.

وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ معناه هاهنا: أنّه يسمع ما يقوله هؤلاء المنافقون ويعلم بواطن أُمورهم، ولا يخفى عليه شيء من حالهم وحال غيرهم.

قوله تعالى:

وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَايُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ

---

(١) الطور: ٤٠، القلم: ٤٦. (٢) الفرقان: ٦٥.

(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٤٩، معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٦٥.

(٤) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة. (٥) في الخطّيّة: «نعمة الله» بدل «نِعَم الله».

وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿٩٩﴾ آية بلا خلاف .

قرأ وَرش وإسماعيل: ﴿قُرُبَةٌ﴾ بضمّ الراء، اتّبع الضمّة الّتي قبلها، وقال أبو عليّ: لا يجوز أن يكون اتّباعاً لما قبله، لأنّ ذلك إنّما يجوز في الوقف آخر الكلم، وإنّما الضمّة فيها الأصل، وإنّما خفِّفت كما خفّفت في قولهم: رُسُل وطُنُب، فقالوا: رُسْل وطُنْب، فإذا جُمع فلا يجوز فيه غير ضمّ الراء، لأنّ الحركة الأصليّة لابدّ من ردّها في الجمع[1].

لمّا ذكر الله تعالى أنّ من جملة الأعراب مَن يتّخذ إنفاقه في سبيل الله مَغْرماً ذكر أنّ من جملتهم أيضاً ﴿من يؤمن بالله﴾ أي: يصدّق به ﴿و﴾ بـ﴿اليوم الآخر﴾ يعني: يوم القيامة، وأنّه ﴿يتّخذ﴾ ما ينفقه في سبيل الله ﴿قربات عند الله﴾ قال الزجّاج: يجوز في «قربات» ثلاثة أوجه: ضمّ الراء وإسكانها وفتحها[2] وما قرئ إلّا بالضمّ. و«القُرْبة»: هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة، وهي تدني من رحمة الله، والتقدير: أنّه يتّخذ نفقته ﴿وصلوات الرسول﴾ أي: دعاءه له قربةً إلى الله، وقال ابنعبّاس والحسن: معنى ﴿وصلوات الرسول﴾ آستغفاره لهم. وقال قَتادَة: معناه: دعاؤه بالخير والبركة. قال الأعشى:

تَقولُ بِنْتي وقد قَرّبْتُ مُرْتَحَلاً يارَبِّ جَنِّبْ أبي الأوصابَ والوَجَعَا
عَلَيكِ مثلُ الّذي صَلّيتِ فاغتَمِضِي يَوْماً فإنّ لجَنْبِ المرْء مُضْطَجَعا[3]

ثمّ قال ﴿ألا إنّها قربة لهم﴾ يعني: صلوات الرسول قربة لهم أي: تقرّبهم

(١) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ص ٣٣٢.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٦٥.
(٣) من قصيدة يمدح هوذة الحنفي. راجع ديوان الأعشى: ص ١٠٩.

إلى ثواب الله. ويحتمل أن يكون المراد: أنّ نفقتهم قربة إلى الله.

وقوله: ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ وَعْدٌ منه لهم بأن يرحمهم ويدخلهم فيها، وفيه مبالغة، فإنّ الرحمة وسعتهم وغمرتهم، ولو قال فيهم: «رحمة الله» لأفاد أنّهم اتّسعوا للرحمة من الله تعالى.

وقوله: ﴿إنّ الله غفور رحيم﴾ [معناه: إنّه يستر كثيراً على العُصاة ذنوبهم، ولا يفضحهم بها لرحمته بخلقه، و«غفور رحيم»][1] جميعاً من ألفاظ المبالغة فيما وصف به نفسه من المغفرة والرحمة.

قوله تعالى:

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وحده: «جنّات تجري من تحتها» بإثبات «من» وكذلك هو في مصاحف أهل مكّة، الباقون بحذف «من» ونصبوا ﴿تحتها﴾ على الظرف. وقرأ يعقوب: ﴿والأنصارُ والّذين﴾ بضمّ الراء، الباقون بجرّها. مَن رفع عطف على قوله: ﴿والسابقون﴾ السابقون رفع بالابتداء والخبر قوله: ﴿رضي الله عنهم﴾. ومَن جرّ عطفه على ﴿المهاجرين﴾ كأنّه قال: من المهاجرين ومن الأنصار. ومَن أثبت «من» فلأنّ في القرآن مواضع لا تُحصى ﴿جنّات تجري من تحتها﴾ ومَن أسقطها تبع مصحف غير أهل مكّة، والمعنى واحد.

أخبر الله تعالى: أنّ الّذين سبقوا أوّلاً إلى الإيمان بالله ورسوله والإقرار

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

بهما من الّذين هاجروا من مكّة إلى المدينة وإلى الحبشة، ومن الأنصار الّذين سبقوا أوّلاً غيرهم إلى الإسلام من نظرائهم من أهل المدينة، والّذين اتّبعوا هؤلاء بأفعال الخير والدخول في الإسلام بعدهم وسلوكهم منهاجهم، وقال الفرّاء: يدخل في ذلك من يجيء بعدهم إلى يوم القيامة[١]. وقال الزجّاج مثله[٢].

ثمّ أخبر: أنّ الله رضي عنهم ورضي أفعالهم ورضوا هم أيضا عن الله لِمَا أجزل لهم من الثواب على طاعاتهم وإيمانهم به وبنبيّه. و«السبق»: كون الشيء قبل غيره، ومنه: قيل في الخيل: السابق، و«المصلّي» هو الّذي يجيء في إثر السابق يتبع صَلَاه، وإنّما كان السابق إلى الخير أفضل لأنّه داعٍ إليه بسبقه، والثاني تابع، فهو إمام فيه، وكذلك من سبق إلى الشرّ كان أسوء حالاً لهذه العلّة. و«الاتّباع»: طلب الثاني لحال الأوّل أن يكون على مثلها على ما يصحّ ويجوز، ومثله: «الاقتداء». و«الإحسان»: هو النفع الواصل إلى الغير مع تعرّيه من وجوه القبح. فأمّا قولهم: «أحسن» في فعله فقد يكون بمعنى[٣] النفع وبفعل الضرر، لأنّه تعالى إذا فعل في الآخرة العقاب يقال: إنّه أحسن، لكن لا يقال: أحسن إليه.

وقوله: ﴿وأعدَّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار﴾ إخبار منه تعالى أنّه مع رضاي عنهم ورضاهم منّي أعدّ لهم الجنّات، يعني: البساتين الّتي تجري تحت أشجارها الأنهار، وقيل: إنّ أنهارها أخاديد في الأرض، فلذلك قال: تحتها﴿خالدين فيها أبداً﴾ أي: يبقون فيها ببقاء الله لا يفنون، منعمين.

وقوله: ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ معناه: أنّ ذلك النعيم الّذي ذكره هو الفلاح

---

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٥٠.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٦٦.
(٣) كذا في الخطّيّة، وفي الحجريّة: بفعل.

العظيم الّذي تصغر في جنبه كلّ نعمة.

واختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية، فقال أبو موسى وسعيد بن المسيّب وابن سِيرِين وقَتادَة: نزلت فيمن صلّى القبلتَيْن.

وقال الشَعْبي: نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان، وهي بيعة الحُدَيْبِيّة، وقال: مَن أسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الأوّلين.

وقال أبو عليّ الجُبّائي: نزلت في الّذين أسلموا قبل الهجرة.

ورُوِي[١]: أنّ عمر قرأ ﴿والأنصارُ﴾ بالرفع ﴿الّذين اتبعوهم﴾ بإسقاط الواو، فقال أُبيّ: والّذين اتّبعوهم بأميرالمؤمنين، فرجعوا إلى قوله.

قوله تعالى:

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَاتَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴿١٠١﴾ آية بلا خلاف.

معنى قوله: ﴿وممّن حولكم﴾ من جملة من حولكم، يعني: حول مدينتكم، وحول الشيء المحيط به، وهو مأخوذ من: حالَ يَحُولُ إذا دار بالانقلاب، ومنه: «المحالة» لأنّها تدور في المحول.

وقوله: ﴿من الأعراب﴾ و«الأعْراب»:هم الّذين يسكنون البادية إذا كانوا مطبوعين على العربيّة، وليس واحدهم «عربيّاً». لأنّ العَرَب قد تكون حاضرة والأعْراب بادية.

وقوله: ﴿منافقون﴾ معناه: مَن يظهر الإيمان ويبطن الكفر ﴿ومن أهل المدينة﴾ أيضاً منافقون، وإنّما حُذِف لدلالة الأوّل عليه ﴿مَرَدوا على

---

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٧ مسنداً.

النفاق﴾ يقال: مَرَدَ على الشيء يَمْرُدُ مُرُوداً، فـهو مـارِدٌ ومَـرِيدٌ: إذا عَـتَا وطَغَى وأعْيى خبثاً، ومنه: «شيطان مارِد ومَرِيد». وقال ابن زيد: مـعناه: أقاموا عليه، لم يتوبوا كما تاب غيرهم. وقال ابن إسحاق: معناه: لجّوا فيه وأبَوْا غيره. وقال الفرّاء: مـعناه: مـرنوا عـليه وتـجرّؤوا عـليه[1]. وقـال الزجّاج: فيه تقديم وتأخير، والتقدير: وممّن حولكم من الأعراب منافقون مَرَدوا على النفاق ومن أهل المدينة أيضاً مثل ذلك[2].

وأصل «المرود»: الملاسة، ومنه قول: ﴿صَرْح مُمَرَّد من قَوارِيرَ﴾[3] أي: مملّس، ومنه: الأمرد الّذي لا شعر على وجهه، و«المُرُودَة» و«المَـرْدَاء»: الرملة الّتي لا تنبت شيئاً، و«التِمْراد»: بيت صغير يُتّخذ للـحَمَام مُـمَلّس بالطين، و«المَرْدَاء»: الصخرة الملساء.

﴿لا تعلمهم﴾ معناه: لا تعرفهم يا محمّد ﴿نحن نعلمهم﴾ أي: نعرفهم.

وقوله: ﴿سنعذّبهم مرّتين﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: قال الحسن وقَتادَة والجُبّائي: يعني: في الدنيا وفي القبر. وقال ابن‌عبّاس: نعذّبهم في الدنيا بالفضيحة، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ذكر رجـالاً مـنهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خـطبته قـال: «اخـرجـوا فـإنّكم منافقون» والأُخرى في القبر.

وقال مجاهد: يعني: في‌الدنيا بالقتل والسبي والجوع. وفي‌رواية‌أُخرى عن ابن‌عبّاس: أنّ إحداهما إقامة الحدود عليهم، والأُخرى عذاب القبر.

وقال الحسن: إحداهما أخذ الزكاة منهم، والأُخرى عذاب القبر.

وقال ابن إسحاق: إحداهما غيظهم [مـن أهـل الإسـلام، والأُخـرى

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٥٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٦٧.

(٣) النمل: ٤٤.

عذاب القبر][١]. وكلّ ذلك محتمل، غير أنّا نعلم أنّ المرّتين معاً قبل أن يردّوا إلى عذاب النار يوم القيامة.

وقوله: ﴿ثمّ يردّون إلى عذاب عظيم﴾ معناه: ثمّ يرجعون يوم القيامة إلى عذاب عظيم مؤبّد في النار. وروي: أنّ الآية نزلت في عُيَيْنَة بن حصين وأصحابه.

قوله تعالى:

وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ آية بلا خلاف .

رُوِي عن ابن‌عبّاس أنّه قال: نزلت هذه الآية في عشرة أنفس تخلّفوا عن غزوة تَبُوك فيهم أبو لُبابة، [فربط سبعة منهم أنفسهم إلى سواري المسجد إلى أن نزلت توبتهم. وقيل[٢]: كانوا سبعة، منهم: أبو لُبابة][٣].

وقال أبو جعفر عليه السلام: نزلت في أبي لُبابة، ولم يذكر غيره، وكان سبب نزولها فيه ما جرى منه في غزوة بني قُرَيْظَة، وبه قال مجاهد وقال الزُهري: نزلت في أبي‌لُبابة خاصّةً حين تأخّر عن تبوك. وأكثر المفسّرين ذكروا أنّ أبا لُبابة كان من جملة المتأخّرين عن تبوك.

ورُوِي عن ابن‌عبّاس: أنّها نزلت في قومٍ من الأعراب. وقيل[٤]: نزلت في خمسة عشر نفساً ممّن تأخّر عن تبوك.

هذه الآية عطف على قوله: ﴿ومن أهل المدينة﴾ أي: ومنهم ﴿اخرون

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

(٢) قاله قتادة والضحّاك. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ١١.

(٣) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

(٤) قاله الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ١٢ ـ ١٣.

اعترفوا بذنوبهم﴾ أي: أقرّوا بها مع معرفتهم بها، فإنّ الاعتراف هو الإقرار بالشيء عن معرفة، و«الإقرار» مشتقّ من: قَرّ الشيء إذا ثبت، و«الاعتراف» من المعرفة.

وقوله: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً﴾ معناه: أنّهم يفعلون أفعالاً جميلة، ويفعلون أفعالاً سيّئة قبيحة، فيجتمعان. وذلك يدلّ على بطلان القول بالإحباط، لأنّه لو كان صحيحاً لكان أحدهما إذا طرأ على الآخر أحبطه[1] فلا يجتمعان، فكيف يكون خلطاً؟!

وقوله: ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ قال الحسن وكثير من المفسِّرين: إنّ ﴿عسى﴾ من الله واجبة. وقال قوم: إنّما قال: ﴿عسى﴾ حتّى يكونوا على طمع وإشفاق، فيكون ذلك أبعد من الاتّكال على العفو وإهمال التوبة.

والتقدير في قوله: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً﴾ أي: بآخر سيّء، ومثله: قولك: خَلَطْت الماء واللبن، أي: باللبن، وقد يستعمل ذلك في الجمع من غير امتزاج، كقولهم: خلطت الدراهم والدنانير، وقال قوم: هو يجري مجرى قولهم: استوى الماء والخشبة، أي: مع الخشبة. وقال أهل اللغة: «خَلَط في الخير» مخفّفاً، و«خلّط في الشرّ» مشدّداً.

وقوله: ﴿إنّ الله غفور رحيم﴾ تعليل لقبول التوبة من العُصاة، لأنّه غفور رحيم.

قوله تعالى:

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ آية بلا خلاف .

---

(١) في الخطّيّة: «إيطاله» بدل «أحبطه».

قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر: ﴿إنّ صلاتَك﴾ على التوحيد ونصب التاء، الباقون على الجمع وكسر التاء، لأنّه جمع السلامة.

فمن قرأ علىالتوحيد فلأنّه مصدر يقع على القليل والكثير، فلايحتاج إلى جمعه، ومثله: ﴿لصوتُ الحمير﴾ (١). وممّا ورد في القرآن بلفظ التوحيد والمراد به الجمع قوله: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلّا مُكاءً﴾ (٢) وقوله: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (٣). ومن جمع فلاختلاف الصلاة، كما أنّ قوله ﴿إنّ أنكر الأصواتِ﴾ (٤) جمع لاختلاف ضروبه.

و«الصلاة» في اللغة: الدعاء، قال الأعشى في الخمر:

وقَابَلَها الريحُ في دَنّها وَصلّى على دَنّها وارتَسَمْ (٥)

ومعنى ﴿صلّ عليهم﴾: ادع لهم، فإنّ دعاءك ﴿سَكَن لهم﴾ بمعنى: تسكن إليه نفوسهم وتطيب به، ولفظ التوحيد هاهنا أحسن، لأنّ المراد: دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله لهم لا أداء الصلوات، والجمع على ضروب دعائه. وقولهم: صلّى الله على رسولالله وعلى [أهله و] (٦) ملائكته، فلا يقال: إنّه دعاء لهم من الله، كما لا يقال فينحو: «ويل للمكذّبين»: إنّه دعاء عليهم، لكنّ المعنى: أنّ هؤلاء ممّن يستحقّ عندكم أن يقال فيهم هذا النحو من الكلام، ومثله: قوله: ﴿بل عَجِبْت ويَسْخَرون﴾ (٧) فيمن ضمّ التاء (٨) هذا مذهب سيبويه.

(١ و ٤) لقمان: ١٩. (٢) الأنفال: ٣٥.

(٣) النساء: ٧٧، والحجّ: ٧٨، والنور: ٥٦ وغيرها.

(٥) من قصيدة يمدح قيس بن معديكرب. راجع ديوان الأعشى: ص ١٩٨.

(٦) أضفناه من مأخذ هذه الفقرة، وهو «الحجّة للقرّاء السبعة» (٢: ٣٣٤) لأبي عليّ الفارسي.

(٧) الصافات: ١٢.

(٨) وممّن قرأ بضمّ التاء: حمزة والكسائي الكوفيّان. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٥٤٧.

وذكر الفرّاء وغيره: أنّ هؤلاء الّذين تابوا وأقلعوا قالوا للرسول: خُذْ من أموالنا ما تريد، فقال رسول‌الله: لا أفعل حتّى يؤذن لي فيه، فأنزل الله: ﴿خُذ من أموالهم صدقة﴾ فأخذ منهم بعضاً وترك الباقي[1]. ورُوِي ذلك عن ابن‌عبّاس وزيد بن أسْلم وسعيد بن جُبَيْر وقَتادَة والضحّاك، وهي في أبي‌لُبابة وجدّ بن قَيْس وأوْس وحذَام.

وقوله:﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ أمر من الله تعالى أن يأخذ من المالكين لنصاب الزكاة: الورق إذا بلغ مائتين، والذهب إذا بلغ عشرين مثقالاً، والإبل إذا بلغت خمساً، والبقر إذا بلغت ثلاثين، والغنم إذا بلغت أربعين، والغلّات إذا بلغت خمسة أوْسق.

وقوله:﴿خذ من أموالهم﴾ يدلّ على أنّ الأخذ من اختلاف الأموال، لأنّه جمعه، ولو قال: «خذ من مالهم» أفاد وجوب الأخذ من جنس واحد متّفق. و﴿من﴾ دخلت للتبعيض، فكأنّه قال: خذ بعض مختلف الأموال.

وظاهرالآية لا يدلّ على أنّه يجب أن يأخذ من‌كلّ صنف، لأنّه لوأخذ من صنفٍ واحدٍ لكان قد أخذ بعض الأموال، وإنّما يعلم ذلك بدليل آخر.

و«الصدقة»: عطيّة ماله قيمة للفقر والحاجة، و«البر»: عطيّة لاجتلاب المودّة، ومثله: «الصلة».

وقوله: ﴿تطهّرهم وتزكّيهم بها﴾ إنّما ارتفع ﴿تطهّرهم﴾ لأحد أمرَيْن:

أحدهما: أن تكون صفة لـ«الصدقة» وتكون التاء للتأنيث، وقوله: ﴿بها﴾ تبيين له، والتقدير: صدقة مطهّرة.

والثاني: أن تكون التاء خطاباً للنبيّ صلى الله عليه وآله والتقدير: فإنّك تطهّرهم بها، وهو صفة لـ«الصدقة» أيضاً، إلّا أنّه اجتزأ بذكر ﴿بها﴾ في الثاني عن

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٥١.

الأوّل. وقيل[١]: إنّه يجوز أن يكون على الاستئناف. وحمله على الاتّصال أولى، ولا يجوز أن يكون جواباً للأمر، لأنّه لو كان كذلك لكان مجزوماً. وقوله: ﴿وتزكّيهم﴾ تقديره: وأنت تزكّيهم على الاستئناف.

وقيل في هذه الصدقة قولان، أحدهما: قال الحسن: إنّها هي كفّارة الذنوب الّتي أصابوها. وقال أبو عليّ: هي الزكاة الواجبة.

وأصل «التطهير»: إزالة النجس، والمراد هاهنا: إزالة نجس الذنوب بما يكفّرها من الطاعة.

وقوله: ﴿وصلّ عليهم﴾ أمر من الله تعالى للنبيّ أن يدعو لمن يأخذ منه الصدقة. وقال الجُبّائي: يجب ذلك على كلّ ساعٍ يجمع الزكوات أن يدعو لصاحبها بالخير والبركة، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ معناه: أنّه تعالى يسمع دعاءك لهم عليم بنيّاتهم في الصدقة الّتي يخرجونها.

قوله تعالى:

أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ آية بلا خلاف .

الألف في قوله: ﴿ألم يعلموا﴾ ألف استفهام، والمراد بها التنبيه على مايجب أن يعلم المخاطب إذا رجع إلى نفسه وفكّر فيما نبّه عليه علم وجوبه، وإنّما وجب أن يعلم أنّ الله يقبل التوبة لأنّه إذا علم ذلك كان ذلك داعياً له إلى فعل التوبة والتمسّك بها والمسارعة إليها، وما هذه صورته وجب عليه أن يعلمه ليتخلّص به من العقاب ويحصل له الثواب.

وسبب ذلك أنّهم لمّا سألوا النبيّ صلى الله عليه وآله أن يأخذ من أموالهم ما يكون

(١) قاله الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٦٠.

كفّارة لذنوبهم فامتنع النبيّ من ذلك وقال: حتّى يؤذن لي فيه، فبيّن الله تعالى: أنّه ليس إلى النبيّ قبول توبتكم، وأنّ ذلك إلى الله تعالى دونه، فإنّه الّذي يقبل التوبة ويقبل الصدقات.

وفعل التوبة يستحقّ به الثواب لأنّها طاعة، فأمّا إسقاط عقاب المعاصي المتقدّمة عندها فالعقل لا يوجب ذلك، وإنّما علم ذلك سمعاً، لأنّ السمع قطع العذر بأنّ الله يسقط العقاب عند التوبة الصحيحة، وقد بيّنّا في غير موضع فيما تقدّم أنّ التوبة الّتي يسقط العقاب عندها قطعاً هي: الندم على القبيح، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح، لأنّ الأُمّة مجمعة على سقوط العقاب عند هذه التوبة، وفيما خالف هذه التوبة خلاف.

وقوله: ﴿ويأخذ الصدقات﴾ معناه: أنّه يأخذها بتضمّن الجزاء عليها كما تؤخذ الهديّة كذلك، وقال أبو عليّ الجُبّائي: جعل الله أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين للصدقة أخذاً من الله على وجه التشبيه والمجاز، من حيث كان بأمره. وقد رُوِي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنّ الصدقة قد تقع في يد الله قبل أن تصل إلى يد السائل»(١) والمراد بذلك: أنّها تنزل هذا التنزيل ترغيباً للعباد في فعلها، وذلك يرجع إلى تضمّن الجزاء عليها.

وقوله: ﴿وأنّ الله هو التوّاب الرحيم﴾ عطف على قوله: ﴿ألم يعلموا﴾ ولذلك فتح ﴿أن﴾ لأنّها مفعول به. و﴿التوّاب﴾ في صفة الله معناه: أنّه يقبل التوبة كثيراً، وفي صفة العبد يفيد أنّه يفعل التوبة كثيراً، وقيل في معنى ﴿وتاب الله عليكم﴾(٢): صَفَح عنكم، ولم يكونوا أذنبوا فيتوبوا ليتوب الله عليهم، وكذلك قوله: ﴿علم الله أنّكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم﴾(٣)

(١) ثواب الأعمال: ١٤٤، المجازات النبويّة: ٤٤٥.
(٢) المجادلة: ١٣.
(٣) البقرة: ١٨٧.

بمعنى: صَفَح، لأنّهم لم يتوبوا.

قوله تعالى:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ آية بلا خلاف.

هذا أمر من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول للمكلّفين: ﴿اعملوا﴾ ما أمركم الله به من الطاعة وآجتنبوا معاصيه، فإنّ الله سيرى عملكم ورسولهُ والمؤمنون وفي ذلك ضرب من التهديد، كما قال مجاهد. والمراد بالرؤية هاهنا: العلم الّذي هو المعرفة، ولذلك عدّاه إلى مفعول واحد، ولو كان بمعنى العلم الّذي ليس بمعرفة لتعدّى إلى مفعولَيْن، وليس لأحد أن يقول: إنّ أعمال العباد من الحركات يصحّ رؤيتها لمكان هذه الآية، لأنّه لو كان المراد بها العلم لعدّاه إلى الجملة، وذلك أنّ العلم الّذي يتعدّى إلى مفعولَيْن ما كان بمعنى الظنّ، وذلك لا يجوز على الله وإنّما يجوز عليه ما كان بمعنى المعرفة.

ورُوِي في الخبر: أنّ أعمال العباد تُعرَض على النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ اثنين وخميس فيعلمها، وكذلك تُعرَض على الأئمّة عليهم السلام فيعرفونها، وهم المعنيّون بقوله: ﴿والمؤمنون﴾[١].

وإنّما قال: ﴿فسيرى الله﴾ على وجه الاستقبال، وهو عالم بالأشياء قبل وجودها، لأنّ المراد بذلك أنّه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة، وكونه عالماً بأنّها ستوجد هو كونه عالماً بوجودها إذا وجدت لا يجدّد

(١) رواه الكليني في الكافي: ج ١ ص ٢١٩ باب عرض الأعمال على النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، والصفّار في بصائر الدرجات: ص ٤٢٤ ب ٤ و٥ و٦.

حال له بذلك.

وقوله: ﴿وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ معناه: سترجعون إلى الله الّذي يعلم السرّ والعلانية ﴿فينبّئكم﴾ أي: يخبركم ﴿بما كنتم تعملون﴾ ويجازيكم عليه.

قوله تعالى:

وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وخلف وحفص والكسائي عن أبي‌بكر[١]: ﴿مُرْجَوْن﴾ بغير همزة،الباقون بالهمزة. والوجه فيهما: أنّهما لغتان، ويقال: «أرْجَأْت» و«أرْجَيْت» بمعنىً واحد.

وهذه الآية عطف على قوله: ﴿ومن أهل المدينة مَردوا على النفاق ... وآخرون اعترفوا بذنوبهم. . . وآخرون مرجون لأمر الله﴾ و«الإرجاء»: تأخير الأمر إلى وقتٍ، يقال: أرْجَأْت الأمر إرْجاءً وأرْجَيْته ـ بالهمزة وترك الهمزة ـ لغتان.

وقوله: ﴿إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم﴾ فلفظة «إمّا» لوقوع أحد الشيئين، والله عالم بما يصير إليه أمرهم، إلّا أنّ هذا للعباد، خُوطِبوا بما يعملون[٢] والمعنى: وليكن أمرهم عندكم على هذا، أي: على الخوف والرجاء.

والآية تدلّ على صحّة قولنا في جواز العفو عن العصاة، لأنّه تعالى بيّن: أنّ قوماً من هؤلاء العُصاة أمرهم مُرْجَأً إلى الله: إن شاء عذّبهم وإن

(١) وفي الحجريّة: قرأ أهل المدينة عن أبي‌بكر، وفي مجمع البيان: «قرأ أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر...

(٢) في الحجريّة: يعلمون.

شاء قبل توبتهم فَعَفا عنهم، فلو كان سقوط العقاب عند التوبة واجباً لَمَا جاز تعليق ذلك بالمشيئة على وجه التخيير، لأنّهم إن تابوا وجب قبول توبتهم عند الخصم وإسقاط العقاب عنهم، وإن أصرّوا ولم يتوبوا فلا يُعفى عنهم، فلا معنىً للتخيير على قولهم، وإنّما يصحّ ذلك على ما نقوله: من أنّ مع حصول التوبة تحسن المؤاخذة، فإن عفا فبفضله وإن عاقب فبعدله. وقوله: ﴿وإمّا يتوب عليهم﴾ معناه: وإمّا يقبل توبتهم.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ معناه: عالم بما يؤول إليه حالهم ﴿حكيم﴾ فيما يفعله بهم. والفرق بين «الآخِر» و«الآخَر»: أنّ «الآخِر» يفيد أنّه بعد الأوّل، و«الآخَر» مقابل لـ «أحد» في تفصيل ذكر اثنين: أحدهما كذا والآخَر كذا.

وقال مجاهد وقَتادَة: الآية نزلت في هِلَال بن أُميّة الرافعي وفَزارَة بن رِبْعيّ وكَعْب بن مالك من الأوس والخزرج، وكان كَعْب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه، وإنّما تخلّف توانياً عن الاستعداد حتّى فاته المسير وانصرف رسول الله، ولم يعتذر إليه بالكذب، وقال: وآلله مالي من عذر، فقال ﷺ: «صدقت، فقم حتّى يقضي الله فيك» وجاء الرجلان الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا، فنهى رسول الله ﷺ عن كلامهم بعد ما عذر المنافقين وجميع المتخلّفين، وكانوا نيّفاً وثمانين رجلاً، فأقام هؤلاء الثلاثة على ذلك خمسين ليلة حتّى هجرهم ولدانهم ونساؤهم طاعةً لرسول الله ﷺ بأمره، وبنى كعب خيمة على سَلْع[1] يكون فيها وحده، وقال في ذلك:

أَبَعْدَ دُور بَني القَيْنِ الكِرَامِ وما شادُوا عَليَّ بَنَيْتُ البَيْتَ مِن سَعَفِ

(١) سَلْع: موضع قرب المدينة، وقيل: جبل فيها. (معجم البلدان).

ثمّ نزلت التوبة عليهم في الليل فأصبح المسلمون يبتدرونهم ويبشّرونهم، قال كَعْب: فجئت إلى رسول‌الله في المسجد وكان إذا سرّ يستبشر، كأنّ وجهه قطعة قمر، فقال لي ووجهه يبرق من السرور: أبشرْ بخير يوم طلع عليك شرقه منذ ولدتك أمّك، قال كَعْب: فقلت له: أمِن عند الله أو من عندك يا رسول‌الله؟ قال: فقال: من عند الله، وتصدّق كعب بثلث ماله شكراً لله على توبته.

قوله تعالى:

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وأهل المدينة: ﴿الّذين اتّخذوا﴾ بإسقاط الواو، الباقون بإثبات الواو. فَمَن أثبت الواو عطفه على ما تقدّم من الآيات، وتقديره: ومنهم الّذين اتّخذوا مسجداً ضراراً، ومَن حذفها ابتدأ الكلام وحذف الخبر لطول الكلام.

قال الزُهري ويزيد بن رُومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قَتادَة: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين. قال الفرّاء: كانوا من بني عمرو بن عوف من الأنصار. [وقال غيره[١]: كانوا من بني غَنْم بن عوف من الأنصار[٢] الّذين بنوا مسجد الضِرَار].

وقيل: إنّهم كانوا خمسة عشر رجلاً، منهم: عبدالله بن نبتل، في قول الواقدي[٣]. وقال ابن إسحاق: هو نُفَيل بن الحارث. ولم يذكر «عبدالله»

---

(١) كسعيد بن جبير. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ١٩.
(٢) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.
(٣) المغازي: ج ٣ ص ١٠٤٨.

وهذا المختلف في اسمه هو الّذي كان ينقل حديث النبيّ إلى المنافقين، فأعلم الله نبيّه ذلك.

وأخبر الله عنهم أنّهم بنوا المسجد الّذي بنوه ﴿ضِراراً﴾ أي: مضارّةً، ونُصِب على أنّه مفعول له، أي: بنوه للمضارّة، و«الضِرار»: هو طلب الضرّ ومحاولته، كما أنّ «الشقاق» محاولة مايشقّ، تقول: ضارّه مَضَارّةً وضِرَاراً.

والآية تدلّ على أنّ الفعل يقع بالإرادة على وجه القبح دون الحسن، أو الحسن دون القبح، لأنّهم لو بنوا المسجد للصلاة فيه لكان حسناً، لكن لمّا قصدوا المضارّة كان ذلك قبيحاً ومعصية.

وقوله: ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ أي: بنوه للمضارّة والكفر والتفريق بين المؤمنين، وإنّما يكون تفريقاً بين المؤمنين بأن يتحزّبوا، فحزب يصلّي فيه، وحزب يصلّي في غيره، لتختلف الكلمة وتبطل الألفة. وآتّخذوه أيضاً ليكفروا فيه بالطعن على النبيّ صلى الله عليه وآله والإسلام والمسلمين.

وقوله: ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله﴾ معناه: اتّخذوه له ليكون متى أراد الاجتماع معهم حضره وأنس به، وهو رجل يُقال له: أبو عامر الراهب، لَحِقَ بقيصر فتنصّر، وبعث إليهم: سآتيكم بجندٍ فأُخرج به محمّداً وأصحابه، فبنوه يترقّبونه، وهو الّذي حزّب الأحزاب وحارب مع المشركين، فلمّا فُتِحت مكّة هرب إلى الطائف، فلمّا أسلم أهل الطائف لَحِق بالشام وخرج إلى الروم وتنصّر، وآبنه عبدالله قُتِل يوم أُحد، وهو غسيل الملائكة. ذهب إليه أكثر المفسّرين كابن عباس ومجاهد وقَتادَة.

وأصل «الإرصاد»: الارتقاب، تقول: رَصَدَه يَرْصُدُه رَصْداً، وأرْصَد له وراصَدَهُ مُراصَدَةً، وتَراصَدَ تَراصُداً، وارْتَصَدَه ارْتِصاداً.

وقوله: ﴿وليحلفُنَّ إنْ أردنا إلّا الحسنى﴾ معناه: أنّ هولاء يحلفون على

أنّهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد إلّا الحسنى، يعني: إلّا الفعلة الحسنى، فقال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿والله يشهد إنّهم لكاذبون﴾ وكفى بمن يشهد الله بكذبه خزياً.

ووجّه رسول‌الله ﷺ قبل قدومه من تَبُوك عاصِم بن عون العجلاني ومالك بن الدَخْشَم وكان مالك من بني عوف، فقال لهما: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثمّ حرّقاه» فخرجا يشتدّان سريعَيْن على أقدامهما، فَفَعلا ما أمرهما به، فثبت قومٌ من جملتهم[1]: زيد بن حارثة بن عامر حتّى احترقت البنية[2].

قوله تعالى:

﴿لَاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ آية بلا خلاف.

نَهى الله نبيّه، وَعَنى معه جميع المؤمنين: أن يقوموا في المسجد الّذي بُنِي ضِراراً ﴿أبداً﴾ أو يصلّوا فيه، وأقسم أنّ المسجد الّذي ﴿أُسّس على التقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه﴾ وقيل في المسجد الّذي أُسّس على التقوى قولان:

أحدهما: قال ابن‌عبّاس والحسن وعطيّة: إنّه مسجد قباء.

وقال ابن عمر وابن المسيّب: هو مسجد المدينة. وقال عمر بن شبّة: المسجد الّذي أُسّس على التقوى: مسجد رسول‌الله ﷺ والّذي أُسّس على تقوىً ورضوان مسجد قباء. وكذلك فَصّل بينهما، ورواه عن أشياخه.

---

(١) في الخطّيّة: «بينهم» بدل «من جملتهم».

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ١٧ ـ ١٨ مسنداً عن الزهري وغيره.

و«التقوى»: خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة، و«المتّقي»: صفة مدح لا تُطْلَق إلّا على مستحقّ الثواب. وواو «تقوى» أُبدِلت من الياء، لأنّه من «تقيت» وإنّما أُبدِلت للفرق بين الاسم والصفة في الأبنية، ومثله: «شروى» من: شريت، فأمّا الصفة فنحو: «خزياً». ولو قيل: كيف يبنى «فعلى» من«قصيت»؟ قلت: «قصوى» في الاسم، و«قصيا» في الصفة.

وقوله: ﴿من أوّل يوم﴾ معناه: أوّل الأيّام إذا ميّزت يوماً يوماً، لأنّ أفعل بعض ما أُضيف إليه، ومثله: أعطيت كلّ رجل في الدار، أي: كلّ الرجال إذا ميّزوا رجلاً رجلاً. والفرق بين «من أوّل يوم» و«منذ أوّل يوم»: أنّ «منذ» إذا كانت حرفاً فهي للوقت الحاضر، كقولك: منذ اليوم ومنذ الشهر ومنذ السنة، وليس كذلك «من» وإذا كانت اسماً وقعت على مابعدها على تقدير كلامين، و«من» أوّل إلى[1] النهاية لأنّها نقيض «إلى» قال زُهَيْر:

لِــمَنِ الدِيــارُ بِــقُنَّةِ الحَــجْرِ ... أَقْوَينَ من حِجَجٍ ومِن شَهْرِ[2]

وقوله: ﴿أحقّ أن تقوم فيه﴾ مع أنّ القيام في الآخر قبيح منهيّ عنه، وإنّما قال ذلك على وجه المظاهرة بالحجّة بأنّه لو كان من الحقّ الّذي يجوز لكان هذا أحقّ، ويجوز على هذا أن تقول: عمل الواجب أصلح من تركه. وقيل: المراد به: القيام فيه حقٌّ، ظاهراً وباطناً، إذ كانت الصلاة في المساجد على ظاهرها حقّ.

وقوله: ﴿فيه رجال﴾ فالأوّل ظرف للقيام، والثاني ظرف لكون الرجال.

وقوله: ﴿يحبّون أن يتطهّروا﴾ قال الحسن: معناه: يريدون أن يتطهّروا

---

(١) في الحجريّة: من على.

(٢) من قصيدة يمدح هرم بن سنان. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٢٧.

من الذنوب. وقيل: يتطهّرون بالماء من الغائط والبول[١]، وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام[٢]. ثمّ قال: ﴿والله يحبّ المطّهّرين﴾ أي: يريد منافع المتطهّرين من الذنوب، وكذلك المتطهّرين من النجاسة بالماء.

ورُوِي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لأهل قباء: ماذا تفعلون في طهركم، فإنّ الله أحسن عليكم الثناء؟ قالوا: نغسل أثر الغائط، فقال: أنزل الله فيكم: ﴿والله يحب المطّهّرين﴾ .

وقيل: إنّ سبب نزول هذه الآية: أنّ أهل مسجد ضِرار جاؤوا إليه فقالوا: يا رسول‌الله، بنينا مسجداً للضعيف في وقت المطر نسألك أن تصلّي فيه، وكان متوجّهاً إلى تبوك فوعدهم أن يفعل إذا عاد، فنهاه الله عن ذلك.

وقوله: ﴿والّذين اتّخذوا مسجداً﴾ مبتدأ، وخبره في قوله: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ كما تقول: والّذي يدعوك إلى‌الغيّ فلاتسمع الدعاء وتقديره فلاتسمع دعاءه. والتقدير في‌الآية: لا تقم في مسجدهم أبداً، وأسقط ذلك اختصاراً.

قوله تعالى:

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ آية بلاخلاف .

قرأ نافع وابن‌عامر ﴿أُسِّس بنيانُه﴾ بضمّ الهمزة وكسر السين، ورفع النون من ﴿بنيانه﴾ في الموضعَيْن جميعاً، الباقون بفتح الهمزة ونصب النون من ﴿بنيانه﴾. وقرأ ابن عامر إلّا الداجُوني عن هشام وحمزة وخَلَف

---

(١) قاله خزيمة بن ثابت وعامر الشعبي وقتادة وشهر بن حوشب وعطيّة وابن زيد وعطاء. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) رواه العيّاشي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٢ ح ١٣٧ و١٣٨.

وأبوبكر إلّا الأعشى والبُرْجُمي: ﴿جُرْف﴾ بسكون الراء، الباقون بضمّها. وقرأ أبوعمرو والكسائي والداجُوني عن ابن[1]ذكوان وهبة الله عن حفص من طريق النَهْرواني والدُوري عن سليم من طريق ابن فَرَح وأبو بكر إلّا الأعشى والبُرْجُمي ﴿هار﴾ بالإمالة، وافقهم على الوقف عليّ بن مسلم وابن‌غالب ومحمّد في‌الوقف [من طريق] السُوسي من طريق ابن حُبَيْش.

قال أبو عليّ الفارسي: «البنيان» مصدر[2] وهو جمع كـ «شعير» و«شعيرة» لأنّهم قالوا في الواحد: بنيانة، قال أوْس:

كَبُنْيانَةِ القَرِيِّ مَوْضِعِ رَحْلِها وَآثارُ نِسْعَيْها مِن الدَفِ أبْلَقُ

وجاء بناء المصادر على هذا المثال في غير هذا الحرف، نحو: «الغفران» وليس «بنيان» جمع «بناء» لأن «فُعلاناً» إذا كان جمعاً نحو: «كثبان». و«قضبان» لم تلحقه تاء التأنيث، وقد يكون ذلك في المصادر، نحو: «أكل» و«أكلةً» و«ضرب» و«ضربةً» من ذلك، وقال أبوزيد: يقال: بنيت أبني بنياً وبناءً وبِنْيَةً، وجمعها: البنىٰ، وأنشد:

بنى السماء فسوّاها بِبُنْيَتِها ولم تُمُدَّ بأطنابٍ ولا عَمَدِ

فـ «البِنَاء» و«البِنْيَة» مصدران، ومن ثمّ قوبل به الفراش في قوله: ﴿الّذي جعل لكم الأرضَ فِراشاً والسماءَ بِناءً﴾[3] فالبناء لما كان رفعاً للمبنيّ، قوبل به «الفراش» الّذي هو خلاف «البناء» ومن ثمّ وقع على ما كان فيه ارتفاع في نصبته وإن لم يكن مبنيّاً.

فأمّا مَن فتح الهمزة وبنى الفعل للفاعل فلأنّه الباني والمؤسّس فأسند الفعل إليه وبناه له، كما أضاف «البنيان» إليه في قوله: ﴿بنيانه﴾ فكما أنّ

---

(١) في الحجريّة: أبي ذكوان.

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة ج ٢ ص ٣٤٢.

(٣) البقرة: ٢٢.

المصدر مضاف إلى الفاعل كذلك يكون الفعل مبنيّاً [له]. ومَن بنى الفعل للمفعول لم يبعد أن يكون في المعنى كالأوّل، لأنّه إذا أسّس بنيانه فتولّى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له، والأوّل أقوى لما قلناه.

وقال أبو عليّ: «الجُرُف» بضمّ العين هو الأصل، والإسكان تخفيف، ومثله: «الشُغُل» و«الشُغْل» ومثله: «الطُنُب» و«الطُنْب» و«العُنُق» و«العُنْق» يجوز في جميعه التثقيل والتخفيف، وكِلَاهما حَسَن[1] وقال أبوعُبَيْدَة: ﴿على شفا جُرُف هار﴾ مَثَل، قال: لأنّ ما يبنى على التقوى فهو أثبت أساساً من بناءٍ يُبنى على شفا جرف[2]. ويجوز أن تكون المعادلة وقعت بين البانيين[3] ويجوز أن تكون بين البناءَيْن، فإذا عادلت بين البناءين[4] كان المعنى: المؤسّس بنيانه متّقياً خيرٌ أم المؤسّس بنيانه غير متّق؟ لأنّ قوله: ﴿على شفا جرف﴾ يدلّ على أنّ بانيه غير متّقٍ لله، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف، كأنّه قال: أبناء من أسّس بنيانه متّقياً خيرٌ أم بناء من أسّس [بنيانه] على شفا جرف؟ و «البنيان» مصدر يراد به «المبنيّ» كما أنّ «الخلق» يراد به «المخلوق» إذا أردت ذلك، و «ضرب الأمير» إذا أردت به «المضروب» وكذلك «نسج اليمن» يراد به «المنسوج» فإنّما قلنا ذلك لأنّه لا يجوز أن يراد به الحدث، لأنّه إنّما يُؤسّس المبنيّ الّذي هو عين، يبيّن ذلك قوله: ﴿على شفا جرف﴾ والحدث لا يكون على شفا جرف.

والجار في قوله: ﴿على تقوى﴾ وفي قوله: ﴿على شفا جرف﴾ في موضع نصب، والتقدير: أفمن أسّس بنيانه متّقياً خيرٌ أم من أسّس بنيانه

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٣٨.
(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٦٩.
(٣) في الحجريّة: البنّائين.
(٤) في مجمع البيان: البانيين.

غير متّقٍ أو من أسّس بنيانه معاقباً على بنيانه، وفاعل ﴿انهار﴾: البنيان، وتقدير: انهار البنيان بالباني في نار جهنّم، لأنّه معصية وفعل لما كرهه الله من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين.

ومَن أمال ﴿هار﴾ فقد أحسن، لِمَا في الراء من التكرير، فكأنّك لفظت براءَيْن مكسورتَين، وبحسب كثرة الكسرات تحسن الإمالة، ومَن لم يمل فلأنّ كثيراً من العرب لا يميلون هذه الألفات، وترك الإمالة هو الأصل، وأمّا ألف ﴿هار﴾ فمنقلبة عن الواو، لأنّهم قالوا: تهوّر البناء إذا تَساقط وتَداعى، و«الانهيار» و«الانهيال» متقاربان في المعنى.

والألف في قوله: ﴿أفَمن﴾ ألف آستفهام يراد بها هاهنا: الإنكار. ومعنى ﴿خير﴾ في الآية: أفضل، وفيه اشتراك[1] يقولون: هذا خير من هذا وهذا شرّ، ولا يُراد به «أفضل» قال الشاعر:

والخَيرُ والشَرُّ مقْرونَانِ في قَرَنٍ فالخَيرُ متّبعٌ والشَرُّ مـحذُورُ[2]

وأمّا قوله: ﴿وافعلوا الخير﴾[3] معناه: افعلوا الأفضل. و «الشفا»: جُرُف الشيء وشَفيرُه، و«جُرُفه»: نهايته في المساحة، ويُثنّى: شَفوان، و«الجرف»: جرف الوادي، وهو جانبه الّذي ينحفر بالماء أصله فيبقى واهياً، وهو من «الجَرْف» و «الاجْتِراف» وهو اقتلاع الشيء من أصله. ومعنى «انهار»: انصدع بالتهدّم، هَارَ الجُرُفُ يَهُورُ هَوْراً فهو هائرٌ، وتَهوّر تَهوّراً، وانهار انهياراً، ويقال أيضاً: هارَ يهارُ، وأصل «هار»: هائِر، إلّا أنّه قُلِب،

---

(١) كذا في الخطّيّة والحجريّة. ولعلّ الصواب هكذا: وليس معنى «خير» في الآية أفضل وليس فيه اشتراك. راجع مجمع البيان ذيل الآية.

(٢) قاله عبدالمسيح الغساني. انظر دلائل النبوّة: ج ١ ص ١٢٩، ودلائل النبوّة لأبي نعيم: ج ١ ص ١٤١.

(٣) الحج: ٧٧.

كما قال الشاعر:

لَاثٍ بِهِ الأَشَاء والعُبْرِيُّ[١]

أي: لائثٍ، بمعنى: دائر، ومثله: شاك في السلاح وشائِك، والأشاء: النخل، والعُبْرِيُّ: السدر الّذي على ساقي الأنهار، ومعنى «لاثَ» أي: مطيف به.

شبّه الله تعالى بنيان هؤلاء المنافقين مسجد الضِرار ببناءٍ يُبنى على شفير جهنّم، فانهار ذلك البناء بأهله في نار جهنّم ووقع فيه، ورُوِي عن جابر بن عبدالله أنّه قال: رأيت المسجد الّذي بُنِيَ ضِراراً يخرج منه الدخان. وهو قول ابن جُرَيْج[٢].

قوله تعالى:

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحمزة وحفص وأبو جعفر ويعقوب: ﴿تَقَطَّع﴾ بفتح التاء، الباقون بضمّها. وقرأ يعقوب وحده: ﴿إلى أن﴾ على أنّه حرف جرّ.

وقوله: ﴿لا يزال﴾ من أخوات «كان» ترفع الاسم وتنصب الخبر، وإنّما عمل في الاسم والخبر لأنّه إنّما يتعلّق في معنى الجملة، فيدلّ على أنّه يدوم، إذ المعنى فيه أن يكون الشيء على الصفة أبداً.

قال أبو عليّ: «البنيان» مصدر واقع على المبنيّ. وتقديره: لا يزال بناء المبنيّ الّذي بنوه ﴿ريبة﴾ أي: شكّاً فيقلوبهم فيما كان من إظهار إسلامهم

---

(١) أنشده أبو عُبَيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٦٩ ونسبه إلى العجّاج.

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٢٥ مسنداً.

وثباتاً على النفاق إلى أن تقطّع قلوبهم بالموت والبلى، لا يخلص[١] لهم إيمان ولا ينزعون عن النفاق[٢] [إلى أن تقطّع قلوبهم بالموت والبلى][٣]. ومن قرأ ﴿إلى أن تقطَّع﴾ فلأنّه يريد: حتّى تبلى وتقطّع بالبلى، أي: لا تثلج قلوبهم بالإيمان أبداً، ولا ينزعون عن الخطيئة في بناء المسجد ولا يتوبون. ومَن ضمّ التاء أضاف الفعل إلى المقطِّع المُبْلي للقلوب بالموت، ومَن فتحها أسند الفعل إلى القلوب لما كانت هي البالية[٤] كما قالوا: مات زيد، ومرض عمرو، ووقع الحائط. وفي قراءة أُبيّ ﴿حتّى الممات﴾.

ومعنى قوله: ﴿الّذي بنوا﴾ مع قوله: ﴿بنيانهم﴾ إنّما هو ليعلم أنّ البناء ماضٍ دون المستقبل، إذ قد تجوز الإضافة على جهة الاستقبال، كقولك للغير: أقبل على عملك.

وقيل في معنى «الريبة» في الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: إنّ هذا البنيان الّذي بنوه لا يزال ريبةً في قلوبهم. وقيل: معناه: حزازةً في قلوبهم. وقيل: حسرةً في قلوبهم يتردّدون فيها.

وقوله: ﴿إلّا أن تقطّع قلوبهم﴾ موضع ﴿أن تقطّع﴾ نصب، والتقدير: إلّا على تقطّع قلوبهم، غير أنّ حرف الإضافة يُحذَف مع «أن» ولا يُحذَف مع المصدر، ومعنى ﴿إلّا﴾ هاهنا: حتّى، لأنّه استثناء من الزمان المستقبل، والاستثناء منه منْتَهٍ إليه، فاجتمعت مع «حتّى» في هذا الموضع على هذا المعنى. قال الزجّاج: يحتمل أن يكون المراد: إلّا أن يتوبوا توبةً تتقطّع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم[٥].

---

(١) في الخطّيّة: «لا يصلح» بدل «لا يخلص».

(٢ و ٤) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٤٢.

(٣) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

(٥) راجع معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٧١.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ أي: عالم بنيّتهم في بناء مسجد الضرار ﴿حكيم﴾ في أمره بنقضه، والمنع من الصلاة فيه.

قوله تعالى:

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ آية بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي: ﴿فيُقْتَلون ويَقْتُلون﴾ على مفعول وفاعل، الباقون على فاعل ومفعول. مَن قدّم الفعل المسند إلى الفاعل، فلأنّهم يَقْتُلون أوّلاً في سبيل الله ويُقْتَلون، ولا يَقْتُلون إذا قُتِلُوا. ومَن قدّم الفعل المسند إلى المفعول جاز أن يكون أراد ذلك المعنى أيضاً، لأنّ المعطوف بالواو يجوز أن يُراد به التقديم وإن لم يقدّر ذلك، كأنّ المعنى: يُقْتَل بعضُهم، ويَقْتُل مَن بقي منهم بعد قَتْل مَن قُتِل منهم، كما أنّ قوله: ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله﴾ (١) ومعناه: ما وهن من بقي منهم لِقَتْل مَن قُتِل من المؤمنين.

حقيقة الاشتراء لا تجوز على الله تعالى، لأنّ المشتري إنّما يشتري ما لا يملك، والله تعالى مالك الأشياء كلّها، وإنّما هو كقوله: ﴿من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ (٢) في أنّه أُجري بحسن المعاملة والتلطّف في الدعاء إلى الطاعة مجرى ما لا يملكه المعامل فيه، ولمّا كان الله تعالى رغّب في الجهاد وقتال الأعداء، وضمن على ذلك الثواب، عبّر عن ذلك بالاشتراء، فجعل الثواب ثمناً والطاعات مثمناً على ضربٍ من المجاز.

---

(١) آل عمران: ١٤٦.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

وكما أنّ في مقابلة الطاعة الثواب فكذلك في مقابلة الألم العِوَض، غير أنّ الثواب مقترن بالإجلال والإكرام والعِوَض خالٍ منهما، والمثاب محسن مستحقّ على إحسانه المدح وليس كذلك المعوّض.

أخبر الله تعالى أنّه آشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بما ضمن لهم على بذلها من الثواب في قوله: ﴿بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله﴾ أعداء الله وأعداء نبيّه ﴿فيَقْتُلون﴾ أعداء الله ويقتلهم أعداء الله فيصبرون على ذلك، ومَن قدّم المفعول أراد: يُقْتَل بعضُهم، فيَقْتُل الباقون أعداءَ الله.

وقوله: ﴿وعداً عليه حقّاً﴾ نصب ﴿وعداً﴾ على المصدر بما دلّ عليه ﴿آشترى﴾ إذ يدلّ على أنّه وعد، ومثله: ﴿صُنْعَ الله الّذي أتقن كلّ شيء﴾ [١] و﴿فِطْرَتَ الله الّتي فطر الناس عليها﴾ [٢] و«الوَعْد»: خبر بما يفعله المخبر من الخير بغيره. و«الوعيد»: خبر بما يفعله المخبر من الشرّ بغيره، وقوله: ﴿حقّاً﴾ معناه: يتبيّن الوعد بالحقّ الواجب من الوعد بما لم يكن واجباً، فالوعد بالثواب دلّ على وجوبه من وجهَيْن: أحدهما: من حيث إنّه جزاء على الطاعة، والثاني: أنّه إنجاز الوعد.

وقوله: ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ معناه: أنّ هذا الوعد للمجاهدين مذكور في هذه الكتب، قال الزجّاج: وذلك يدلّ على أنّ الجهاد كان واجباً على أهل كلّ ملّة [٣].

وقوله: ﴿ومَن أوفى بعهده من الله﴾ [معناه: لا أحد أحقّ بالوفاء بالعهد من الله] [٤] ﴿فاستبشروا﴾ أيّها المؤمنون ﴿ببيعكم الّذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ يعني: ذلك الشراء والبيع هو الفلاح العظيم الّذي لا يقارنه شيء.

---

(١) النمل: ٨٨.
(٢) الروم: ٣٠.
(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٧١.
(٤) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّية.

قوله تعالى:

ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأَٰمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ آية بلا خلاف .

قيل في ارتفاع قوله: ﴿التائبون﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: إنّه ارتفع بالمدح، والتقدير: هم التائبون. الثاني: بالابتداء وخبره محذوف بعد قوله: ﴿والحافظون لحدود الله﴾: لهم الجنّة. الثالث: على أن يكون بدلاً من الضمير في ﴿يقاتلون﴾ أي: إنّما يقاتل في سبيل الله مَن هذه صفته. وقيل: هو كقوله: ﴿لكنِ الرسول والّذين آمنوا معه﴾[1]: ﴿التائبون ...﴾. وقرأ أُبيّ كلّ ذلك بالنصب على أنّه صفة للمؤمنين.

وصف الله تعالى المؤمنين الّذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأنّهم ﴿التائبون﴾ ومعناه: الراجعون إلى طاعة الله والمنقطعون إليه، والنادمون على ما فعلوه من قبيح. ﴿العابدون﴾ أي: يعبدون الله وحده لا شريك له. ﴿الحامدون﴾ يعني: الشاكرون لنِعَم الله عليهم على وجه الإخلاص له، وقال الحسن: هم الّذين يحمدون الله على كلّ حال في سرّاء كانوا أو ضرّاء. وبه قال قَتادَة. ﴿السائحون﴾ قيل: معناه: الصائمون. وقال المؤرّج: ﴿السائحون﴾ الصائمون بلُغة هُذَيْل. وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «سياحة أُمّتي الصوم»[2] وهو قول ابن مسعود وابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر والحسن ومجاهد، وقال الحسن: هم الّذين يصومون ما افترض الله عليهم. وقال غيره: هم الّذين يصومون دائماً، وكذلك قال في قوله: ﴿الراكعون الساجدون﴾: إنّهم الّذين

(١) التوبة: ٨٨.

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٢٩ عن عائشة موقوفاً.

يؤدّون ما افترض الله عليهم من الصلاة والركوع والسجود.

وأصل «السَيْح»: الاستمرار بالذهاب في الأرض كما يسيح الماء، فالصائم مستمرّ على الطاعة في ترك المشتهى من المأكل والمشرب والمنكح.

وقوله: ﴿الراكعون الساجدون﴾ معناه: الّذين يقيمون الصلاة الّتي فيها الركوع والسجود ﴿الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر﴾ معناه: الّذين يأمرون بما أمر الله به من الواجبات والمندوبات، وينهون عمّا نهى الله عنه وزهّد فيه من القبائح. وإنّما عطف ﴿الناهون﴾ بالواو دون غيره من الصفات لأنّه لا يكاد يُذْكَر على الإفراد، بل يُقال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجاءت الصفة مصاحبة للأُولى. فأمّا قوله: ﴿والحافظون﴾ فلأنّه جاء وهو أقرب إلى المعطوف، ومعنى ﴿الحافظون لحدود الله﴾: أنّهم يحفظون ما أمر الله به ونهى عنه، فلا يتجاوزونه إلى غيره.

وقوله: ﴿وبشّر المؤمنين﴾ أمر للنبيّ ﷺ أن يبشّر المؤمنين المصدّقين بالله المعترفين بنبوّته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة، وخاصّةً إذا جمعوا هذه الأوصاف. وروي في تفاسير أصحابنا أنّ الآية متناولة لعامّة المعصومين، لأنّه لايكاد يجمع هذهالأوصاف علىكمالها وتمامها غيرهم.

قوله تعالى:

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه لم يكن ﴿للنبيّ والّذين آمنوا أن يستغفروا﴾ ومعناه: أن يطلبوا المغفرة ﴿للمشركين﴾ الّذين يعبدون مع الله إلهاً آخر، والّذين لا يوحّدونه ولا يقرّون بإلهيّته وإن ﴿كان﴾ الّذي يطلب لهم المغفرة أقرب

الناس إليهم، بعد أن يعلموا أنّهم كفّار مستحقّون للخلود في النار. و«القُربى» معناه: القُرب في النسب بالرجوع إلى أب أو أمّ بإضافة قريبة.

ومعنى قوله: ﴿ولو كانوا أُولي قُربى﴾ أي: القرابة وإن دعت إلى الحنوّ والرقّة، فإنّه لا يلتفت إلى دعائها في الخصلة الّتي نهى الله عنها.

قوله تعالى:

وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ آية بلا خلاف.

لمّا ذكر الله تعالى أنّه ليس للنبيّ والّذين آمنوا أن يطلبوا المغفرة للمشركين بيّن الوجه في ٱستغفار إبراهيم لأبيه مع أنّه كان كافراً ـ سواء كان أباه الّذي ولده أو جدّه لأُمّه أو عمّه على ما يقوله أصحابنا ـ وهو أن قال: وجه حسن ذلك أنّه كان تقدّم ذلك مَوْعِدة، فلأجلها وجب عليه الوفاء به.

وقيل في معنى «الموعدة» الّتي كانت عليه في حسن الاستغفار [قولان:

أحدهما: إنّ الموعدة كانت من أبي إبراهيم لإبراهيم أنّه يؤمن][(١)] إن استغفر له، فاستغفر له لذلك وطلب له الغفران بشرط أن يؤمن له، فلمّا تبيّن له بعد ذلك أنّه عدوّ لله تبرّأ منه.

والثاني: إنّ الوعد كان من إبراهيم بالاستغفار ما دام يطمع في الإيمان، كما قال ﴿إلّا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك وما أملكُ لك من الله من شيء﴾[(٢)] فاستغفر له على ما يصحّ ويجوز من شرائط الحكمة، فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله وأيِسَ من إيمانه تبرّأ منه.

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

(٢) الممتحنة: ٤.

والّذي عندي ـ وهو الأقوى ـ: أنّ أباه أظهر له الايمان وصار إليه، وكان وعده أن يستغفر له إن آمن، فلمّا أظهر الإيمان استغفر له، فأعلمه الله أنّ ما ظهر منه بخلاف ما يبطنه، فتبرّأ منه، ويقوّي ذلك قوله: ﴿واغفر لأبي إنّه كان من الضالّين﴾ [١] أي: فيما مضى. ويجوز أن يكون أظهر الكفر بعد ذلك، فلمّا تبيّن ذلك تبرّأ منه.

فأمّا مَن قال: إنّ الوعد كان من إبراهيم فالسؤال باقٍ، لأنّ لقائلٍ أن يقول: ولِمَ وَعَد كافراً أن يستغفر له؟ فإن قلنا: وعده بأن يستغفر له إن آمن، كان الرجوع إلى الجواب الآخر.

و«العداوة»: هي الإبعاد من النصرة إلى اعداد العقوبة، و«الولاية»: التقريب من النصرة من غير فاصلة بالحباء والكرامة.

وقوله: ﴿إنّ إبراهيم لأوّاه حليم﴾ قيل في معنى ﴿أوّاه﴾ ثمانية أقوال:

فقال ابن‌عبّاس في معنى ﴿أوّاه﴾: تَوّاب. وقال ابن مسعود: معناه: دعّاء. وقال الحسن وقَتادَة: معناه: رحيم. وقال مجاهد: معناه: مُوقِن. وقال كَعْب: معناه: إذا ذكر النار قال: أوّه. وقال الضحّاك: معناه: المؤمن الموقن بالجنّة [٢] الرحيم. وقال آخرون [٣]: معناه: فقيه. وقال أبو عُبَيْدَة: معناه: المتوجّع المتضرّع إلى الله خوفاً وإشفاقاً [٤]. وأصل «الأوّاه»: من التأوّه، وهو التوجّع والتحزّن، تقول: تأوّه تأوّهاً، وأوّه تأويهاً، قال المُثَقِّبُ العَبْدِي:

إذا ما قُمْتُ أرْحَلُها بليلٍ ... تأوَّهُ آهَةَ الرّجُلِ الحَزينِ [٥]

---

(١) الشعراء: ٨٦.

(٢) في الحجريّة: بالخشية والظاهر أنّهما مصحّفة: الحبشية، كما ورد في الطبري.

(٣) منهم مجاهد.

(٤) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٠.

(٥) أنشده أبو عُبَيْدَة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٠.

والعرب تقول: «أوّه من كذا» بكسر الواو وتسكين الهاء، قال الشاعر:

فأوْهِ لذِكْــرَاهــا إذَا مــا ذَكَـرْتُها ... ومِن بُعْدِ أرضٍ دُونِها وسَماءِ[١]

والعامّة تقول: أوّه، يقال أيضاً: «أوْهِ» بسكون الواو وكسر الهاء، وينشد البيت المتقدّم ذكره كذلك، وقال الجَعْدي:

ضَرُوحٍ مَرُوحٍ يُتْبِعُ الوُرْقَ بعدَما ... يُعَرّسْنَ شَكْوى آهَــةً وَتَـنمُّرا[٢]

وقالَ الراجِز:

فأوَّهَ الدّاعِي ضَوْضَى أكْلُبُه[٣]

ولو جاء منه: «فعل يفعل» لكان: آهَ يَؤُوهُ أوْهاً على وزن: قالَ يقولُ قولاً. و«الحليم»: هو الممهّل على وجهٍ حسنٍ، و«الحِلْم»: الإمهال على ما تقتضيه الحكمة، وهي صفة مدح، والله حليم عن العُصَاة بإمهاله لهم مع قدرته على تعجيل عقوبتهم.

وقال ابن عبّاس ومجاهد وقتادة: إنّما تبيّن عداوته لمّا مات على كفره. وقال أبو عليّ الجُبّائي: لمّا أيِسَ من فلاحه عند تصميمه على بعد الوعد في الإيمان بالله الّذي كان وَعَد بإظهاره في وقتٍ بعينه.

قوله تعالى:

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ آية بلا خلاف.

قال مجاهد: وجه اتّصال هذه الآية بما قبلها هو: أنّـه لمّـا حـرّم الله تعالى على المؤمنين الاستغفار للمشركين بيّن أنّه لم يكن الله ليأخذكم به

---

(١) أورده الطبري في تفسيره ذيل الآية: وقال: ذكره الفرّاء وقال: إنّ أبا الجرّاح أنشده إيّـاه، وفيه: «بيننا» بدل «دونها».

(٢) أنشده الطبري في تفسيره ذيل الآية.

(٣) أنشده الطبري في تفسيره ولم ينسبه إلى أحد.

إلّا بعد أن يدلّكم على تحريمه، وأنّه يجب عليكم أن تتّقوه.

وقوله: ﴿ليضلّ قوماً﴾ معناه هاهنا: لم يكن الله ليحكم بضلال مَن عدل عن طريق الحقّ على وجه الذمّ [له] إلّا بعد أن ينصب له على ذلك الدليل والبيان. و«الهدى»: هو الحكم بالاهتداء إلى الحقّ على وجه الحمد له. و«البيان» و«البرهان» و«الحجّة» و«الدلالة» بمعنىً واحدٍ، وفرّق الرُمّاني بين «البيان» و«البرهان» فقال: «البيان»: إظهار المعنى في نفسه بمثل إظهار نقيضه، و«البرهان»: إظهار صحّته بما يستحيل في نقيضه كالبيان عن معنى قِدَم الأجسام ومعنى حدوثها، فالبرهان يشهد بصحّة حدوثها وفساد قِدَمها. وقال مجاهد: معناه: حتّى يبيّن لهم ما يتّقون من ترك الاستغفار للمشركين، لأنّهم كانوا يستغفرون لهم، فلمّا نُهُوا عنه انتهوا.

وقوله: ﴿إنّ الله بكلّ شيء عليم﴾ معناه: أنّه يعلم جميع المعلومات حتّى لا يشذّ شيء منها عنه، لكونه عالماً لنفسه. وقال الحسن: مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل فرض الصلاة والزكاة وغيرهما من فرائض الدين، فقال المسلمون: يا رسول‌الله، إخواننا الّذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم؟ فقال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضلّ قوماً﴾ وهم مؤمنون ولم يبيّن لهم الفرائض.

قوله تعالى:

إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَالَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَانَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ آية بلا خلاف .

وجه اتّصال هذه الآية بما قبلها: الحضّ على ما تقدّم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم، لأنّهم عبيد مَن له ملك السماوات والأرض، [يأمر فيهم ما يشاء ويدبّرهم على ما يشاء، فأخبر الله أنّ ﴿له

ملك السموات والأرض﴾][١] ومعناه: أنّه قادر على التصرّف فيهما، وليس لأحد منعه منهما، و«الملك» اتّساع المقدور لمن له السياسة والتدبير، وخزائن الله لا تُفنى وملكه لا يبيد ولا يبلى، وكلّ ذلك يرجع إلى مقدوراته في جميع أجناس المعاني.

وقوله: ﴿يحيي ويميت﴾ معناه: أنّه يُحيي الجماد ويُميت الحيوان، و«الحياة»: معنىً يوجب كون الحيوان حيّاً. و«الحيّ»: المختصّ بصفةٍ لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً، و«الموت» عند من أثبته معنىً هو: ما يضادّ الحياة، ومَن لا يثبته معنىً يقول: هو عبارة عن فساد بنية الحياة.

وقوله: ﴿وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير﴾ فالوليّ: هو المقرّب بالنصرة من غير فاصلة، [والإنسان وليّ الله، لأنّه يقرّبه بالنصرة من غير فاصلة][٢] والله وليّه بهذا المعنى. و«النصير» هو الفاعل الكثير النصرة وفيه مبالغة، و«الناصر» فاعل النصرة، و«الاستنصار»: طلب النُصرة و«الانتصار»: الانتصاف بالنصرة.

قوله تعالى:

لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَاكَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ آية بلا خلاف .

قرأ حمزة وحفص: ﴿يزيغ﴾ بالياء، الباقون بالتاء. قال أبو عليّ النحوي: يجوز أن يكون فاعل ﴿كاد﴾ أحد ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يضمر فيه القصّة أو الحديث، ويكون ﴿تَزيغ﴾ الخبر، وجاز

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

(٢) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

ذلك للزوم الخبر لها، فأشبه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر لها، ولا يجوز ذلك في «عسى» لأنّ «عسى» يكون فاعله المفرد في الأكثر ولا يلزمه الخبر، نحو قوله: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم﴾ (١) فإذا كان فاعله المفرد في كثير من الأمر لم يحتمل الضمير الّذي احتمله «كاد» كما لم تحتمله سائر الأفعال الّتي تسند إلى فاعلها ممّا لا يدخل على المبتدأ، وما يجيء في الشعر من: كاد أن يفعل، وعسى يفعل، فلا يعتدّ به، لأنّه من ضرورة الشعر.

الثاني: من فاعل ﴿كاد﴾ أن يضمّنه ذكراً ممّا تقدّم، ولمّا كان النبيّ صلى الله عليه وآله والمهاجرون والأنصار قبيلاً واحداً وفريقاً جاز أن يضمر في ﴿كاد﴾ ما يدلّ عليه ما تقدّم ذكره من القبيل والحزب والفريق، وقال: ﴿منهم﴾ مَن حَمَله على المعنى، كما قال: ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ ثمّ قال: ﴿فلا خوف عليهم﴾ (٢) فكذلك فاعل ﴿كاد﴾.

والثالث: من فاعل ﴿كاد﴾ أن يكون فاعلها الـ﴿قُلُوب﴾ كأنّه: من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ، وإنّما قدّم ﴿تزيغ﴾ كما قدّم خبر ﴿كان﴾ في قوله: ﴿وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين﴾ (٣) وجاز تقديمه وإن كان فيه ضمير من القلوب ولم يكن ذلك من الإضمار قبل الذكر، لأنّ النيّة به التأخير. ومَن قرأ بالياء يجوز أن يكون جعل في ﴿كاد﴾ ضمير الحديث، فإذا اشتغل ﴿كاد﴾ بهذا الضمير ارتفع الـ﴿قلوب﴾ بـ﴿يزيغ﴾ فذكّر وإن كان فاعله مؤنّثاً، لتقدّم الفعل. ومَن قرأ بالتاء جاز أن يكون ذهب إلى أنّ الـ﴿قلوب﴾ مرتفعة بـ﴿كاد﴾ فلا يكون «تزيغ» فعلاً مقدّماً، فإذا لم يكن

---

(١) البقرة: ٢١٦. (٢) المائدة: ٦٩. (٣) الروم: ٤٧.

مقدّماً قَبُح التذكير لتقدّم ذكر الفاعل، كما قَبُح في قول الشاعر:

ولا أرْضَ أبْقَل إبقالها[١]

ولم يصحّ: أبقلَ أرضٍ، ويجوز أن يكون الفعل المسند إلى القصّة والحديث يؤنّث، إذا كان في الجملة الّتي يفسّرها مؤنّث، كقوله: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا﴾[٢]. ويجوز إلحاق التاء في ﴿كاد﴾ من وجه آخر، وهو أن يرفع ﴿تزيغ قلوب﴾ بـ﴿كاد﴾ فتلحقه علامة التأنيث من حيث كان مسنداً إلى مؤنّث، كقوله: ﴿قالتِ الأعراب﴾[٣] فعلى هذا يكون في ﴿تزيغ﴾ ضمير القلوب، لأنّ النيّة في ﴿تزيغ﴾ التأخير.

أقسم الله[٤] تعالى في هذه الآية ـ لأنّ لام ﴿لقد﴾ لام القَسَم ـ بأنّه تعالى تاب ﴿على النبيّ والمهاجرين والأنصار﴾ بمعنى: أنّه رجع إليهم وقَبِلَ توبتهم ﴿الّذين اتّبعوه في ساعة العسرة﴾ يعني: في الخروج معه إلى تبوك، و«العُسْرة»: صعوبة الأمر، وكان ذلك في غزوة تَبُوك، لأنّه لحقهم فيها مشقّة شديدة من قلّة الماء حتّى نحروا الإبل وعَصَروا كروشها ومصّوا النوى، وقلّ زادهم وظهرهم، في قول مجاهد وجابر وقَتادَة.

ورُوِي عن عمر أنّه قال: أصابنا عطش شديد فأمطر الله السماء بدعاء النبيّ صلّى الله عليه وآله فعشنا بذلك[٥].

﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ و«الزيغ»: ميل القلب عن الحقّ، ومنه قوله: ﴿فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾[٦] ومنه قوله: ﴿لا تزغ قلوبنا بعد

---

(١) وصدره: فلا مُزْنَةٌ وَدَقَت وَدْقَها. أنشده سيبويه في الكتاب: ج ١ ص ٢٧٩ ونسبه إلى عامر ابن جُوَين الطائي. (٢) الأنبياء: ٩٧. (٣) الحُجُرات: ١٤.

(٤) في الخطّيّة: «أخبر الله» بدل «أقسم الله» والصواب ما أثبتناه.

(٥) رواه عنه الطبري في تفسيره: في ذيل الآية، مسنداً. (٦) الصفّ: ٥.

إذ هديتنا﴾ (١).

وكان أبو خَيْثَمة عبدالله بن خَيْثَمة تخلّف إلى أن مضى من مسير رسول‌الله عشرة أيّام، ثمّ دخل يوماً على امرأتين له ـ في يوم حارّ ـ عريشَين لهما قد رشّتاهما وبرّدتا الماء وهيّأتا له الطعام، فقام على العريشَيْن فقال: سبحان الله، رسول‌الله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر في الضِحّ والريح والحرّ والقرّ يحمل سلاحه على عاتقه، وأبو خَيْثَمة في ظلال باردة وطعام مهيّأ وامرأتَيْن حسناوَيْن! ما هذا بالنَصَف، ثمّ قال: والله لا أُكلّم واحدة منكما كلمةً، ولا أدخل عريشاً حتّى ألحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فأناخ ناضحه واشتدّ عليه وتزوّد وارتحل، وامرأتاه تكلّمانه ولا يكلّمهما، ثمّ سار حتّى إذا دنا من تَبُوك قال الناس: هذا راكب على الطريق، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: كن أبا خَيْثَمة، فلمّا دنا قال الناس: هذا أبوخَيْثَمة يا رسول‌الله، فأناخ راحلته وسلّم على رسول‌الله صلى الله عليه وآله فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أولى لك، فحدّثه الحديث، فقال له خيراً، ودعا له، فهو الّذي زاغ قلبه للمقام ثمّ ثبّته الله (٢).

وقيل: إنّ من شدّة ما لحقهم هَمّ كثير منهم بالرجوع، فتاب الله عليهم (٣).

وقيل: من بعد ما كان شكّ جماعة منهم في دينه ثمّ تابوا، فتاب الله عليهم.

وقوله: ﴿ثمّ تاب عليهم﴾ أي: رجع عليهم بقبول توبتهم ﴿إنّه بهم رؤوف رحيم﴾ إخبار منه تعالى أنّه بهم رؤوف، ف «الرأفة»: أعظم الرحمة، قال

(١) آل عمران: ٨.

(٢) أورده عليّ بن إبراهيم في تفسيره: ج ١ ص ٢٩٤، كما أورده مسلم في الصحيح: ج ٤ ص ٢١٢٠ وما بعده ضمن ح ٢٧٦٩، والواقدي في المغازي: ج ٣ ص ٩٩٨.

(٣) قاله الطبري في تفسيره: في ذيل الآية.

كَعْب بن مالك الأنصاري:

نُطيعُ نَبيّنا ونُطيعُ رَبّاً هو الرّحمنُ كانَ بنا رؤوفا[١]

وقال آخر:

تَرى للمسلمينَ عليكَ حقّاً كَمِثْلِ الوالدِ الرؤُوفِ الرحيمِ[٢]

قوله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ آية بلا خلاف .

تقدير الكلام: وتاب الله على الثلاثة الّذين خلّفوا. وقيل: نزلت هذه الآية بسبب الثلاثة الّذين تخلّفوا عن غزاة تَبُوك ولم يخرجوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله لا عن نفاقٍ، لكن عن توانٍ، ثمّ ندموا، فلمّا ورد النبيّ صلى الله عليه وآله جاؤوا إليه فاعتذروا فلم يكلّمهم النبيّ صلى الله عليه وآله وتقدّم إلى المسلمين بأن لا يكلّمهم أحد منهم، فهجرهم الناس حتّى الصبيان وأهاليهم، وجاءت نساؤهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نعتزلهم؟ فقال: لا، ولكن لا يقربونكنّ، فضاقت عليهم المدينة، فخرجوا إلى رؤوس الجبال، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام وينزلونه لهم ولا يكلّمونهم، فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس ولايكلّمنا أحد، فهلّا نتهاجر نحن أيضاً، فتفرّقوا ولم يجتمع منهم اثنان، وثبتوا على ذلك نيّفاً وأربعين يوماً ـ وقيل: سنة ـ يضرعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه، فَقَبِل الله تعالى حينئذٍ توبتهم، وأنزل فيهم هذه الآية. والثلاثة

---

(١) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٠.

(٢) لجرير، من قصيدة يمدح هشاماً. راجع ديوان جرير: ص ٣٨٢ وفيه: «كفِعْل» بدل «كمثل».

هم: كَعْب بن مالك وهلال بن أُميّة ومرارَة[١] بن رَبِيعة، وكلّهم من الأنصار، في قول ابن‌عبّاس ومجاهد وقَتادَة وجابر.

و «التخليف»: تأخير الشيء عمّن مضى، فأمّا تأخير الشيء عنك في المكان فليس بتخليف، وهو من «الخَلْف» الّذي هو مقابل لجهة الوجه. وقال مجاهد: خُلّفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة مَن قبل توبته من المنافقين، كما قال تعالى فيما مضى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم﴾[٢].

وقال قَتادَة: ﴿خُلّفوا﴾ عن غزوة تَبُوك كما تخلّفوا هم. وبه قال الحسن. وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام: ﴿خالفوا﴾ قالوا: لأنّهم لو خلّفوا لما توجه عليهم العتب.[٣]

وقوله: ﴿حتّى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ فالضيق: ضدّ السعة، ومنه: ضيق الصدر ـ خلاف آتّساعه ـ بالهمّ الّذي يحدث فيه فيشغله عن غيره، وليس كذلك «السرور» لأنّه لا يشغل عن إدراك الأُمور. ومعنى ﴿بما رحبت﴾ أي: بما اتّسعت، تقول: رَحُبَتْ رُحْباً، ومنه: مَرْحباً وأهلاً أي: رَحُبَتْ بلادُك وأهلت. وضيق أنفسهم هاهنا بمعنى: ضيق صدورهم بالهمّ الّذي حصل فيها.

وقوله: ﴿وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلّا إليه﴾ معناه: وعلموا أنّه لا يعصمهم منه موضع إذا اعتصموا به والتجؤوا إليه، كأنّه قال: لا معتصم من الله إلّا به، لَجَأَ يَلْجأُ لَجْأً، وألْجَأهُ إلى كذا إلْجاءً: إذا صَيّره إليه بالمنع من خلافه،

---

(١) في الحجريّة: فزارة. (٢) الآية: ١٠٦ المتقدّمة.

(٣) حكاها ابن خالويه في مختصر شواذّ القرآن: ص ٦٠ عن عليّ عليه السلام وجعفر بن محمّد عليه السلام. تفسير القمّي: ج ١ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

والْتَجَأَ إليه الْتِجَاءً وتَلَاجؤوا تَلَاجُؤاً.

وقوله: ﴿ثمّ تاب عليهم ليتوبوا﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: لَطُف لهم في التوبة، كما يقال في الدعاء: تاب الله عليه. الثاني: قَبِل توبتهم ليتمسّكوا بها في المستقبل. الثالث: قَبِل توبتهم ليرجعوا إلى حال الرضا عنهم. وقال الحسن: جعل لهم التوبة ليتوبوا بها، والمخرج ليخرجوا به.

وقوله: ﴿إنّ الله هو التوّاب الرحيم﴾ إخبار منه تعالى بأنّه جلّ وعزّ يقبل توبة عباده كثيراً، ويغفر ذنوبهم إذا رجعوا إليه، لرحمته عليهم ورأفته بهم. وكان أبو عمرو يحكي عن عِكْرِمَة بن خالد: ﴿وعلى الثلاثة الّذين خَلَفوا﴾ بفتح الخاء والتخفيف، وكان لا يأخذ بها.

فإن قيل: ما معنَى التوبة عليهم واللائمة لهم وهم قد خُلّفوا، فهلّا عُذِروا؟

قيل: ليس المعنى: أنّهم أُمروا بالتخلّف أو رضي منهم به، بل كقولك لصاحبك: أين خلّفت فلاناً؟ فيقول: بموضع كذا، ليس يريد: أنّه أمره بالتخلّف هناك، بل لعلّه أن يكون نهاه وإنّما يريد: أنّه تخلّف هناك.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ آية بلا خلاف.

هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين المصدِّقين بالله والمقرّين بنبوّة نبيّه[1] بأن يتّقوا معاصي الله ويجتنبوها، وأن يكونوا ﴿مع الصادقين﴾ الّذين يصدّقون في أخبارهم ولا يكذبون، قال ابن مسعود: لا يصلح من الكذب جدّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم ولده شيئاً ثمّ لا ينجزه، ثمّ قرأ ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله ...﴾ الآية، وقال: هل ترون في هذه رخصة؟

---

(١) في الخطّيّة: بربوبيته.

وقال نافع والضحّاك: أُمِروا بأن يكونوا مع النبيّين والصدّيقين في الجنّة بالعمل الصالح. وقيل(١): إنّ المراد بالصادقين هم الّذين ذكرهم الله في قوله: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه﴾ [وهم حمزة وجعفر ﴿ومنهم من ينتظر﴾(٢) يعني: عليّاًعليه السلام فأمر الله تعالى بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم،](٣) وهم الّذين وُصِفوا في قوله: ﴿ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قِبَل...﴾، الآية إلى قوله: ﴿أولئك الّذين صدقوا﴾(٤) فأمر بالاقتداء بهؤلاء.

وقال بعضهم: إنّ ﴿مع﴾ بمعنى «من» وكأنّه أمر بأن يكونوا من جملة الصادقين. وفي قراءة ابن مسعود: ﴿وكونوا من الصادقين﴾(٥). وقيل: أراد كونوا مع كعب بن مالك وأصحابه الّذين صدقوا في أقوالهم ولم يكذبوا في الاعتذار.

و«الصادق»: هو القائل بالحقّ العامل به، لأنّها صفة مدح لا تُطلَق إلّا على من يستحقّ المدح على صدقه، فأمّا مَن فسق بارتكاب الكبائر فلا يطلق عليه اسم «صادق» ولذلك مدح الله الصدّيقين وجعلهم تالين للنبيّين في قوله: ﴿فأُولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين﴾(٦).

قوله تعالى:

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ

(١) قاله عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره: ج ١ ص ٣٠٧.
(٢) الأحزاب: ٢٣.
(٣) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.
(٤) البقرة: ١٧٧.
(٥) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٤٦ مسنداً.
(٦) النساء: ٦٩.

فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ آية بلا خلاف .

لمّا قصّ الله تعالى قصّة الّذين تأخّروا عن النبيّ صلى الله عليه وآله والخروج معه إلى تَبُوك، وآعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه، وأنّه قَبِلَ توبة مَن ندم على ماكان منه لرأفته بهم ورحمته عليهم، ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم والإزراء على ما كانوا فعلوه فقال: لم يكن ﴿لأهل المدينة﴾ ولا مَن يسكن حول المدينة ﴿من الأعراب﴾ والبوادي ﴿أن يتخلّفوا﴾ بمعنى: أن يتأخّروا ﴿عن رسول‌الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ ومعناه: ولا أن يطلبوا نفع نفوسهم، لأنّ «الرغبة»:طلب المنفعة، ونقيضها: «الرهبة» ويقال: رغب فيه إذا طلب المنفعة به، ورغب عنه طلب المنفعة بتركه، و «الترغيب» ضدّ: الترهيب، ومعنى ﴿يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ أي: يطلبون المنفعة بتوقية أنفسهم دون نفسه، وهذه فريضة ألزمهم الله إيّاها، لحقّه فيما دعاهم من الهدى الّذي اهتدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان.

وقوله: ﴿ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب﴾ إشارة إلى ما ألزمهم الله إيّاه من تحمّل هذه المشقّة، لأنّهم لا يصيبهم ظَمَأً وهو شدّة العطش، ظَمِئَ يَظْمأُ ظَمأً وهو ظَمِيءٌ وظَمْآنٌ، وأَظْمَأَهُ الله إظْماءً، ومنه قيل: أنا ظَمْآن إلى رؤية فلان. ومعنى ﴿ولا نَصَب﴾ أي: تعب، تقول: نَصِبَ يَنْصَبُ نَصَباً فهو نَصِبٌ، ومثله: الوَصَب، قال النابغة:

كِليني لِـهَمٍّ يـا أُمَـيْمَةَ نـاصبِ　　　وليلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكواكبِ[1]

---

(١) مطلع قصيدة طويلة يمدح عمرو بن الحارث، حين هرب إلى الشام ونـزل عـليه. راجـع ديوان النابغة الذبياني: ص ٤٨ .

وقوله: ﴿ولا مخمصة﴾ يعني: مجاعة، وأصله: ضمور البطن للمجاعة، ومنه: رجل خَمِيص البطن، وامرأة خَمصانة.

وقوله: ﴿في سبيل الله﴾ يعني: من قتال أعدائه المشركين.

وقوله: ﴿ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفّار﴾ أي: لا يخطون خطوةً إلّا كتب لهم أجرها، و «الموطِئُ»: الأرض، و «الغَيظ»: انتقاض الطبع بما يرى ممّا يشقّ[1] و«الغضب»: هو ما يدعو إلى الانتقام على ما سلف من المعصية ممّا هي متعلّقة به، وهو مستحقّ بها، ولذلك جاز أن يطلق «الغضب» على الله، ولم يجز إطلاق «الغيظ» عليه.

وقوله: ﴿ولا ينالون من عدوّ نيلاً إلّا كتب لهم به عمل صالح﴾ و «النَّيْل» لحوق الشيء، تقول: نِلْتَه أنالُهُ نيلاً إذا نِلتُه بيدك وهو منيل، وليس من «التناول» لأنّ هذا من الواو، تقول نلته بخيرٍ أنُولُهُ نَوْلاً ونَوَالاً، وأنالني خَيْراً إنالةً.

والمعنى: أنّ هؤلاء المؤمنين لا يصيبون من المشركين أمراً، من قتلٍ أو جراحٍ أو مالٍ، أو أمرٍ يغمّهم ويغيظهم إلّا ويكتب الله للمؤمنين [به] عملاً صالحاً.

﴿إنّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ إخبار منه تعالى أنّه لا يضيع أجر من فعل الأفعال الحسنة الّتي يستحقّ بها المدح، وقد يكون فاعل الحَسَن لا يستحقّ المدح مثل فاعل المباح.

وقال قَتادَة: حكم هذه الآية مختصّ بالنبيّ، فإنّه إذا غزا النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يكن لأحدٍ أن يتخلّف عنه، فأمّا من بعده من الخلفاء فإنّ ذلك جائز.

---

(١) في الخطّيّة: «بما يسري ممّا يسؤ» بدل «بما يرى ممّا يشقّ».

وقال الأوزاعي وعبدالله بن المبارك والفزاري والسُّبَيْعي وأبـو جـابر وسعيد بن عبدالعزيز: إنّ هذه الآية لأوّل الأُمّة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله.

وقال ابن زيد: هذا حين كان المسلمون قليلين، فلمّا كثروا نُسِخ بقوله: ﴿وما كان المؤمنين لينفروا كافّة فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة﴾[1]. وهذا هو الأقوى، لأنّه لا خلاف أنّ الجهاد من فروض الكفايات، فلو لزم كلّ أحدٍ النَفْر لصار من فروض الأعيان.

قوله تعالى:

وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما تـقدّم ذكـره فـي الآيـة الأُولى مـن قـوله: ﴿ولا يطـئُون موطئاً يغيظ الكفّار ولا ينالون من عدوّ نيلاً ... ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة﴾ أي: لا ينفق هؤلاء المؤمنون في سبيل الله وجهاد أعدائه نفقةً صغيرة ولا كبيرة يريدون بها إعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرّب إلى الله بها، لأنّ الإنفاق متى كان للشهوة أو ليُذْكَر بالجود كان ذلك مباحاً، وإن‌كانت للرياء والسمعة أو للمعاونة على فسادٍ كانت معصية. و«الصغير»: ما نقص ثوابه عن ثواب ما هو أكبر منه، و «الكبير»: ما زاد ثوابه عـلى ثواب ما هو دونه.

وقوله: ﴿ولا يقطعون وادياً﴾ معناه: ولا يجاوزون وادياً. وقـوله: ﴿إلّا كتب لهم﴾ معناه إلّا كتب لهم ثواب عمل صالح ﴿ليجزيهم الله أحسن ماكانوا

---

(١) الآية: ١٢٢ التالية.

يعملون﴾ معناه: أنّه يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها أحسن ممّا فعلوه.

وقال الرُمّاني: ذلك يدلّ على أنّه يكون حَسَنٌ أحْسَنَ من حَسَنٍ، قال: لأنّ لفظة «أفعل» تقتضي التفاضل فيما شاركه في الحَسَن. وهذا ليس بشيءٍ، لأنّ المعنى: أنّ الله تعالى يجزيهم أحسن ما كانوا يعملون، يعني: ماله مدخل في آستحقاق المدح والثواب من الواجبات والمندوبات دون المباحات الّتي لا مدخل لها في ذلك وإن كانت حسنة.

قوله تعالى:

وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ آية.

قوله: ﴿فلولا نفر﴾ معناه: هلّا نَفَر، وهي للتحضيض إذا دخلت على الفعل، فإذا دخلت على الاسم فهي بمعنى آمتناع الشيء لأجل وجود غيره. وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الحسن: حثّ الله تعالى الطائفة النافرة على التفقّه لترجع إلى المتخلّفة فتحذّرها.

وقال قَتادَة[١]: إنّ المعنى: أنّه لم يكن لهم أن ينفروا بأجمعهم في السرايا ويتركوا النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة وحده، ولكن تبقى بقيّةٌ لتتفقّه البقيّة ثمّ تنذر النافرة. وبه قال الضحّاك وابن‌عبّاس.

وقال أبوعليّ الجُبّائي[٢]: تنفر الطائفة من كلّ ناحية إلى النبيّ صلى الله عليه وآله لتسمع كلامه وتتفقّه عنه، ثمّ يبيّنوا ذلك لقومهم إذا رجعوا إليهم.

وقال مجاهد: نزلت الآية في قوم كانوا خرجوا إلى البادية ليفقّهوهم ولينالوا منهم خيراً، فلمّا عاتب الله من تأخّر عن النبيّ عند خروجه إلى

(١) وهذا هو القول الثاني.

(٢) وهذا هو القول الثالث.

تَبُوك وذمّ آخرين خافوا أن يكونوا منهم فنفروا بأجمعهم، فقال الله: هلّا نفر بعضهم ليتفقّه عن النبيّ صلى الله عليه وآله ما يجب عليهم وما لا يجب ويرجعون فيخبرون أصحابهم بذلك ليحذروا.

و «النُفُور عن الشيء»: هو الذهاب عنه لتكرّه النفس له، و «النفور إليه»: الذهاب إليه لتكرّه النفس لغيره. و «التفقّه»: تعلّم الفقه، و «الفقه»: فهم‌موجبات المعنى المضمّنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها، وصار بالعرف مختصّاً بمعرفة الحلال والحرام وما طريقه الشرع.

وقوله: ﴿لعلّهم يحذرون﴾ معناه: لكي يحذروا، لأنّ الشكّ لا يجوز على الله تعالى. و «الحذر»: تجنّب الشيء لما فيه من المضرّة، يقال: حَذِرَ حَذَراً، وحَذّرْتُه تَحْذِيراً، وحاذَرَهُ مُحاذَرَةً، وتَحَذّر تَحَذُّراً.

واستدلّ جماعة بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد، [بأن] قالوا: حثّ الله [تعالى] الطائفة على النفور والتفقّه حتّى إذا رجعوا إلى غيرهم أنذروهم(١) ليحذروا، فلولا أنّه يجب عليهم القبول منهم لما وجب عليهم الإنذار والتخويف. و «الطائفة» تقع على جماعة لا يقع بخبرهم العلم، بل تقع على واحد، لأنّ المفسّرين قالوا في قوله: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾: إنّه يكفي أن يحضر واحد.

وهذا الّذي ذكروه ليس بصحيح، لأنّ الّذي يقتضيه ظاهر الآية وجوب النفور على الطائفة من كلّ فرقة، ووجوب التفقّه والإنذار إذا رجعوا. ويحتمل أن يكون المراد بـ «الطائفة» الجماعة الّتي يوجب خبرهم العلم. ولو سلّمنا أنّه يتناول الواحد أو جماعة قليلة، [فلِمَ] إذا وجب عليهم

---

(١) في الحجريّة: لينذروهم.

الإنذار وجب على من يسمع القبول؟ والله تعالى إنّما أوجب على المنذرين الحذر، والحذر ليس من القبول في شيء، بل الحذر يقتضي وجوب البحث عن ذلك حتّى يعرف صحّته من فساده بالرجوع إلى الأدلّة. ألا ترى أنّ المنذر إذا ورد على المكلّف وخوّفه من ترك النظر فإنّه يجب عليه النظر ولا يجب عليه القبول منه قبل أن يعلم صحّته من فساده؟ وكذلك إذا ادّعى مدّع النبوّة وأنّ معه شرعاً وجب عليه أن ينظر في معجزه ولا يجب عليه القبول منه وتصديقه قبل أن يعلم صحّة نبوّته، فكذلك لا يمتنع أن يجب على الطائفة الإنذار، ويجب على المنذَرين البحث والتفتيش حتّى يعلموا صحّة ما قالوه فيعملوا به. وقد استوفينا الكلام في ذلك في كتاب أُصول الفقه، لا نطوّل بذكره هاهنا.

وقيل: إنّ أعراب أسد قدموا على النبيّ صلّى الله عليه وآله [المدينة] فغلت الأسعار وملأُوا الطرق بالعذرة، فأنزل الله تعالى الآية يقول: فهلّا جاء منهم طوائف ثمّ رجعوا إلى قومهم فأخبروهم بما تعلّموا.

ورَوى الواقدي[١]: أنّ قوماً من خيار المسلمين خرجوا إلى البدو يفقّهون قومهم، فاحتجّ المنافقون في تأخّرهم عن تَبُوك بأُولئك، فنزلت ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافّة﴾ قال: وفيهم نزلت ﴿والّذين يحاجّون في الله من بعد ما استُجيب له حجّتُهم داحضة﴾[٢] يعني: إن احتجّوا بتأخّر هؤلاء في البادية فإنّهم مستجيبون مؤمنون، فكيف يكون لهم بهم أُسوة أو حجّة في تأخّرهم وهم منافقون مدهنون؟

وقال أبو جعفر عليه السلام: كان هذا حين كثر الناس، فأمرهم الله أن ينفر

---

(١) المغازي: ج ٣ ص ١٠٢٢.

(٢) الشورى: ١٦.

منهم طائفة وتقيم طائفة للتفقّه، وأن يكون الغزو نوباً.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ آية بلا خلاف.

رَوَى المفضّل عن عاصم: ﴿غَلْظة﴾ بفتح الغين، الباقون بكسرها. قال أبو الحسن[1]: قرأ الناس بالكسر، وهي العربيّة، قال: وبه أقرأ، ولا أعلم الفتح إلّا[2] لغة. وقال غيره: هي لغة. وذكر الزجّاج: أنّ فيه ثلاث لغات: الفتح والضمّ والكسر[3] والكسر أفصحها، والكسر لغة أهل الحجاز، والضمّ لغة تميم.

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفّار الّذين يلونهم، يعني الأقرب فالأقرب، وذلك يدلّ على أنّه يجب على أهل كلّ ثغر الدفاع[4] عن أنفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام إذا لم يكن هناك إمام عادل. وإنّما جاز من الله تعالى أن يأمر بالقتال ليدعوهم إلى الحقّ، ولم يجز أن يمنعهم من الكفر، لأنّ المنع ينافي التكليف.

ومَن قاتل الأبْعَد من الكفّار وترك الأقرب فالأقرب، فإن كان بإذن الإمام كان مصيباً، وإن كان بغير أمره كان مخطئاً. ولو قال: قاتلوا الأقرب فالأقرب لصحّ، لأنّه يمكن ذلك، ولو قال: قاتلوا الأبعد فالأبعد لم يصحّ، لأنّه لا حدّ للأبعد يبتدأ منه كما للأقرب.

وقوله: ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ معناه: وليحسّوا منكم بالغلظة وضدّ

---

(١) يريد الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٦٣.

(٢) لفظة «إلّا» لم يرد في الحجريّة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٧٦.

(٤) في الحجريّة: أن يقاتلوا دفاعاً.

اللين وخلاف الرقّة وهي الشدّة في إحلال النقمة، ومخرج الكلام على الأمر بالوجود، وإنّما معناه: يجدون ذلك. ويجوز أن يكون المراد: ليعلموا منكم الغلظة.

وقوله: ﴿واعلموا أنّ الله مع المتّقين﴾ أمر من الله للمؤمنين أن يتيقّنوا أن الله مع الّذين يتّقون معصيته بالنصرة لهم، ومن كان الله ناصره في الحرب لم يغلبه أحد، فأمّا إذا نصره بالحجّة في غير الحرب فإنّه يجوز أن يُغْلَب بالحرب، لضربٍ من المحنة وشدّة التكليف.

قوله تعالى:

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ آية بلا خلاف .

﴿ما﴾ في قوله: ﴿وإذا ما﴾ يحتمل أمرَيْن:

[أحدهما:] أن تكون دخلت لتسلّط «إذا» على الجزاء. والثاني: أن تكون صلة مؤكّدة.

وقوله: ﴿فمنهم من يقول﴾ الضمير عائد على المنافقين، في قول الحسن والزجّاج[١] وتقديره: فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض على وجه الإنكار ﴿أيّكم زادته هذه إيماناً﴾ وقال الجُبّائي: يقول المنافقون لضعفة المؤمنين على وجه الاستهزاء، فأخبر الله تعالى أنّه متى نزلت سورة من القرآن قال المنافقون على وجه الاستهزاء والإنكار: ﴿أيّكم زادته هذه إيماناً﴾ ثمّ قال تعالى: ﴿فأمّا الّذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ يعني: ازدادوا عندها إيماناً. وإنّما أضافه إلى السورة لأنّ عندها ازدادوا، فوجه زيادة الإيمان أنّهم يصدّقون بأنّها من عند الله، ويعترفون بذلك ويعتقدونه،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٧٦.

ذلك زيادة اعتقاد على ما كانوا معتقدين له.

وقوله: ﴿وهم يستبشرون﴾ جملة في موضع الحال، وتقديره: أنّهم يزدادون الإيمان عندها، مستبشرين بذلك فرحين بما لهم في ذلك من السرور والثواب.

و «الزيادة»: ضمّ الشيء إلى جنسه، لأنّك لو ضممت حجراً إلى ذهبٍ لم تكن زدت، ولو ضممت ذهباً إلى ذهبٍ أو حجراً إلى حجرٍ لكنت زدته.

قوله تعالى:

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ آية.

لمّا بيّن الله تعالى أنّ المؤمنين يزدادون الإيمان عند نزول السورة بيّن أنّ ﴿الّذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: شكّ ونفاق من الإسلام يزدادون عند ذلك ﴿رجساً إلى رجسهم﴾ أي: نفاقاً وكفراً إلى كفرهم، لأنّهم يشكّون في هذه السورة كما يشكّون في الّذي تقدّم، فكان ذلك هو الزيادة.

وسمّي الشكّ في الدين مرضاً، لأنّه فساد يحتاج إلى علاجٍ، كالفساد في البدن الّذي يحتاج إلى مداواة، ومرض القلب أعضل، وعلاجه أعسر، ودواؤه أعزّ، وأطبّاؤه أقلّ.

و «الرجس» و «النجس» واحد، وسمّى الكفر رجساً على وجه الذمّ، وأنّه يجب تجنّبه كما يجب تجنّب الأنجاس. وإنّما أضاف الزيادة إلى السورة لأنّهم يزدادون عندها، ومثله: كفى بالسلامة داء، كما قال الشاعر:

أرى بَصَري قد رابَني بعد صِحّةٍ وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحّ وتَسْلَما[1]

---

(١) أنشده في العقد الفريد: ج ٣ ص ٦٠ ونسبه إلى حُمَيد بن ثَوْر الهِلالي.

وقوله: ﴿وماتوا وهم كافرون﴾ فيه بيان أنّ المرض في القلب أدّاهم إلى أن ماتوا على شرّ حال، لأنّها تسوق إلى النار، نعوذ بالله منها. وإنّما قال ﴿وماتوا﴾ على لفظ الماضي لأنّه عطف على قوله: ﴿زادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ والمعنى: أنّهم يموتون وهم كافرون.

قوله تعالى:

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَايَتُوبُونَ وَلَاهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة ويعقوب: ﴿أولا ترون﴾ بالتاء، الباقون بالياء. قوله: ﴿أو لا يرون﴾ تنبيه وتقريع لمن عنَى بالخطاب.

فمن قرأ بالتاء فوجهه: أنّ المؤمنين نبّهوا على إعراض المنافقين عن النظر والتدبّر لما ينبغي أن ينظروا فيه ويتدبّروه، لأنّهم يمتحنون بالأمراض والأسباب الّتي لا يؤمن معها الموت، فلا يرتدعون عن كفرهم، ولا ينزجرون عمّا هم عليه من النفاق، فلا يقدّمون عليه[1] إذا ماتوا، فنبّه المسلمين على قلّة اعتبارهم واتّعاظهم.

ومَن قرأ بالياء وجّه التقريع ـ بالإعراض عمّا يجب أن لا يعرضوا عنه من التوبة والإقلاع عمّا هم عليه من النفاق ـ إلى المنافقين دون المسلمين، لأنّ المسلمين قد عرفوا ذلك من أمرهم. وكان من الأولى أن يلحق التنبيه من يراد تنبيهه وتقريعه بتركه ما ينبغي أن يأخذ به.

وتحتمل الرؤية في الآية على القراءتَيْن أن تكون متعدّية إلى مفعولَيْن، وأن تكون من رؤية العين، فإذا جعلت متعدّية إلى مفعولَيْن سدّ

(١) في الخطّيّة العبارة هكذا: «ولا يقدّمون عملاً صالحاً يقدمون عليه».

«أنّ» مسدّهما، وإن جعلت من رؤية العين كان أولى، لأنّهم مستبطؤون[١] في الإعراض عنه على ترك الاعتبار به، وهذا أبلغ من المتعدّية إلى مفعولَيْن، ألا ترى أنّ تارك الاستدلال أعذر ممّن يكابر المشاهدات. ولو قرئ بضمّ الياء وبُني الفعل للمفعول به كان «أنّ» في موضع نصب بأنّه مفعول الفعل الّذي يتعدّى إلى مفعول.

وفتحت الواو في قوله ﴿أوَ لا﴾ لأنّها واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، فهو متّصل بذكر المنافقين ومتّصل بذكر آخرين ذكرهم، بدليل العلامتَيْن الواو والألف.

و «الفتنة»: المحنة بالقتل والسبي ونصر الله لنبيّه حتّى يستعلي على كلّ مَن ناواه، في قول الحسن وقَتادَة. وقال مجاهد: هي بالقحط والجوع. وقال الجُبّائي: هي بالمرض الّذي ينزل بهم. وقيل: تهتك أستارهم بما يظهره الله من سوء نيّاتهم وخبث سرائرهم[٢]. وقال الزجّاج: معناه: أنّهم يختبرون بالدعاء إلى الجهاد[٣] وهو قول الحسن وقَتادَة.

وأجاز الرُمّاني أن تفعل التوبة خوفاً من العقاب، كما يجوز أن تفعل لقبح المعصية، قال: لأنّ كلّ واحد من الأمرَيْن يدعو إليه الفعل، ومن جحد أحد الأمرَيْن كمن جحد الآخر، والّذي عليه أكثر أهل العدل أنّه لا يجوز أن تفعل التوبة إلّا لوجه قبح المعصية، ومتى فعلت لخوف العقاب لم تكن مقبولة.

وقوله: ﴿ثمّ لا يتوبون ولا هم يذّكّرون﴾ إخبار منه تعالى أنّه مع ما يمتحنهم في كلّ سنة دفعة أو دفعتَيْن، فإنّهم لا يقلعون عن المعاصي،

---

(١) في الحجريّة: «مبتلون» بدل «مستبطؤون».

(٢) حكاه عليّ بن عيسى الرُمّاني. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٤١٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٤٧٦.

ولا يتوبون منها ولا يتفكّرون فيها. و «التذكّر»: طلب الذكر بالفكر فيه.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه متى أنزل ﴿سورة﴾ من القرآن [فيها ذكرهم ومحبّيهم يعني المنافقين][1] ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ نظراً يومِئُون به[2] ﴿هل يراكم من أحد﴾ وإنّما يفعلون ذلك لأنّهم منافقون يتحذّرون أن يُعلَم بهم، فكأنّهم يقول بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد؟ ثمّ يقومون فينصرفون. ويحتمل أن يكون انصرافهم كان عن المكان. ويحتمل أن يكون انصرافهم عن العمل بشيءٍ ممّا يستمعون.

فقال الله تعالى: ﴿صرف الله قلوبهم﴾ يعني: عن رحمته عقوبة لهم ﴿بأنّهم قوم لا يفقهون﴾ مواعظ الله ولا أمره ونهيه، وإنّما صرف قلوبهم عن السرور بالفائدة الّتي تحصل للمؤمنين بسماع الوحي، فيحرمون ما للمؤمنين من الاستبشار بتلك الحال.

و«الفقه»: فَهْم موجب المعنى المضمّن به، وقد صار علماً على علم الفُتْيا في الشريعة، لأنّ معتمده على المعنى. وكان القوم عقلاء يفقهون الأشياء، وإنّما نَفَى الله عنهم ذلك لأنّهم لم ينظروا فيه ولم يعملوا بموجبه، فكأنّهم لم يفقهوه، كما قال: ﴿صمّ بكم عمي﴾[3] لما لم ينتفعوا بما سمعوه ورأوْه.

قوله تعالى:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الحجريّة.

(٢) في الخطّيّة: «بطراً» بدل «نظراً».

(٣) البقرة: ١٨.

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾آية بلا خلاف .

أقسم الله تعالى في هذه الآية بأنّه قد ﴿جاءكم رسول من أنفسكم﴾ لأنّ لام ﴿لقد﴾ هي اللام الّتي يتلقّى بها القَسَم. والخطاب متوجّه إلى جميع الخلق. ومعنى ﴿من أنفسكم﴾ أي: أنّكم ترجعون إلى نفس واحدة، كما قال: ﴿قل إنّما أنا بشر مثلكم﴾[1]. ويحتمل أن يكون أراد أنّه: من العرب كما أنّكم كذلك، ويكون ـ على هذا ـ الخطاب متوجّهاً إلى العرب خاصّةً، فأنتم تخبرونهم ووقفتم على مذهبه. وقيل: إنّه لم يبق بطن من العرب إلّا وولد النبيّ صلّى الله عليه وآله .

وإنّما ذكر ذلك لأنّه أقرب إلى الألفة، وأبعد من المحك واللجاج، وأسرع إلى فهم الحجّة، فهو من أنفسكم في أشرف نسبة منكم، ومن أنفسكم في القُرب منكم، ومن أنفسكم بالاختصاص بكم.

وقوله: ﴿عزيز عليه﴾ أي: شديد عليه، لأنّه لا يقدر على إزالته، والعزيز في صفات الله، فمعناه: المنيع القادر الّذي لا يتعذّر عليه فعل ما يريد، و«العزّة»: امتناع الشيء بما يتعذّر معه ما يحاول منه، وهو على ثلاثة أوجه: امتناع الشيء بالقدرة أو بالقلّة أو بالصعوبة.

وقوله: ﴿ما عنتّم﴾ يعني: ما يلحقكم من الأذى الّذي يضيق الصدر به، ولا يهتدى للخروج منه، ومنه قيل: فلان يَعْنت في السؤال، ومنه قوله تعالى: ﴿ولو شاء اللهُ لأعنتكم﴾[2] أي: ضيّق عليكم حتّى لا تهتدوا للخروج منه. و «العَنَت»: لقاء الشدّة.

وقوله: ﴿حريص عليكم﴾ فالحرص: شدّة الطلب للشيء على الاجتهاد

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) البقرة: ٢٢٠.

فيه، والمعنى: حريص عليكم أن تؤمنوا، في قول الحسن. ثمّ استأنف فقال: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ أي: رفيق بهم، رحيم عليهم.

قوله تعالى:

فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴿١٢٩﴾ آية بلا خلاف .

معنى ﴿فإن تولّوا﴾: إن ذهبوا عن الحقّ وآتّباع الرسول وما يأمرهم به، وأعرضوا عن قبوله، ونقيض «التولّي عنه»: التوجّه إليه، ومثل «التولّي» الإعراض. وقال الحسن: المعنى: فإن تولّوا عن طاعة الله. وقيل: ﴿فإن تولّوا﴾ عنك، وقوله تعالى حسبيَ الله معناه: إن ذهبوا هؤلاء الكفّار عنك ولم يقرّوا بنبوّتك ﴿فقل﴾ يا محمّد: ﴿حسبي الله﴾ ومعناه: كافيّ الله، وهو من «الحساب» لأنّه تعالى يعطي بحسب الكفاية الّتي تغني عن غيره، ويزيد من نِعَمِه ما لا يبلغ إلى حدٍّ ونهاية، إذ نِعَمه دائمة ومِنَنه متظاهرة.

وقوله: ﴿لا إله إلّا هو﴾ جملة في موضع الحال، وتقديره: حسبي الله مستحقّاً لإخلاص العبادة والإقرار بأن لا إله إلّا هو.

وقوله: ﴿عليه توكّلت﴾ فالتوكّل: تفويض الأمر إلى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته، بإخلاص النيّة في كلّ شيء يحذر منه، ومنه قوله: ﴿حسبنا الله ونِعْم الوكيل﴾ [1] أي: المتولّي للقيام بمصالح عباده، وفي هذه الصفة تلطّف.

وقوله: ﴿وهو ربّ العرش العظيم﴾ قيل في تخصيصه الذكر بأنّه ﴿ربّ العرش العظيم﴾ ثلاثة أقوال:

(١) آل عمران: ١٧٣.

أحدها: إنّه لمّا ذكر الأعظم دخل فيه الأصغر. الثاني: إنّه خصّ بالذكر تشريفاً له وتفخيماً لشأنه. الثالث: ليدلّ[١] به على أنّه ملك الملوك لأنّه ربّ السرير الأعظم.

وجرّ القُرّاء كلّهم ﴿العظيم﴾ على أنّه صفة لـ﴿العرش﴾. قال الزجّاج: يجوز رفعه، جعله صفة لـ﴿ربُّ العرش﴾ و «ما» في قوله: ﴿ماعنتّم﴾ بمعنى الّذي وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره ﴿عزيز﴾ قُدّم عليه. وقال الفرّاء: هو رفع بـ﴿عزيز﴾.

وقال أُبيّ بن كَعْب وسعيد بن جُبَيْر والحسن وقَتادَة: هذه آخر آية نزلت من القرآن، ولم ينزل بعدها شيء.

---

(١) في الخطّيّة: البدل.

سورة يونس

مائة وتسع آيات ليس فيها خلاف وهي مكّيّة في قول قتادة ومجاهد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ آية بلا خلاف .

إنّما لم تعدّ ﴿الٓر﴾ آيةً كما عدّ ﴿الٓمٓ﴾ آيةً في عدد الكوفيّين لأنّ آخره لا يشاكل رؤوس الآي الّتي بعده، إذ هي بمنزلة المردَف بالياء، و ﴿طه﴾ عدّ لأنّه يشاكل رؤوس الآي الّتي بعده. وقرأ ﴿الٓر﴾ بالتفخيم ابن كثير ونافع وأبو جعفر، وقرأ بالإمالة أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي، [وآختلف][1] عن عاصم: فروى هُبَيْرة عن حفص بكسر الراء، والباقون عنه بالتفخيم.

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

وقال أبوعليّ الفارسي: من ترك الإمالة فلأنّ كثيراً من العرب لا يميل ما يجوز فيه الإمالة عند غيرهم. وحسن ترك الإمالة هاهنا أنّ فيه حرفاً تمنع الإمالة كما يمنعها المستعلي، ومن أمال فلأنّها اسم لما يلفظ به من الأصوات، فجازت الإمالة من حيث كانت اسماً ولم تكن كالحروف الّتي يمتنع فيها الإمالة[١]. وقال الرُمّاني: إنّما جاز إمالة حروف الهجاء لأنّ ألفه في تقديره الانقلاب عن ياء.

وقد بيّنّا في أوّل سورة البقرة معنى هذه الحروف الّتي في أوّل السور وآختلاف المفسّرين، وقلنا: إنّ أقوى الوجوه: أنّها أسماء السور، فلا وجه لإعادته.

وقوله: ﴿تلك﴾ قال أبو عُبَيْدة: معناه: هذه[٢]. وقال الزجّاج: المعنى: الآيات الّتي تقدّم ذكرها[٣]. وهو قول الجُبّائي. وقال قوم: إنّما قال: ﴿تلك﴾ لتقدّم الذكر في ﴿الٓر﴾ كقولك: هند هي الكريمة.

وإنّما أُضيفت[٤] «الآيات» إلى ﴿الكتاب﴾ لأنّها أبعاض الكتاب، كما أنّ السورة أبعاضه، وكذلك محكمه ومتشابهه، وأسماؤه وصفاته، ووعده ووعيده، وأمره ونهيه، وحلاله وحرامه. و «الآية»: العلامة الّتي تُنبئ عن مقطع الكلام من جهةٍ مخصوصةٍ، والقرآن مفصّل بالآيات مضمّن بالحِكَم النافية للشبهات.

وإنّما وُصِف الكتاب بأنّه حكيم لأنّه دليل على الحقّ كالناطق بالحكمة، ولأنّه يؤدّي إلى المعرفة الّتي يميّز بها طريق الهلاك من طريق

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٤٨.
(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٢.
(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٥.
(٤) في الخطّيّة: «أُضيف» بحذف (التاء) أثبتناه من الحجريّة.

النجاة. وقال أبوعُبَيْدة: «حَكيم» هاهنا بمعنى: مُحْكَم [١] وأنشد لأبي ذُؤَيب:

يُـواعِـدني عُكَـاظَ لنَـنْزِلَنْهُ ... ولم يَشْعُرْ إذاً أنّي خَليفُ [٢]

أي: مُخلِف من أخلفته الوعد. ويـؤكّد ذلك قـوله: ﴿الر كتاب أُحكمت آياته﴾ [٣] و«الآيات»: العلامات. و «الكتاب»: اسم من أسماء القرآن، وقد بيّـنّاه فيما مضى. وحُكي عن مجاهد أنّه قال: ﴿تلك﴾ إشارة إلى التوراة والإنجيل. وهذا بعيد، لأنّه لم يجر لهما ذكر.

قوله [تعالى]:

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿لساحر مبين﴾ بألف، الباقون بغير ألف. قال أبو عليّ الفارسي: يدلّ على «ساحر» قوله: ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب﴾ [٤] ويدلّ على «سحر» قوله: ﴿ولمّا جاءهم الحقّ قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون﴾ [٥] والقول في الوجهَيْن: إنّه قد تقدّم قوله: ﴿أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ فمن قال: «ساحر» أراد به الرجل، ومن قال: «سحر» أراد بالّذي أُوحي سحراً، أي: الّذين يقولون [٦]: إنّه وَحْي سحر، وليس بِوَحْي [٧].

ومعنى قوله: ﴿أكان للناس عجباً﴾: أكان إيحاؤنا القرآن إلى رجلٍ منهم عجباً، وإنذارهم عقاب الله على معاصيه؟ كأنّهم لم يعلموا أنّ الله قد أُوحي

---

(١) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٢.

(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٣، والبيت في ديوان الهُذَليّين: ج ١ ص ٩٩.

(٣) هود: ١. (٤) صٓ: ٤. (٥) الزُخرف: ٣٠. (٦) في الحجريّة: يقول، ظ.

(٧) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٥٢.

من قبله إلى مثله من البشر، فعجبوا من وحينا إليه الآن؟ فالألف ألف استفهام والمراد به الإنكار.

و[١] قال ابن‌عبّاس ومجاهد وابن جُرَيْج: عجبت العرب وقريش أن يبعث الله منهم نبيّاً، فأنزل الله الآية. وقال الحسن: معناه: ليس بعجب ما فعلناه في ذلك، والمعنى: لم[٢] يبعث الله رسولاً من أهل البادية ولا من الجنّ ولا من النساء.

و«العَجَب» تغيّر النفس بما لا يعرف سببه ممّا خرج عن العادة إلى ما يجوز كونه. و «الإنذار»: [هو] الإخبار على وجه التخويف، فمن حذّر من معاصي الله فهو مُنْذِر، وهذه صفة النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقوله: ﴿أن أوحينا﴾ في موضع رفع، وتقديره[٣]: أكان للناس عجباً وَحْيُنا. [و] ﴿أن أنذر﴾ في موضع نصب، وتقديره: وحينا بأن أنذر، فحُذِف الجار فصار موضعه نصباً. و ﴿أنّ لهم﴾ نصب بقوله: ﴿وبشّر الّذين آمنوا﴾ ولو قرئ بالكسر كان جائزاً، لأنّ البشارة هي القول، إلّا أنّه لم يُقْرَأ به.

وقوله: ﴿وبشّر الّذين آمنوا﴾ أمر للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يبشّر المؤمنين، وهو أن يعرّفهم ما فيه السرور بالخلود في نعيم الجنّة على وجه الإكرام والإجلال بالأعمال الصالحة.

وقوله: ﴿أنّ لهم قدم صدق عند ربّهم﴾ معناه: أنّ لهم سابقة إخلاص الطاعة، كإخلاص الصدق من شائب الكذب، وقالوا: له قدم في الإسلام والجاهليّة، وهو كالقدم في سبيل الله.

---

(١) في الحجريّة: «و» ز ظ.

(٢) في الحجريّة «ألم، ظ».

(٣) في الخطّيّة: «وتفسيره» بدل «وتقديره».

قال حسّان:

لنا القَـدَمُ العُـليا إليكَ وخَـلْفُنا　　لأوّلِنا فـي طَـاعةِ ٱللهِ تَـابعُ[١]

وقال ذو الرُمّة:

لَكُـــم قَــدَمٌ لا يُــنْكِرُ النــاسُ أنّــها

مَعَ الحَسَبِ العاديّ طَمّتْ على البَحْرِ[٢]

وقال أبوسعيد الخُدَري: معناه: أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله لهم شفيع يوم القيامة، وهو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام.

وقال مجاهد: معناه: لهم قدم خير بأعمالهم الصـالحة. وقـال قَـتادَة: معناه: لهم سَلَف صدق. وقال الضحّاك: لهم ثواب صدق. وقال ابن‌عبّاس: لهم ما قدّموه من الطاعات.

وقوله: ﴿قال الكافرون إن هذا لساحر مبين﴾ حكاية عن الكـفّار أنّـهم يقولون: إنّ النبيّ ساحر مظهر، أو: ما أتى به سحر مبين، عـلى اخـتلاف القراءتين. و «السحر»: فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتّى يتوهّم أنّه معجز، والعمل بالسحر كفر، لادّعاء المعجزة به، ولا يمكن مع ذلك معرفة النبوّة.

وقال الزجّاج: المراد بـ ﴿الناس﴾ في الآية: أهل مكّة[٣]. وقـيل: إنّـهم قالوا: لم[٤] يجد الله من يبعثه رسولاً إلّا يتيم أبي طالب!

قوله [تعالى]:

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

---

(١) من قصيدة أنشأها يوم بدر. راجع ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري: ج ١ ص ٢٦٧، وفيه: «القدم الأُولى».

(٢) من قصيدة يمدح بلال بن أبي بردة. راجع ديوان ذي الرُمّة: ص ٣٣٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٥.

(٤) في الخطّيّة: لن.

﴿ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ آية بلا خلاف .

خاطب الله تعالى بهذه الآية جميع الخلق، وأخبرهم بأنّ الّذي يملك تدبيركم وتصريفكم بين أمره ونهيه ويجب عليكم عبادته ﴿الله الّذي خلق السموات والأرض﴾ فاخترعهما وأنشأهما على ما فيهما من عجائب الصنعة ومتقن الفعل. وإطلاق «الربّ» لا يقال إلّا فيه تعالى، فأمّا غيره فإنّه يقيّد له، فيقال: ربّ الدار، وربّ الضيعة، بمعنى: أنّه مالكها، وكذلك معنى قوله: ﴿ربّ العرش﴾ [١] و«الربوبيّة»: ملك التدبير الّذي يستحقّ به العبادة.

وقيل في الوجه الّذي ﴿خلق السموات والأرض في ستّة أيّام﴾ بلا زيادة ولا نقصان مع قدرته على إنشائهما دفعة واحدة قولان:

أحدهما: إنّ في إظهارهما كذلك مصلحة للملائكة وعبرة لهم. والثاني: لما فيه من الاعتبار إذا أخبر عنه بتصرّف[٢] الحال، كما صرّف الله الإنسان من حال إلى حال، لأنّ ذلك أبعد من توهّم الاتّفاق فيه.

وقوله: ﴿ثمّ استوى على العرش﴾ معناه: استولى عليه بإنشاء التدبير من جهته، كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره، قال الشاعر:

ثمّ ٱستَوى بِشْرٌ على العراقِ ... من غَيرِ سَيْفٍ ودَمٍ مهراقِ

يعني: بِشْر بن مَرْوان.

ودخلت ﴿ثمّ﴾ لأنّ التدبير من جهة العرش بعد استوائه.

وقوله: ﴿يدبّر الأمر﴾ فالتدبير تأويل الأُمور في مراتبها على إحكام عواقبها، وهو مأخوذ من «الدبُور» فتجري على إحكام الدابر في البادي.

---

(١) التوبة: ١٢٩، والأنبياء: ٢٢ وغيرهما.

(٢) في الخطّيّة: «فتصورّت الحال».

وقوله: ﴿ما من شفيع إلّا من بعد إذنه﴾ فالشفيع: هو السائل في غيره لإسقاط الضرر عنه، وعند قوم: أنّه متى سأله في زيادة منفعة توصل إليه كان شفيعاً. والّذي اقتضى ذكره هاهنا: صفات التعظيم مع اليأس من الاتّكال[١] في دفع الحقّ على الشفيع. والمعنى هاهنا: أنّ تدبيره للأشياء وصنعه لها ليس يكون منه بشفاعة شفيع ولا بتدبير مدبّر لها سواه، وأنّه لا يجسر[٢] أحد أن يشفع إليه إلّا بعد أن يأذن له فيه، من حيث كان تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب من خلقه بمصالحهم.

وقوله: ﴿ذلكم الله ربّكم فاعبدوه أفلا تذكّرون﴾ معناه: أنّ الموصوف بهذه الصفات هو ربّكم وإلهكم فاعبدوه وحده، لأنّه لا إله لكم سواه، ولا يستحقّ هذه الصفات غيره، وحثّهم على التذكّر والتفكّر في ذلك وعلى تعرّف صحّة ما أخبرهم به.

وقيل: إنّ العرش المذكور هاهنا هو السماوات والأرض، لأنّهنّ من بنائه. و «العرش»: البناء، ومنه قوله: ﴿يعرشون﴾[٣] أي: يبنون. وأمّا العرش المعظّم الّذي تعبّد الله الملائكة بالحفوف به والإعظام له وعناه بقوله: ﴿الّذين يحملون العرش ومَن حوله﴾[٤] فهو غير هذا.

وإنّما ذكر الشفيع في الآية ولم يجر له ذكر، لأنّ المخاطَبين بذلك كانوا يقولون: الأصنام شفعاؤهم عند الله، وذكر بعدها: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[٥] وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة، مع أنّه لا يشفع عنده إلّا مَن ارتضاه الله؟

واختار البلخي أن يكون خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام إنّما

---

(١) في الخطّيّة: مع الناس من الإنكار.
(٢) في الخطّيّة: «لا يحسن» بدل «لا يجسر».
(٣) الأعراف: ١٣٧، والنحل: ٦٨.
(٤) غافر: ٧.
(٥) الآية: ١٨ الآتية.

كان لأنّ خلقه دفعة واحدة لم يكن ممكناً، كما لا يمكن الجمع بين الضدّين، ولا يمكن الحركة إلّا في المتحرّك. وهذا الّذي ذكره غير صحيح، لأنّ خلق السماوات والأرض خلق الجواهر واختراعها، والجواهر لا تختصّ بوقتٍ دون وقت، فلا حال إلّا ويصحّ اختراعها فيه ما لم يكن فيما لم يزل، وإنّما يصحّ ما ذكره في الأعراض الّتي لا يصحّ عليها البقاء أو ما يستحيل جمعه للتضادّ. فأمّا غيره فلا يصحّ ذلك فيه.

قوله [تعالى]:

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أبو جعفر: ﴿حقّاً أنّه﴾ بفتح الهمزة، الباقون بكسرها. مَن فتح فمعناه: إليه مرجعكم، لأنّه يبدأ، ومَن كسر استأنف. قال الفرّاء: من فتح جعله مفعول ﴿حقّاً﴾ كأنّه قال: حقّاً أنّه[1] قال الشاعر:

أحقّاً عباد الله أن لَستُ زائِراً بُثَيْنَةَ أو يَلْقَى الثُّرَيّا رَقيبُها[2]

أخبر الله تعالى: أنّ الّذي خلق السماوات والأرض هو الله تعالى، وهو الّذي يستحقّ العبادة لا غيره، وأنّ إليه مرجع الخلق كلّهم. و «المرجع» يحتمل مَعْنَيَيْن:

أحدهما: أن يكون بمعنى «الرجوع» فيكون مصدراً. والآخر: موضع «الرجوع» [فيكون ظرفاً][3] كأنّه قال: إليه موضع رجوعكم يكوّنه إذا

---

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٥٧.

(٢) لجميل بن معمر العذري، من أبيات له في مدح محبوبه. راجع ديوان جميل بثينة: ص ١٧.

(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة، أثبتناه من الحجريّة.

شاء. ومعنى «الرجوع إليه» يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: أن يعود الأمر إلى أن لا يملك أحد التصرّف في ذلك الوقت غيره تعالى، بخلاف الدنيا، [لأنّه تعالى قد ملّك كثيراً من خلقه التصرّف في دار الدنيا][١] ومكّنهم من ذلك.

والثاني: أن يكون [معناه:] أنّكم ترجعون إليه أحياء بعد الموت، أي: إلى موضع جزائه.

وقوله: ﴿وعد الله حقّاً﴾ نصب على المصدر، وتقديره: أحقّه حقّاً، أو: وعد الله وعداً حقّاً، لأنّ في قوله: ﴿مرجعكم﴾ أنّه وعد بذلك، إلّا أنّه لمّا لم يذكر الفعل أُضيف المصدر إلى الفاعل، كما قال كَعْب بن زُهَيْر:

يَسْعَى الوشـاةُ جَـنَابَيْها وَقِـيلُهُم إنّك يا آبن أبي سلْمى لَمقتُولُ[٢]

أي: ويقولون قيلهم. وقوله: ﴿إنّه يبدأ الخلق ثمّ يعيده﴾ إخبار منه تعالى أنّه الّذي أنشأ الخلق ابتداءً، وهو الّذي يعيدهم بعد موتهم النشأة الأُخرى ليدلّ بذلك خلقه على أنّه إذا كان قادراً على الابتداء فهوقادر على الإعادة.

وقوله: ﴿ليجزي الّذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فيه بيان أنّه إنّما يعيد الخلق ليعطيهم جزاء أعمالهم من طاعة ومعصية، والعطاء إذا كان ابتداءً لا يسمّى جزاءً.

وقوله ﴿بالقسط﴾ معناه: بالعدل، لأنّه لو زاد الجزاء أو نقص لخرج عن العدل، ولكن يجزيهم وفق أعمالهم حتّى لا يكون الجزاء على النبوّة كالجزاء على الإيمان، بل كلّ طاعة يستحقّ الجزاء على قدرها.

وقوله: ﴿والّذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ معناه: أنّ الّذين يجحدون

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

(٢) من قصيدته اللامية المشهورة في مدح الرسول ﷺ. راجع ديوان كعب: ص ٨٩.

نِعَم الله ويكفرون بوحدانيّته ويجحدون رسله ﴿لهم شراب من حميم﴾ وهو الّذي أُسخن بالنار أشدّ إسخان، قال المرقّش الأصغر:

وكــلّ يــوم لهــا مِــقْطَرَةٌ فيها كِباءٌ مُعدٌّ وحَميمُ[1]

الكِباءُ: العُودُ الّذي يتبخّر به. وقوله: ﴿وعذاب أليم﴾ معناه: مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ أي: جزاء على كفرهم.

قوله [تعالى]:

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ آيـة بلا خلاف .

رَوَى ابن مجاهد عن قُنْبُل، والمولى عن الزينبي: ﴿ضئاء﴾ بـهمزة[2] بعد الضاد مكان الياء حيث وقع، الباقون بياء بعد الضاد ومَدّة بعدها.

قال أبو عليّ الفارسي: لا يخلو «ضياء» من أن يكون جمع «ضوء» كسَوْط وسِياط، وحَوْض وحِياض، أو مصدر «ضاءَ» يَضُوءُ ضِياءً، مثل: عاذَ يَعُوذُ عِياذاً، أو قامَ يقُومُ قِياماً، وعلى أيّ الوجهَيْن حملته فالمضاف محذوف، والمعنى: جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور، أو يكون جعلا النور والضياء لكثرة ذلك فيهما. فأمّا الهمزة في موضع العين من «ضياء» فيكون على القلب، كأنّه قدّم اللام الّتي هي همزة إلى موضع العين وأخّر العين الّتي هي واو إلى موضع اللام، فلمّا وقعت طرفاً بعد ألف زائدة قُلِبَت همزة، كما فعلوا ذلك في «سقاء» و «علاء» وهذا إذا قـدّره جـمعاً كـان أسوغ، كما قالوا: «قَوْس» و «قِسي» فصحّحوا الواحد وقلبوا في الجمع،

(١) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٤.

(٢) في الخطّيّة: بهمزتين.

وإذا قدّرته مصدراً كان أبعد، لأنّ المصدر يجري على فعله في الصحّة والاعتلال. والقلب ضرب من الاعتلال، فإذا لم يكن في الفعل يمتنع[١] أن يكون أيضاً في المصدر، ألا ترى أنّهم قالوا: لَاذَ لَواذاً، وباع بياعاً، فصحّحوها في المصدر كصحّتها في الفعل، وقالوا: قام قياماً، فأعلّوه ـ ونحوه ـ لاعتلاله في الفعل[٢].

وقرأ ابن كثير وأهل البصرة وحفص: ﴿يفصّل﴾ بالياء، الباقون بالنون. مَن قرأ بالياء فلأنّه قد تقدّم ذكر الله تعالى فأضمر الاسم في الفعل. ومَن قرأ بالنون فهذا المعنى يريد، ويقوّيه بقوله: ﴿تلك آيات الله نتلوها﴾[٣] وقد تقدّم ﴿أوحينا﴾[٤] فيكون ﴿نفصّل﴾ محمولاً على ﴿أوحينا﴾ والياء أقوى، لأنّ الاسم الّذي يعود إليه أقرب إليه من ﴿أوحينا﴾.

أخبر الله تعالى أنّ الّذي إليه يرجع الخلق ﴿هو الّذي جعل الشمس ضياء﴾. و «الجعل» وجود ما به يكون الشيء على صفةٍ لم يكن عليها، فتارة يكون بإحداثه وأُخرى بإحداث غيره. و «الشمس» و «القمر» آيتان من آيات الله تعالى، لما فيهما من عِظَم النور، ومسيرهما بغير علاقة ولادعامة، وفيهما أعظم الدلالة على وحدانيّة الله تعالى. و «النور»: شعاع فيه ما ينافي الظلام. ونور الشمس لمّا كان أعظم الأنوار سمّاه ضياءً، كما قيل للنار: نار، لما فيها من الضياء، ولمّا كان نور القمر دون ذلك سمّاه نوراً، لأنّ نورالشمس وضياءها يغلب عليه، ولذلك يقال: أضاء النهار، ولا يقال: أضاء الليل، بل يقال: أنار الليل، وليلة منيرة، ويقولون: في قلبه

(١) في الخطّيّة والحجريّة «لم يمتنع» والظاهر أنّ «لم» زائدة.
(٢) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦.
(٣) البقرة: ٢٥٢، وآل عمران: ١٠٨، والجاثية: ٦ .
(٤) الآية: ٢ المتقدّمة.

نور، ولا يقال: فيه ضياء، لأنّ الضوء يقال لما يُحَسّ بكثرته.

وقوله: ﴿وقدّره منازل﴾ إنّما وحّد في قوله: ﴿وقدّره﴾ ولم يقل: وقدّرهما، لأحد أمرَيْن:

أحدهما: أنّه أراد به القمر، لأنّ بالقمر تُحصى شهور الأهلّة الّتي يعمل الناس عليها في معاملتهم. والآخر: أنّ معناه التثنية، غير أنّه وحّده للإيجاز اكتفاءً بالمعلوم، كقوله: ﴿والله ورسوله أحقّ أن يُرضُوه﴾ (١) وقال الشاعر:

رَمَاني بأمْرٍ كنتُ منْهُ وَوَالدِي   بَريّاً ومِن جُولِ الطَّوِيِّ رَمَاني (٢).

وقوله: ﴿ما خلق الله ذلك إلّا بالحقّ﴾ معناه: لم يخلق ما ذكره من السماوات والأرض والشمس والقمر وقدّرهما منازل إلّا حقّاً.

[وقوله]: ﴿يفصّل الآيات﴾ أي: يميّز بعضها من بعض ﴿لقوم يعلمون﴾ ذلك ويتبيّنونه. وقال قوم: معناه: لقوم لهم عقول يتناولهم التكليف ويصحّ منهم الاستدلال، دون البهائم ومن لا عقل له.

قوله تعالى:

إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ آية بلا خلاف.

«الاختلاف»: ذهاب كلّ واحد من الشيئين في غير جهة الآخر، فاختلاف الليل والنهار: ذهاب أحدهما في جهة الضياء والآخر في جهة الظلام. و «الليل»: عبارة عن وقت غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني، وهو جمع «ليلة» كتَمْرَة وتَمْر. و «النهار»: عبارة عن اتّساع الضياء من

---

(١) التوبة: ٦٢.

(٢) ذكره الشيخ ضمن تفسير الآية: ٤٥ من سورة البقرة، ونسبه هناك لابن أحمر. وأورده سيبويه في الكتاب: ج ١ ص ٥١.

طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس. و «النهار» و «اليوم» معناهما واحد، إلّا أنّ في «النهار» فائدة اتّساع الضياء.

وقوله: ﴿وما خلق الله في السموات والأرض﴾ معناه: ما قدّر فيهما، وفعله على مقدار تقتضيه الحكمة ـ من الحيوان والنبات وغيرهما من غير نقصان ولا زيادة ـ ورفعه السماء بلا عمدٍ وتسكينه الأرض بلا سندٍ مع عِظَمِها لأعظم آيات لمن تفكّر في ذلك وتعقّله ويتّقي مخالفته. و «الخلق» مأخوذ من: خلقت الأديم إذا قدّرته. وإنّما خصّ ما خلق في السماوات والأرض بالذكر للإشعار بوجوه الدلالات، إذ قد تكون الدلالة في الشيء من جهة الخلق، وقد تكون من جهة اختلاف الصورة، ومن جهة حسن النظر[١] ومن جهة كثرة النفع، ومن وجه عِظَم الأمر، كالجبل والبحر.

وقوله: ﴿لآيات لقوم يتّقون﴾ معناه: أنّ في هذه الأشياء الّتي ذكرها[٢] دلالات على وحدانيّة الله لقوم يتّقون معاصيه ويخافون عقابه. وخصّ المتّقين بالذكر لِما كانوا هم المنتفعين بها دون غيرهم.

قوله [تعالى]:

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ آية بلا خلاف .

معنى ﴿إنّ الّذين لا يرجون لقاءنا﴾ يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: لا يخافون عقابنا، كما قال الهُذَلي:

إذا لَسَعَتْهُ النَحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها وخالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ عَواسِلِ[٣]

---

(١) في هامش الحجريّة: المنظر، ظ.

(٢) في الخطّيّة: ذكرناها.

(٣) لأبي ذُؤَيب، أنشده في اللسان: مادّة «خلف».

والثاني: أن يكون معناه: لا يطمعون في ثوابنا، كما يقال: تاب رجاءً لثواب الله وخوفاً من عقابه. و «الملاقاة» وإن كانت لا تجوز إلّا على الأجسام فإنّما أضافه إلى نفسه، لأنّ ملاقاة ما لا يقدر عليه إلّا الله يحسن أن يجعل لقاء الله تفخيماً لشأنه، كما جعل إتيان ملائكته إتياناً لله في قوله: ﴿هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظُلَل من الغمام﴾ (١) وكما قال: ﴿وجاء ربّك﴾ (٢) وإنّما يريد: وجاء أمر ربّك.

ومعنى قوله: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾: قنعوا بها دون غيرها من خير الآخرة، ومَن كان على هذه الصفة فهو مذموم، لانقطاعه بها عن الواجب من أمر الله.

وقوله: ﴿واطمأنّوا بها﴾ معناه: ركنوا إليها على وجه التمكين فيه، فهؤلاء مكنوا الأحوال الدنيا، فصاحبها يفرح لها ويغتمّ لها ويرضى لها ويسخط لها.

وقوله: ﴿والّذين هم عن آياتنا غافلون﴾ معناه: الّذين يذهبون عن تأمّل هذه الآيات ولا يعتبرون بها. و «الغفلة» و «السهو» نظائر، وهو ذهاب المعنى عن القلب بما يضادّه. وقد تستعمل «الغفلة» في التعرّض لها، ولذلك يقولون: تَغافَلَ، ولا يقولون مثله في السهو.

قوله [تعالى]:

أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ آية بلا خلاف .

﴿أُولئك﴾ إشارة إلى الّذين تقدّم ذكرهم في الآية الأُولى، والكاف في «أُولئك» حرف الخطاب، مثل الكاف في قولهم: النجاك(٣) ولهذا لم يجز

---

(١) البقرة: ٢١٠.   (٢) الفجر: ٢٢.   (٣) النجاك: أي أسرِع.

تأكيده ولا البدل منه، ولو كان اسماً لجاز: أولئك نفسك. و «أولاءِ» مبنيّ على الكسر، وإنّما بُنِي لتضمّنه معنى الإشارة إلى المعرفة، لأنّ أصله أن يتعرّف بعلامة، إذ لم يوضع للشيء بعينه كما وضع «زيد» و «عمرو» وبُنِي على الحركة لالتقاء الساكنَيْن، وبُنِي على الكسر لأنّها الأصل في حركة التقاء الساكنَيْن إذا كثر ذلك في الفعل، لما يدركه من الجزم فاستحقّ الكسر، لأنّه لا[1] يدخله في حال الإعراب.

و «هؤلاء» لما قَرُبَ و «أُولئك» لما بَعُدَ، كما تقول في «هذا» و «ذاك» لأنّ ما بَعُد يقتضي التعريف بالخطاب، وما قَرُب يكفي فيه التنبيه.

أخبر الله تعالى: أنّ الّذين تقدّم وصفهم في الآية الأُولى مستقرّهم النار جزاءً بما كانوا يكسبون من المعاصي.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ آية بلا خلاف .

لمّا ذكر الله تعالى الكفّار وما يستحقّونه من المصير إلى النار في الآية الأُولى ذكر في هذه ﴿إنّ الّذين آمنوا﴾ يعني: صدّقوا بالله ورسوله، واعترفوا بهما، وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحات ﴿يهديهم﴾ الله تعالى جزاء ﴿بإيمانهم﴾ إلى الجنّة ﴿تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النعيم﴾ يعني: البساتين الّتي تجري تحت أشجارها الأنهار الّتي فيها النعيم، يعني: أنواع اللّذات والمنافع يتنعّمون فيها.

ومعنى ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ تجري بين أيديهم وهم يرونها من

---

(١) في الحجريّة: لما.

عل، كما قال تعالى: ﴿قد جعل ربّك تحتك سرياً﴾[١] ومعلوم أنّه لم يجعل السَريّ تحتها وهي قاعدة عليه، لأنّ السَريّ هو الجدول، وإنّما أراد أنّه جعل بين يديها، وقال حاكياً عن فرعون: ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾[٢]. وقيل: من تحت بساتينهم وأسِرّتهم وقصورهم، في قول أبي عليّ.

ومعنى «الهدى» [هنا] : الإرشاد إلى طريق الجنّة ثواباً على أعمالهم الصالحة، ألا ترى أنّه قال: ﴿يهديهم ربّهم بإيمانهم﴾ يعني: جزاءً على إيمانهم، وذلك لا يليق إلّا بما قلناه. ويحتمل أن يكون وصفهم بالهداية على وجه المدح جزاءً على إيمانهم بالله تعالى.

قوله تعالى:

دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ آية بلا خلاف .

معنى قوله: ﴿دعواهم فيها﴾: أنّ دعاء المؤمنين لله في الجنّة، وذكرهم له فيها هو أن يقولوا: ﴿سبحانك اللّهمّ﴾ ويقولون ذلك ولهم فيه لذّة لا على وجه العبادة، لأنّه ليس هناك تكليف. وقيل: إنّه إذ مرّ بهم الطير يشتهونه قالوا: ﴿سبحانك اللّهمّ﴾ فَيُؤْتَوْن به، فإذا نالوا منه شهوتهم قالوا: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ هذا قول ابن جُرَيْج. وقال الحسن: آخر كلام يجري لهم في كلّ وقت: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ لا أنّه ينقطع. و «الدعوى» قول يدعى به إلى أمرٍ.

ومعنى ﴿سبحانك اللّهمّ﴾: ننزّهك يا الله من كلّ ما لا يليق بك ولا يجوز

---

(١) مريم: ٢٤.

(٢) الزخرف: ٥١.

من صفاتك من تشبيهٍ أو فعلٍ قبيح. وقيل: معناه: براءة الله من السوء، فيما يُروى[١] عن النبيّ صلى الله عليه وآله. وقال الشاعر:

أَقُـــولُ لمّـــا جـــاءَني فَـخْرُهُ   سُبحانَ من عَلْقَمَةَ الفـاخِرِ[٢]

أي: براءة منه. و «التحيّة»: التكرمة بالحال الجـليلة، ولذلك يسـمّون «الملك»: التحيّة، قال عَمْرو بن مَعْدِ يكَرِب:

أَزُورُ بها أبا قَابُوسَ حـتّى   أُنِيخَ على تَحيّتِهِ بـجُنْدِ[٣]

وقال زُهَيْر بن حَباب الكَلْبي:

من كـلّ مـا نَـالَ الفَـتى   قَــدْ نِـلْتُهُ إلّا التَـحِيّهْ[٤]

وهو مأخوذ من قولهم: أحياك الله حياةً طيّبةً. والمعنى: تحيّة بعضهم لبعضٍ سلام، أي: سَلِمْتَ وأَمِنْتَ ممّا ابتُلي به أهل النار. و ﴿أن﴾ في الآية هي المخفّفة من الثقيلة، وجاز أن لا تعمل، لخروجها بالتخفيف عن شبه الفعل، كما قال الشاعر:

في فِتْيةٍ كسُيُوفِ الهنْدِ قَدْ عَلِمُوا   أن هالِكٌ كُلُّ مَن يَحْفى ويـنْتَعِلُ

والميم في «اللّهمّ» بمعنى «يا» كأنّه قال: يا الله، ولم يجعل في موضع «يا» لئلّا يكون كحروف النداء الّتي تجري في كلّ اسم.

قوله تعالى:

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٦٤ بسنده عن موسى بن طلحة عن أبيه.

(٢) للأعشى، من قصيدة طويلة يهجو علقمة بن علاثة حينما نافر عامر بن الطفيل. راجع ديوان الأعشى: ص ٩٤.

(٣) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٦٥.

(٤) أنشده الطبري أيضاً. وفيه: «جناب» بدل «حباب».

قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿لقَضى إليهم أجلهم﴾ بفتح القاف، الباقون بضمّها على ما لم يسمّ فاعله. قال أبو عليّ الفارسي: اللام في قوله: ﴿لقُضي إليهم أجلهم﴾ جواب ﴿لو﴾ في قوله: ﴿ولو يعجّل الله للناس﴾ [والمعنى]: ولو يعجّل الله للناس دعاء الشرّ، أي: ما يدعون به من الشرّ على أنفسهم في حال ضجر وبطر ﴿استعجالهم﴾ إيّاه بدعاء ﴿الخير﴾ فأضاف المصدر إلى المفعول به وحذف الفاعل، كقوله: ﴿دعاء الخير﴾[١] وحذف ضمير الفاعل، والتقدير: ولو يعجّل الله للناس الشرّ استعجالاً مثل استعجالهم بالخير لقُضي إليهم أجلهم[٢]. قال أبو عُبَيْدَة: معناه: لفرغ من أجَلهم ومدّتهم المضروبة للحياة[٣] وإذا انتهت مدّتهم المضروبة للحياة فهلكوا، وهو قريب من قوله: ﴿ويدعُ الإنسان بالشرّ دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً﴾[٤]. وقيل للميّت: مقضيّ كأنّه قَضَى إذا مات، و «قَضَّى» فعَّلَ، والتقدير: استوفى أجله. قال ذو الرُمّة:

إذا الشَخْصُ فيها هَزّهُ الآلُ أغْمضَتْ
عليهِ كإغْماضِ المُقَضّي هُجُولُها[٥]

والمعنى: أغمضَتْ هُجُولُ هذه البلاد على الشخص الّذي فيها، فلم يُرَ لقربه[٦] كإغماض المقضّي، وهو الميّت.

فأمّا قوله: ﴿لقُضي إليهم﴾ وما يتعلّق هذا الجارّ: فإنّه لمّا كان معنى «قضى» معنى «فرغ» وكان قوله: «فرغ» قد يتعدّى بهذا الحرف، وفي التنزيل: ﴿سنَفْرغ لكم﴾[٧] فإنّه يمكن أن يكون الفعل يتعدّى باللام كما

(١) فصّلت: ٤٩. (٢) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٥٣. (٣) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٥.
(٤) الإسراء: ١١. (٥) من قصيدة يصف إبلاً. راجع ديوان ذي الرمّة: ص ٣٢٣.
(٦) في الحجريّة: لقربه. (٧) الرحمن: ٣١.

يتعدّى بـ «إلى» كما أنّ «أوحى» في قوله: ﴿وأوحينا إليه﴾ (١) قد تعدّى بـ«إلى» وفي قوله: ﴿بأنّ ربّك أوحى لها﴾ (٢) تعدّى باللام، فلمّا كان معنى «قضى»: فرغ، و «فرغ» تعلّق بها «إلى» كذلك تعلّق بـ «قَضَى».

ووجه قراءة ابن عامر وإسناده الفعل إلى الفاعل: لأنّ الذكر قد تقدّم في قوله: ﴿ولو يعجّل الله للناس﴾ فقال الله: ﴿لقَضَى﴾ الله ـ على هذا ـ وقوّي ذلك بقوله: ﴿ثمّ قضى أجلاً وأجل مسمّى عنده﴾ (٣) فقوله: ﴿قَضى أجلاً﴾ أضافه إلى الفاعل، فكذلك في هذه الآية. وقوله: ﴿وأجل مسمّى عنده﴾ يعني: أجل البعث، بدلالة قوله: ﴿ثمّ أنتم تمترون﴾ (٤) أي: تشكّون في البعث. ومَن ضمّ القاف وبَنَى الفعل للمفعول فلأنّه في المعنى مثل قول من بَنَى الفعل للفاعل.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه لو عجّل للخلق الشرّ، و «التعجيل»: تقديم الشيء قبل حينه، وقد يكون تقديم الشيء في المكان فلا يكون تعجيلاً، والفرق بين «التعجيل» و «الإسراع»: أنّ «التعجيل بالشيء» عمله قبل وقته الّذي هو أولى به، [و] «الإسراع» عمله في وقته الّذي هو أحقّ به، وضدّه: الإبطاء (٥). و «الشرّ»: ظهور ما فيه الضرر، وأصله: الإظهار، من قولهم: شررت الثوب إذا أظهرته للشمس، ومنه: شَرَر النار، لظهوره وانتشاره.

وقوله: ﴿لقُضي إليهم أجلهم﴾ قيل (٦): إنّ معناه: لأُميتوا، كأنّه قيل لقطع أجلهم وفرغ منه، قال أبو ذُؤيْب:

وعَلَيْهما مَسْرُودتانِ قَضَاهُما ... داودُ أوْ صَنَعُ السَوابِغِ تُبّعُ (٧)

---

(١) يوسف: ١٥. (٢) الزلزلة: ٥. (٣ و ٤) الأنعام: ٢.
(٥) في الخطّيّة بدل «الإبطاء»: الانتظار. (٦) قاله الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٦٥.
(٧) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٥.

وقال الحسين بن عليّ المغربي: معناه: ردّ قطع أجلهم إليهم، لكون السبب فيه دعاؤهم.

وقوله: ﴿استعجالهم بالخير﴾ نصب ﴿استعجالهم﴾ على المصدر، وتقديره: ولو يعجّل الله للناس تعجيله استعجالهم بالخير إذا دعوا. وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد وقَتادَة: هو كقول الرجل لولده وماله في حال غضبه: اللّهمّ لا تبارك فيه وَالْعَنْهُ. وقال الحسن: هو كقوله: ﴿ويدع الإنسان بالشرّ دعاءَه بالخير﴾[1].

وقال الجُبّائي[2]: معناه: أنّهم يطلبون الخير قبل حينه، وسبيله في أنّه لا ينبغي أن يكون كسبيل الشرّ من الإهلاك بالعقاب قبل حينه، لما فيه من الاقتطاع عن التوبة واللطف.

وقوله: ﴿فنذر الّذين لا يرجون لقاءنا﴾ معناه: نترك الّذين لا يخافون لقاءنا أو لا يطمعون فيه، بمعنى: أنّهم لا يخافون عقاب معاصينا، ولا يطمعون في ثواب طاعتنا ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ فالطغيان: الغلوّ في ظلم‌العباد، و «الطاغي» و «الباغي» نظائر، و «العَمَه» شدّة الحيرة. وتقديره: نتركهم وهم يتردّدون في ضلالتهم، لا أنّه يريد منهم العَمَه في الطغيان، لأنّه إنّما يتركهم ليتوبوا من ذلك ويؤمنوا، لكنّه بيّن أنّه لا يعاجلهم بالعقاب[3] في الدنيا، وهم مع ذلك لا يرعوون، بل يتردّدون في الطغيان. وقيل: المعنى: نتركهم في الآخرة يتحيّرون في جزاء طغيانهم.

---

(١) الإسراء: ١١.

(٢) وهذا هو القول الثاني.

(٣) في الخطّيّة والحجريّة: بالثواب، بدل بالعقاب.

قوله [تعالى]:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (١٢) آية بلا خلاف.

أخبرالله تعالى فيهذهالآية عن قلّة صبرالإنسان [على الضرّ والشدائد في هذه الدنيا وعن قلّة شكره على نعمها فذكر أنّه إذا مسّ الإنسان أي][1] ناله ﴿الضرّ﴾ دعا ربّه على سائر حالاته الّتي يصيبه ذلك [عليها] سواء كان قائماً أو قاعداً [إذا أطاقه][2] أو على جنبه من شدّة المرض، فيجتهد في الدعاء لأنْ يهب الله له العافية، وليس غرضه بذلك نيل ثواب الآخرة، وإنّما غرضه زوال ما هو فيه من الآلام، فإذا كشف الله عنه ذلك الضرر ووهب له العافية ﴿مرّ﴾ مُعرضاً عن شكر ما وهبه له من نعمه وعافيته، فلا يتذكّر ما كان فيه من الآلام، وصار في الإعراض عن ذلك بمنزلة مَن لم يدع الله كشف ألمه، ولا سأله إزالة الضرر عنه الّذي كان به.

وقوله: ﴿كذلك زيّن للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ قال أبو عليّ الجُبّائي: الشياطين الّذين دعوا المسرفين إلى المعاصي وأغووهم بها وبترك شكر نِعَم الله زيّنوا لهؤلاء المسرفين ما كانوا يعملونه من المعاصي والإعراض عن ذكر نِعَمه وأداء شكره.

والغرض بذلك أنّه ينبغي لمن وهب الله له العافية بعد المرض أن يتذكّر حسن صنع الله إليه وجزيل نِعَمه عليه، فيشكره على ذلك ويسأله إدامة ذلك عليه. ونبّه بذلك على أنّه يجب عليه الصبر عند المرض، وترك الجزع عند احتساب الأجر وطلب الثواب في الصبر على ذلك، وأن يعلم

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الحجريّة.

(٢) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.

أنّ الله محسن إليه بذلك، وليس بظالمٍ له.

وقال الحسن: «التزيين»: هو التحسين من الشيطان والغُواة. وقال غيره: هو التحبيب بالشهوة لتحبيب المشتهى.

وقوله: ﴿أو قاعداً أو قائماً﴾ نصب على الحال، وقوله: ﴿كأن﴾ هي المخفّفة عن الثقيلة، وتقديره: كأنّه لم يدعنا، ومثله قول الخَنْساء:

كأنْ لم يكُونُوا حِمىً متّقَى إذ الناسُ إذ ذاكَ مَن عزّ بزّا[1]

أي كأنّهم.

وقوله: ﴿مرّ كأن لم﴾ أي: استمرّ على طريقته الأولى كأن لم يدعنا ولميسألنا ذلك. وموضع الكاف نصب على أنّه مفعول ما لم يسمّ فاعله. والمعنى: زُيّن للمسرفين عملهم كذلك، أي: مثل ذلك.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ آية بلا خلاف.

أقسم الله تعالى في هذه الآية أنّه أهلك من كان قبل هذه الأُمّة من ﴿القرون﴾ وهو جمع «قَرْن» وسُمّي أهل كلّ عصر: قرناً لمقارنة بعضهم لبعض، و «القِرْن» هو المقاوم لقرينه في الشدّة، ويعني بذلك: الّذين كذّبوا رسل الله الّذين بعثهم الله إليهم، فكفروا بذلك بربّهم وظلموا أنفسهم، فأهلكهم الله بأنواع العذاب وفنون الاستئصال، كما أهلك قوم لوط وقوم موسى وغيرهم.

وبيّن بقوله: ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ أنّ هذه الأُمم الّتي أهلكها لم يكونوا يؤمنون، لو بقّاهم الله بالرسل الّذين أتَوْهم والكتب الّتي جاؤوهم بها، ولمّا

---

(١) من قصيدة لها تفتخر بقومها. راجع ديوان الخَنْساء: ص ٨١.

كان ذلك المعلوم من حالهم استحقّوا من الله تعالى العذاب فأهلكهم.

وقوله: ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ أي: نعاقب مثل عقوبة هؤلاء المجرمين إذا استحقّوا وكانوا ممّن لا يؤمن ولا يصلح. وجعل أبو علـيّ الجُبّائي ذلك دليلاً على أنّ تبقية الكافر إذا عُلِمَ من حاله أنّه يؤمن فيما بعد واجبة.

قوله [تعالى]:

ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ آيـة بلا خلاف .

بيّن الله تعالى في هذه الآية: إنّما جعل المخاطبين بهذا الخطاب بـعد إهلاك من أهلك وتكليفه إيّاهم بطاعته وتصديق رسله مثل ما كان كلّفهم ﴿لننظر كيف تعملون﴾ معناه: أنّكم إن عملتم بالمعاصي مثل ما عـمل بـها أُولئك، وكذّبتم الرسل، ولم ترجعوا عن الكفر، أهلككم ببعض العقاب كما أهلك من تقدّم، وإن آمنتم أثابكم الله في الدنيا والآخرة ورضـي عـنكم. فجعل قوله: ﴿لننظر كيف تعملون﴾ دلالة لهم على أنّي أفعل بكم أحد هٰذَيْن: الثواب إن آمنتم وأطعتم، والعذاب إن كفرتم وعصيتم، واستعمل ذلك على هذا المعنى مجازاً كما يستعمله أهل اللغة على هذا المعنى، لأنّهم لا يعلمون ما يكون من المكلّفين وما يفعل بهم من الثواب والعقاب، وهو عالم بذلك. ومثل ذلك يستعمله العرب فيما يعلمه الإنسان، يقول القائل لغلامه الّذي يأمره: إنّي سأُعاقبك [وأضربك لأنظر][1] كيف صـبرك، وأُعـطيك مـالاً لأنظر كيف تعمل؟ وإن كان عالماً بما يؤول إليه الأمر في ذلك.

(١) في الخطّيّة: سأُعاقبك وأنظر بك كيف صبرك.

وموضع ﴿كيف﴾ نصب بقوله: ﴿تعملون﴾ وإنّما قدّم لأنّه للاستفهام، ولا يجوز أن يكون معمول[١] ﴿لننظر﴾ لأنّ ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام، ولو قلت: لننظر أخَيْراً تعملون أو شرّاً؟ كان العامل في «خير» و «شرّ»: تعملون.

قوله تعالى:

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه إذا قرأ النبيّ صلى الله عليه وآله على الكفّار آيات الله وكلامه، و ﴿بيّنات﴾ ـ نصب على الحال ـ وهي الآيات الّتي أمر فيها عباده بأشياء ونهاهم عن أشياء ﴿قال الّذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: عذاب الله، وما وعدهم به من ثوابه إن أطاعوه ﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ الّذي تتلوه علينا ﴿أو بدّله﴾ [فاجعله على خلاف ما تقرأه علينا، وإنّما فرّق بين قوله: ﴿ائت بقرآن غير هذا أو بدّله﴾][٢] لأنّ الإتيان بغيره قد يكون معه، وتبديله لا يكون إلّا برفعه والإتيان بغيره.

وإنّما لم يرجوا ثواب الله وعذابه لأنّهم كانوا غير مقرّين بالله، ولا معترفين بنبوّة نبيّه صلى الله عليه وآله ولا يصدّقونه بما يخبرهم عن الله، ويذكّرهم به من البعث والنشور والحساب والجزاء، وكان قولهم هذا له على وجه التعنّت والتسبّب إلى الكفر به وتكذيبه، واحتجاجاً عليه بما ليس بحجّة، لأنّه صلى الله عليه وآله كان قد بيّن لهم أنّ هذا القرآن ليس من كلامه، وأنّه ليس له

---

(١) كذا في الخطّيّة والحجريّة.

(٢) ما بين المعقوفتين، لم يرد في المخطوطة.

تغييره وتبديله، فأرادوا أن يوهموا أنّ الأمر موقوف على رضاهم به، وليس يرضون بهذا فيريدون غيره. وقال الزجّاج: إنّه كان غرضهم إسقاط ما فيه من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، ومن ذكر البعث والنشور[١] فأمر الله تعالى نبيّه أن يقول لهم في جواب ذلك: ليس ﴿لي أن أبدّله من تلقاء نفسي﴾ أي: من جهة نفسي وناحية نفسي، كأنّه قيل له: قل ليس لي أن أتلقّاه بالتبديل، كما ليس لي أن أتلقّاه بالردّ. و «التلقاء»: جهة مقابلة الشيء، إلّا أنّه قد يستعمل ظرفاً فيقال: هو تلقاءه، كما يقال: هو حذاه وقبالته وتجاهه.

قوله: ﴿إن أتّبع إلّا ما يوحى إليّ﴾ أي: ليس لي أن أتّبع إلّا الّذي يُوحى إليّ ﴿إنّي أخاف إن عصيت ربّي﴾ في اتّباع غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ يعني: يوم القيامة.

ومَن استدلّ بهذه الآية على أنّ نسخ القرآن بالسُنَّة لا يجوز فقد أبْعَد، لأنّه إذا نسخ ما يتضمّنه القرآن بالسُنّة، فالسُنّة لا يقولها النبيّ ﷺ إلّا بوَحْيٍ من الله، وليس ينسخه من قِبَل نفسه، بل يكون ذلك النسخ مضافاً إلى الله، وإنّما لا يكون قرآناً لأنّه تعالى قد يوحي إلى نبيّه ما هو قرآن وما ليس بقرآن، لأنّ جميع ما بيّنه النبيّ ﷺ من الشريعة لم يبيّنها إلّا بوحْيٍ من الله، لقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وَحْي يوحى﴾[٢] وإن كان تفصيل ذلك ليس بموجود في القرآن، فالاستدلال بذلك على ماقالوه بعيد.

قوله تعالى:

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ١١.

(٢) النجم: ٣ و ٤.

قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ آية بلا خلاف .

حكي عن الحسن أنّه قرأ: ﴿ولا أدرأتكم به﴾ وقرأ أبو ربيعة وقُنْبُل إلّا المالكي والعطّار: ﴿ولأدْراكم به﴾ يجعلانها لاماً دخلت على «أدراكم». وأمال ﴿أدراكم﴾ و﴿أدراك﴾ في جميع القرآن أبو عمرو وحمزة والكسائي وخَلَف والدّاجُوني عن ابن ذَكْوان والكسائي عن أبي‌بكر، وافقهم يحيى والعُلَيْمي في هذه السورة.

حكى سيبويه: دريته ودريت به، قال: وأكثر الاستعمال [التعدّي] بالباء، يبيّن ذلك قوله: ﴿ولا أدراكم به﴾ ولو كان على اللغة الأُخرى لقال: ولا أدراكموه، وقالوا: «الدِّرْيَة» على‌وزن «فِعْلَة» كماقالوا: الشِّعْرَة والفِطْنَة، وهي مصادر يُراد بها ضروب من العلم. فأمّا «الدراية» فكالهداية والدلالة، وكأنّ «الدراية»: التأنّي والتعمّل لعلم الشيء، وعلى هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمة، وقالوا: دارَيْت الرجل إذا لايَنْته وخَتَلْته، فعلى هذا لا يوصف الله تعالى بالداري، وأمّا قول الراجز:

لَاهُمَّ لا أدري وأنْتَ الداري

فلا يكون حجّة في جواز ذلك لأمرَيْن:

أحدهما: أنّه لما تقدّم قوله: «لا أدري» استجاز أن يذكر الداري بعده، ليزدوج الكلام، كما قال تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾[1]. ونظائره كثيرة.

والثاني: أنّ الأعراب ربما ذكروا أشياء امتنع جوازها، كما قال:

لَوْ خَافَكَ اللهُ عليهِ حَرَمَه

---

(١) البقرة: ١٩٤.

وقال آخر:

لَاهُـمَّ إنْ كُـنْتَ الّـذي بِـعَهْدي ولَــمْ تُــغَيّرْكَ الأُمـورُ بَـعْدِي

فأمّا الهمزة على ما حكي عن الحسن فلا وجه له، لأنّ «الدَرْء»: الدفع، كما قال: ﴿فادرءوا عن أنفسكم الموت﴾ [١] وقال: ﴿فادّارأتم فيها﴾ [٢] وقوله عليه السلام: «ادرأوا الحدود بالشبهات» [٣]. قال الفرّاء: إن كان ما حكي عن الحسن لغةً، وإلّا يجوز أن يكون الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فذهب إلى: درأت الحدّ. وقد يغلط بعض العرب في الحرف إذا ضارعه آخر في الهمزة فيهمز ما ليس مهموزاً، سمعت آمرأةً من غَنيٍّ [٤] تقول: رَثَأْت زوجي بأبياتٍ، ويقولون: لبّأْت بالحجّ، وحَلَّأْت السَويق، وكلّ ذلك غلط، لأنّ «حَلَّأْت» إنّما هو من دفع الإبل العطاش عن الماء، و «لبّأْت» من اللّباء الّذي يُؤْكَل، و «رَثَأْت» من الرثيئة [٥] إذا حلبت الحليب على الرايب.

ومَن أمال فتحة الراء وأمال الألف بعدها فلأنّ هذه الألف تنقلب ياءً في «أدريته» وهما مدريان، ومَن لم يَمِل فلأنّ الأصل عدم الإمالة، ولأنّ كثيراً من الفصحاء لا يميل ذلك.

ومعنى قوله: ﴿ولا أدراكم به﴾ قال ابن عبّاس: ولا أعلمكم به، من: دريت به وأدراني الله به. ومعنى الآية: الأمر للنبيّ صلى الله عليه وآله بأن يقول لهؤلاء الكفّار: لو أراد الله أن يمنعهم فائدته ما أعلمهم به، ولا أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بتلاوته عليهم.

وقوله: ﴿فقد لبثت فيكم عمراً من قبله﴾ معناه: لبثت على هذه الصفة

---

(١) آل عمران: ١٦٨. (٢) البقرة: ٧٢.

(٣) أخرجه البغدادي في تاريخه: ج ٩ ص ٣٠٣، وابن حجر في التلخيص: ج ٤ ص ٥٦ بسنده عن ابن مسعود.

(٤) كذا، وفي المصدر: «من طيّ».

(٥) في المصدر: «الرثيئة» وكذا في اللغة. (٦) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٥٩.

لا أتلوه عليكم ولا يُعْلِمكم الله به حتّى أمرني به وشاء إعلامكم. وقال قَتادَة: لبث في قومه أربعين سنة قبل أن يُوحى إليه.

وقوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ معناه: هلّا تتفكّرون فيه بعقولكم فتتبيّنوا بذلك أنّ هذا القرآن من عند الله أنزله تصديقاً لنبيّهﷺ. قال الرُمّاني: والعقل هو العلم الّذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب، والناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت، فبعضهم أعقل من بعض إذ كان أقدر على الاستدلال من بعض.

ومعنى ذلك: أن يقول لهم: ﴿قد لبثت فيكم﴾ حيناً طويلاً، ونشأت بين أظهركم، وعرفتم منصرفي ومنقلبي، فلو كان ما أتيت به مخترعاً أو كان ما فيه من الأخبار من عند غير الله لكنتم عرفتم ذلك، إذ فيكم ولدت ونشأت ومعكم تصرّفت ﴿أفلا تعقلون﴾ في التدبّر والنظر والإنصاف فعل من يعقل؟ على أنّهﷺ لو كان أخذ ذلك من غيره وخالط أهلها، أو لو كان شاعراً، أو لو كان يعلم السحر ـ كما ادّعوا ـ ثمّ خفي ذلك أجمع عليهم حتّى لم يعرفوا الوجه الّذي منه أخذ، لكان في ذلك أعظم الحجّة. وعلى ما رُوِي عن قُنْبُل يكون المعنى: ﴿لو شاء الله ما تلوته﴾ يكون نفياً للتلاوة ﴿ولأدراكم﴾ ولا أعلمكم ثبوته، ويكون إثباتاً للعلم، وعلى قراءة الباقين يكون نفياً للأمرَيْن معاً.

قوله تعالى:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ آية بلا خلاف .

قوله: ﴿فمن أظلم ممّن﴾ ظاهره الاستفهام والمراد به الاستعظام

والإخبار بأنّه لا أحد أظلم ممّن آخترع كلاماً أو خبراً ثمّ أضافه إلى الله، ويريد به النبيّ نفسه لو كان فعل ﴿أو كذّب بآياته﴾ يعنيهم ﴿إنّه لا يُفلح﴾ أي: لا يفوز ﴿المجرمون﴾.

وإنّما قال: لا أحد أظلم ممّن هذه صفته، لأنّه ظلم كفر، وهو أعظم من ظلمٍ ليس بكفر. والتقدير: لا أحد أظلم ممّن يظلم ظلم كفر، فعلى هذا من يدّعي الربوبيّة داخل في هذه الجملة، لأنّ ظلمه ظلم كفر، كأنّه قيل: لا أحد أظلم من الكافر، وليس لأحد أن يقول: المدّعي للربوبيّة أظلم من المدّعي للنبوّة وهو كاذب، والكذّاب بآيات الله ظالم لنفسه بما يدخل عليها من استحقاق العقاب، وظالم لغيره ممّن يجوز أن تلحقه المنافع والمضارّ بتكذيبه إيّاه وردّه عليه، لأنّ من شأنه أن يعمّه مثل هذا التكذيب.

و ﴿من﴾ في الآية للاستفهام، وهي لا توصل لأنّها تضمّنت حرف الاستفهام فعوملت معاملته، كما أنّها إذا كانت بمعنى الجزاء لم توصل لتضمّنها معنى «إن» الّتي هي أمّ الباب في الجزاء.

قوله [تعالى]:

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً ﴿عمّا تشركون﴾ بالتاء هاهنا وفي النحل في موضعين[1] وفي الروم[2] الباقون بالياء. مَن قرأ بالتاء بناه على ما تقدّم من قوله: ﴿أتنبّئون الله بما لا يعلم﴾ فلمّا خاطبهم بذلك وجّه إليهم

---

(١) الآية: ١ و٣.
(٢) الآية: ٤٠.

الخطاب بتنزيهه عمّا يشركون. ومَن قرأ بالياء بناه على الخبر عن الغائب، لأنّ أوّل الآية مبنيّ على ذلك، وهو قوله: ﴿ويعبدون من دون الله﴾ وكِلَاهما حسنان.

أخبر الله تعالى على وجه الذمّ للكفّار بأنّهم يوجّهون عبادتهم إلى من هو دون الله من الأصنام والأوثان الّتي لا تضرّ ولا تنفع.

فإن قيل: كيف ذمّهم على عبادة الوثن الّذي لا ينفع ولا يضرّ مع أنّه لو نفع وضرّ لم تجز عبادته؟!

قلنا: لأنّه إذا كان مَن يضرّ وينفع قد لا يستحقّ العبادة إذا لم يقدر على أُصول النِعَم، فمَن لا يقدر على النفع والضرّ أصلاً أبعد من أن يستحقّ العبادة.

وقوله: ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ إخبار منه تعالى عن هؤلاء الكفّار أنّهم يقولون: إنّا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله! فتوهّموا أنّ عبادتها أشدّ في تعظيم الله من قصده تعالى بالعبادة، فحلّت من هذه الجهة محلّ الشافع عند الله. وقال الحسن: شفعاء في صلاح معاشهم في الدنيا، لأنّهم لا يقرّون بالبعث بدلالة قوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ (١).

و «العبادة»: خضوع بالقلب في أعلى مراتب الخضوع، فكلّ طاعة فعلت على هذا الوجه فهي عبادة. وإنّما قال: ﴿ويعبدون من دون الله﴾ مع أنّهم كانوا يشركون في عبادة الله لأمرَيْن:

أحدهما: أنّ عابد الوثن خاصّةً قد أشرك في آستحقاق العبادة. الثاني: أنّ مَن عَبَد الله وعَبَد الوثن فقد عَبَده من دون إخلاص العبادة لله.

---

(١) النحل: ٣٨.

وقوله: ﴿أتنبّئون الله بما لا يعلم﴾ أمر منه تعالى لنبيّه أن يقول لهم على وجه الإلزام: أتخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الأوثان وكونها شافعة، لأنّ ذلك لو كان صحيحاً لكان الله به عالماً، ففي نفي[(١)] العلم بذلك نفي المعلوم.

وقوله: ﴿سبحانه وتعالى عمّا يشركون﴾ تنزيه منه تعالى لنفسه، وتنزيه من أن يُعْبَد معه إله آخر أو يُتّخَذ من دونه معبود.

قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه لم يكن ﴿الناس﴾ فيما مضى ﴿إلّا أُمّة واحدة﴾ و «الأُمّة»: الجماعة الّتي على معنىً واحدٍ في خلق أو ما يستمرّ على عبادته بالظاهر[(٢)]. فعلى هذا: الناس أُمّة، والطير أُمّة، والمراد هاهنا أنّها كانت على دين واحد.

واختلفوا في الدين الّذي كانوا مجتمعين عليه قبل حدوث الاختلاف بينهم على قولين:

فقال الحسن: كانوا على الشرك، كما قال تعالى: ﴿كان الناس أُمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين﴾[(٣)]. وقال الزجّاج: أراد بذلك العرب الّذين كانوا قبل مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله فأنّهم كانوا مشركين[(٤)] فلمّا بُعِث النبيّ آمن به قوم وكفر به آخرون.

---

(١) في الحجريّة: لمّا نفى.

(٢) في الخطّيّة: على عادة بحال ظاهره.

(٣) البقرة: ٢١٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ١٢.

وقال الجُبّائي[١]: إنّهم كانوا على الإسلام في عهد آدم وولده، وأنكر الأوّل، قال: لأنّ الله تعالى قال: ﴿فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾[٢] فلو كانوا كلّهم على الكفر لما كان فيهم شهيد أصلاً.

قال الرُمّاني: لا يمتنع أن يكون الأمر على ما قال الحسن، ويكون المراد به التغليب، كأنّ المسلمين كانوا[٣] قليلين فلا يعتدّ بهم، فيجوز أن يقال فيهم: إنّهم أُمّة مشركة، كما رُوِي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم إلّا بقايا من أهل الكتاب»[٤].

وقال مجاهد: فاختلفوا حين قتل ابن آدم أخاه. و «الاختلاف» هو الذهاب في الجهتين فصاعداً من الجهات، وحدّ المختلفين أن لا يسدّ أحدهما مسدّ صاحبه فيما يرجع إلى‌ذاته، كما لايسدّ السواد مسدّ البياض.

وقوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من‌ربّك لقضي بينهم﴾ معناه: لولا كلمة سبقت من ربّك من أنّه لا يعاجل العُصاة بالعقوبة إنعاماً عليهم في التأنّي بهم ﴿لقضي بينهم﴾ في اختلافهم بما يضطرّهم إلى علم المحقّ من المبطل. وقيل: معنى ذلك: ﴿لقضي بينهم﴾ أي: فصل بينهم بأن أهلك العُصاة ونجّى المؤمنين، لكنّه أخّرهم إلى يوم‌القيامة تفضّلاً منه وزيادةً في‌الإنعام عليهم.

قوله تعالى:

وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفّار أنّهم قالوا: هلّا أُنزل على محمّد

---

(١) وهذا هو القول الثاني. (٢) النساء: ٤١. (٣) في الخطّيّة: يكونون.

(٤) رواه مسلم في الصحيح: ج ٤ ص ٢١٩٧ ح ٢٨٦٥ مسنداً عن عياض المجاشعي.

آيةً، وأرادوا بذلك أنّه يضطرّهم إلى المعرفة، ولا يحتاجون معها إلى النظر والاستدلال، ولم يطلبوا معجزة يستدلّ بها على صدقه، لأنّه قد كان أتاهم بالمعجزات الّتي تدلّ على صدقه، فلم يجبهم الله إلى ما ٱلتمسوه، لأنّ التكليف يمنع من الاضطرار إلى المعرفة، لأنّ الغرض بالتكليف التعريض للثواب، ولو عرفوا الله تعالى ضرورةً لما استحقّوا ثواباً، فكان ذلك ينقض غرضهم. وقال أبو عليّ: طلبوا آيةً سوى القرآن.

والأصل في «لولا»: امتناع الثاني لكون الأوّل، كقولك: لولا زيد لجئتك، فخرجت إلى معنى التحضيض بأنّه ليس ينبغي أن يمتنع ذا لكون غيره.

قوله: ﴿فقل إنّما الغيب لله﴾ معناه: أنّ ما لا تعرفونه ولا نصب لكم عليه دليل يجب أن تسلّموا علمه إلى الله، لأنّه العالم بالخفيّات وما يكون في المستقبل، فلأجل ذلك لا يفعل الآية الّتي ٱقترحتموها في هذا الوقت، لِمَا في ذلك من حسن التدبير ووجه المصلحة. و «الغيب»: خفاء الشيء عن علم العباد، والله تعالى عالم الغيب والشهادة، لأنّه عالم لنفسه، يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها، لا يخفى عليه خافية.

وقوله: ﴿فانتظروا﴾ معناه: انتظروا ما وعدكم الله من نصر المؤمنين وقهر الكافرين وإنزال الذلّ والعقاب بهم إن أقاموا على كفرهم، فـ﴿إنّي معكم من المنتظرين﴾ لذلك.

قوله [تعالى]:

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ آية بلا خلاف .

روى رَوْح: ﴿يمكرون﴾ بالياء، الباقون بالتاء.

أخبر الله تعالى: بأنّه إذا أذاق ﴿الناس﴾ يعني: الكافرين ﴿رحمة﴾ بأن أنعم عليهم وأوسع أرزاقهم وأخصب أسعارهم ﴿من بعد ضرّاء﴾ يعني: بعد شدّةٍ كانوا فيها من جدب وضيق نالتهم مكروا في آياتنا. فجواب ﴿إذا﴾ الأولى في ﴿إذا﴾ الثانية، وإنّما جعلوا ﴿إذا﴾ جواباً إذا كانت بمعنى الجملة على ما فيها من المفاجأة، كما قال تعالى: ﴿وإن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ (١).

وحقيقة «الذوق»: تناول ما له طعم بالفم ليوجد طعمه، وإنّما قال: «أذقناهم الرحمة» على طريق البلاغة، لشدّة إدراك الحاسّة. و «المكر»: فَتْل الشيء إلى غير وجهه على طريق الحيلة فيه، فهؤلاء محتالون لدفع (٢) آيات الله بكلّ ما يجدون السبيل إليه من: شبهة أو تخليط في مناظرة أو غير ذلك من الأُمور الفاسدة. وقال مجاهد: مكرهم: استهزاؤهم وتكذيبهم. فقال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿قل﴾ لهم ﴿الله أسرع مكراً﴾ يعني: أقدر جزاءً على المكر، وذلك أنّهم جعلوا جزاء النعمة المكر مكان الشكر، فقوبلوا بما هو أشدّ. و «السرعة»: عمل الشيء في وقته الّذي هو أحقّ به، والمعنى: أنّ ما يأتيهم من العقاب أسرع ممّا أتوه من المكر، أي: أوقع في حقّه.

وقوله: ﴿إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ إخبار منه تعالى أنّ ملائكة الله الموكّلين بهم يكتبون ما يمكرون من كفرهم وتكذيبهم، ففي ذلك غاية الزجر والتهديد على ما يفعلونه من المكر والحِيَل في أمر النبيّ صلى الله عليه وآله. وقيل: إنّما سمّى جزاء المكر مكراً، لأنّهم إذا نالهم العذاب على مكرهم بحيث لا يحتسبونه ولا يتوقّعونه فكأنّه مَكر بهم.

---

(١) الروم: ٣٦.

(٢) في الخطّيّة، بدل «لدفع»: لرفع.

قوله [تعالى]:

هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿ينشركم﴾ بالنون والشين من «النشر» الباقون بالياء والسين وتشديد الياء من «التسيير».

قال أبو عليّ: حجّة ابن عامر أنّ «ينشركم» مثل قوله:﴿ وبثّ فيهما[1] رجالاً كثيراً ونساءً﴾ [2] فالبثّ: تفريق ونشر، وحجّة الباقين قوله: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ [3] وقوله: ﴿فامشوا في مناكبها﴾ [4] فالمعنيان متقاربان.

امتنّ الله على خلقه في هذه الآية وعدّد نِعَمَه الّتي يفعلها بهم في كلّ حال، فقال: ﴿هو الّذي يسيّركم في البرّ والبحر﴾ وتسييره إيّاهم: أمّا في البحر فلأنّه بالريح والله المحرّك لها دون غيره، فلذلك نسبه إلى نفسه، وأمّا في البرّ فلأنّه كان بإقداره وتمكينه وتسبيبه، فلذلك نسبه إلى نفسه. و«التسيير»: التحريك في جهةٍ [تمتدّ كالسير الممدود، و «البَـرّ»: الأرض الواسعة الّتي تقطع من بلد إلى بلد، ومنه: «البِرّ»][5] لاتّساع الخير به. و«البحر»: مستقرّ الماء الواسع حتّى لا يُرى من وسطه جانباه[6] وجمعه: أبْحُر وبُحُور، ويُشَبّه به الجواد، فيقال: إنّما هو بحر لاتّساع عطائه.

وقوله: ﴿حتّى إذا كنتم في الفلك﴾ خصّ الخطاب براكبي البحر،

---

(١) كذا في الخطّيّة والحجريّة.
(٢) النساء: ١.
(٣) الأنعام: ١١، والنمل: ٦٩ وغيرهما.
(٤) الملك: ١٥.
(٥) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.
(٦) في الحجريّة: حافّتاه.

و«الفُلْك»: السُفُن، وسُمّيت فُلْكاً لدورانها في الماء، وأصله: الدور، ومنه: فَلْكَة المِغْزَل. و «الفَلَك»: الّذي تدور فيه النجوم. وتَفَلّك ثدي الجارية، إذا استدار. و «الفُلْك» هاهنا جمع، وقد يكون واحداً، كقوله: ﴿في الفُلْك المشحون﴾ (١).

وقوله: ﴿وجرين بهم بريح طيّبة﴾ عدل عن الخطاب إلى الإخبار عن الغائب، تصرّفاً في الكلام، مع أنّه خطاب لمن كان في تلك الحال وإخبار لغيره من الناس، قال لَبِيد:

باتَتْ تَشَكّىٰ إليَّ النَفْس مُجْهِشَةً وقَد حَمَلْتُكَ سَبْعاً بعدَ سَبْعينا (٢)

وقوله: ﴿وفرحوا بها﴾ يعني: بالريح الطيّبة ﴿جاءتها ريح عاصف﴾ يعني: ريحاً شديدة (٣). يقولون: عَصَفَت الريح فهي عاصِفٌ وعاصِفَةٌ، ومنهم من يقول: أعْصَفَت فهي مُعْصِفٌ ومُعْصِفَة. و«الريح» مؤنّثة وإنّما قال: ﴿عاصف﴾ لأنّه لا يوصف بذلك غير الريح، فجرى مجرى قولهم: امرأة حائض، قال الشاعر:

حتّى إذا عَصَفَت رِيحٌ مزَعْزِعَةٌ فِيها قِطَارٌ ورَعْدٌ صَوتُهُ زَجِلُ (٤)

وقوله: ﴿وجاءهم الموج من كلّ مكان﴾ معناه: جاء راكبي الفلك الأمواج العظيمة الهائلة من جميع الوجوه ﴿وظنّوا أنّهم أُحيط بهم﴾ أي: ظنّوا أنّهم هالكون لما أحاط بهم من الأمواج ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي: عند هذه الشدائد والأهوال التجأُوا إلى الله تعالى ودعوه على وجه الإخلاص،

---

(١) الشعراء: ١١٩، يّس: ٤١.

(٢) من أبيات قالها حينما بلغ السبع والسبعين سنة. راجع ديوان لَبيد بن ربيعة: ص ٢٢٥ (ذيل الديوان).

(٣) في الخطّيّة: ريح شديدة.

(٤) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٧٠ ونسبه إلى بعض بني دُبَيْر.

ولم يذكروا الأوثان والأصنام لعلمهم بأنّها لا تنفع هاهنا شيئاً وقالوا: ﴿لئن أنجيتنا﴾ يا ربّ ﴿من هذه﴾ الشدّة ﴿لنكوننّ﴾ من جملة من يشكرك لنِعَمك، ويقوم بآدابها. ويقال لمن أشرف على الهلاك: أُحيط به، ومنه قوله: ﴿وأُحيط بثَمَره﴾ (١) أي: أُهلكت.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّآ أَنجَـٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ آية بلا خلاف.

قرأ حفص: ﴿متاعَ الحياة﴾ بنصب العين، الباقون بالرفع.

مَن رفع يحتمل أمرَيْن: أحدهما: أن يكون رفعاً بأنّه خبر المبتدأ، والمبتدأ قوله: ﴿بَغيكم﴾. الثاني: أن يكون ﴿بغيكم﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿على أنفسكم﴾ خبره. ورفع ﴿متاع﴾ على تقدير: ذاك متاع الحياة الدنيا. ومن نصب فعلى المصدر.

قال أبو عليّ الفارسي: ﴿على أنفسكم﴾ يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون متعلّقاً بالمصدر، لأنّ فعله متعدّ بهذا الحرف، كما قال: ﴿بغى بعضنا على بعض﴾ (٢) وقال: ﴿ثمّ بُغي عليه لينصرنَّه الله﴾ (٣) فإذا جعلت الجار من جملة (٤) المصدر كان الخبر ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ والمعنى: بغيُ بعضكم على بعض متاع في الحياة الدنيا. ويجوز أن يجعل «على» متعلّقاً بمحذوف، ولا تجعله من صلة المصدر، ويكون خبراً للمصدر فيه ذكر يعود إلى

---

(١) الكهف: ٤٢. (٢) ص: ٢٢. (٣) الحجّ: ٦٠.

(٤) كذا في الخطّيّة والحجريّة، وفي مجمع البيان: صلة.

المصدر. والتقدير: إنّما بغي بعضكم على بعض عائد على أنفسكم، فعلى هذا يتعلّق بالمحذوف دون المصدر المبتدأ، وهو في المعنى كقوله: ﴿ولا يَحيق المكر السيّء إلّا بأهله﴾ (١) وقوله: ﴿فمن نَكَثَ فإنّما ينكث على نفسه﴾ (٢) فإذا رفعت ﴿متاع الحياة﴾ على هذا كان خبر مبتدأ محذوفٍ، كأنّك قلت: ذاك متاع الحياة الدنيا، أو: هو متاع.

ومن نصب احتمل وجهَيْن:

أحدهما: أن يجعل من صلة المصدر، فيكون الناصب للمتاع هو المصدر الّذي هو «البغي» ويكون خبر المبتدأ محذوفاً، وحَسُن ذلك لطول الكلام، لأنّ ﴿بغيكم﴾ يدلّ على «تبغون».

والآخر: أن يجعل ﴿على أنفسكم﴾ خبر المبتدأ، ويكون نصب ﴿متاع﴾ على أحد وجهَيْن: أحدهما: يمتعون متاع الحياة، فيدلّ انتصاب المصدر عليه. والآخر: أن يضمر [«يبغون» كأنّه لو أظهره لكان]: تبغون متاع الحياة الدنيا، فيكون مفعولاً له. ولا يجوز أن يتعلّق المصدر (٣) بالمصدر إذا جعلت ﴿على﴾ خبراً، لقوله: ﴿إنّما بغيكم على أنفسكم﴾ لفصلك بين الصلة والموصول (٤).

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن هؤلاء الكفّار ـ الّذين إذا رأوْا الأهوال والشدائد في الفلك والبحر فزعوا إلى الله ودعوه مخلصين له الدين وقالوا متى أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين ـ: أنّه إذا أنجاهم وخلّصهم من تلك الشدائد عادوا إلى البغي، وهو الاستعلاء بالظلم. وأصل «البغي»: الطلب، تقول: بغاه يبغيه إذا طلبه، و «البُغْيَة»: الطِلْبَة، و«النجاة»

---

(١) فاطر: ٤٣.
(٢) الفتح: ١٠.
(٣) في المصدر: المنصوب.
(٤) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٥٩ ـ ٣٦١.

التخليص من الهلاك، و «التخليص» من الاختلاط لا يسمّى نجاةً. ومعنى «لمّا» إيجاب وقوع الثاني بالأوّل، كقولك: لمّا قام قمت، ولمّا جاء زيد قام عمرو. و «الحقّ»: وضع الشيء في موضعه على ما يدعو الحقّ[١] إليه. و«الحقّ» و «الحسن» معناهما واحد.

وقوله: ﴿يا أيّها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم﴾ خطاب من الله تعالى للخلق بأنّ بغيكم على أنفسكم من حيث إنّ عقابه يلحقكم دون غيركم ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ معناه: أنّكم تطلبون بالبغي بغير الحقّ التمتّع في الحياة الدنيا ﴿ثمّ﴾ بعد ذلك ترجعون إلى الله بعد موتكم فيجازيكم بأعمالكم بعد أن يُعلمكم ما عملتموه وما استحققتم به من أنواع العقاب. وقال مقاتل: معنى ﴿يبغون في الأرض بغير الحقّ﴾: يعبدون غير الله. وقال غيره: معناه: كلّما أنعمنا عليهم بغوا للدين[٢] وأهله الغوائل.

قوله تعالى:

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ آية بلا خلاف .

«المثل» قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأوّل، وقيل: ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ صفة الحياة الدنيا. وقيل في المشبّه والمشبّه به في الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الجُبّائي: إنّه تعالى شبّه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه الله تعالى في الاغترار به والمصير إلى الزوال كالنبات الّذي يصير إلى مثل ذلك. الثاني: إنّه شبّه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الإمتاع[٣] ثمّ

(١) في الحجريّة: العقل. (٢) في الخطّيّة: الدين. (٣) في هامش الحجريّة: الانتفاع.

الانقطاع. الثالث: إنّه شبّه الحياة الدنيا بحياة مقدّرة على هذه الأوصاف، لما يقتضيه ﴿وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها﴾ أي: علموا الانتفاع بها.

وقوله: ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ فالاختلاط: تداخل الأشياء بعضها في بعض، فربما كان على صفة مدح، وربما كان على صفة ذمّ.

وقوله: ﴿حتّى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ فالزُخرُف: حسن الألوان كالزَهر الّذي يروق البصر، ومنه قيل: زخرفت الجنّة لأهلها.

وقوله: ﴿وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها﴾ معناه: ظنّوا أنّهم قادرون على آستصحاب تلك الحال منها ـ جعلها على غير شيء منها ـ لأنّ القادر عليهم وعليها أهلكها.

وقوله: ﴿وازّيّنت﴾ أصله: «تَزَيّنَت» فأدغمت التاء في الزاي وأُجتلبت الهمزة لإمكان النطق بها. وقرأ الأعْرَج وغيره: ﴿وأزْيَنَت﴾ على وزن: «أفْعَلَت» والأوّل أجود لأنّ عليه القُرّاء.

وقوله: ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ معناه: كأن لم تقم على تلك الصفة فيما قبل، يقال: غَنِيَ بالمكان إذا أقام به، و «المَغَاني»: المنازل، قال النابغة:

غَنِيَتْ بذلكَ إذْ هُمُ لكَ جِيرَةٌ   مِنها بعَطْفٍ رسالةٍ وتَوَدُّدِ[1]

وقوله: ﴿كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكّرون﴾ معناه: مثل ذلك نميّز الآيات ونبيّنها لقوم يفكّرون فيها ويعتبرون بها، لأنّ من لا يفكّر فيها ولا يعتبر بها كأنّها لم تُفصّل له، فلذلك خصّصهم بالذكر.

قوله [تعالى]:

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ آية بلاخلاف.

---

(١) من قصيدة طويلة يذكر زوجة النعمان وعفافها. راجع ديوان النابغة الذبياني: ص ١٤٤.

أخبرالله تعالى بأنّه الّذي ﴿يدعو﴾ عباده ﴿إلى دار السلام﴾ و «الدعاء»: طلب الفعل بما يقع لأجله. والداعي إلى الفعل خلاف الصارف عنه، وقد يدعو إليه باستحقاق المدح عليه. والفرق بين «الدعاء» و «الأمر»: أنّ في «الأمر» ترغيباً في الفعل وزجراً عن تركه، وله صيغة تنبئ عنه، وليس كذلك «الدعاء» وكِلَاهما طَلَب، وأيضاً «الأمر» يقتضي أن يكون المأمور دون الآمر في الرتبة، و «الدعاء» يقتضي أن يكون فوقه.

وفي معنى ﴿دار السلام﴾ قولان: أحدهما: قال الحسن: السلام هو الله، وداره الجنّة. وبه قال قَتَادَة. الثاني: قال الجُبّائي والزجّاج: معناه: دارالسلامة.

وقوله: ﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ قيل في معنى الهداية هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: يفعل الألطاف الّتي تدعوهم إلى طريق الحقّ لمن كان المعلوم أنّ له لطفاً.

الثاني: الأخذ بهم في الآخرة إلى طريق الجنّة.

الثالث: قال أبو عليّ: يريد به نصب الأدلّة لجميع المكلّفين دون الأطفال والمجانين.

و «الاستقامة»: المرور في جهةٍ تؤدّي إلى البغية، فالأدلّة طرق إلى العلم على الاستقامة لأنّها تؤدّي إليه.

قوله [تعالى]:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى بأنّ للّذين يفعلون الحسن من الطاعات الّتي أمرهم الله

بها جزاء على ذلك ﴿الحسنى﴾ وهي الجنّة ولذّاتها، وقيل: جامعة المحاسن من السرور واللّذات على أفضل ما يكون، وهي تأنيث «الأحسن».

وقوله: ﴿وزيادة﴾ معناه: أنّ لهم زيادة التفضّل على قدر المستحقّ على طاعاتهم من الثواب، وهي المضاعفة المذكورة في قوله: ﴿فله عشر أمثالها﴾ [(١)] ذهب‌إليه ابن‌عبّاس والحسن ومجاهد وقَتادَة وعَلْقَمة بن قيس.

وقال أبو جعفر عليه‌السلام: ﴿وزيادة﴾ معناه: ما أعطاهم الله في الدنيا لايحاسبهم به في الآخرة[(٢)].

وقوله: ﴿ولا يرهَق وجوههم قَتَر ولا ذلّة﴾ فالرَهَق: لحاق الأمر، ومنه: راهَقَ الغلام إذا لَحِقَ حال‌الرجال، ورَهِقَه‌في‌الحرب: إذا أدركه، و«الرّهَاق»: الإعجال. و «القَتَر»: الغبار، والقَتَرَة: الغَبَرَة، ومنه: الإقتار في النَفَقَة لقلّته، قال الشاعر:

مُــتَوّجٌ بــرِدَاءِ المُــلْكِ يَــتْبَعُهُ   مَوْجٌ تَرَى فَوقَهُ الراياتِ والقَتَرا[(٣)]

و «الذلّة»: صغر النفس بالإهانة، و «الذلّة» نقيض «العزّة» وقد يكون صغر النفس بضيق المقدرة.

وقوله: ﴿أُولئك أصحاب الجنَّة هم فيها خالدون﴾ إخبار منه تعالى بأنّ الّذين وصفهم هم الملازمون للجنّة على وجه الخلود والنعيم فيها، ولا زوال لذلك عنهم.

قوله [تعالى]:

وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ

---

(١) الأنعام: ١٦٠.
(٢) تفسير القمّي: ج ١ ص ٣١١.
(٣) للفرزدق، من قصيدة يمدح بشر بن مروان. راجع ديوان الفرزدق: ج ١ ص ٣٩١ وفيه: «معتصبٌ» بدل «متوّج».

عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ آية بلا خلاف .

لمّا وصف الله تعالى المطيعين، وما لهم من الثواب الجزيل في الجنّة والخلود فيها، ذكر حكم العُصَاة والّذين يرتكبون السـيّئات ويكـتسبونها وأنّ لهم جزاء كلّ سيّئة مِثْلها، يعني: قدر ما يستحقّ عليها من غير زيادة، لأنّ الزيادة على قدر المستحقّ من العقاب ظلم، وليس كذلك الزيادة على قدر المستحقّ من الثواب، لأنّ ذلك تفضّل يحسن فعله ابتداءً.

فالمِثْل في الآية المراد به: مقدار المستحقّ من غير زيادة ولا نقصان، و «الكسب»: كلّ فعل يجتلب به نفع أو يدفع بـه ضـرر، وقـد يكـتسب الإنسان الحسنة والسيّئة، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالكسب.

وقوله: ﴿وترهقهم ذلّة﴾ أي: يلحقهم هوان في أنفسهم. ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾ أي: ما لهم مانع من عقاب الله.

وفي رفع ﴿جزاء﴾ في الآية وجهان:

أحدهما: أنّ تقديره: فلهم جزاء سيّئة بمِثْلها، ليشاكل ﴿للّذين أحسنوا﴾.

والآخر: أن يكون الخبر ﴿بمثلها﴾ والباء زيادة، كزيادتها في قول الشاعر [١].

وقـوله: ﴿كأنّما أُغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً﴾ شـبّه سـواد وجوههم بقِطَعٍ من الليل المظلم. وإنّما ذكّر ووحّد «مظلم» لأحد أمرَيْن:

أحدهما: أن يكون حالاً من ﴿الليل﴾ . والثاني: على قول الشاعر:

لَو أنّ مِدْحَةَ حيٍّ تُـنْشِرنَ أحـداً ‏ ‏ ‏ ‏ أحيا أباكُـنّ يـا لَـيْلى الأمـادِيحُ

و«القطع» قرأه بتسكين الطاء ابن كثير والكسائي، الباقون بالتحريك.

---

(١) في الخطّيّة: الشعر.

وهما لغتان.

وقوله: ﴿أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ إخبار منه تعالى بأنّ من وصفه ملازمون للنار خالدون فيها، غير زائل عنهم عذابها.

قال أبوعُبَيْدة: ﴿قِطَعاً من الليل﴾ جمع قطعة «من الليل» وهو بعض الليل، تقول: أتيته لقطع[١] من الليل، أي: ساعة من الليل، وقِطَعٌ وأقطاعٌ[٢]. وقال أبو عليّ: «القطع» الجزء من الليل الّذي فيه ظلمة[٣].

فأمّا قوله: ﴿مظلماً﴾ إذا أجريته على «قطع» فيحتمل نصبه وجهَيْن:

أحدهما: أن يكون صفة من «القطع» وهو أحسن، لأنّه على قياس قوله: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾[٤] وصفت «الكتاب» بالمفرد بعد ما وصفته بالجملة وأجريته على النكرة.

و[الثاني]: يجوز أن يكون حالاً من [الذكر] الّذي في الظرف. ومَن قرأ: ﴿قطعاً﴾ لم يكن ﴿مظلماً﴾ صفة للقطع ولا حالاً من الذكر الّذي في قوله: ﴿من الليل﴾ ولكن يكون حالاً من الليل والعامل في الحال مايتعلّق به من الليل. والتقدير كأنّما أُغشيت وجوههم قطعاً من الليل المظلم، فلمّا حذف الألف واللام نصب على الحال.

قوله [تعالى]:

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه يوم يحشر الخلائق أجمعين، و«الحشر»: هو الجمع من كلّ أوْب إلى الموقف، وإنّما يقومون من قبورهم

---

(١) في المصدر: «بقطع».
(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٨.
(٣) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٦١.
(٤) الأنعام: ٩٢ و١٥٥.

إلى أرض الموقف ﴿ثمّ نقول للّذين أشركوا﴾ يعني: مَن أشرك مع الله في عبادته غيره. و «المشرك» بالإطلاق لا يقال إلّا فيمن أشرك في العبادة، لأنّها صفة ذمّ مثل: «كافر» و «ظالم».

وقوله: ﴿مكانكم﴾ معناه: انتظروا مكانكم فـ﴿جميعاً﴾ نصب على الحال، و ﴿مكانكم﴾ نصب على الأمر، كأنّه قال: انتظروا مكانكم حتّى نُفصل بينكم. ويقول المتوعّد لغيره: مكانك فانتظر، يستعمل ذلك في الوعيد.

وقوله: ﴿أنتم وشركاؤكم﴾ يعني: انتظروا أنتم مع شركائكم الّذين عبدتموهم من دون الله.

وقوله: ﴿فزيّلنا بينهم﴾ مأخوذ من قولهم: زِلْتُ الشيء عن مكانه أزِيلُه ـ و «زَيّلنا» للكثرة من هذا ـ إذا نحّيته عن مكانه، وزَايَلْت فلاناً: إذا فارَقْته. وقال القُتَيْبي: هو مأخوذ من: زَالَ يزوُلُ. وهو غلط وخلاف لقول جميع المفسّرين وأهل اللغة. و «التزييل»: التفريق. والمعنى: فرّقنا بين المشركين بالله وما أشركوا به.

وقوله: ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيّانا تعبدون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد: إنّه ينطق الأوثان يوم القيامة فتقول: ما كنّا نشعر بأنّكم إيّانا تعبدون. والثاني: إنّ ذلك قول من كانوا يعبدونهم من الشياطين.

وفي كيفيّة جحدهم لذلك قولان:

أحدهما: إنّهم يقولون ذلك على وجه الإهانة بالردّ عليهم، والمعنى: ما اعتذرنا بذلك لكم. والآخر: إنّه في حال دهشٍ، ككذب الصبيّ.

وقال الجُبّائي: يريدون[1]: أنّكم لم تعبدونا بأمرنا ودعائنا، ولم يرد[2]: أنّهم لم يعبدوها أصلاً، لأنّ ذلك كذب وهو لا يقع في الآخرة، لكونهم

(١ و ٢) كذا في الخطّيّة والحجريّة.

ملجئين إلى ترك القبيح.

وهذه الآية نظيرة قوله: ﴿إذ تبرّأ الّذين اتُّبِعوا من الّذين اتَّبعوا﴾ [(١)]. وكان مجاهد يقول: الحشر هاهنا هو الموت. والأوّل [(٢)] أولى.

قوله [تعالى]:

فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ آية بلاخلاف.

هذا إخبار من‌الله تعالى عن‌شركاء‌المشركين ـ من الآلهة والأوثان يوم القيامة حين قال المشركون: إنّا إنّما إيّاكم كنّا نعبد، وأنّهم يجحدون ذلك ويقولون حسبنا الله شاهداً بيننا وبينكم أيّها المشركون ـ بأنّه تعالى عالم أنّا ما علمنا ما تقولون، وأنّا كنّا عن عبادتكم إيّانا غافلين، لا نشعر به ولا نعلمه.

وإنّما قال: ﴿شهيداً بيننا﴾ ولم يقل: علينا، لأنّه إذا قال: «بيننا» فمعناه: لنا وعلينا، فهو أعمّ وأحسن. ونصب ﴿شهيداً﴾ على التمييز، وتقديره: وكفى بالله من الشهداء. وقال الزجّاج: نصب على الحال وتقديره: كفى بالله في حال الشهادة [(٣)].

وقوله: ﴿إن كنّا﴾ فهذه ﴿إنْ﴾ المخفّفة عن الثقيلة بدلالة دخول اللام في الخبر، للفرق بين «إن» الجحد وبين «إن» المؤكّدة. وقال الزجّاج: هي بمعنى «ما» ومعناه: ما كنّا عن عبادتكم إلّا غافلين [(٤)].

قوله [تعالى]:

هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً ﴿تتلوا﴾ بالتاء من: التلاوة، الباقون بالباء.

---

(١) البقرة: ١٦٦.

(٢) وهو الّذي ذكره المصنّف في أوّل الشرح.

(٣ و ٤) معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ١٦.

مَن قرأ بالباء فمعناه: تختبر، من قوله: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيّئات﴾ (١) أي: اختبرناهم، ومنه قولهم: البلاء ثمّ الثناء، أي: الاختبار للمثنى عليه ينبغي أن يكون قبل الثناء ليكون عن علمٍ بما يوجبه، ومعنى «اختبار النفس ما أسلفت»: إن قدّم خيراً أو شرّاً جزي عليه، كما قال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾ (٢) وغير ذلك.

ومَن قرأ بالتاء فمن التلاوة، ويقوّي ذلك قوله: ﴿فأُولئك يقْرَءون كتابهم﴾ (٣) وقوله: ﴿اقرأ كتابَكَ﴾ (٤) وقوله: ﴿ورسلنا لديهم يكتبون﴾ (٥) ويكون «تتلو» بمعنى: تتبع، ويكون المعنى: هنالك تتبع كلّ نفسٍ ما أسلفت من حسنة وسيّئة، فمن أحسن جُوزِي بالحسنات ومَن أساء جُوزِي به، فعلى هذا يكون المعنى مثل قراءة مَن قرأ بالباء. وقال ابن زيد: معنى «تتلو» : تعاين. وقال الفرّاء: معناه: تقرأ (٦). وقال غيره (٧): تتبع. وقال ابن عبّاس: معنى «تتلو»: تخبر. قال الشاعر:

قَد جَعَلَتْ دَلْوِيَ تَستَتْلِيني ... ولا أُحبُّ تَبَعَ القَرِينِ (٨)

أي: تتبعني من ثقلها. [ومعنى ﴿هنالك﴾: في ذلك المكان، وهو ظرف، فـ «هنا» للقريب] (٩) و «هنالك» للبعيد، و «هناك» لما بينهما، قال زُهَيْر:

هُنالكَ إن يُستَخْبَلوا المالَ يُخْبِلوا
وإن يُسألوا يُعطوا وإن يَيسرُوا يُغلوا (١٠)

(١) الأعراف: ١٦٨. (٢) الزلزلة: ٧ و ٨. (٣) و (٤) الإسراء: ٧١ و ١٤ على الترتيب.
(٥) الزُخرف: ٨٠. (٦) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٦٣.
(٧) قاله السدّي. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٤٣٤.
(٨) أنشده الزجّاج في معانيه: ج ٣ ص ١٧ ولم ينسبه لأحد.
(٩) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة، أثبتناه من الحجريّة.
(١٠) من قصيدة يمدح سنان بن أبي حارثة. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٦٢.

و«الإسلاف» : تقديم أمرٍ لما بعده، فمَن أسلف الطاعة لله جزي بالثواب، ومَن أسلف المعصية جُزي بالعقاب.

وقوله: ﴿وردّوا إلى الله﴾ فالردّ: هو الذهاب إلى الشيء بعد الذهاب عنه، فهؤلاء ذهبوا عن أمر الله فأُعيدوا إليه، و «الردّ» و «الرجع» نظائر. ويجوز أن يكون الردّ(١) بمعنى «النشأة الثانية» وهو الأليَق هاهنا.

وقوله: ﴿مولاهم الحقّ﴾ فالمولى: المالك للعبيد، ومعناه: مالكهم لأنّه يملك تولّي أمرهم، وهو أملك بهم من أنفسهم.

وقوله: ﴿وضلّ عنهم ماكانوا يفترون﴾ يعني: ماكانوا يدعونهم ـ بافترائهم من الشركاء ـ مع الله يضلّ عنهم يوم القيامة ويبطل.

قوله [تعالى]:

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول لهؤلاء الكفّار وغيرهم من خلقه: ﴿مَن يرزقكم من السماء﴾ بإنزال المطر والغيث ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ بإخراج النبات وأنواع الثمار. و «الرزق»: العطاء الجاري، يقال: رزق السلطان الجند، إلّا أنّ كلّ رزق فالله رازق به، لأنّه لو لم يطلقه على يد الإنسان لم يجئ منه شيء، والواحد منّا يرزق غيره إلّا أنّه لا يطلق اسم «رازق» إلّا على الله، كما لا يقال: «ربّ» بالإطلاق إلّا في الله، وفي غيره يُقيّد فيقال: ربّ الدار، وربّ الفرس، ويُطلَق فيه لأنّه يملك الجميع غير مُملّك،

(١) في الخطّيّة: المراد.

وكذلك هو تعالى رازق الجميع غير مرزوق. ولا يجوز أن يخلق الله حيواناً يريد تبقيته إلّا ويرزقه، لأنّه إذا أراد بقاءه فلابدّ له من الغذاء، فإن لم يرد تبقيته كالّذي يولد ميّتاً فإنّه لا رزق له في الدنيا.

وقوله: ﴿أم من يملك السمع والأبصار﴾ يعني: من الّذي له التصرّف فيها بلا مانع يمنعه منها، وإن شاء أصحّها وإن شاء أمرضها؟ ﴿ومن يُخرج الحيّ من الميّت﴾ معناه: مَن الّذي يخلق الحيوان ويُخرجه من أُمّه حيّاً سويّاً إذا ماتت أمّه ﴿ويُخرج الميّت من الحيّ﴾ يعني: من يُخرجه غير تامّ ولا بالغ حدّ الكمال؟ وقيل: معناه: أنّه يُخرج الحيّ من النطفة وهي ميّتة، ويُخرج النطفة من الحيّ. وقيل: يُخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن[١].

﴿ومن يدبّر الأمر﴾ أي: ومن الّذي يدبّر جميع الأُمور في السماء والأرض؟ فإنّه ليس جواب ذلك لمن أنصف ولم يكابر إلّا أن يقول: الله الفاعل لجميع ذلك، وإذا قالوا ذلك وآعترفوا به قيل لهم: ﴿أفلا تتّقون﴾ معناه: فهلّا تتّقون خلافه وتحذورن معاصيه؟

وفي الآية دلالة على التوحيد، لأنّ ما ذكره في الآية يوجب أنّ المدبّر واحد، لأنّه لا يجوز أن يقع ذلك اتفاقاً، لإحالة العقل ذلك، ولا يجوز أن يقع ذلك بالطبيعة، لأنّها في حكم الموات لو كانت معقولة، فلم يبق بعد ذلك إلّا أنّ[٢] الفاعل لذلك قادر عالم يدبّره على ما يشاء، وهو الله تعالى، مع أنّ الطبيعة مدبّرة ـ مفعولة ـ فكيف تكون هي المدبّرة؟

وإنّما دخلت «أم» على «مَن» لأنّ «مَن» ليست أصل الاستفهام، بل أصله الألف، فلذلك جاز الجمع بينهما.

---

(١) تقدّمت الأقوال فيها ضمن تفسير الآية: ٢٧ من سورة آل عمران.

(٢) في الخطّية: لأنّ، بدل «إلّا أنّ».

قوله [تعالى]:

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ آية بلا خلاف .

«ذلك» إشارة إلى اسم الله الّذي ذكره في الآية الأولى، ووصفه بأنّه الّذي يُخرج الحيّ من الميّت، والميّت من الحيّ، ويرزق الخلق من السماء والأرض. والكاف والميم [للمخاطبين]، وإنّما جمع لأنّه أراد جميع الخلق، فأخبر الله تعالى أنّ الّذي وصفه في الآية الأولى هو ﴿الله ربّكم﴾ الّذي خلقكم ويملك تصرّفكم، وإنّما وصفه بأنّه ﴿الحقّ﴾ لأنّ له معنى الالهيّة دون غيره من الأوثان والأصنام، وهو الربّ تعالى وحده.

وقوله تعالى: ﴿فماذا بعد الحقّ إلّا الضلال﴾ صورته صورة الاستفهام، والمراد به التقرير على موضع الحجّة، لأنّه لا يجد المجيب محيداً عن الإقرار به إلّا بذكر ما لا يُلْتَفَت إليه، وكلّما تدعو إليه الحكمة على اختلافه فهو حقّ. والمراد به ليس بعد الإقرار بالحقّ والانقياد له إلّا الضلال والعدول عنه.

وقوله: ﴿فأنّى تصرفون﴾ أي: كيف تُصرَفون وتعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على أنّه لا معبود سواه؟ و «الصرف»: هو الذهاب عن الشيء، فالصرفُ عن الحقّ ذهابٌ إلى الباطل، وقد أنكر الله ذلك. وفيه دلالة على أنّه مِن فعل غيره من الغُوَاة، لأنّه لو كان مِن فعله لَمَا أنكره، كما لم ينكر شيئاً من أفعال نفسه.

قوله [تعالى]:

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ آية بلاخلاف.

قرأ أهل المدينة وابن عامر: ﴿كلمات﴾ هاهنا وفي آخرها[1] وفي

---

(١) في الآية ٩٦ التالية.

المؤمن[(١)] على الجمع، الباقون على التوحيد.

قال أبو عليّ: مَن قرأ على التوحيد احتمل ذلك وجهَيْن:

أحدهما: أن يكون جعل ما أُوعد به الفاسقون[(٢)] كلمةً، وإن كانت في الحقيقة كلمات، لأنّهم قد يسمّون القصيدة والخطبة كلمةً، فكذلك ما ذكرناه.

والثاني: أن يريد بذلك الجنس، وقد أوقع على بعض الجنس كما أوقع اسم الجنس على بعضه في قوله: ﴿وإنّكم لتمرُّون عليهم مصبحين * وباللیل﴾[(٣)].

ومَن جمع فإنّه جعل الكلم الّتي توعدوا بها كلّ واحدة منها كلمة، ثمّ جمع فقال: كلمات.

وأمّا قوله: ﴿وكلمة الله هي العليا﴾[(٤)] فيجوز أن يكون عنى بها قوله: ﴿كتب الله لأغلبنَّ أنا ورُسُلي﴾[(٥)] كما فسّر قوله: ﴿وألْزَمَهم كلمةَ التقوى﴾[(٦)] أنّه لا إله إلّا الله، ذكره مجاهد[(٧)].

والكاف في قوله: ﴿كذلك﴾ في موضع نصب، والتقدير: مثل أفعالهم جازاهم ربُّك. وقيل في المشبّه به في ﴿كذلك حقّت كلمة ربّك﴾ قولان:

أحدهما: المعنى في أنّه ليس بعد الحقّ إلّا الضلال، فشبّه به كلمة الحقّ بأنّهم[(٨)] لا يؤمنون في الصحّة. الثاني: ما تقدّم من العصيان شبّه به الجزاء بكلمة العذاب في الوقوع على المقدار.

وإنّما أطلق في الّذين فسقوا أنّهم لا يؤمنون لأنّه أُريد به الّذين تمرّدوا في كفرهم، و ﴿أنّهم﴾ في موضع نصب على قول الفرّاء، والتقدير:

---

(١) الآية: ٦. (٢) في الحجريّة: الفاسقين. (٣) الصافات: ١٣٧ و١٣٨.
(٤) التوبة: ٤٠. (٥) المجادلة: ٢١.
(٦) الفتح: ٢٦. (٧) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤. (٨) في الخطّيّة: فإنّهم.

بأنّهم أو لأنّهم لا يؤمنون [فحذف الجارّ فانتصب الموضع[(١)] وقال الزجّاج: معناه حقّ عليهم أنّهم لا يؤمنون[(٢)]][(٣)] فقوله: بـ﴿أنّهم لا يؤمنون﴾ بدل من ﴿كلمة ربّك﴾ فعلم الله أنّهم بأعمالهم قد منعوا من الإيمان، وجائز أن تكون الكلمة: ما وعدوا به من العقاب. و «الفسق» في الشرع: هو الخروج في المعصية إلى الكبيرة، فإن كانت كفراً فالخروج إلى أكبره، وكذلك إن كانت منع حقّ.

وفائدة الآية: الإبانة عن الحال الّتي لا يفلح صاحبها ليحذر من مثلها، لأنّه قد يكون في المعلوم أنّه من بلغ ذلك الحدّ لم يفلح، قال: وأصل المعنى: حقّت كلمة ربّك أنّ الفُسّاق والكفّار ماداموا كفّاراًفُسّاقاًفلا يكونون مؤمنين. وقال الجُبّائي: معناه: وجدانكم إيّاهم على الكفر والإصرار عليه دليل على أنّ ما أخبر الله تعالى عنهم بأنّهم لا يؤمنون حقٌّ وصِدْق.

قوله [تعالى]:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (٣٤) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول لهؤلاء الكفّار الّذين اتّخذوا معه آلهة يعبدونها: ﴿هل من شركائكم من يبدؤ الخلق﴾ بأن يُنشِئهم ويخترعهم ﴿ثمّ﴾ إذا أماتهم يعيدهم ويحييهم؟ لينبئهم بذلك على أنّه لا يقدر على ذلك إلّا الله القادر لنفسه الّذي لا يعجزه شيء. وقيل في معنى ﴿شركائكم﴾ قولان:

أحدهما: [إنّهم] الّذين جعلوهم شركاء في العبادة. الثاني: الّذين جعلوهم شركاء في أموالهم من أوثانهم، كما قالوا: ﴿قالوا هذا لله بزعمهم

---

(١) انظر معاني القرآن: ج ١ ص ٤٦٣.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ١٨.
(٣) مابين المعقوفتين، لم يرد في الحجريّة.

وهذا لشركائنا﴾[١].

و«الإعادة»: إيجاد الشيء ثانياً، وقال لنبيّه: ﴿قل﴾ لهم ﴿الله﴾ تعالى القادر لنفسه هو الّذي ﴿يبدؤ الخلق﴾ فيُنْشِئهم ثمّ يميتهم ثمّ يعيدهم، لا يعجزه شيء عن ذلك.

وقوله: ﴿فأنّى تؤفكون﴾ معناه: أنّى تُصرفون عن الحقّ وتقلبون عنه، ومنه: «الإفك» و «الكذب» لأنّه قلب المعنى عن جهته.

قوله [تعالى]:

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً ﴿يَهْدي﴾ بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال، وقرأه أهل المدينة إلّا وَرْشاً بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال، وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ووَرْش بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، إلّا أنّ السوسي من طريق ابن حُبَيْش لا يشبع فتحة الهاء، وكذلك روى الحماني عن شجاع، وقرأه يعقوب وحفص والأعشى والبُرْجُمي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال. ورواه أبوبكر إلّا الأعشىٰ والبُرجُمي بكسر الياء والهاء وتشديد الدال.

قال أبو عليّ: مَن قرأ ﴿يَهَدّي﴾ بفتح الياء والهاء وتشديد الدال فقد نسبهم إلى غاية الذهاب عن الحقّ في معادلتهم الآلهة بالله تعالى، ألا ترى أنّ المعنى: أفَمَن يهدي غيره إلى طريق التوحيد والحقّ أحقّ أن يُتّبع أم

(١) الأنعام: ١٣٦.

من لا يهتدي هو إلّا أن يُهدى، والتقدير: أفَمن يهدي غيره، فحذف المفعول الثاني. فإن‌قيل: هذه الّتي اتّخذوها آلهة لاتهتدي وإن هديت، لأنّها موات من‌حجارة وأوثان ونحوذلك؟ قيل: تقدير الكلام على أنّها إن‌هديت اهتدت وإن لم تكن في الحقيقة كذلك لأنّهم لمّا اتّخذوها آلهةً عبّر عنها كما يعبّر عن‌الّذي يجب‌له العبادة، كماقال: ﴿ويعبدون من دون‌الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون﴾[1] وقال: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾[2] فأجرى عليه اللفظ كما يجري على من يعلم، كأنّه قال: أم من لا يهدي إلّا أن يُهدى، أي: أم من لا يعلم حتّى يُعلم، ومن لا يستدلّ على شيء حتّى يُدلّ [عليه][3]، وإن كان لو دُلّ أو أُعلِم لم يعلم ولم يستدلّ[4].

وأراد الله بذلك تعجيبهم من أنفسهم وتبيين جهلهم وقلّة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر العالم.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿أم من لا يَهْدي﴾ معناه: أم من لا يَهْدي غيره ولكن يُهدى، أي: لا يعلم شيئاً ولا يعرفه ولكن يُهدى، أي: لا هداية له، ولو هُدِي أيضاً لم يهتد، غير أنّ اللفظ جرى عليه كما قلناه فيما تقدّم.

ومَن شدّد فلأنّ أصله: «يهتدي» فأدغم التاء في الدال، ومَن حرّك الهاء ألقى حركة الحرف المُدْغَم على الهاء لأنّها من كلمة واحدة، ومَن كسر الهاء لم يلق الحركة تشبيهاً بالمنفصل وكسر الهاء لالتقاء الساكنين، ومَن سكّن الهاء جمع بين الساكنَيْن، ومَن أشمّ فلأنّ الإشمام في حكم التحريك، ومَن كسر الياء أتبع الياء ما بعدها من الكسر لأنّ أصله: يفتعل.

---

(١) النحل: ٧٣.
(٢) فاطر: ١٤.
(٣) من المصدر.
(٤) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ (بتلخيص).

وقال قوم: معنى ﴿أم من لا يهدّي إلّا أن يُهدى﴾: لا يتحرّك حتّى يُحرَّك.

أمر الله تعالى نبيّه أن يقول أيضاً لهؤلاء الكفّار الّذين آتّخذوا مع الله شركاء في العبادة: ﴿هل من شركائكم﴾ الّذين تعبدونهم من دون الله، أو تشركون بينهما في العبادة ﴿من يهدي﴾ غيره ﴿إلى الحقّ﴾ وإلى طريق الرشاد؟ ثمّ قال: ﴿قل﴾ يا محمّد ﴿الله يهدي للحقّ﴾ وأفعال الخير، ثمّ قال: ﴿أفمن يهدي﴾ غيره ﴿إلى الحقّ﴾ وإلى الصراط المستقيم أولى ﴿أن يُتّبع﴾ ويُقْبل قوله ﴿أم من لا يَهتدي إلّا أن يُهدى﴾ أي: إلّا بعد أن يُهدى؟ وحُكي عن البلخي أنّه قال: «هدى» و «آهتدى» بمعنىً واحد.

وقوله: ﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ أي: بما تدعونه من عبادة ـ من دون الله ـ فالهداية: المعرفة بطريق الرشاد من الغيّ، فكلّ هداية قائدة في سلوك طريق النجاة بدلاً من طريق الهلاك. وقال الزجّاج ﴿مالكم﴾ كلام تام، كأنّه قال: أيّ شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثمّ قال لهم: ﴿كيف تحكمون﴾ على أيّ حال فموضع ﴿كيف﴾ نصب بـ ﴿تحكمون﴾[1]. ويقال: هديته للحقّ وإلى الحقّ، بمعنىً واحد.

قوله [تعالى]:

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أنّه ليس ﴿يتّبع﴾ أكثر هؤلاء الكفّار إلّا الظنّ الّذي لا يجزي شيئاً، من تقليد آبائهم ورؤسائهم، ثمّ قال تعالى: ﴿إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً﴾ لأنّ الحقّ إنّما ينتفع به من عرفه وعلمه حقّاً، لأنّ الظنّ حقيقته: ما قوّى كون المظنون عند الظانّ على ما ظنّه مع تجويز أن يكون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٢٠.

على غيره، فإذا كان معه تجويز كون‌المظنون على‌خلاف ما ظنّه فلا يكون مثل العلم. وقد يكون للظنّ حكم إذا قام على ذلك دليـل إمّـا عـقلي أو شرعي، ويكون صادراً عن أمارات معروفة بـالعادة والخـبر، أو ردّه إلى نظيره عند مَن قال بالقياس، وكلّ ذلك إذا اقترن به دليل يوجب العمل به، وكلّ موضع يمكن أن يقوم عليه دليل ويعلم صحّته من فساده فلا يجوز أن يعمل فيه على الظنّ، لأنّه بمنزلة مَن ترك العلم وعمل على ظنّ غيره.

وقوله: ﴿إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً﴾ معناه: أنّه لا يقوم مقام العلم مع وجوده أو إمكان وجوده، وإنّما يعبد الله في الشرع في مواضع بالرجوع إلى الظنّ مع أنّه كان يمكنه أن ينصب عليه دليلاً يوجب العلم، لما فـي ذلك من المصلحة.

وقوله: ﴿إنّ الله عليم بما يفعلون﴾ فيه ضرب من التهديد، لأنّه أخبر أنّه تعالى يعلم ما يفعلونه، ولا يخفى عليه شيء منه فيجازيهم على جميعه: على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب.

قوله [تعالى]:

وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ آية بلا خلاف .

نفى الله تعالى في هذه الآية أن يكون ﴿هذا القرآن﴾ الّذي أنزله على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله مفترىً ﴿من دون الله﴾ و «الافتراء»: الإخبار على القـطع بالكذب، وهو مأخوذ من: فَرْي الأديم، وهو قَطْعه بعد تقديره. و «القرآن»: عبارة عن هذا الكلام الّذي هو في أعلى طبقات البلاغة مع حسن النظام والجزالة، وكلّ شيء [منه] فيه فائدة، وكلّ فصل منه فيه فائدة أُخرى.

وقوله: ﴿ولكن تصديق الّذي بين يديه﴾ شهادة من الله له بأنّـه صـدق

وبأنّه شاهد لما تقدّم من التوراة والإنجيل والزبور بأنّها حق، وشاهد أيضاً من حيث إنّه مصدّق لها، إذ[١] جاء على ما تقدّمت البشارة به فيها. وقيل: مصدّق لما بين يديه من البعث والنشور والجزاء والحساب .

وقوله: ﴿وتفصيل الكتاب﴾ أي: تبيين الفصل من المعاني الملتبسة حتّى يظهر كلّ معنىً على حقّه، و «التفصيل» و «التمييز» و «التقسيم» نظائر، وضدّه: «التلبيس» و «التخليط». وقوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي: لا شكّ فيه ﴿من ربّ العالمين﴾ أي: نازل من عند مالك العالمين. وقيل: أنّ معنى ﴿تفصيل الكتاب﴾ أي: تفصيل الفروض الشرعية، و﴿الكتاب﴾ هاهنا: الفروض.

وقال الفرّاء: معنى ﴿وما كان هذا القرآن أن يُفترى﴾ أي: لا ينبغي أن يكون افتراءً، كما قال تعالى: ﴿وما كان لنبيّ أن يغلّ﴾[٢] أي: لا ينبغي له[٣]. وقال غيره: تقديره: وما كان هذا القرآن مفترىً[٤].

قوله [تعالى]:

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ آية بلا خلاف .

معنى ﴿أم﴾ هاهنا: تقرير على موضع الحجّة بعد مضيّ حجّةٍ أُخرى، وتقديره: بل أتقولون افتراه، فألزموا على هذا الأصل الفاسد إمكان أن يأتوا بمثله.

وقوله: ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ صورته صورة الأمر والمراد به التحدّي بإتيان سورةٍ، وهو إلزام لهم على أصلهم، إذ أصلهم فاسد يوجب عليهم أن

(١) في الخطّيّة والحجريّة، بدل «إذ جاء»: إذا جاء، لعلّ الصواب ما أثبتناه.
(٢) آل عمران: ١٦١.
(٣) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٦٤.
(٤) معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٢٠.

يأتوا بسورةٍ مثله. فالتحدّي يطلب ما يوجبه أصلهم عليهم، وقوله: ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ معناه: سورة منه. وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّ فيه حذفاً، وتقديره: فاتوا بسورةٍ مثل سورته، ذكره بعض البصريّين. والآخر: ائتوا بسورةٍ مثله في البلاغة، وهو أحسن الوجهَيْن.

و «السورة» منْزَلَة محيطة بآيات الله كإحاطة سور البناء من أجل الفاتحة والخاتمة، وكلّ منْزَلَة من سورة البناء محيطة بما فيها.

وقوله: ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ معناه: ادعوهم إلى المعاونة على المعارضة بسورةٍ مثله، أي: استعينوا بكلّ مَن قدرتم عليه. و«الاستطاعة»: حالة للحيّ تنطاع بها الجوارح للفعل، وهي مأخوذة من «الطوع». و«القدرة» مأخوذة من «القدر» فهي معنىً يمكن أن يوجد به الفعل وأن لا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى.

وقوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ معناه: إن كنتم صادقين في أنّ هذا القرآن مفترىً من دون الله فأنتم تقدرون على معارضته، فحيث لا تقدرون على ذلك عُلِمَ أنّ الأمر بخلاف ما تذكرونه من أنّه من عند غير الله، وصحّ أنّه من عند الله، لأنّه لو قدر محمّد صلى الله عليه وآله على آفترائه لقدرتم على معارضته، لمشاركتكم إيّاه في النشوء والفصاحة.

قوله [تعالى]:

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفّار الّذين حكى عنهم أنّهم قالوا: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله افترى هذا القرآن ولم ينزله الله عليه: بأنّهم ﴿كذّبوا بما

لم يحيطوا بعلمه﴾ ومعناه: بما لم يعلموه من كلّ وجوهه، لأنّ في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل، ويحتاج إلى الفكر فيه والرجوع إلى الرسول في معرفة مراده، وذلك مثل المتشابه، فالكفّار لمّا لم يعرفوا المراد بظاهره كذّبوا به، وقالوا: إنّه افترى على الله كذباً. ومعنى ﴿كذَّبوا﴾: أنّهم شهدوا بأنّ الدُعاة إلى الله والدُعاة إلى الحقّ من المؤمنين كاذبون، جهلاً منهم وتوهّماً، لا حقيقة له ولا حجّة معه به.

وقوله: ﴿ولمَّا يأتهم تأويله﴾ معناه:ما يؤول أمره إليه وهو عاقبته، ومعناه: متأوّله من الثواب والعقاب. ثمّ حكى الله أنّه مثل ذلك ﴿كذَّب الّذين من قبلهم﴾ أنبياء الله ورسله، فأهلكهم الله ودمّرهم. ثمّ قال لنبيّه: ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ يعني: ما أدّى إلى إهلاكهم بعذاب الاستئصال على ما تقدّم من ظلمهم لأنفسهم وغيرهم في كذبهم.

وقيل[١]: موضع ﴿كيف﴾ نصب بأنّه خبر ﴿كان﴾ ولا يكون معمول ﴿انظر﴾ لأنّ ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام.

قوله [تعالى]:

وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: أنّ من جملة هؤلاء الكفّار الّذين كذّبوا بالقرآن ونسبوه إلى الافتراء مَن يؤمن ﴿به﴾ أي: بالقرآن في المستقبل [ويصدّق بأنّه من عند الله لما علم من عاقبة أمورهم][٢] ﴿ومنهم من لا يؤمن﴾ أيضاً

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٣ ص ٢١.
(٢) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الحجريّة، أثبتناه من الخطّيّة.

في المستقبل بل يموت على كفره.

وقوله: ﴿وربّك أعلم بالمفسدين﴾ معناه: من يدوم على الفساد ممّن يتوب، وإنّما أبقاهم الله إذ[١] في معلومه أنّه يتوب منهم[٢]. وإنّما جاز أن يقول: ﴿أعلم﴾ وإن لم يكن هناك كثرة علوم؛ لأحد أمرَيْن: أحدهما: لأنّ الذات تغني عن كلّ علم. والثاني: أنّه يراد: كثرة المعلوم.

قوله [تعالى]:

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ آية بلا خلاف.

خاطب الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله فقال: ﴿وإن كذّبوك﴾ هؤلاء الكفّار ولم‌يصدّقوك، وردّوا عليك بذلك ونسبوك إلى الكذب ﴿فقل﴾ لهم: ﴿لي عملي﴾ فإن كنت كاذباً فوباله عليَّ ﴿ولكم عملكم﴾ أي: أنّكم إن كنتم غيرمحقّين فيما تردّونه عليَّ وتكذّبوني فلكم جزاء عملكم، فأنتم تبرؤون ممّا أعمل وأنا أبرأ من أعمالكم.

وفائدة ذلك الإخبار بأنّه لا يُجازى أحد إلّا على عمله، ولا يُؤْخَذ أحد بجرم غيره، كما قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرى﴾[٣] والبراءة قطع العلقة الّتي[٤] توجب رفع المطالبة، وذلك كالبراءة من الدين، والبراءة من العيب في البيع.

ولم يقل النبيّ صلّى الله عليه وآله هذا القول شكّاً منه فيما يجازي الله الكفّار والمؤمنين به من الثواب والعقاب، وإنّما قال على وجه التلطّف لخصمه

(١) في الحجريّة: لمن. (٢) كذا في الحجريّة وفي الخطّية: انّه بتوبة منهم.

(٣) الأنعام: ١٦٤، والإسراء: ١٥، وفاطر: ١٨، والزمر: ٧.

(٤) في هامش الحجريّة: الّذي. ظ.

وحسن العشرة، وأن لا يستقبلهم بما يكرهونه من الخطاب، فربما[1] كان داعياً لهم إلى الانقياد والنظر في قوله.

وقال ابن زيد: هذه الآية منسوخة بآية الجهاد. وعلى ما قلناه لايحتاج إلى ذلك.

قوله [تعالى]:

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّ من جملة هؤلاء الكفّار ﴿من يستمع إليك﴾ يا محمّد. و «الاستماع»: طلب السمع، فهم كانوا يطلبون السمع للردّ لا للفهم، فلذلك لزمهم الذمّ. فهم إذا سمعوه على هذا الوجه كأنّهم صمّ لم يسمعوه حيث لم ينتفعوا به.

وقوله: ﴿أفأنت تُسمع الصمّ﴾ خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه لا يقدر على إسماع الصمّ الّذين لا يسمعون وبهم صَمَم، وهم الّذين ولدوا صمّاً. و «الأصمّ»: المفسد السمع بما يمنع من إدراك[2] الصوت، وقد صَمَّ يَصَمُّ صَمَماً. و «السمع»: إدراك الشيء بما به يكون مسموعاً، وتسمّى الأُذُن السليمة سَمْعاً لأنّه يُسْمَع بها.

وقوله: ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ تشبيه من الله[3] تعالى هؤلاء الكفّار في ترك إصغائهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله واستماع كلامه طلباً للفائدة بالّذين لا يسمعون أصلاً، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يقدر على إسماعهم على وجهٍ ينتفعون به إذا لم يكن يستمعون بنفوسهم للفكر فيه، كما لا يقدر على إسماع الصمّ.

---

(١) في الخطّيّة: فيه بما، بدل «فربما».

(٢) في الخطّيّة: من أدوات.

(٣) في الخطّيّة: فشبّه الله.

وقوله: ﴿مَن﴾ يقع على الجمع، كما يقع على الواحد، فلذلك أخبر عنه بلفظ الجمع بقوله: ﴿يستمعون إليك﴾. و ﴿لو﴾ في أكثر الأمر يكون ما بعدها أقلّ ممّا قبلها، تقول: أعطني دابّةً ولو حماراً، وقد يجيء ما بعدها أكثر ممّا قبلها، كما يقول الرجل: أنا أُقاتل الأسد، فَيُستَعْظَم ذلك منه، فيقال: أنت تُقاتل الأسد ولو كان ضارياً؟! وعلى هذا مخرج الآية. قال الزجّاج: والمعنى: ولو كانوا جُهّالاً، كما قال الشاعر:

أَصَمُّ عمّا ساءَهُ سَمِيعُ[1]

قوله [تعالى]:

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ آية بلاخلاف.

أخبر الله تعالى بأنّ من جملة الكفّار ﴿من ينظر إليك﴾ يامحمّد صلّى الله عليه وآله فلم يخبر بلفظ الجمع لأنّه حمله على اللفظ، واللفظ لفظ الواحد. والنظر المذكور في الآية معناه: تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئيّ طلباً لرؤيته. وقيل: معناه: من ينظر إلى أدلّتك[2]. و«النظر» يكون بمعنى الاعتبار والفكر، وهو الموازنة بين الأمور حتّى يظهر الرجحان أو المساواة، وذلك بالجمع بين الشيئين في التقدير بما يظهر به شهادة أحدهما بالآخر.

ثمّ قال: ﴿أفأنت تهدي العُمْي ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي: نظرهم إليك لاعلى وجه الاستفادة بمنزلة نظر الأعمى الّذي لا يبصر، فكما لا يقدر على أن يهدي الأعمى، فكذلك هؤلاء لا ينتفعون بنظرهم إليك، فكأنّهم لا يبصرون. و «العمى» آفة تمنع من الرؤية، وهو على وجهَيْن: عَمَى العين وعَمَى القلب، وكِلَاهما يصلح له هذا الحدّ. و «الإبصار»: إدراك المُبْصَر بما

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٢٢.

(٢) قاله الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٨٣ ـ ٨٤.

يكون به مُبْصَراً، كما أنّ السمع إدراك المسموع بما به يكون مسموعاً.

قوله [تعالى]:

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية على وجه التمدّح به بأنّه لا يظلم أحداً شيئاً، وإنّما الناس هم الّذين يظلمون أنفسهم بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح فيستحقّون بها عقاباً، فكأنّهم الّذين أدخلوا عليها ضرراً فلذلك كانوا ظالمين لنفوسهم.

والمعنى هاهنا: أنّ الله لا يمنع أحداً الانتفاع بما كلّفهم الانتفاع به من القرآن وأدلّته، ولكنّهم يظلمون أنفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به، وتفويتهم أنفسهم الثواب وإدخالهم عليها العقاب.

ففي الآية دلالة على أنّه لا يفعل الظلم، لأنّ فاعل الظلم ظالم، كما أنّ فاعل الكسب كاسب، وليس لهم أن يقولوا: يفعل الظلم ولا يكون ظالماً به، كما يفعل العلم ولا يكون به عالماً، وذلك أنّ معنى قولنا: «ظالم» أنّه فعل الظلم، كقولنا: «ضارب» أنّه يفيد أنّه فعل الضرب، وكذلك يكون ظالماً بما يفعله من الظلم في غيره، وليس كذلك العالم، لأنّه يفيد أنّه على صفةٍ مخصوصةٍ، ولذلك قد يكون عالماً بما يفعل فيه من العلم، ولا يكون ظالماً بما يفعل فيه من الظلم، ولا يكون عالماً بما يفعل في غيره من العلم، وليس كذلك الظلم، فبانَ الفرق بينهما، وليس لأحد أن يقول: إنّ الانتفاء من الظلم كالانتفاء من السِنَة والنوم، في أنّه ليس بنفي الفعل، وذلك أنّ الظلم مقدور مثل العدل، وليس كذلك النوم واليقظة لأنّهما يستحيلان عليه.

و «لكن» إذا كانت مشدّدة عملت عمل «إنّ» وإذا خفّفت لم تعمل، لأنّ المخفّفة تدخل على المفرد كما يدخل حرف العطف، والثقيلة تدخل على الجملة فتزيل الابتداء.

قوله [تعالى]:

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾آية بلا خلاف .

قرأ حفص ﴿يحشرهم﴾ بالياء، الباقون بالنون.

قال أبو عليّ الفارسي: قوله ﴿كأن لم يلبثوا﴾ يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون صفة «اليوم». والآخر: أن يكون صفة للمقدّر المحذوف. الثالث: أن يكون حالاً من الضمير في ﴿يحشرهم﴾. فإذا جعلته صفة لـ«اليوم» احتمل أمرين، أحدهما: أن يكون التقدير كأن لم يلبثوا قبله إلّا ساعة، كما قال: ﴿فإذا بلغن أجلهنَّ فأمسكوهن بمعروف﴾[1] أي: أمسكوهن قبله، وكذلك قوله: ﴿فإن فاءو فإنّ الله﴾[2] معناه: فإن فاؤوا قبل انقضاء الأربعة أشهر. ويحتمل أن يكون المعنى: كأن لم يلبثوا قبله، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ثمّ حذفت الهاء من الصفة، ومثله: ﴿ترى المجرمين[3] مشفِقين ممّا كَسَبوا وهو واقعٌ بهم﴾[4] والتقدير: وجزاؤه واقع بهم. وإن جعلته صفة للمصدر كان على هذا التقدير الّذي وصفناه، ومثله: كأن لم يلبثوا قبله، فحذف واقيم المضاف إليه مقام المضاف، ثمّ حذف العائد من الصفة كما يحذف من الصلة في نحو قوله: ﴿أهذا الّذي

---

(١) الطلاق: ٢.
(٢) البقرة: ٢٢٦.
(٣) كذا في الخطّيّة والحجريّة. وفي الآية: ترى الظالمين.
(٤) الشورى: ٢٢.

بعث الله رسولاً﴾[١]. وإن جعلته حالاً من الضمير المنصوب لم يحتج إلى حذف شيء في اللفظ، لأنّ الذكر من الحال قد عاد إلى ذي الحال، والمعنى: يحشرهم مشابهة أحوالهم أحوال مَن لم يلبث إلّا ساعة. ويحتمل [أن يكون يوم يحشرهم معمولاً لأحد أمرين، أحدهما: أن يكون معمول يتعارفون، والآخر:][٢] أن يكون معمولاً لما دلّ عليه قوله: ﴿كأن لم يلبثوا﴾ فإذا جعلته معمولاً لـ ﴿يتعارفون﴾ انتصب ﴿يوم﴾ على وجهَيْن: أحدهما: أن يكون ظرفاً. والآخر: أن يكون مفعولاً على السعة، على: يا سارق الليلة أهل الدار.

ومعنى ﴿يتعارفون﴾ يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: أن يكون المعنى: يتعارفون مدّة إماتتهم الّتي وقع حشرهم بعدها، وحذف المفعول للدلالة عليه، أو يكون أعمل الفعل الّذي دلّ عليه ﴿يتعارفون﴾ ألَا ترى أنّه قد دلّ على «سيعلمون»: إذ يتعرّفون، فعلى هذا يكون قوله: ﴿ويوم يحشرهم﴾ معمول ﴿يتعارفون﴾.

والآخر: أن يكون ﴿يوم يحشرهم﴾ معمول ما دلّ عليه قوله: ﴿كأن لم يلبثوا﴾ لأنّ المعنى: تشابه أحوالهم أحوال من لم يلبث، فيعمل في الظرف هذا المعنى، ولا يمنع المعنى من أن يعمل في الظرف وإن تقدّم الظرف عليه، كقولهم: أكُلَّ يوم لك ثوب؟ وإذا جعلت ﴿يتعارفون﴾ العامل في ﴿يحشرهم﴾ لم يجز أن يكون صفة «اليوم» على أنّك كأنّك وصفت «اليوم» بقوله: ﴿كأن لم يلبثوا﴾ و ﴿يتعارفون﴾ فوصفت ﴿يوم يحشرهم﴾ بجملتين، لم يجز أن يكون معمولاً لقوله: ﴿يتعارفون﴾ لأنّ الصفة لا تعمل

(١) الفرقان: ٤١.

(٢) مابين المعقوفتين، لم يرد في الحجريّة.

في الموصوف، وجاز وصف «اليوم» بالجمل وإن أُضيف، لأنّ الإضافة ليست محضة، فلم تعرفه.

ومَن قرأ بالنون فلقوله: ﴿وحشرناهم فلم نُغادر﴾ (١) وقوله: ﴿فجمعناهم جمعاً﴾ (٢) وقوله: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (٣). ومن قرأ بالياء فلقوله: ﴿ليجمعنَّكم إلى يوم القيامة﴾ (٤) والنون والياء متعارفان في مثل هذا بدلالة قوله: ﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربِّه﴾ (٥) فعلم من هذا أنّ كلّ واحد منهما يجري مجرى الآخر. (٦)

يقول الله تعالى في هذه الآية: إنّه ﴿يوم﴾ يحشر الخلق إلى المحشر والموقف ﴿كأن لم يلبثوا إلّا ساعة من النهار﴾ عند أنفسهم، لقلّة بقائهم فيها وسرعة تصرّمها عنهم، مع طول وقوفهم يوم القيامة، ومع علمهم بدوام بقائهم في الآخرة، شبّه قرب الوقت إلى ذلك الحين بساعةٍ من النهار، لأنّ كلّ ما هو آتٍ قريب، كما قال: ﴿اقتربت الساعة﴾ (٧) ودلّ بذلك على أنّه لا ينبغي لأحد أن يغترّ بطول ما يأمله من البقاء في الدنيا، إذا كان عاقبة ذلك إلى الزوال.

وقوله: ﴿يتعارفون بينهم﴾ إخبار منه تعالى أنّ الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت خسرانهم ويتذاكرونه.

وقوله: ﴿قد خسر الّذين كذّبوا بلقاء الله﴾ إخبار منه تعالى بأنّ الّذين كذّبوا بالبعث والنشور ولقاء ثواب الله ولقاء عقابه يخسرون نفوسهم. و«الخُسْران»: ذهاب رأس المال، فالنفس أكبر من رأس المال(٨).

(١ و ٢) الكهف: ٤٧ و ٩٩ على الترتيب. (٣) طه: ١٢٤. (٤) النساء: ٨٧، والأنعام: ١٢.
(٥) طه: ١٢٧. (٦) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٨ (بتصرّف).
(٧) القمر: ١. (٨) في الخطّيّة: أكثر رأس المال.

وقوله: ﴿وماكانوا مهتدين﴾ معناه: لا يكونون مهتدين إلى طريق الجنّة لكونهم مستحقّين للعقاب، وقال الزجّاج: معنى الآية: قَرُب ما بين موتهم وبعثهم، كما قالوا: ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾[1] و﴿يتعارفون بينهم﴾ أي: يعرف بعضهم بعضاً، وفي ذلك توبيخ لهم وإثبات الحجّة عليهم.

قوله [تعالى]:

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ آية بلا خلاف .

نون التأكيد في الجزاء لا تجوز إلّا مع «ما» كما لا يجوز الجزاء بـ«إذ» و «حيث» إلّا مع «ما» لخروجها عن أخواتها، فدخلت «ما» لتقريبها منها، فالنون تدخل في الأمر والنهي والاستفهام والعرض، وكلّه طلب، وكلّه غير واجب، وليس في الجزاء طلب إلّا أنّه يشبه غير الواجب.

وقوله: ﴿نرينّك﴾ من رؤية العين، لأنّها لو كانت من رؤية الإعلام لتعدّى إلىمفعولَيْن. و«البعض»: شيء يفصل من الكلّ. و«البعض» و«القسم» و «الجزء» نظائر. و «التوفّي»: القبض على الاستيفاء بالإماتة، لأنّ الروح تخرج من البدن على تمام وكمال من غير نقصان.

ومعنىالآية: إنْ أريناك يا محمّد بعض ما نَعِد هؤلاء الكفّار من العذاب عاجلاً بأن ننزل عليهم ذلك في حياتك، وإنْ أخّرنا ذلك عنهم إلى بعد وفاتك ووفاتهم، فإنّ ذلك لا يفوتهم، لأنّه إلينا مرجعهم، والله شاهد بأعمالهم، وعالم بها وحافظ لها، فهو يوفيهم عقاب معاصيهم. وقال مُقاتِل: المعنى: إمّا نرينّك بعض الّذي نَعد المؤمنين من النصر والإعلاء، وهو يوم بدر.

---

(١) الكهف: ١٩، والمؤمنون: ١١٣. وانظر معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٢٢.

وقوله: ﴿ثمّ الله﴾ عطف في‌قول‌الفرّاء[١] وقال غيره: ﴿ثمّ﴾ بمعنى‌الواو.

قوله [تعالى]:

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّ لكلّ جماعة على دينٍ واحدٍ وطريقةٍ واحدةٍ ـ كأمّة محمّد وأمّة موسى وعيسى عليهما السلام ـ رسولاً بعثه الله إليهم وحمّله الرسالة الّتي يؤدّيها إليهم ليقوم بأدائها.

وقوله: ﴿فإذا جاء رسولهم﴾ يعني: يوم القيامة، في قول مجاهد. وقال الحسن: في الدنيا. بما أذن الله تعالى من الدعاء عليهم.

وقوله: ﴿قضي بينهم﴾ معناه: فصل بينهم الأمر على الحتم، والله تعالى يقضي بين الخصوم، أي: يفصل بينهم فصلاً لا يردّ ﴿بالقسط﴾ يعني: بالعدل. و «المقسط»: العادل، و «القاسط»: الجائر، ومنه قوله: ﴿وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً﴾[٢] والأصل واحد. و «المقسط»: العادل إلى الحقّ، و «القاسط»: العادل عن الحقّ.

وقوله: ﴿وهم لا يُظلمون﴾ إنّما نَفَى عنهم الظلم بعد أن وصف أنّه يقضي بينهم بالعدل ليكون العدل في جميع الأحوال من الابتداء إلى الانتهاء، لأنّه كان يمكن أن يكون العدل في أوّله والظلم في آخره، فَنَفَى بذلك نفياً عاماً ليخلص العدل في كلّ أحوالهم.

قوله [تعالى]:

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ آية بلا خلاف .

---

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٦٦.

(٢) الجن: ١٥.

حكى الله تعالى عن الكفّار الّذين تقدّم وصفهم أنّهم ﴿يقولون متى هذا الوعد﴾ الّذي تعدونا[١] به من البعث والنشور والثواب والعقاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ في كون ذلك.

و «القول»: كلام مضمّن في ذكره بالحكاية، وقد يمكن[٢] كلام لا يعبّر عنه، فلا يكون له ذكر مضمّن بالحكاية، فلا يكون قولاً، لأنّه إنّما يكون قولاً من أجل تضمين ذكره بالحكاية.

و ﴿متى﴾ سؤال عن الزمان، و «أين» سؤال عن المكان، وهما ظرفان يتّصلان بالفعل من غير حرف إضافة، تقول: متى يكون هذا؟ ولا يجوز أن تقول: ما يكون هذا؟ على معنى الظرف، ولكن: فيم[٣] يكون هذا؟

و «الوعد»: خبر بما يعطى من الخير، و «الوعيد»: خبر بما يعطى من الشرّ، هذا إذا فصّل، فإن أجمل وقع «الوعد» على الجميع. و «الصدق»: الإخبار عن الشيء على ما هو به.

قوله [تعالى]:

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ آية بلا خلاف.

لمّا حكى الله تعالى عن الكفّار استبطاءهم ما وعد الله وقولهم: ﴿متى هذا الوعد﴾ أمر الله نبيّه ﷺ أن يقول لهم على وجه الإنكار عليهم: إنّي ﴿لا أملك لنفسي ضرّاً ولا نفعاً﴾ من الثواب والعقاب، بل ذلك إلى الله، ولا أملك إلّا ما ملّكني الله، فكيف أملّك لكم؟

---

(١) كذا في الخطّيّة والحجريّة.

(٢) كذا في الخطّيّة والحجريّة.

(٣) كذا في الحجريّة، وفي الخطّيّة: فيمن.

و«الملك»: هو القدرة على التصرّف في الشيء على وجهٍ ليس لأحد منعه منه، فالإنسان لا يملك إلّا ما يملّكه الله، لأنّ له تعالى منعه منه، وقد يملك الطفل ومن لا عقل له من المجانين بالحكم.

و «النفع»: هو اللذّة أو السرور أو ما أدّى إليهما أو إلى واحدٍ منهما، و«الضرر»: الألم نفسه أو الغمّ أو ما أدّى إليهما أو إلى واحدٍ منهما.

وقوله: ﴿إلّا ما شاء الله﴾ معنى الاستثناء إلّا ما شاء الله أن يملّكني إيّاه من نفعٍ أو ضرّ، فيمكّنه فيما[1] جعل له أخذه أو أوجب عليه تركه.

و «الأجل»: هو الوقت المضروب لوقوع أمر، كأجَل الدَيْن وأجَل البيع وأجَل الإنسان وأجَل المسافر، فأخبر تعالى أنّه إذا أتى أجَل الموت الّذي وقّته الله لكلّ حيٍّ بحياة، لا يتأخّر ذلك ساعة ولا يتقدّم على ماقدّره الله تعالى.

قوله [تعالى]:

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُهُ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ آية بلا خلاف .

أمر[2] الله تعالى نبيّه بهذه الآية أن يقول لهؤلاء الكفّار الّذين استبطأوا وعد الله: ﴿أرأيتم﴾ أي: أعَلمتم، لأنّها من رؤية القلب، لأنّها دخلت على الجملة من الاستفهام ﴿إن أتاكم عذابه﴾ يعني: عذاب الله. و «العذاب»: الألم المستمرّ، وأصله: الاستمرار، ومنه: «العذوبة» لاستمرارها في الحلق. ﴿بياتاً﴾ وهو إتيان الشيء ليلاً، يقال بَيَّتَه تَبييتاً وبَياتاً، وبات بَيْتُوتةً، وفلانٌ لا يَستَبيت: إذا لم يكن له ما يبيت به.

---

(١) في الحجريّة: ممّا.

(٢) كذا في الحجريّة، وفي الخطّيّة: أخبر.

وجواب ﴿إن﴾ محذوف، وتقدير الكلام: أرأيتم ماذا يستعجل المجرمون من العذاب إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً؟ ووقع ﴿إن أتاكم﴾ في وسط الكلام موقع الاعتراض. ومعنى ﴿ما﴾ في قوله ﴿ماذا﴾ للإنكار، لأن يكون في العذاب شيء يستعجل به، وجاء على صيغة الاستفهام، لأنّه لاجواب لصاحبه يصحّ له.

وقال أبو جعفرعليه السلام: هو عذاب ينزل في آخر الزمان على فَسَقَة أهل القبلة[1]. نعوذ بالله منه.

وقال الزجّاج: موضع ﴿ما﴾ رفع من وجهَيْن: أحدهما: أن يكون «ذا» بمعنى «ما الّذي» والتقدير: ما الّذي يستعجل منه المجرمون؟ ويجوز أن يكون ﴿ماذا﴾ اسماً واحداً، والمعنى: أيّ شيءٍ يستعجل منه؟ والهاء في قوله: ﴿منه﴾ عائدة على «العذاب» ويجوز أن تكون عائدة على «الاستعجال»[2].

قوله [تعالى]:

أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ آية بلاخلاف.

﴿أثُمَّ﴾ دخلت ألف الاستفهام على ﴿ثمّ﴾ ليدلّ على أنّ الجملة الثانية بعد الأولى مع أنّ للألف صدر الكلام. وقال الطبري: معنى ﴿ثمّ﴾ هاهنا: هنالك. وهذا غلط، لأنّ «ثَمَّ» بالفتح تكون بمعنى: هنالك، وهذه مضمومة فلا تكون إلّا للعطف.

والعامل في ﴿إذا﴾ يحتمل أمرَيْن: أحدهما: أن يكون ﴿آمنتم به﴾ على أن تكون ﴿ما﴾ صلة. الثاني: أن يكون العامل ﴿وقع﴾ وتكون ﴿ما﴾ مسلّطة على الجزاء. وإنّما جاز أن يعمل الفعل الأوّل في الجزاء دون

---

(١) تفسير القمّي ٢: ٣١٢.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٢٤.

الثاني، ولم يجز في «إذا» لئلّا يختلط الشرط بجزائه، وليس كذلك «إذا» لأنّها مضافة إلى الفعل الّذي بعدها. «الوقوع»: الحدوث.

وقوله: ﴿آلآن﴾ مبنيّ على الفتح، لأنّ تعريفه كتعريف الحرف في الانتقال من معنىً إلى معنى، ومعناه عند سيبويه: أنحن من هذا الوقت نفعل كذا؟ وفُتِحَت لالتقاء الساكنين. وقال الفرّاء: أصلها «آن» دخلت عليها الألف واللام وبُنِيتَ ک «الّذين» ودخول الألف واللام على اللزوم لا يمكّنه، كما لا يمكّن «الّذي»[1].

ومعنى الآية: أتأمنون حلول هذا العذاب بكم؟ ثمّ يُقال لكم إذا وقع بكم العذاب وشاهدتموه: آلآن آمنتم به، وكنتم به تستعجلون؟! وفائدتها: الإبانة عمّا يوجبه استعجال العذاب من التوبيخ عند وقوعه حين لا يمكن استدراك الأمر فيه بعد أن كان ممكناً لصاحبه.

قوله [تعالى]:

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ آية بلا خلاف .

قوله: ﴿ثمّ﴾ عطف على الإيمان الّذي وقع في حال الإلجاء إليه، وقيل لهم بعد ذلك هذا القول على وجه التوبيخ والتقريع، لأنّها ليست حال استدراك لما فات.

والمعنى: أنّه يقال لهؤلاء الّذين آمنوا حين نزول العذاب بهم ـ وقيل لهم: آلآن وقد استكبرتم ـ : ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ يعني: الدائم، ويُقال لهم: ﴿هل تجزون﴾ بهذا العقاب ﴿إلّا بماكنتم تكسبون﴾ من المعاصي. و«الذوق»: طلب الطعم بالفم في الابتداء، شُبّهوا بالذائق لأنّه أشدّ إحساساً، وقيل:

(١) معاني القرآن: ج ١ ص ٤٦٧.

لأنّهم يتجرّعون العذاب بدخوله أجوافهم.

قوله [تعالى]:

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ آية بلا خلاف.

معنى ﴿ويستنبؤنك﴾: يستخبرونك، أي: يطلبون النبأ الّذي هو الخبر ﴿أحقّ هو﴾ يعني: هذا الوعيد الّذي ذكره الله في الآية الأُولى[1] فقال الله لنبيّه: ﴿قل إي وربّي﴾ أي: نعم وحقّ الله ﴿إنّه لَحَقّ﴾ والحقّ في الدين: ما شهدت به الأدلّة الموجبة للعلم أو اقتضاه غالب الظنّ فيما طريقه الظنّ.

وقوله: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي لستم تقدرون على إعجاز الله عمّا يريده من إنزال العذاب بكم.

قوله [تعالى]:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى على وجه التعظيم لهذا العذاب وشدّته بأنّه ﴿لو﴾ كان لمن ظلم نفسه بارتكاب المعاصي ﴿ما في الأرض﴾ من الأموال ﴿لافتدت به﴾ من هول ما يلحقه من العذاب.

وفُتحت ﴿أنّ﴾ بعد ﴿لو﴾ لأنّها مبنيّة على ما هو بمنزلة العامل، لاختصاصها بالفعل، والتقدير: لو كان أنّ لكلّ نفس، إلّا أنّه لا يظهر المعنى عن إظهاره بطلب «أنّ» له. وجاز أن تقع «أنّ» بعد «لو» ولم يجز المصدر، لأنّ فتحها يدلّ على إضمار العامل اللفظي، وليس كذلك المصدر، لأنّه ممّا

(١) كذا، والمراد الآية السابقة.

يعمل فيه الابتداء.

و«الافتداء»: إيقاع‌الشيء بدل غيره لدفع المكروه به، يقال: فَدَاه يَفْدِيه فِدْيَةً وفِدَاءً، وافتداه افتداءً، وفَادَاه مُفَاداةً، وتَفَادى تَفَادياً، وفدّاه تَفْدِيةً.

وقوله: ﴿وأسرّوا الندامة لمّا رأوا العذاب﴾ أي: أخفوا الندامة، وقيل: ﴿وأسرّوا الندامة﴾ رؤساء الضلالة من الأتْباع والسَفَلَة[١]. وقيل: ﴿أسرّوا الندامة﴾ أي: أخلصوها[٢]. و«الندامة»: الحسرة على ما كان يتمنّى أنّه لم‌يكن، وهي حالة معقولة يتأسّف صاحبها على ما وقع منه، ويودّ أنّه لم‌يكن أوقعه. قال أبو عُبَيْدَة: ﴿أسرّوا﴾ معناه: أظهروا[٣]. قال الأزهري[٤]: هذا غلط، إنّما يكون بمعنى الإظهار ما كان بالشين المنقّطة من فوق.

وقوله: ﴿وقضي بينهم بالقسط﴾ أي: فصل بينهم بالعدل ﴿وهم لا يُظلمون﴾ في القضاء والحكم بينهم، وما يفعل بهم من العقاب، لأنّهم جرّوه على أنفسهم بارتكاب المعاصي.

ورُوي: أنّه قيل لرسول‌الله صلى الله عليه وآله: ما يغنيهم إسرار الندامة وهم في النار؟ قال: يكرهون شماتة الأعداء. وروي[٥] مثله عن أبي عبدالله عليه السلام.

قوله [تعالى]:

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ آية بلا خلاف.

﴿ألا﴾ كلمة تستعمل في التنبيه، وأصلها: «لا» دخلت عليها حرف الاستفهام تقريراً وتأكيداً، فصارت تنبيهاً، وكُسرت «إنّ» بعد «ألا» لأنّ

---

(١) قاله الفرّاء في معاني القرآن ج ١ ص ٤٦٩ والزجّاج في معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٢٥.
(٢) في الخطّيّة: «اسرار الندامة أخلص لها».
(٣) مجاز القرآن: ج ٢ ص ٣٤.
(٤) تهذيب اللغة: ج ١٢ ص ٢٨٥.
(٥) رواه العيّاشي في تفسيره: ج ٢ ص ١٢٣ ح ٢٦.

«ألا» يُستَأْنف ما بعدها لينبّه بها على معنى الابتداء، ولذلك وقع بعدها الأمر والدعاء، كقول آمرئ القَيْس:

أَلَا أنعم صباحاً أيّها الطَّلَلُ البَالِي
وهَلْ يَنْعِمن مَن كانَ في العُصُرِ الخَالِي[1]

ووجه اتّصال هذه الآية بما قبلها أحد أمرَيْن: أحدهما: الإثبات بعد النفي، لأنّ ما قبلها تقديره: ليس للظالم ما يفتدي به بل جميع الملك لله تعالى. [و]الثاني: أن يكون معناه: من يملك السماوات والأرض يقدر على إيقاع ما توعّد به.

و «السماوات» جمع «سماء» وهو مأخوذ من السموّ الّذي هو العلوّ، وهي المزيّنة بالكواكب، وهي سقف الأرض، وهي طبقات، كما قال: ﴿سبع سموات طباقاً﴾[2] وجُمِعَت «السموات» ووحّدت «الأرض» في جميع القرآن، لأنّ طبقاتها السبع خفيّة عن الحسّ، وليس كذلك «السماوات».

وقوله: ﴿ألا إنّ وعد الله حقّ ولكنّ أكثرهم لا يعلمون﴾ صحّة ذلك، لجهلهم به تعالى وبما يجوز عليه وما لا يجوز، وجهلهم بصحّة ما أتى به النبيّ صلى الله عليه وآله.

قوله [تعالى]:

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية إخبار منه تعالى: أنّ الّذي يملك التصرّف في السماوات والأرض هو الّذي يحيي الخلق بعد كونهم أمواتاً، وهو الّذي يميتهم إذا كانوا أحياء، ثمّ يرجعون إليه يوم القيامة فيجازيهم بمثل[3] أعمالهم: إن كانوا مطيعين بالثواب الدائم، وإن كانوا كفّاراً بالعقاب الدائم.

---

(١) مطلع من قصيدة طويلة يصف فيها صيده وسعيه إلى المجد. راجع ديوان امرئ القيس: ص ١٣٩.

(٢) الملك: ٣، ونوح: ١٥.

(٣) في الخطّيّة بدل «بمثل»: على.

قال أبو عليّ: في هذه الآية دلالة على أنّه لا يقدر على الحياة إلّا الله، لأنّه تعالى تمدّح بكونه قادراً على الإحياء والإماتة، فلو كان غيره قادراً على الحياة لما كان في ذلك مدح.

وفيها دلالة على كونه قادراً على الإعادة، لأنّ مَن قدر على النشأة الأُولى يقدر على النشأة الثانية.

قوله [تعالى]:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمكلّفين من الناس، يخبرهم الله تعالى بأنّه أتاهم موعظة من الله. و«الموعظة»: ما يدعو إلى الصلاح ويزجر عن القبيح بمايتضمّنه من الرغبة والرهبة، ويدعو إلى الخشوع والنسك، ويصرف عن الفسوق والإثم، ويريد بذلك القرآن وما أتى به النبيّ صلى الله عليه وآله من الشريعة.

وقوله: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ فالشفاء معنىً كالدواء لإزالة الداء، فداء الجهل أضرّ من داء البدن، وعلاجه أعْسَر، وأطبّاؤه أقلّ، والشفاء منه أجلّ. و «الصدور»: جمع «صدر» وهو موضع القلب، وهو أجلّ موضع في الحيّ لشرف القلب.

وقوله: ﴿وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ وصف القرآن بأنّه بيان عمّا يؤدّي إلى الحقّ، ودلالة تؤدّي إلى المعرفة، ونعمة على المحتاج، لأنّه لا يقال للملك إذا أهدى إلى ملكٍ آخر جوهرةً: إنّه قد رحمه بذلك وإن كانت نعمةً يجب بها شكره ومكافأته. وإنّما أضافه إلى المؤمنين، لأنّهم الّذين انتفعوا به دون الكفّار الّذين لم ينتفعوا به، كما قال: ﴿هدى للمتّقين﴾ وإن كان هدىً لغيرهم.

قوله [تعالى]:

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ آية بلا خلاف.

قرأ الحسن: ﴿فلتفرحوا﴾ بالتاء، وبه قرأ أبو جعفر المدني ورُوَيْس، وروي ذلك عن أُبيّ بن كَعْب، الباقون بالياء. وكان الكسائي يعيب القراءة بالتاء، وأجازه الفرّاء واحتجّ بقوله: ولتأخذوا مصافكم[1]. واللام في قوله: ﴿فليفرحوا﴾ لام الأمر، وإنّما آحتيج إليها ليؤمر الغائب بها، وقد يجوز أن يقع في الخطاب التصرّف في الكلام. وقرأ أبو جعفر وابن عامر ورُوَيْس: ﴿تجمعون﴾ بالتاء، الباقون بالياء.

قال أبو عليّ: الجارّ في قوله: ﴿فبذلك﴾ يتعلّق بقوله: ﴿فليفرحوا﴾ لأنّ هذا الفعل يصل به، قال الشاعر:

فَرِحْتُ بما قَد كانَ من سيّدَيْكما[2]

والفاء في قوله: ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ زائدة، لأنّ المعنى: فافرحوا بذلك، ومثله قول الشاعر:

فإذا هَلَكْتُ فعندَ ذلك فاجْزعِي[3]

فالفاء في قوله: «فاجزعي» زيادة مثل الّتي في ﴿فليفرحوا﴾[4] وقال الفرّاء: ﴿فبذلك﴾ بدل من قوله: ﴿بفضل الله وبرحمته﴾.

ومَن قرأ بالياء جعله أمراً للغائب، واللام إنّما تدخل على فعل الغائب

---

(١) المصاف: جمع مصف، وهو الموقف في الحرب وموضعها الّذي تكون فيه الصفوف، انظر معاني القرآن: ج ١ ص ٤٧٠.

(٢) لزُهَيْر بن أبي سلمى، وعجزه: وكانا آمرأيْن كلّ أمرهما يعلُو. من قصيدة يمدح سنان بن أبي حارثة. راجع ديوان زُهَير: ص ٦١.

(٣) وصدره: لا تَجْزعي إن مُنْفِساً أهلكتُه. أنشده الأخفش في معانيه: ج ٢ ص ٥٥٠، وبهامشه نسبة محقّق الكتاب إلى النمر بن تولب.

(٤) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٦٧.

لأنّ المواجهة استغني فيها عن اللام بقولهم: «افعل» فصار مشبّهاً للماضي في: «يدع» الّذي استغني عنه بـ «ترك» ولو قلت بالتاء لكنت مستعملاً لما هوكالمرفوض وإنكان الأصل، ولا ترجّح القراءة بالتاء لكونها هي الأصل، لأنّه أصل مرفوض. ومَن قرأ بالتاء أعنى[١] الخطاب الّذي قبله من قوله: ﴿قد جاءتكم موعظة... فلتفرحوا﴾ وزعموا أنّها في قراءة أُبيّ: ﴿فافرحوا﴾ قال أبو الحسن: وزعموا أنّها لغة، وهي قليلة بمعنى: لتضرب، وأنت تخاطب.

فإن قيل: كيف جاء الأمر[٢] للمؤمنين بالفرح وقد ذمّ الله ذلك في مواضع من القرآن، كقوله: ﴿إنّ الله لا يحبّ الفَرِحين﴾[٣] وقال: ﴿إنّه لَفَرح فخور﴾[٤] وغير ذلك؟

قيل: أكثر ما جاء مقترناً بالذمّ من ذلك ما كان مطلقاً، فإذا قيّد لم يكن ذمّاً، كقوله: ﴿يُرزقون * فرحين﴾[٥] وفي الآية مقيّد بقوله بذلك، فأمّا قوله: ﴿فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول‌الله﴾[٦] فإنّه مقيّد ومع ذلك فهو مذموم، لكنّه مقيّد بما يقتضي الذمّ، كما جاء مقيّداً بما لا يقتضي الذمّ [فمطلقه يقتضي الذمّ][٧] ومقيّده بحسب ما يقيّد به، فإن قيّد بما يقتضي الذمّ أفاد الذمّ، وإن قيّد بما يقتضي المدح أفاد المدح. فأمّا قوله: ﴿فلمّا جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم﴾[٨] وقوله: ﴿ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون * بنصر الله﴾[٩] فالفرح بنصر الله للمؤمنين محمود، كما كان القعود عن رسول الله بالتقييد في الموضعَيْن مذموماً.

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول للمكلّفين: افرحوا بفضل الله، وهو

---

(١) وفي الحجريّة، بدل «أعنى»: اعتبر.
(٢) في الخطّيّة: جاز الأمر.
(٣) القصص: ٧٦.
(٤) هود: ١٠.
(٥) آل عمران: ١٦٩ و ١٧٠.
(٦) التوبة: ٨١.
(٧) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.
(٨) غافر: ٨٣.
(٩) الروم: ٤ و ٥.

زيادة نِعَمه، وإنّما جاز أن يقول: «فضل الله» وإنّما هو من: إفضال[١] الله، لأنّه في موضع إفضال، كما أنّ النبات في موضع إنبات في قوله: ﴿أنبتكم من الأرض نباتاً﴾[٢]. وأيضاً فإنّ إضافة الفضل إلى الله بمعنى الملك، كما يضاف العبد إليه بمعنى أنّه مالك له. و «الفرح»: لذّة في القلب بإدراك ما يحبّ، وإن شئت قلت: هو لذّة في القلب بنيل المشتهى، وقد حسّنه الله في هذه الآية، فدلّ على أنّه لا يحبّ الفرحين بمعنى: البَطِرين.

وقوله: ﴿هو خير ممّا يجمعون﴾ قيل: فضل الله هو القرآن، ورحمته هو الإسلام ﴿خير ممّا يجمعون﴾ من الذهب والفضة. ذكره ابن‌عبّاس وأبو سعيد الخُدَري والحسن وقَتادَة ومجاهد. ومن قرأ بالياء عنى به المخاطبين والغُيّب، غير أنّه غلب الغُيّب على المخاطبين، كما غلب التذكير على التأنيث، فكأنّه أراد به المؤمنين وغيرهم. ومَن قرأ بالتاء كان المعنى: فافرحوا بذلك أيّها المؤمنون، أي: افرحوا بفضل الله، فإنّ ما آتاكموه من الموعظة شفاء ما في الصدور خير ممّا يجمع غيركم من أعراض الدنيا.

وقال أبوجعفر عليه السلام: ﴿بفضل الله﴾ يعني: الإقرار برسول‌الله، و﴿برحمته﴾ الائتمام بعليّ عليه السلام ﴿خير ممّا﴾ يجمع[٣] هؤلاء من الذهب والفضّة[٤]. وإذا حُمِلت الآية على عمومها كان هذا أيضاً داخلاً فيها.

قوله [تعالى]:

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ آية بلا خلاف .

---

(١) في الخطّيّة، بدل «من إفضال الله»: من فضل الله. (٢) نوح: ١٧.

(٣) في الخطّيّة، بدل «يجمع»: يجمعون هؤلاء.

(٤) تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ١٢٤، ح ٢٩، وفيه: هو خير ممّا يجمع هؤلاء في دنياهم.

قال الحسن: المعنيُّ بهذه الآية مشركو العرب، قال الله لهـم: ﴿أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق﴾ لأنّ: أرزاق العباد من المطر الّذي ينزله الله ﴿فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾ يعني: ماحرّموا من السائبة والوصيلة والحام، وما حرّموا من زروعهم، قل يا محمّد لهم: ﴿آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ معناه: أنّه لم يأذن لكم في شيء من ذلك، بل أنتم تكذبون في ذلك على الله.

واستدلّ قوم بذلك على أنّ القياس في الأحكام لا يجوز.

قال الزجّاج: ﴿ما﴾ في قوله: ﴿ما أنزل الله﴾ في موضع نصب بـ ﴿أنزل﴾ والمعنى: إنّكم جعلتم البحائر والسوائب حراماً، والله تعالى لم يحرّم ذلك[1] وتكون ﴿ما﴾ بمعنى أيّ في الاستفهام[2]. ويحتمل أن تكون ﴿ما﴾ بمعنى «الّذي» وتكون نصباً بـ «رأيتم».

و«الرزق» منسوب كلّه إلى الله، لأنّه لا سبيل للعبد إليه إلّا بإطلاقه بفعله له أوإذنه فيه: إمّا عقلاً أوسمعاً. ولايكون الشيء رزقاً بمجرّد التمكين، لأنّه لو كان كذلك لكان الحرام رزقاً، لأنّ الله مكّن منه. قال الرُمّاني: التحريم عقد بمعنى النهي عن الفعل، والتحليل حلّ معنى النهي بالإذن.

قوله [تعالى]:

وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ آية بلا خلاف .

المعنى: أيُّ شيءٍ يظنّ الّذين يكذبون على الله أنّه يصيبهم يوم القيامة على افترائهم على الله؟ أي: لا ينبغي أن يظنّوا أن يصيبهم على ذلك إلّا العذاب والعقاب، وجعل ذلك زجراً عن الكذب على الله، ثمّ أخبر تعالى ﴿أنّ الله

(١) معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٢٥.

(٢) في الحجريّة «ما»: بمعنى الاستفهام.

لذو فضل على الناس﴾ بما فعل بهم من ضروب النِّعَم ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ نِعَمه ولا يعترفون به ويجحدونه. وهذا خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب وإن كان بصورة الاستفهام، وتقديره: أيـؤدّيهم إلى خـيرٍ أم شـرّ؟ وافتراء الكذب أفْحَش من فعل الكذب بتزويره وتنميقه، فالزجر عنه أشدّ.

وقـيل: مـعنى قـوله: ﴿لذو فضل على الناس﴾ أي: لم يـضيّق عـليهم بالتحريم لما لا مصلحة لهم في تحريمه كما ادّعيتم عليه. وقيل: معناه: أنّه لذو فضل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة فـي الدنيا، وإمهاله إيّاه إلى يوم القيامة.

قوله [تعالى]:

وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ آية بلا خلاف .

قرأ الكسائي: ﴿يَعزِب﴾ بكسر الزاي هنا وفي سبأ[1] الباقون بضمّها، وهما لغتان وإن كان الضمّ أفصح وأكثر. وقرأ حمزة وخَلَف ويعقوب: ﴿ولا أصغَرُ ... ولا أكبَرُ﴾ بالرفع فيهما، الباقون بفتحهما.

من فتح الراء فلأنّ «أفعل» في الموضعَيْن في موضع جرّ، لأنّه صفة لمجرور الّذي هو قوله: ﴿مثقال ذرّة﴾ وإنّما فُتِح لأنّ «أفعل» إذا اتّصل به منكر كان صفة لا تنصرف في النكرة. ومَن رفـعه حـمله عـلى مـوضع الموصوف، لأنّ الموصوف الّذي هو ﴿من مثقال ذرّة﴾ الجارّ والمجرور في موضع رفع، كما كانا في موضعه في قوله: ﴿كفى بالله﴾[2] ومثل قوله: ﴿من

---

(١) سبأ: ٣.
(٢) النساء: ٦ و ٤٥ و ٧٠ وغيرها.

إلّه غيره﴾ [١] فَمَن رفع يجوز أن يكون صفة بمنزلة «مثل». ويجوز أن يكون استثناءً، كما تقول: ما لكم من إلّه إلّا الله، ومثله: ﴿فأصّدّق وأكن من﴾ [٢] وغير ذلك.

ويجوز أن يعطف قوله: ﴿ولا أصغر﴾ على ﴿ذرّة﴾ فيكون التقدير: ومايعزب عن ربّك مثقال ذرّة ولا مثقال أصغر، فعلى هذا لا يجوز إلّا الجرّ لأنّه لا موضع لـ «الذرّة» غير لفظها، كما كان لقولك: «[من] مثقال ذرّة» موضع غير لفظه. ولايجوز على قراءة حمزة أن يكون معطوفاً على ﴿ذرّة﴾ كما جاز في قول الباقين، لأنّه إذا عطف على ﴿ذرّة﴾ وجب أن يكون ﴿أصغر﴾ مجروراً، وإنّما فُتِح لأنّه لا ينصرف، وكذلك يكون على قول مَن عطفه على الجارّ الّذي هو ﴿من﴾.

معنى قوله: ﴿وما تكون في شأن﴾ ليس تكون في حال من الأحوال، لأنّ «الشأن» و «البال» و «الحال» نظائر، وجمعه: شؤون، و «الشأن» معنىً مفخّم على طريق الجملة، يقال: ما شأنك، وما حالك، وما بالك.

وقوله: ﴿وما تتلو منه من قرآن﴾ أي: وليس تتلو من القرآن، فتكون الهاء كناية عن القرآن قبل الذكر لتفخيم ذكر القرآن، كما قال: ﴿إنّه أنا الله العزيز الحكيم﴾ [٣] ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على «الشأن» وتقديره: وما يكون من الشأن.

وقوله: ﴿وما تعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً﴾ أي: ليس يخفى على الله شيء من أعمالكم، بل يعلمها كلّها ويشهدها، و «المشاهدة»: الإدراك بالحاسّة، و «المُشاهِد»: المُدركِ بحاسّة، أو: ذات يغني عن حاسّة،

---

(١) هود: ٥٠ و٦١ وغيرهما. (٢) المنافقون: ١٠. (٣) النمل: ٩.

يقال: شاهِدٌ وشُهُودٌ وشُهَداء.

وقوله: ﴿إذ تفيضون فيه﴾ فالإفاضة: الدخول في العمل على جهة الانصباب إليه، وهو الانبساط إليه في العمل، مأخوذ من: فيض الإناء إذا انصبّ من جوانبه، ومنه قوله: ﴿أفضتم من عرفات﴾ (١) أي: تفرّقتم كتفرّق الماء الّذي ينصبّ من الإناء، ومثله: أفاض الماء عليه، وأفاض في الحديث.

وقوله: ﴿وما يعزب عن ربّك﴾ فالعُزوب: الذهاب عن المعلوم، وضدّه: حضور المعنى للنفس، وتعزّب: إذا انفرد عن أهله، وقال ابن عبّاس: معنى «لا يعزب»: لا يغيب.

وقوله: ﴿من مثقال ذرّة﴾ فالذَرُّ: صغار النمل، واحده: ذرّة، وهو خفيف الوزن جدّاً، ومعنى ﴿مثقال ذرّة﴾: وزن ذرّة، يقال: خذ هذا فإنّه أخفّ مثقالاً أي: أخفّ وزناً.

وقوله: ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين﴾ معناه: لا يخفى عليه ما وزنه مثقال ذرّة ولا ما هو أصغر منها ولا ما هو أكبر إلّا وقد بيّنه في الكتاب المحفوظ، وكتب ملائكته وحفظته.

قوله [تعالى]:

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ آية بلا خلاف.

بيّن الله تعالى في هذه الآية: أنّ أولياءه ﴿لا خوف عليهم﴾ يوم القيامة من العقاب ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي: ولا يخافون، وقال ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر: هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيماء الخير والإخبات. وقال ابن زيد: هم الّذين آمنوا وكانوا يتّقون، وقد بيّنهم في الآية بعدها. وقال

---

(١) البقرة: ١٩٨.

قوم: هم المتحابّون في الله، ذكر ذلك في خبر مرفوع[١].

و «الأولياء»: جمع «وليّ» وهو الّذي يستحقّ من الله أن يوليه ثوابه وكرامته، وهو المطيع لله الّذي يتولّى إجلاله وإعظامه. وقيل: «الوليّ» النصير[٢]، ولا يُسمّى المتولّي للإنعام على غيره: أنّه وليّه، لأنّه قد يتولّى الإنعام عليه للمظاهرة بالجميل في أمره واستصلاحه الّذي يصرف عن القبيح وإن كان عدوّه، ولا يجتمع الولاية والعداوة. و«الخوف»: انزعاج القلب لما يتوقّع من المكروه. و «الخوف» و «الفزع» و «الجزع» نظائر، وضدّه: الأمن. و «الحزن»: غلظ الهمّ، مأخوذ من «الحَزْن» وهي الأرض الغليظة، وضدّه: السرور.

قال الجُبّائي: هذه الآية تدلّ على أنّ المؤمنين المستحقّين [للثواب] لا يخافون يوم القيامة أصلاً، بخلاف ما يقول قوم: إنّهم يخافون إلى أن يجوزوا على الصراط. وقال البلخي: ليس يمتنع أن يخافوا من أهوال القيامة وإن علموا أنّ مصيرهم إلى الجنّة والثواب.

وعلى ما نذهب إليه من أنّه يجوز أن يعاقب الله بعض الفُسّاق ثمّ يردّهم إلى الثواب، ينبغي أن نقول: الآية مخصوصة بمن لا يستحقّ العقاب أصلاً، أو نقول: المراد بذلك: لا خوف عليهم بعقاب الأبد ولا هم يحزنون لذلك.

ورُوِي[٣] عن عليّ بن الحسين عليه السلام: أنّهم الّذين أدّوا فرائض الله، وأخذوا بسنن رسول الله، وتورّعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيّب من رزق الله لمعايشهم، لا يريدون به

---

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٩٢ بسنده عن أبي هريرة وعمر بن الخطّاب وأبي مالك الأشعري.

(٢) قاله الطبري في تفسيره: ص ٩١.

(٣) رواه العيّاشي في تفسيره: ج ٢ ص ١٢٤ ح ٣١.

التفاخر والتكاثر، ثمّ أنفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأولئك الّذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا، ويُثابون على ما قدّموا منه لآخرتهم.

قوله [تعالى]:

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ آية بلا خلاف .

يحتمل موضع ﴿الّذين﴾ ثلاثة أوجه من الإعراب: أحدها: أن يكون نصباً، بأن يكون صفة لـ «الأولياء». [و] الثاني: أن يكون رفعاً على المدح. [و] الثالث: أن يكون رفعاً بالابتداء، وخبره: ﴿لهم البشرى﴾.

أخبر الله تعالى: أنّ الّذين يصدّقون بالله ويعترفون بوحدانيّته، وهم مع ذلك ﴿يتّقون﴾ معاصيه.

والفرق بين «الإيمان» و «التقوى»: أنّ التقوى مضمّن باتّقاء المعاصي مع منازعة النفس إليها، و «الإيمان» من الأمن بالعمل من عائد الضـرر. والفرق بين «الإيمان بالله» و «الطـاعة له»: أنّ «الطـاعة» مـن الانـطياع بجاذب الأمر والإرادة المرغّبة في الفعل، و «الإيمان» من الأمن المنافي لانزعاج القلب.

وقوله: ﴿يتّقون﴾ فالاتّقاء أصله من «وقيت» فقُلِبَت الواو وأُدغمت في تاء الافتعال، كما قُلِبَت في «تجاه» و «تراث».

قوله [تعالى]:

لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ آية بلا خلاف .

ذكر الله تعالى: أنّ الّذين وصفهم في الآية الأُولى من أنّهم يؤمنون بالله ويتّقون معاصيه ﴿لهم البشرى﴾ وهي الخبر بما يظهر سروره فـي بَشَـرة الوجه، و «البشرى» و «البشارة» واحد.

وقوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال قَتادَة والزُهْري والضَحّاك والجُبّائي: هو بشارة الملائكة عليهم السلام المؤمنين عند موتهم بما لهم عند الله من الفوز. الثاني: ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّها الرؤيا الصادقة الصالحة يراها المؤمن أو يرى له وفي الآخرة الجنّة[١] الثالث: بُشرى القرآن بصفة الإيمان، ذكره الفرّاء والزجّاج وغيرهما.

وقوله ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ معناه: لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب بوضع كلمة أُخرى مكانها بدلاً منها، لأنّها حقّ، والحقّ لا خلف له بوجه.

وقوله: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ إشارة إلى هذه البشرى المتقدّمة بأنّه الفوز الّذي يصغر كلّ شيء في جنبه.

قوله [تعالى]:

وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦٥) آية بلا خلاف.

ظاهر قوله: ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ ظاهر النهي، والمراد به التسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله عن قولهم الّذي يؤذونه به، والنهي في اللفظ القول، وإنّما هو عن السبيل المؤدّي إلى التأذّي بالقول، ومثله: لا رأيتك هاهنا، والمعنى: لا تكن هاهنا، فمن كان هاهنا رأيته، فكذلك المراد بالآية: لا تعبأ بالأذى فمن عبأ به آذاه.

وقوله: ﴿إنّ العزّة لله جميعاً﴾ كسرت ﴿إنّ﴾ بالاستئناف بالتذكير لما ينفي الحزن، لا لأنّها بعد «القول» لأنّها ليست حكاية عنهم، لأنّهم لم يقولوا: إنّ العزّة لله، ولا يجوز نصبها على أن تكون معمول القول، لأنّهم لو قالوه

(١) العبارة في الحجرية، هكذا «هو بشارة الملائكة عليهم السلام أنّها الرؤيا الصادقة الصالحة يراها الرجل أو يرى له. وقال أبو جعفر عليه السلام: البشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو يرى له، وفي الآخرة الجنّة».

لما أحزن ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله. ولو فُتِحت ﴿انّ﴾ على معنى «لأنّ» جاز. و«العزّة»: القدرة على كلّ جبّار بالقهر بأن لا يُرام ولا يُضام، عَزَّ يَعِزُّ عِزّاً فهو عَزِيز، والمعنى: أنّه الّذي يعزّك وينصرك حتّى تصير أعزّ ممّن ناواك.

وقوله: ﴿هو السميع العليم﴾ معناه: أنّه يسمع قولهم ويعلم ضميرهم، فيجازيهم بما تقتضيه حالهم، ويدفع عنك شرّهم.

قوله تعالى:

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ آية بلا خلاف .

قد بيّنّا فيما مضى أنّ أصل «ألا»: «لا» وإنّما دخلت عليها حرف الاستفهام تنبيهاً. والفرق بين «ألا» و «أمَا»: أنّ «ألا» للاستقبال، ولا تقع بعدها «انّ» إلّا مكسورة، و «أمَا» تكون بمعنى: «حقّاً» كقولهم: أمَا أنّه منطلق، لأنّها للحال، ويجوز بعد «أمَا» كسر «انّ» وفتحها.

لمّا سلّى الله النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ﴿لا يحزنك﴾ قول هؤلاء الكفّار ﴿إنّ العزّة لله﴾ يعني: القدرة والقهر فإنّهم لا يفوتونه، بيّن بعد ذلك ما يدلّ عليه وينبّه على صحّته وهو أنّ له تعالى ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ يعني: العقلاء، وإذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم، ووجب أن يكون ملكاً له، وإنّما خصّ العقلاء تعظيماً للأمر.

وقوله: ﴿وما يتّبع الّذين يدعون من دون الله شركاء﴾ يحتمل ﴿ما﴾ في قوله: ﴿وما يتّبع﴾ وجهَيْن: أحدهما: أن يكون بمعنى «أيّ» كأنّه قال: وأيّ شيء يتّبع الّذين يدعون من دون الله شركاء، تقبيحاً لفعلهم. الثاني: أن تكون نافية، وتقديره: وما يتّبعون شركاء في الحقيقة والمعرفة.

وقوله: ﴿إن يتّبعون إلّا الظنّ﴾ معناه: ليس يتّبعون في اتّخاذهم مع الله

شركاء إلّا الظنّ لتقليدهم أسلافهم في ذلك، أو لشبهة دخلت عليهم بأنّهم يتقرّبون بذلك إلى الله تعالى، وبيّن بعد ذلك أنّهم ليسوا إلّا كاذبين بهذا القول والاعتقاد في قولهم: ﴿وإن هم إلّا يخرصون﴾.

وفائدة الآية: الإبانة عن أنّه يجب إخلاص العبادة لمن يملك السماوات والأرض، وأن لا يشرك معه في العبادة غيره.

قوله [تعالى]:

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ آية بلا خلاف .

بيّن الله تعالى في هذه الآية: أنّ الّذي يملك مَن في السماوات ومن في الأرض ﴿هو الّذي جعل ... الليل﴾ أي: خلقه ﴿لتسكنوا فيه﴾ أي: خلقه وعرّضه لتسكنوا فيه، وأنّه لأجل ذلك خلقه ليزول التعب والكلال بالسكون فيه ﴿و﴾ جعل ﴿النهار مبصراً﴾ ليهتدوا به في حوائجهم بالإبصار. وإنّما قال مبصراً فإنّما يبصر فيه تشبيهاً ومجازاً وآستعارةً في صفة الشيء بسببه على وجه المبالغة، ومثله قول جَرير:

لَقَد لُمتِنا يا أُمّ غَيْلانَ في السُرَى ... وَنِمْتِ وما لَيلُ المَطيّ بنائِمِ[1]

وقال رُؤْبَة:

وَنَامَ لَيْلي وَتجَلّى هَمّي[2]

والفرق بين «الجعل» و «الفعل»: أنّ جعل الشيء قد يكون بإحداث غيره كجعل الطين خزفاً، ولا يكون فعله إلّا بإحداثه. والفرق بين «الجعل»

---

(١) من قصيدة يجيب الفرزدق. راجع ديوان جرير: ص ٤١٩، وأُمّ غَيلان ابنته.

(٢) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٩.

و «التغيير»: أنّ تغيير الشيء لا يكون إلّا بتصييره على خلاف ما كان، وجعله يكون بتصييره على مثل ما كان كجعل الإنسان نفسه ساكتاً على استدامة الحال.

وقوله: ﴿إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ إخبار منه تعالى وتنبيه على أنّ هذا الجعل لا يقدر عليه إلّا الله تعالى، وأنّه لا يصحّ إلّا من عالمٍ قاصدٍ، وأنّه نعمة على الخلق بما لهم في ذلك من النفع والصلاح، وأنّه من الأُمور اللازمة الدائرة، وأنّه منصوب للفكر لا يغيب عنه طرفة عين.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ آية بلا خلاف .

الّذين أضافوا اتّخاذ الولد إليه طائفتان: إحداهما: كفّار قريش والعرب، فإنّهم قالوا: الملائكة بنات الله. والأُخرى: النصارى الّذين قالوا: المسيح ابن الله، فكذّب الله الفريقَيْن، ولا يجوز اتّخاذ الولد على الله على وجه التبنّي، كما لا يجوز عليه آتّخاذ إلٰه على التعظيم، لأنّه لمّا استحال حقيقته عليه استحال مجازه المبنيّ عليها.

وحقيقة «الولد» من وُلِد على فراشه أو خُلِق من مائه، ولذلك لا يقال: تَبَنّى الشابّ شيخاً، ولا تبنّى الإنسان بهيمة، لما كان ذلك مستحيلاً، وهذه الحقيقة مستحيلة فيه تعالى، فاستحال مجازها أيضاً. واتّخاذ الخليل جائز، لأنّ الخِلّة إصفاء المودّة الّتي توجب الاطّلاع على سرّه ثقةً به، وإن كان مشتقّاً من «الخَلّة» بفتح الخاء فهو لافتقاره إليه، لأنّ الخَلّة هي الحاجة.

ويجوز أن يقال: المسيح روح الله، لأنّ الأرواح كلّها ملك لله، وإنّما

خصّ المسيح بالذكر تشريفاً له بهذا الذكر، كما خصّ الكعبة بأنّها بيت الله وإن كانت الأرض كلّها له تعالى.

وقوله: ﴿سبحانه هو الغني﴾ تنزيه من الله تعالى لنفسه عن اتّخاذ الولد، لكونه غير محتاج إلى ذلك، لأنّه مالك ما في السماوات والأرض.

وقوله: ﴿إن عندكم من‌سلطان بهذا﴾ إخبار منه أنّه ليس مع هؤلاء الّذين يتّخذون مع الله ولداً برهان ولا حجّة، لأنّ السلطان هو البرهان الظاهر، ووبّخهم على قولهم ذلك فقال: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ لأنّ مَن أقدم على‌الإخبار عمّا لايعلم صحّته ولا يأمن‌كونه‌كذباً مقبح عند العقلاء.

قوله [تعالى]:

قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ آيتان عند الجميع.

قوله: ﴿لا يفلحون﴾ وقف تامّ. أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول للمكلّفين: ﴿إنّ الّذين﴾ يكذبون ﴿على الله﴾ باتّخاذ الولد وغير ذلك ﴿لا يفلحون﴾ أي: لا يفوزون بشيء من الثواب.

وكُسِرت ﴿إنّ﴾ بعدالقول، لأنّه حكاية عمّا يستأنف‌الإخبار به، ولذلك دخلت لام الابتداء في الخبر، لأنّها تؤذن بأنّه موضع ابتداء. و «الكذب» يتعاظم الإثم عليه بحسب تعاظم الضرر به وكثرة الزواجر عنه، فالكذب على‌الله عظم لكثرة الزواجر عنه، لِمَا فيه من‌تضييع حقّ المنعم بأجلّ النِعَم.

وقوله: ﴿متاع في الدنيا﴾ رفع بأنّه خبر الابتداء، وتقديره: ذاك متاعٌ، أو: هو متاعٌ، ويجوز أن يكون على تقدير: لهم متاعٌ. وإنّما خصّ بالدنيا لئلّا يغترّ به. و «المتاع»: ما يقع به الانتفاع من أثاث وغيره. و«الانتفاع»:

حصول الالتذاذ، وإنّما جاز أن يُمتّعوا في الدنيا دون الآخرة [لأنّ الدينا دار عمل والآخرة دار جزاء، ولذلك كان التكليف في الدنيا دون الآخرة](١).

وقوله: ﴿ثمّ إلينا مرجعهم﴾ فالمرجع: المصير إلى الشيء بعد الذهاب عنه، فهؤلاء ابتدأهم الله ثمّ يصيرون إلى الهلاك بالموت، ثمّ يرجعون بالإنشاء ثانية.

وقوله: ﴿ثمّ نذيقهم العذاب الشديد بماكانوا يكفرون﴾ معناه: أنّا لا نقتصر على بعثهم بعد موتهم، بل نوصل إليهم العذاب الشديد وننزله بهم، جزاءً بما كانوا يكفرون في [دار] الدنيا.

قوله [تعالى]:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ نافع في رواية الأصمعي عنه: ﴿فاجمعوا﴾ من «جمع» الباقون بقطع الهمزة. وقرأ يعقوب ﴿وشركاؤكم﴾ بالرفع، الباقون بالنصب.

قال أبوعليّ: ما رواه الأصمعي عن نافع من وصل الهمزة من «جمعت» فالأكثر في الأمر أن يقال: أجمعت، كقوله: ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾(٢) وكما قال الشاعر:

هَلْ أَغْدُوَنْ يوماً وأمْري مُجْمَعُ(٣)

أي: معدّ. ويمكن أن يكون المراد: واجمعوا ذوي الأمر منكم أي:

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة. (٢) يوسف: ١٠٢.

(٣) وصدره: يا لَيتَ شِعْري والمنَى لا تَنْفعُ. أنشده الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ٩٨ ولم ينسبه لأحد.

رؤساءكم ووجوهكم، كما قال: ﴿وأُولي الأمر منهم﴾[١] فحذف المضاف وأجرى على المضاف إليه ما كان يجري على المضاف لو ثبت. ويجوز أن يكون جعل الأمر ما كانوا يجمعونه من كيدهم ثمّ الّذين يكيدونه به، فيكون بمنزلة قوله: ﴿فأجمعوا كيدكم ثمّ ائتوا صفّاً﴾[٢] على أنّ أبا الحسن[٣] يزعم أنّ وصل الألف في ﴿واجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ أكثر في كلام العرب، قال: وإنّما يقطعون الهمزة إذا قالوا: أجمعوا على كذا وكذا، قال: والقراءة بالقطع غريبة.

ومَن وصل الهمزة حمل الشركاء على هذا الفعل الظاهر، لأنّك جمعت «الشركاء» وجمعت «القوم» وعلى هذا قال: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾[٤] ومن قطع الهمزة أضمر لـ «الشركاء» فعلاً آخر، كأنّه قال: فأجمعوا أمركم وأجمعوا شركاءكم أو ادعوا شركاءكم، كما قال الشاعر:

عَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارِداً[٥]

وقال آخر:

شَرّابُ ألْبانٍ وتَمْرٍ وَأقِطْ[٦]

وفي قراءة أُبيّ: ﴿وادعوا شركاءكم﴾. ويجوز أن يكون انتصاب «الشركاء» على أنّه مفعول معه، وهو قول الزجّاج، كما قالوا: استوى الماء والخشبة، و: جاء البرد والطيالسة، وقالوا: لو ترك الفصيل وأُمّه لرضع من لبنها. ومَن رفع ﴿شركاؤكم﴾ كيعقوب والحسن حمله على الضمير، وتقديره: فاجمعوا أنتم وشركاؤكم. قال الزجّاج: وحسن ذلك لدخول

---

(١) النساء: ٨٣. (٢) طه: ٦٤. (٣) يريد به الأخفش. (٤) هود: ١٠٣.

(٥) وعجزه: حتّى شَتَتْ همّالةً عَيْناها. أنشده في اللسان: مادّة «علف». والشاهد فيه أنّه عطف «ماء» على «تبناً» وإن كان الماء لا يُعلف بل يُشرب.

(٦) أنشده المبرّد في الكامل: ج ١ ص ٤٣٢ و٤٧٧ ولم ينسبه لأحد.

المنصوب بينهما، ولو لم يدخل لَمَا حسن، لا يجوز أن تقول: اجمعوا وشركاؤكم، وإنّما يجوز العطف على الضمير إذا أُكّد[١]. وزعم أبو الحسن: أنّ قوماً يقيسون هذا الباب، وقوماً يقصرونه على ما سمع. قال أبو عليّ الفارسي: والأوّل عندي أقْيَس[٢].

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقرأ على هؤلاء الكفّار أخبار نوح عليه السلام حين قال لقومه ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ بين أظهركم ﴿وتذكيري﴾ إيّاكم ﴿بآيات الله﴾ وحججه، وهممتم بقتلي وأذاي، فافعلوا ما بدا لكم فإنّي على الله توكّلت.

وإنّما جعلت[٣] جواب الشرط ﴿فعلى الله توكّلت﴾ مع أنّه متوكّل عليه في جميع أحواله ليبيّن لهم أنّه متوكّل في هذا على التفصيل، لما في إعلامه ذلك من زجرهم عنه، لأنّ الله تعالى يكفيه أمرهم. و «التوكّل» لعمل جعل الأمر إلى من يدبّره، للثقة[٤] به في تدبيره، فمن فوّض أمره إلى الله فقد توكّل عليه.

وقوله: ﴿ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة﴾ معناه: ليكن أمركم ظاهراً مكشوفاً، ولا يكوننّ مغطًّى مستوراً، من: غممت الشيء إذا سترته. فالغمّة: ضيق الأمر الّذي يوجب الحزن. و «الغُمّة» و «الضغْطَة» و «الكُرْبة» و«الشدّة» نظائر، ونقيضه: الفرجة. وقيل: ﴿غمّة﴾ معناه: مغطًّى تغطيةً خبره، مأخوذ من: غُمّ الهِلَالُ.

وقوله: ﴿فاجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ فيه تهديد. وقوله: ﴿ثمّ اقضوا إليَّ

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه: ج ٣ ص ٢٨.
(٢) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٧١.
(٣) كذا في الخطّيّة والحجريّة.
(٤) في الحجريّة، بدل «لعمل»: والتعمّد. وفي الخطّيّة بدل «من يدبّره» من يريده، بدل «للثقة به»: من المشقّة.

ولا تنظرون﴾ معناه: افعلوا ما تريدون، على وجه التهديد لهم، وأنّه إذا كان الله ناصره وعليه توكّله فلا يبالي بمن عاداه وأراد به السوء، فإنّ الله يكفيه أمره. وقُرئ بالفاء[١] ومعناهما متقاربان، ولأنّ معنى «اقضوا»: توجّهوا إليّ، وقال ابن الأنباري: معنى ﴿اقضوا﴾: امضوا، يقال: قضى فلان إذا مات ومضى. ومعنى ﴿ولا تنظرون﴾: ولا تؤخّرون.

قوله [تعالى]:

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ آية بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيّهﷺ تمام ما حكاه عن نوح وأنّه قال لقومه: ﴿فإن تولّيتم﴾ أي: هربتم عن الحقّ وأتباعه، ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه. و«التولّي» و «الإعراض» و «الانصراف» نظائر.

وقوله: ﴿فما سألتكم من أجر﴾ أي: لا أطلب منكم أجراً على ما أُؤدّيه إليكم من الله فيثقل ذلك عليكم، و «الأجر»: النفع المستحقّ بالعمل، و«الأُجرة» مضمّنة بشريطةٍ أو مجرى عادة.

وقوله: ﴿إن أجري إلّا على الله﴾ أي: ليس أجري في القيام بأداء الرسالة إلّا على الله.

وقوله: ﴿وأُمرت أن أكون من المسلمين﴾ معناه: قل لهم: أمرني بأن أكون من المسلمين لأمر الله بطاعته، ثقةً بأنّها خير ما يكسبه العباد.

قوله [تعالى]:

فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

---

(١) أي: «أفضُوا إليّ» وهي قراءة السريّ بن ينعم. راجع مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه: ص ٦٢.

بِـَٔايَـٰتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ آية بلا خلاف .

لمّا حكى الله تعالى ما قال نوح لقومه في الآيتين الأوليين ذكر ما كان من قومه في مقابلة ذلك، وأنّهم كذّبوه، أي: نسبوه إلى الكذب فيما يذكره من أنّه نبيّ الله، وأنّ الله بعثه إليهم ليدعوهم إلى طاعته، وأنّه تعالى عند ذلك نجّى نوحاً أي: خلّصه، وخلّص الّذين معه في السفينة وجعلهم خلائف ومعناه إنّه جعل الّذين نَجَوا مع نوح خلفاً لمن هلك بالغرق، وقيل[1]: إنّهم كانوا ثمانين نفساً. وقال البلخي: يجوز أن يكون أراد به جعل منهم رؤساء في الأرض وأهلك باقي أهل الأرض أجمع لتكذيبهم لنوح.

و «الغرق»: الإهلاك بالماء الغامر، وقد يغرق الحصاة بالماء على هذا المعنى، وأمّا التغريق في رحمة الله فإنّما هو تشبيه بما اكتنفه الماء الغامر.

ثمّ قال لنبيّه ﷺ: ﴿انظر كيف كان عاقبة﴾ الّذين خُوّفوا بالله وعذابه فلم يخافوه كيف أهلكهم الله، ليعلمهم بذلك أنّ حكم هؤلاء الّذين كذّبوه وجحدوا نبوّته حكم أُولئك في أنّ الله يهلكهم ويدمّر عليهم، يسلّيه بذلك عن ترك انقيادهم له.

قوله [تعالى]:

ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أنّه بعث ﴿رسلاً﴾ بعد نوح وإهلاك قومه ﴿إلى قومهم﴾ الّذين كانوا فيهم بعد أن تناسلوا وكثروا، فأتوهم بالحجج والمعجزات الدالّة على صدقهم، وأنّهم مع ذلك ﴿ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل﴾

(١) قاله ابن عبّاس. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٤٤٣.

ويحتمل ذلك أمرين:

أحدهما: أنّهم لم يكونوا ليؤمنوا بما كذّبوا به قوم نوح من قبل: من توحيد الله وتصديق أنبيائه. والثاني: قال البلخي: ما كانوا ليؤمنوا بالحجج والبيّنات بعد إتيان الأنبياء بها بما كذّبوا به من قبل، يخبر عن عنادهم وعتوّهم.

ثمّ قال: ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ معناه: أنّا جعلنا على قلوب هؤلاء الكفّار سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذمّ بها، وتعرفهم بها الملائكة، وأنّا[1] مثل ذلك نفعل بقلوب المعتدين. وليس المراد بالطبع في الآية المنع من الإيمان، لأنّ مع المنع من الإيمان لا يحسن تكليف الإيمان. و «الطبع»: جعل الشيء على صفة غيره بمعنىً فيه، والمعتدون: هم الظالمون لنفوسهم الّذين تعدّوا حدود الله.

قوله [تعالى]:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِـَٔايَـٰتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٧٥﴾ آية بلا خلاف.

هذا إخبار من الله تعالى أنّه بعد إرسال من أرسل من الأنبياء بعد نوح وإهلاك قومه، وما ذكره من أنّهم لم يؤمنوا به، وأنّه طبع على قلوبهم عقوبة لهم على ذلك، بعث أيضاً ﴿بعدهم موسى وهارون﴾ عليهما السلام نبيّين مرسلَيْن ﴿إلى فرعون وملائه﴾ يعني: رؤساء قومه ﴿بآياتنا﴾ أي: بأدلّتنا وحججنا، وأنّهم استكبروا عن الانقياد لها والإيمان بها ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ [في ذلك] مستحقّين للعقاب الدائم.

---

(١) في الخطّيّة، بدل «أنّا»: إنّما.

و «الملأ»: الجماعة الّذين هم وجوه القبيلة، مأخوذ من أنّهم تملأ الصدور هيبتهم عند منظرهم، ومنه قوله ﷺ في قتلى بدر: «أُولئك الملأ من قريش». و «الاستكبار»: طلب الكبر من غير استحقاق، فأمّا «المتكبّر» في أوصاف الله فهو الظاهر، فإنّ له أعلى مراتب الكبر، وهو صفة ذمّ في العباد ومدح في صفة الله تعالى. و «الإجرام»: اكتساب السيّئة، وهي صفة ذمّ، وأصل «الإجرام»: القطع، يُقال: جَرَمَ التمر يَجْرِمُهُ جَرْماً فهو جارِمٌ، والجمع: جِرَام إذا صَرَمَه، وزَمنُ الجِرَام: زمنُ الصِرَام. وتَجَرّمت السنة: إذا تصرّمت، وفلان جريمة أهله أي: كاسبهم، وقوله: ﴿لا جرم أنّ لهم النار﴾ (١) أي: لابدّ لهم النار قَطْعاً، قال الشاعر:

ولَقَد طَعَنْت أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَرَمَتْ فزارةَ بعدَها أن يَغضَبُوا(٢)

أي: حملتهم على الغضب بقطعها إيّاهم. والجرم الجسم(٣) و «الجِرْم»: الصوت، و «الجُرْم»: الذنب. ووزن «موسى»: مفعل، وهو محمول على قياس العربية، فزيادة الميم أوّلاً أكثر من زيادة الألف أخيراً، وكذلك زيادة همزة فابقى افعل(٤) لهذه العلّة.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ آية بلا خلاف.

أخبرالله تعالى عن قوم فرعون الّذين ذكرهم، وأخبر عنهم بالاستكبار: بأنّهم قالوا مع ذلك حين ﴿جاءهم الحقّ﴾ من عند الله: ﴿إنّ هذا﴾ الّذي أتى

---

(١) النحل: ٦٢.

(٢) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ٣ ص ١٣٨ ونسبه إلى أحد بني فزارة.

(٣) وفي الحجريّة، بدل «الجِرم، الجسم»: انجرم الجسيم.

(٤) كذا في الخطّيّة، وفي الحجريّة: فإنّي فافعل.

به موسى من المعجزات والبراهين سحر ظاهر. و «لمّا» تدلّ على ما مضى، ولابدّ لها من الجواب، و «إذ» لما مضى وتستغني عن الجواب، كقولك: مضى إليه إذ قدم، أي: يوم قدم، و «إذا» تكون للمستقبل كحرف الجزاء. و«الحقّ» معنىً معتقده على ما هو به، وهو ما أتت به الرسل من البيان والبرهان عن الله تعالى. و «السحر»: إيهام المعجزة على طريق الحيلة، ويشبّه به «البيان» في خفاء السبب، قال الشاعر:

وحَديثُها السِحْر الحَلال لو أنّه لَم يجن قَتل المُسلمِ المتَحَرّز

والساحر الّذي يعتقد صحّة سحره كافر، لأنّه لا يمكنه مع ذلك معرفة النبوّة، فإن كان يمخرق بالسحر ويعلم أنّه باطل لم يكفر، ولم يطلق عليه صفة ساحر.

قوله [تعالى]:

قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن موسى أنّه قال لقومه الّذين نسبوه إلى السحر: ﴿أتقولون للحقّ لمّا جاءكم أسحر هذا﴾ ويريد بذلك تبكيتهم وتهجينهم، ثمّ قال موسى: ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ أي: لا يفوزون بشيءٍ من الخير. ويجوز أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى لا حكايةً عن موسى. وذلك يدلّ على بطلان السحر أجمع.

وقيل في تكرير ألف الاستفهام في قوله: ﴿أسحر هذا﴾ بعد أن قال: ﴿أتقولون﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون لتأكيد التقريع على الحذف، كأنّه قال: أتقولون

للحقّ لمّا جاءكم: إنّ هذا لسحر مبين، أسحر هذا؟

الثاني: على وجه التكرار، كقولك: أتقول: أعندك مال؟

الثالث: أن يكون حكاية قولهم وإن آعتقدوا أنّه السحر، كما يقول الرجل للجارية إذا أتته: أحقٌّ هذا؟ فيقولونه على التعجّب. ولو قالوا: الحقّ لا يكون سحراً، ولكن ليس بحقٍّ، لقال لهم: فلو كان حقّاً كيف كان إلّا هكذا: من قلب الجماد حيواناً يرونه عياناً، وغير ذلك من الآيات.

قوله [تعالى]:

قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ آية بلا خلاف .

رَوَى العُلَيْمي[1]: ﴿ويكون﴾ بالياء، الباقون بالتاء. ووجه الياء: أنّه تأنيث غير حقيقي وقد فصل بينهما. ومَن قرأ بالتاء فلأنّ «الكبرياء» لفظها لفظ التأنيث.

أخبر الله تعالى عن قوم موسى أنّهم قالوا له حين أظهر لهم المعجزات، ودعاهم إلى التصديق بنبوّته: ﴿أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا﴾ أي: لتصرفنا عن ذلك، و «اللَفْت»: الصَرْف عن أمرٍ، تقول: لَفَتَهُ يَلْفِتُهُ لَفْتاً، ولَفَتَ عُنُقَه: إذا لَوَاها، قال رُؤْبَة:

ولَفّت لفاتٌ لَها خَضّادُ[2]

وقال أيضاً:

لَفْتاً وتَهْزيعاً سَواءَ اللَفْتِ[3]

---

(١) هو أبو محمّد يحيى بن محمّد بن قيس العُلَيْمي الأنصاري الكوفي، ولد سنة (١٥٠) هـ وكان تلميذاً لأبي بكر بن عيّاش أحد تلامذة عاصم، وأصبح أكبر شيوخ القراءة في الكوفة، توفّي سنة (٢٤٣) هـ .

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «لفت» وفيه: لَفَتْن لَفَتاتٍ لهنّ خَضّادُ.

(٣) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٨٠.

التَهزيع: الدقّ، واللَفْت: اللَيّ. وقوله: ﴿وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾ قال مجاهد: الكبرياء: الملك. وقال قوم[١]: هي العظمة. وقال آخرون[٢]: هي السلطان. و «الكبرياء»: استحقاق صفة الكبر في أعلى المراتب.

والألف في قوله: ﴿أجئتنا﴾ ألف آستفهام، والمراد بـه الإنكـار عـلى طريق الحجاج منهم، فتعلّقوا بالشبهة في أنّهم على رأي آبائهم، وأنّ من دعاهم إلى خلافه فظاهر أمره أنّه يريد التأمُّر عليهم.

وقوله: ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ حكاية أنّهم قالوا لموسى وهارون: لسنا بمصدّقين لكما فيما تدّعيانه من النبوّة.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً: ﴿بكلّ سحّار﴾ بتشديد الحاء وألف بعدها، الباقون: ﴿ساحر﴾ على وزن «فاعل». وقد بيّنا الوجه فيذلك في الأعراف.

حكى الله تعالى عن فرعون أنّه حين أعجزه المعجزات الّتي ظهرت لموسى، ولم يكن له في دفـعها حـيلة ﴿قال﴾ لقـومه ﴿ائتوني بكلّ ساحر عليم﴾ بالسحر، بليغ في علمه.

و «فرعون» لا ينصرف لأنّه أعجمي معرفة، وهو منقول فـي حـال تعريفه، ولو نُقِل في حال تنكيره انصرف كـ«يـاقوت» ووزن «فـرعون»: فعلول، الواو زائدة لأنّها لحقت عند سلامة الثلاثة، ومثله: «فردوس».

وإنّما طلب فرعون كلّ ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به مـوسى،

---

(١) منهم الأعمش. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٤٤٥.

(٢) يرويها الأعمش عن مجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ١١ ص ١٠٢.

وحتّى لا يفوته شيء من السحر بتأخّر بعضهم. وإنّما توهّم مقاومة السَحَرة لموسى مع قول موسى له: ﴿لقد عَلِمْت ما أنزل هؤلاء إلّا ربُّ السموات والأرض﴾ [1] لأنّه إنّما عرف ذلك فيما بعد لمّا بهره الأمر، فكان قبل ذلك على الجهل لتوهّمه أنّ السحر يقاوم الحقّ.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى: أنّ السَحَرة الّذين طلبهم فرعون وأمر بإحضارهم لمّا جاؤوا فرعون وموسى حاضر ﴿قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ وهذا ظاهره الأمر، ويحتمل أمرَيْن:

أحدهما: أن يكون قال ذلك على سبيل التحدّي والإلزام، بمعنى: مَن كان عنده أنّه يقاوم المعجزات لزمه أن يأتي بها معه حتّى تظهر منزلته، وإنّما جاز إلزام الباطل على الخصم ليتبيّن أنّ أصله الفاسد يوجب عليه اعتقاد ذلك الباطل، كما أنّ الشيطان يوجب الفساد ويدعو إلى الضلال.

والثاني: أن يكون ذلك أمراً على الحقيقة بدليل أن كان معه قوله: ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ إنّما لم يقتصر على قوله: ﴿ألقوا﴾ لأنّ المراد به: ألقوا جميع ما أنتم ملقون في المستأنف، فلا يكفي منه «ألقوا».

و«الإلقاء» إخراج الشيء عن اليد إلى جهة الأرض، ويشبه بذلك قولهم: ألقى عليه مسألةً، وألقى عليه كلمةً، وألقى إليه خبره. و «الإلقاء» و«الطرح» نظائر. وفي الكلام حذف، لأنّ تقديره: قال فرعون ائتوني بكلّ ساحر عليم فأتوه بهم فقال لهم موسى.

---

(١) الإسراء: ١٠٢.

قوله [تعالى]:

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو وحده: ﴿آلسحر﴾ على الاستفهام، الباقون على الخبر.

قال أبوعليّ الفارسي: في قراءة أبي عمرو ﴿ما﴾ يرفع بالابتداء، و ﴿جئتم به﴾ في موضع الخبر، والكلام استفهام، لأنّ الكلام يستقبل بقوله: ﴿جئتم به﴾ ولو كانت موصولة احتاج إلى خبر آخر، وهذا الاستفهام المراد به: التقرير، كما قال: ﴿أأنت قلت للناس﴾ (١) لأنّ موسى عليه السلام كان عالماً بأنّ ذلك السحر، وإنّما ألحق ألف الاستفهام بقوله: ﴿السحر﴾ لأنّ ﴿السحر﴾ بدل من ﴿ما﴾ المبتدأ، ولزم أن يلحق ﴿السحر﴾ الاستفهام ليساوي المبدل منه في أنّه آستفهام، ألا ترى أنّه ليس في قولك: «السحر» استفهام، وعلى هذا قالوا: كم مالك أعشرون أم ثلاثون؟ فجعلت «العشرون» بدلاً من «كم» فأُلحقت «أم» لأنّك في قولك: «كم درهماً مالك» مدّعٍ أنّ له مالاً. ومَن قرأ على الخبر جعل ﴿ما﴾ موصولة و ﴿جئتم به السحر﴾ صلة، والهاء مجرورة عائدة على الموصول، و﴿السحر﴾ خبر المبتدأ الّذي هو الموصول (٢).

وحكى الفرّاء: أنّه دخل الألف واللام في قوله ﴿السحر﴾ للعهد، لأنّهم قالوا لمّا أتى به موسى: إنّه سحر، قال موسى: ما جئتم به فهو من السحر، وفي قراءة أُبيٍّ: ﴿ما جئتم به سحرٌ﴾ بلا ألف ولام. ومن قرأ بالاستفهام جعل ﴿ما﴾ في قوله: ﴿ما جئتم به﴾ للاستفهام، ومَن قرأه على الخبر جعل ﴿ما﴾ بمعنى «الّذي» وفسّرت ﴿ما﴾ بالواحد في «السحر» لأنّ المعنى عليه،

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة: ج ٢ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢.

وإنّما ذكر للتوبيخ، كقولك: ما صنعت الفساد[١].

حكى الله تعالى أنّه لمّا ألقى السَحَرة سحرهم قال لهم موسى: «الّذي جئتم به السحر» فمن قرأ على الخبر، و «أيّ شيءٍ جئتم به السحر» مقرّراً لهم. ثمّ أخبر: أنّ الله سيبطل هذا السحر الّذي فعلتموه ﴿إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ فالإصلاح: تقويم العمل على ما ينفع به بدلاً ممّا يضرّ، و«الصلاح»: استقامة العمل على هذا الوجه، و «الإفساد»: تعويج العمل إلى ما يضرّ بدلاً ممّا ينفع[٢] و«الفساد»: اضطراب العمل على هذا الوجه. و«الصلاح» مضمّن بالنفع لأنّه إذا أُضيف ظهر معنى النفع فيه، كقولك: صلاح لزيد، وهو أصلح له، أي: أنفع له وإن كان فيه فساد على غيره.

قوله [تعالى]:

وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ آية بلا خلاف .

هذا عطف على قوله: ﴿قال موسى ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطله إنَّ الله لا يصلح عمل المفسدين ويحقّ اللهّ الحقّ بكلماته﴾ وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أوّلها: قال الحسن: بوعده لموسى. الثاني: قال أبو عليّ: بكلامه الّذي يبيّن به معاني الآيات الّتي آتاها نبيّه صلى الله عليه وآله. الثالث: بما سبق [من حكمه] في اللوح المحفوظ بأنّ ذلك يكون. و «إحقاق الحقّ» معناه: إظهاره وتمكينه بالدلائل الواضحة والآيات البيّنة، حتّى يرجع الطاعن عليه حسيراً والمُناصِب له مفلولاً.

وقوله: ﴿ولو كره المجرمون﴾ معناه: أنّه يحقّ الحقّ وإن كرهه من هو مجرم.

---

(١) انظر معاني القرآن: ج ١ ص ٤٧٥.

(٢) كذا في الحجريّة، وفي الخطّيّة: تعويج العمل على ما ينفع بدلاً ممّا ينفع.

وفي الآية دلالة على أنّه تعالى ينصر المحقّين كلّهم في حقّهم لنصره إيّاهم بالحجّة، فأمّا بالغلبة في كلّ حال فموقوف، لأنّ المصلحة قد تكون بالتخلية تارةً وبالحيلولة أُخرى.

و «الحقّ» على ضربَيْن: أحدهما: ما كان يمكن أن يكون حقّاً وغير حقّ، فهذا لا يصير حقّاً إلّا بأن يقصد فاعله إلى[1] إيقاعه حقّاً، فجاز أن يقال: إنّه حقّ بالفاعل. والآخر: لا يؤثّر فيه قصد فاعله، فلا يقال في ذلك: إنّه حقّ بالفاعل.

قوله [تعالى]:

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه لم يصدّق ﴿لموسى﴾ بالنبوّة ﴿إلّا ذرّيّة من قومه﴾ مع خوفهم ﴿من فرعون﴾ ورؤساء قومه أن يفتنوهم. و «الذرّيّة»: الجماعة من نسل القبيلة، وحكي عن ابن‌عبّاس: أنّه أراد: إلّا قليل من قومه. وقيل[2]: كانت أُمّهاتهم من بني إسرائيل، وآباؤهم من القبط. وقيل: سمّوا ذرّيّة لأنّهم أولاد الّذين أُرسل عليهم موسى فلم يستجب الآباء وقبل: الأبناء[3]. وقيل: هم قوم من بني إسرائيل، أخذهم فرعون بتعلّم السحر وجعلهم من أصحابه[4].

ويحتمل أن يكون «ذرّيّة» على وزن: «فعْلِيّة» مأخوذاً من «الذرّ» كـ«قمريّة». والثاني: أن يكون على وزن «فعليّة» من «الذَرْو» في تَذْروه

(١) في الحجريّة: على.
(٢) قاله الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٧٦.
(٣) قاله مجاهد والأعشى والطبري في تفسيره: ج ١١ ص ١٠٣ و ١٠٤.
(٤) قاله ابن‌عبّاس. راجع تفسير الطبري المتقدّم.

الرياح، كقولك: مزيقة. ويجوز أن يكون من: ذَرَأَ الله الخلق، فترك همزة[١].

والفتنة في الدين: الامتحان الّذي يصرف عنه، وقد يكون ذلك بالإكراه تارةً وبالهدى أُخرى، وبالشبهة الداعية إلى الضلال. وقوله: ﴿إنّ فرعون لعالٍ في الأرض﴾ فالعلوّ في الأمر: عِظَم الشأن فيه، وكلّ معنىً لا يخلو من أن يكون في طبقة[٢] عالية أو دانية أو فيما بينهما من الجلالة والضعة.

والضمير في قوله: ﴿وملائهم﴾ قيل فيمن يعود إليه ثلاثة أقوال: أحدها: إلى الذرّية فقط. الثاني: إلى فرعون وأتباعه. الثالث: إلى فرعون، لأنّه معلوم.

وقوله: ﴿وإنّه لمن المسرفين﴾ إخبار منه تعالى: أنّ فرعون لمن جملة مَن أبعد في مجاوزة الحقّ، و «الإسراف» قد يكون في القتل وفي الإكثار من المعاصي.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن موسى أنّه قال لقومه: إن كنتم صدقتم بتوحيد الله فتوكّلوا عليه إن كنتم مسلمين، وإنّما أعاد قوله: ﴿إن كنتم مسلمين﴾ بعد قوله: ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ ليتبيّن المعنى بالصفتين من الإيمان والإسلام بالتقييد والإطلاق على أنّ الثقة بالله توجب الاستسلام لأمره.

و«التوكّل»: التوثّق بإسناد الأمر إلى الله، و «الوكالة»: عقد الأمر لمن

---

(١) ويكون وزنه على هذا: «فُعِّيلَة» وقد تقدّم تفصيله عند تفسير الآية: ١٧٢ من الأعراف.

(٢) في الحجريّة بدل «طبقة»: صفة.

يقوم به مقام مالكه، والله عزّ وجلّ أملك بالعبد من نفسه، فهو أحقّ بهذه الصفة، ويوجب التوكّل على الله النجاة من كلّ محذور، والفوز بكلّ سرور وحبور إذا أخلص العمل فيه، وسلمت النيّة فيه.

وحُذِفَت ياء الإضافة من قوله: ﴿يا قوم﴾ اجتزاءً بالكسرة منها، وهو في النداء أحسن من إثباتها لقوّة النداء على التغيير.

وفائدة الآية: البيان عمّا يعمل عليه عند نزول الشدّة مِن: أنّ مَن كان يؤمن بالله فليتوكّل على الله ويسلّم أمره إليه، ثقةً بحسن تدبيره له.

قوله [تعالى]:

فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ آيتان بلا خلاف .

الفاء في قوله: ﴿فقالوا﴾ فاء العطف وجواب الأمر، كما يقال: قال السائل كذا فقال المجيب كذا. وإنّما جازت الفاء في الجواب ولم تجز الواو لأنّ الفاء قريب[1] من غير مهلة، فهي موافقة لمعنى وجوب الثاني بالأوّل، وليس كذلك الواو.

لمّا حكى الله تعالى قول موسى لقومه: ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا﴾ حكى ما أجاب به قومه من قولهم: توكّلنا على الله، وأنّهم سألوا الله وقالوا: ﴿ربّنا لا تجعلنا فتنةً﴾ أي: محنةً واعتباراً ﴿للقوم الظالمين﴾ وخلِّصنا ﴿برحمتك من القوم﴾ الّذين كفروا بآياتك، وكلّ كافر ظالم لنفسه بتعرّضه للعقاب، وليس كلّ ظالم كافراً.

و«الفتنة» أصلها: البليّة، وهي معاملة تظهر الأمور الباطنة، يقال: فَتَنْت

---

(١) كذا في الخطّيّة والحجريّة، وفي مجمع البيان: تترتّب.

الذهب إذا أحرقته بالنار ليظهر الخلاص، وقوله: ﴿يوم هم على النار يُفتَنون﴾[١] أي: يحرقون بما فيه من إظهار حالهم في الضلال وقوله: ﴿والفتنة أشدّ من القتل﴾[٢] معناه: التعذيب للردّ عن الدين، لما فيه من إظهار النصرة أشدّ. ومعنى ﴿لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾: لا تمكّنهم من ظلمنا بما يحملنا على إظهار الانصراف عن ديننا، في قول مجاهد. وقال أبو الضحى والجُبّائي: معناه: لا يظهروا علينا فيروا أنّهم خير منّا. وقوله: ﴿ونجّنا﴾ معناه: خلّصنا ممّا فيه المخافة والشماتة.

وإنّما جاز وصف الله تعالى بالرحمة مع كثرة استعمالها في الرقّة لدلالة التعظيم على انتفاء معنى الرقّة [أنّ نِعَمه في الإسباغ والكثرة تقع موقع ما تبعث عليه الرقّة][٣]. وإنّما سألوا النجاة من استعباد فرعون ومَلَئِه إيّاهم، وأخذهم بالأعمال الشاقّة والمِهَن الخسيسة.

قوله [تعالى]:

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه أوحى ﴿إلى موسى وأخيه﴾ بمعنى: ألقى إليهما في خفاء. و «الإيحاء» و «الإيماء» و «الإشارة» نظائر، وكلّ[٤] بيان ودلالة. وحكى الرُمّاني: أنّ قوماً أجازوا أن يُوحي الله إلى مَن ليس بنبيٍّ برؤيا أو إلهام، قال: وليس يجوز عندنا على المعنى الّذي يقع الوحي إلى الأنبياء، لأنّه إنّما يقع على خلاف مجرى العادة معجزةً تشهد بأنّه تعالى ألقى

---

(١) الذاريات: ١٣.
(٢) البقرة: ١٩١.
(٣) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة.
(٤) في الحجريّة، بدل «كلّ»: كلّه.

المعنى إليه. ولا يجوز أن تطلق الصفة بالوحي إلّا لنبيٍّ، فإن قيّد ذلك على خلاف هذا المعنى كان جائزاً، كقوله: ﴿وأوحى ربّك إلى النحل﴾[١].

ومعنى قوله: ﴿تبوّءا﴾: اتّخذا، يقال: بوّأته منزلاً، أي: اتّخذته له، وأصله: الرجوع، من: ﴿باؤو بغضبٍ من الله﴾[٢] أي: رجعوا، والمبوَّء: المنزل، لأنّه يُرْجَع إليه للمقام فيه، ومنه قولهم: «بوّء بشسّعِ كُلَيْب» أي: ارجع به.

وقوله: ﴿واجعلوا بيوتكم قبلةً﴾ معناه: مصلّىً، وقيل: ﴿قبلةً﴾ مسجداً، لأنّهم كانوا خائفين فأُمِرُوا بأن يصلّوا في بيوتهم، في قول ابن‌عبّاس ومجاهد وإبراهيم والسُدّي والضحّاك والربيع.

وقال الحسن: يعني: قبلةً نحو الكعبة.

ولم يصرف ﴿مصر﴾ لأنّه مؤنّث معرفة، كقولك: هند، ولو صرفت لخفّته كما تصرف: «هند» كان جائزاً، وترك الصرف أقْيَس.

وقوله: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ أمر من الله إيّاهم بإقامة الصلاة والدوام على فعلها ﴿وبشّر المؤمنين﴾ أمر منه لموسى أن يبشّر المؤمنين بالجنّة وما وعد الله تعالى من الثواب وأنواع النعيم.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية عن موسى عليه السلام أنّه قال: يا ربّنا إنّك

---

(١) النحل: ٦٨.
(٢) البقرة: ٦١، وآل عمران: ١١٢.

أعطيت فرعون وملأه يعني: قومه ورؤساءهم ﴿زينةً وأموالاً في الحياة الدنيا﴾ وإنّما أعطاهم الله تعالى ذلك للإنعام عليهم مع تعرّيه من وجوه الاستفساد. و «الزينة»: ما يتزيّن به من الحليّ والثياب والمتاع، ويجوز أن يـراد بـه حسن الصورة ﴿ليضلّوا عن سبيلك﴾ فهذه لام العاقبة، وهي ما يؤول إليـه الأمر، كقوله: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحَزَناً﴾ (١). ويحتمل أن يكون المعنى: لئلّا يضلّوا عن سبيلك، فحذفت «لا» كقوله: ﴿ممّن ترضون من الشهداء أن تضلّ إحداهما﴾ (٢) أي: لئلّا تـضلّ، وكـقوله: ﴿أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾ (٣) أي: لئلّا يقولوا. ولا يجوز أن يكون لام الغرض، لأنّ الله تعالى لا يفعل بهم الزينة ويعطيهم ويريد منهم أن يضلّوا، بل إنّما يفعل لينتفعوا ويطيعوه ويشكروه. وقال قـوم: لو كـان أراد مـنهم الضلال لكانوا إذا ضلّوا مطيعين، لأنّ الطاعة هي مـوافـقة الإرادة، وذلك باطل بالاتّفاق.

وقوله: ﴿ربّنا اطمس على أموالهم﴾ إخبارٌ عن موسى أنّه دعـا عـلى قومه فسأل الله أن يطمس عـلى أمـوالهـم. و «الطـمس»: مـحو الأثـر، تقول: طَمَست عينه أطْمِسُها طَمْساً وطُمُوساً، وطَمَست الريح آثار الديار. فدعا موسى عليه السلام عليهم بأن يقلب حالهم عن الانتفاع بها، كقوله: ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً﴾ (٤) و «الطَمْس»: تغيّر إلى الدبور والدروس، قال كـعب ابن زُهَيْر:

مِن كلّ نَضّاخةِ الذِفْرى إذا عَـرِقَتْ عُرْضَتُها طامسُ الأعلامِ مَجْهولُ (٥)

---

(١) القصص: ٨. (٢) البقرة: ٢٨٢. (٣) الأعراف: ١٧٢. (٤) النساء: ٤٧.

(٥) من قصيدة يمدح بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. راجع ديوان كعب: ص ٨٦.

وقال قَتادَة والضحّاك وابن زيد وأبو صالح: صارت أموالهم حجارة.

وقوله: ﴿وٱشدد على قلوبهم﴾ معناه: ثبّتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم، فيكون ذلك أشدّ عليهم.

وقوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ يحتمل موضعه وجهَيْن من الإعراب:

أحدهما: النصب على جواب صيغة الأمر بالفاء أو بالعطف على ﴿ليضلّوا﴾ وتقديره: لئلّا يضلّوا فلا يؤمنوا. الثاني: الجزم بالدعاء عليهم، كما قال الأعشى:

فلا يَنْبسِطْ من بينِ عَيْنَيْكَ ما ٱنزَوَى

ولا تَلْقَني إلّا وأنفُكَ راغِمُ[1]

وقال الفرّاء: ذلك دعاء عليهم بأن لا يؤمنوا. وحكى الجبّائي عن قوم: أنّ المراد بذلك الاستفهام والإنكار، كأنّه قال: إنّك لا تفعل ذلك ليضلّوا عن سبيلك.

وقال أحمد بن يحيى ثعلب: هذه لام الإضافة، والمعنى: لضلالتهم عن سبيلك اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم. وحكى البلخي: أنّه يجوز أن يكون ذلك على التقديم والتأخير، وتقديره: ربّنا ليضلّوا عن سبيلك فلا يؤمنوا ربّنا اطمس على أموالهم.

وقيل[2]: إنّ قوله: ﴿فلايؤمنوا﴾ خرج مخرج الجواب للأمر، ومعناه: الإخبار، كما يقولون: أُنظر إلى الشمس تغرب. وقيل: إنّ المعنى: لا يؤمنون إيمان إلجاء حتّى يروا العذاب الأليم، وهم مع ذلك لا يؤمنون إيمان اختيارٍ أصلاً.

---

(١) من قصيدة يهجو يزيد بن مسهر الشيباني. راجع ديوان الأعشى: ص ١٨٢.

(٢) قاله الفرّاء في معانيه: ج ١ ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

وقال بعضهم[١]: اللام لام «كي» وأنّه أعطاهم الأموال والزينة لكي يضلّوا عقوبة. وهذا خطأ، لأنّه يوجب أن يكون ضلالهم عن الدين طاعةً لله.

قوله [تعالى]:

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَاتَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ آية بلاخلاف.

حكى الله تعالى أنّه أجاب موسى وهارون، فقال لهما: ﴿قد أُجيبت دعوتكما﴾ و «الجواب»: موافقة للدعوة فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة، فالله تعالى يجيب الدعاء إذا وقع بشروط الحكمة. واختلفوا في: هل يجوز أن يجيب الله تعالى دعاء الكافر أم لا؟ فقال أبو عليّ الجُبّائي: لا يجوز إجابته إكراماً[٢] له، كما يقولون: فلان مُجاب الدعوة، أي: هو رجل صالح، والكافر ليس بهذه المنزلة. وقال أبو بكر بن الأخشاد: يجوز ذلك إذا كان فيه ضرب من المصلحة.

والإجابة قد تكون من الأعلى للأدوَن من غير ترغيب المدعوّ، والطاعة لا تكون إلّا من الأدنى للأعلى. ولا يجوز عند أكثر المحصّلين أن يدعو نبيّ على قومه من غير إذن سمعي، لأنّه لا يأمن أن يكون منهم من يتوب مع اللطف في التبقية، فلا يُجاب، ويكون ذلك فتنة.

و«الدعوة»: طلب الفعل بصيغة الأمر، وقد يُدعى بصيغة الأمر الماضي[٣] كقولك: غفر الله لك، وأحسن إليك، وجزاك الله خيراً.

وإنّما قال: ﴿أُجيبت دعوتكما﴾ والداعي موسى، لأنّ دعاء موسى كان

---

(١) منهم الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٧٧.

(٢) كذا في الخطّيّة، وفي الحجريّة: لأنّ إجابته إكرام.

(٣) كذا في الخطّيّة والحجريّة.

مع تأمين هارون ـ على ما قال الربيع وابن زيد وعِكْرِمَة ومحمّد بن كَعْب وأبو العالية ـ والمُؤمِّن داعٍ، لأنّ معنى التأمين: اللّهمّ أَجِبْ هذا الدعاء.

وقوله: ﴿فاستقيما﴾ أمرٌ منه تعالى لهما بالاستقامة في دعائهما لفرعون وقومه على ما أمرتكما به، ولا تتّبعا سبيل الجاهلين لوعدي ووعيدي فإنّه لا خُلْف له. وقال ابن جُرَيْج: مكث فرعون بعد هذه الأُمور أربعين سنة.

وقوله: ﴿ولا تتّبعان سبيل الّذين لا يعلمون﴾ نهي منه تعالى لموسى وهارون أن يتّبعا طريقة مَن لا يؤمن بالله ولا يعرفه ولا يعرف نبيّه. وقرأ ابن عامر وحده: ﴿ولا تتّبعان﴾ مخفّفة النون، إلّا الداجُوني عن هشام فإنّه خيّر بين تخفيفها وتشديدها. وقرأ ابن عامر وحده: ﴿ولا تَتْبعانّ﴾ ساكنة التاء مخفّفة، مشدّدة النون، وفي رواية الأَخْفَش الدمشقي عن ابن عامر بتخفيف التاء والنون، الباقون بتشديد التاء والنون.

قال أبو عليّ النحوي: مَن شدّد النون فلأنّ هذه النون الثقيلة إذا دخلت على «تفعل» فتح لام الفعل لدخولها، وبُنِيَ الفعل معها على الفتح نحو «لتفعلَنّ» وحُذِفَت النون الّتي بنيت في «تفعلانّ» في حال الرفع مع النون الشديدة، وحُذِفَ الضمّ في «لتفعلنّ» وإنّما كُسِرَت الشديدة بعد ألف التثنية لوقوعها بعد ألف التثنية، فأُشبهت الّتي تلحق الألف في «رجلان» لما كانت في هذه مثلها، وداخلة لمعنىً كدخولها، ولم يعتدّ بالنون قبلها لأنّها ساكنة، ولأنّها خفيفة، فصارت المكسورة كأنّها وليت الألف. ومَن خفَّف النون يحتمل أن تكون مخفّفة من الثقيلة، كما خفّفوا «رُبّ» و «أنّ» ونحوهما، وحذفوا الأُولى من المثلين كما أبدلوا الأُولى من المثلين في نحو «قيراط» و «دينار» لأنّ أصلهما «قِرّاط» و «دِنّار» فأبدلوا من إحدى النونين ياءً.

ويحتمل أن يكون حالاً من قوله: ﴿فاستقيما﴾ وتقديره: فاستقيما غير متّبعين، [ويحتمل أن يكون على لفظ الخبر والمراد به الأمر][(١)].

قوله [تعالى]:

وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً ﴿آمنت إنّه﴾ بكسر الألف، الباقون بفتحها.

قال أبو عليّ: مَن فتح الهمزة فلأنّ هذا الفعل يصل بحرف الجرّ في نحو: ﴿يؤمنون بالغيب﴾[(٢)] و ﴿يؤمنون بالجبت﴾[(٣)] فلمّا حُذِف الحرف وُصِل الفعل إلى «أنّ» فصار في موضع نصبٍ أو خفضٍ على الخلاف في ذلك. ومَن كسر الألف حمله على القول المضمر، كأنّه قال: آمنت فقلت: إنّه، وإضمار القول في نحو هذا كثير، وهذا أحسن لأنّ قوله: ﴿انّه لا إله إلّا الله﴾ في المعنى إيمان، وإذا قال: آمنت، فكأنّه ذكر ذلك.

وقال الرُمّاني: مَن كسر «إنّ» جعله بدلاً من ﴿آمنت﴾ ومَن فتح جعله معمول ﴿آمنت﴾ وفي الكلام حذف، لأنّ تقديره: فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعَدْواً فيه، فغرّقناه حتّى إذا أدركه الغرق.

حكى الله تعالى: أنّه جاوز ﴿ببني إسرائيل البحر﴾ بمعنى: أخرجهم منه بأن جفّف لهم البحر وجعله طرقاً حتّى جاوزوه. و «المجاوزة»: الخروج عن الحدّ من إحدى الجهات الأربعة، لأنّه لو خرج عن البحر بقليل وهو متعلّق عليه لم يكن قد جاوزه. و «البحر»: مستقرّ الماء الواسع بحيث

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّيّة. (٢) البقرة: ٣. (٣) النساء: ٥١.

لا يدرك طرفه من كان في وسطه، ويقال: ما فلان إلّا بحرٌ، لسعة عطائه.

وقوله: ﴿فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعَدْواً﴾ فالإتباع: طلب اللحاق بالأوّل، أتْبَعَهُ إتْباعاً وتَبِعَهُ بمعنىً. وحكى أبو عُبَيْدَة عن الكسائي أنّه قال: إذا أُريد أنّه أتبعهم خيراً أو شرّاً قالوا بقطع الهمزة، وإذا أُريد أنّه اقتدى بهم [و] اتّبع أثَرهم قالوا بتشديد التاء ووصل الهمزة. و «البغي»: طلب الاستعلاء بغير حقّ، والباغي مذموم لقوله تعالى: ﴿فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾[1]. و ﴿عَدْواً﴾ معناه: عدواناً وظُلْماً.

وقوله: ﴿حتّى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنّه لا إله إلّا الّذي آمنت به بنوا إسرائيل﴾ إخبار منه تعالى أنّ فرعون حين لحقه الغرق والهلاك قال ما حكاه الله، [و] كان ذلك إيمان إلجاء لا يستحقّ به الثواب، كما لا يستحقّ بالإيمان الضروري[2].

وقوله: ﴿بغياً وعَدوْاً﴾ نصب على المصدر، والمراد: بغياً على موسى وقومه واعتداءً عليهم.

قوله [تعالى]:

ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أبو جعفر من طريق النَهْرَواني ونافع إلّا أبا طاهر عن إسماعيل وأحمد بن صالح عن قَالُون، والحَلْوَاني عن قَالُون من طريق الحـمّامي: ﴿ءَآلان﴾ في الموضعَيْن في هذه السورة[3] بإلقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة منهما.

---

(١) الحُجُرات: ٩.
(٢) أي الإيمان الّذي حصل جرّاء الاضطرار إليه، وحيث لا خيار دونه.
(٣) والموضع الآخر في آية ٥١.

قال أبو عليّ النحوي: اعلم أنّ لام المعرفة إذا دخلت على كلمةٍ أوّلها الهمزة فخُفّفت الهمزة، فإنّ في تخفيفها وجهَيْن: أحدهما: أن تُحْذَف وتُلْقى حركتها على اللام وتُقرّ همزة الوصل فيقال: «اَلَحْمَر» بالألف. والثاني: أن يقولوا: «لَحْمَرْ» بلا ألف، فيحذفون همزة الوصل، فالّذين أثبتوا الهمزة فلأنّ التقدير باللام السكون وإن كانت في اللفظ متحرّكة، واللغة الأُخرى، كما أنشد الكسائي:

فَقَد كُنْتَ تُخْفِي حُبّ سَمْراءَ حِقْبَةً فَبُحْ لانَ مِنْها بالّذي أنتَ بـائِحُ[1]

فأسكن الحاء لمّا كانت اللام متحرّكة، ولو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد في الوجه الأوّل يحرّك الحاء بالكسر كما يحرّك في: بح اليوم.

ومعنى «الآن»: فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع أنّه إشارة إلى الحاضر، ولهذا بُنِيَ كما بُنِيَ «إذا» وعُرّف «الآن» بالألف واللام و «أمس» يتضمّن حرف التعريف، لأنّ ما مضى بمنزلة المضمر[2] في المعنى في أنّه ليس له صورة، والحاضر في معنى المصرّح في صحّة الصورة.

واختلفوا فيمن القائل هذا القول: فقال الجُبّائي: إنّ القائل [فيمن] له مَلَكٌ، قال ذلك بأمر الله. وقال غيره: إنّ ذلك كلام من الله، قاله له على وجه الإهانة والتوبيخ، وكان ذلك معجزة لموسى عليه السلام.

ومعنى الآية حكاية ما قيل لفرعون حين قال: ﴿آمنت أنّه لا إله إلّا الّذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ بأنّك تقول هذا في هذه الساعة ﴿وقد عصيت قبل﴾ هذا ﴿وكنت من المفسدين﴾ في الأرض بقتل المؤمنين وادّعائك

(١) والبيت لعنترة، من قصيدة يصف غاراته على بني ضبّة وتميم. راجع ديوان عنترة بن شداد: ص ٨٤ وفيه: تعزّيت عن ذكرى سُهيّة حقبةً.

(٢) في المطبوعتين: المضمّن.

الالهيّة، وغير ذلك من أنواع الكفر.

قوله [تعالى]:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وقُتَيْبَة ﴿نُنْجِيك﴾ بالتخفيف، الباقون بالتشديد.

معنى قوله: ﴿ننجّيك ببدنك﴾ أي: نُلقِيك على نَجْوَةٍ من الأرض ببدنك عرياناً دون روحك، قال أوْس بن حَجَر:

فَـمَن بِـنَجْوتِهِ كَـمَنْ بِـعقْوتِهِ والمستَكِنُّ كَمَنْ يَمْشي بقِرْوَاحِ[1]

«القِرْواح»: حيث لا ماء ولا مطر. «البدن»: مستكنّ روح الحيوان على صورته، وكلّ حيوان له روح وبدن، والحيّ في الحقيقة الروح دون البدن عند قومٍ، وفيه خلاف.

ومعنى قوله: ﴿لتكون لمن خلفك آية﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: لمن يأتي بعدك ممّن يراك على تلك الصفة وقد كنت تَدّعي الربوبيّة. الثاني: أنّ بني إسرائيل قالوا: ما مات فرعون، فألقاه الله تعالى على نجوة من الأرض ليروه، ذهب إليه ابن‌عبّاس وقَتادَة.

وقوله: ﴿وإنّ كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ إخبار منه تعالى أنّ كثيراً من الخلق غافلون عن الفكر في حجج الله وبيّناته، أي: ذاهبون عنها. و «الغفلة»: ذهاب المعنى عن النفس، ونقيضها: اليقظة، والمراد بذمّهم بالغفلة عن آيات الله: تعريض بأنّهم تركوا النظر في آيات الله.

---

(١) من قصيدة يصف الطبيعة من حوله، راجع ديوان أوس، ص ١٦، وقيل: لعَبيد بن الأبرص، من قصيدة يصف البرق والمطر. راجع ديوان عَبيد: ص ٥٣. وفيهما: «بمَحْضِلِه» بدل «بعقْوتِهِ».

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ آية بلاخلاف.

قوله: ﴿ولقد بوّأنا﴾ إخبار منه تعالى أنّه وطّأ منزل بني إسرائيل، و «التبوّء»: توطئة المنزل لصاحبه الّذي يأوي إليه، تقول: بَوّأْتُه منزلاً تَبْوِيئاً وتَبَوّءاً، وباءَ بالأمر بَوَاءً أي: رجع. وقوله: ﴿مبوّأ صدق﴾ أي: منزل صدق، أي: فيه فضل كفضل الصدق، كما يقال: أخو صدق. وقيل: إنّه يصدق فيما يدلّ عليه من جلالة النِعْمة.

وقوله: ﴿ورزقناهم من الطيّبات﴾ أي: ملّكناهم الأشياء اللذيذة. و«الرزق»: العقد على العطاء الجاري، ودلّت الآية على سعة رزق بني إسرائيل.

وقوله: ﴿فما اختلفوا حتّى جاءهم العلم﴾ قيل في معناه وجهان:

أحدهما: إنّهم كانوا على الكفر فما اختلفوا حتّى جاءهم الدليل المؤدّي إلى العلم من جهة الرسول والكتاب، فآمن فريق وكفر آخرون، وهو قول الحسن وابن جُرَيْج وابن زيد. وقال قوم: كانوا على الإقرار بالنبيّ قبل مبعثه بصفته ونَعْته، فما آختلفوا حتّى جاءهم معلوم العلم به.

والمنزل الصدق الّذي أنزلوه قيل فيه ثلاثة أقوال: قال الحسن: هو مصر، وهو منزل صالح خصب آمن. وقال قَتادَة: هو الشام وبيت المقدس. وقال الضحّاك: هو الشام ومصر.

وقوله: ﴿إنّ ربّك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ إخبار منه تعالى بأنّه الّذي يتولّى الفصل بين بني إسرائيل في الأمور الّتي

يختلفون فيها[١].

قوله [تعالى]:

﴿فَإِنْ كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله يقول له: إن كنت في شكّ من الّذي أنزلنا عليك، و«الشكّ»: هو توقّف النفس فيما يخطر بالبال عن اعتقاده على ما هو به وعلى ما ليس به، وقيل: إنّ هذا وإن كان خطاباً للنبيّ صلى الله عليه وآله فإنّ المراد به الّذين كانوا شاكّين في نبوّته. وقال قوم: إنّ معناه: فإن كنت أيّها السامع في شكّ ممّا أنزلنا على نبيّنا إليك، ومثله قول القائل لعبده: إن كنت مملوكي فانته إلى أمري، وقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فبرّني، وقوله: إن كنت والدي فتعطّف عليَّ.

وحكى الزجّاج وجهاً ثالثاً وهو: أن يكون معنى ﴿إنْ﴾ معنى «ما» والتقدير: ما كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك ﴿فاسأل الّذين﴾ أي: لسنا نريد بأمرك لأنّك شاكّ، لكن لتزداد بصيرة، كما قال لإبراهيم: ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي﴾[٢].

وقوله: ﴿فاسأل الّذين يقرؤن الكتاب من قبلك﴾ قيل: إنّما أمره بأن يسأل أهل الكتاب مع جحد أكثرهم لنبوّته لأمرَيْن:

أحدهما: أن يكون أمره بأن يسأل مَن آمن من أهل الكتاب، كعبدالله ابن سلام وكعب الأحبار وابن صوريا، ذهب إليه ابن‌عبّاس ومجاهد وابن زيد والضحّاك.

---

(١) في المخطوطة بدل «فيها»: بها.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

والثاني: سلهم عن صفة النبيّ صلى الله عليه وآله المبشّر به في كتبهم ثمّ أنظر فيمن وافق فيه تلك الصفة. وقال البلخي: ذلك راجع إلى قوله: ﴿فما اختلفوا إلّا من بعد ما جاءهم العلم﴾ فأمره بأن يسألهم هل الأمر على ذلك؟ فإنّهم لا يمتنعون عن الإخبار به، ولم يأمره بأن يسألهم[1] هل هو محقّ فيه أم لا؟ ولا أنّ ما أنزله عليه صدق أم لا؟

ووجه آخر: وهو أنّه إنّما أمره بأن يسألهم إن كان شاكّاً، ولم يكن شاكّاً فلا يجب عليه مسألتهم، وهذا معنى ما روي[2] عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ما شككت ولا أنا شاكّ».

وقوله: ﴿لقد جاءك الحقّ من ربّك﴾ قسم منه تعالى بأنّه قد جاءك يا محمّد الحقّ من عند ربّك، لأنّ لام ﴿لقد﴾ لام القَسَم.

وقوله: ﴿فلا تكوننّ من الممترين﴾ أي: لا تكوننّ من الشاكّين، و«الامتراء»: طلب الشكّ مع ظهور الدليل، وهو من: مَرَى الضَّرْعَ وهو مَسَحَه ليَدرّ، فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحلب. وقال سعيد بن جُبَيْر والحسن وقَتادَة وأبو عبدالله عليه السلام: لم يشكّ النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يسأل ويقوّي أنّ الخطاب متوجّه إلى النبيّ والمراد به غيره قوله بعد هذا: ﴿قل يا أيّها الناس إن كنتم في شكّ﴾.

قوله [تعالى]:

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٥﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) العبارة في الخطّية هكذا: فإنّهم لا يمتنعون من الإخبار به فإن تسألهم هل هو محقّ أم لا....
(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١١ ص ١١٦ بمثله.

هذا الكلام عطف على قوله: ﴿فلا تكوننّ من الممترين﴾: ﴿ولا تكوننّ من الّذين كذّبوا بآيات الله﴾ أي: من جملة من يجحد بآيات الله ولا يصدّق بها فإنّك إن فعلت ذلك كنت من الخاسرين. والمراد بالخطاب غير النبيّ ﷺ من جملة أُمّته من كان شاكّاً في نبوّته.

والنون في قوله: ﴿لا تكوننّ﴾ نون التأكيد، وهي تدخل[1] في غير الواجب لأنّك لا تقول: أنت تكوننّ، ودخلت في القَسَم على هذا الوجه لأنّه يطلب بالقَسَم التصديق، وبُنِي الفعل مع نون التأكيد لأنّها رُكّبت مع الفعل على تقدير كلمتين: كلّ واحدة مركّبة مع الأُخرى، مع أنّ الأُولى ساكنة، واقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنَين.

وإنّما شُبّه الكافر بالخاسر مع أنّ حاله أعظم من حال الخاسر، لأنّ حال الخاسر قد جرت بها عادةً ذاق[2] طعم الحسرة فيها فردّ إليها لبيان أمرها، خسران النفس الّذي هو أعظم منها.

قوله [تعالى]:

إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ آيتان عند الجميع .

قد ذكرنا اختلافهم في «كلمة» و «كلمات» وأنّ مَن وحّد فلأنّه اسم جنس، ومَن جمع أراد اختلاف الألفاظ. أخبر الله تعالى ﴿إنّ الّذين حقّت عليهم كلمة ربّك﴾ يا محمّد أي: وجب على تحقيق بأنّهم ﴿لا يؤمنون﴾ من غير شرط ولا تقييد، تقول: حَقّ الأمر يَحُقُّ حقّاً. وإنّما جاز وصف جملة

---

(١) كذا في الخطّيّة والحجريّة، وفي مجمع‌البيان: وهي لا تدخل.

(٢) في الحجريّة: «وذاق».

من الكلام بالكلمة لأنّه لمّا كان في معنىً واحدٍ صار بمنزلة الكلمة الواحدة، ولذلك قالوا في قصيدة من الشعر: إنّها كلمة.

وقوله: ﴿حتّى يروا العذاب الأليم﴾ معناه: أنّهم إنّما يؤمنون إذا شاهدوا العذاب فآمنوا ملجئين إيماناً لا ينفعهم. والرؤية في الآية رؤية العين، لأنّها تعدّت إلى مفعول واحد، والعذاب وإن كان ألماً وهو لا يصحّ أن يُرى، فإنّه تُرى أسبابه ومقدّماته فصار بمنزلة ما يُرى، فلذلك أخبر عنه بالرؤية له.

وقوله: ﴿ولو جاءتهم كلّ آية﴾ إعلام بأنّ هؤلاء الكفّار لا لطف لهم يؤمنون عنده إيمان اختيار، وإنّما جاز تكليفه الإيمان بإخبار الله تعالى أنّه لا يؤمن للإنعام بالمنافع في أحوال التكليف الّتي لا تحصى كثرةً مع ما في ذلك من اللطف لغيره، [و] لا ظلم فيه لأحد، وإنّما يظلم الكافر نفسه بسوء اختياره. وإنّما أنّث قوله: ﴿جاءتهم كلّ آية﴾ لأنّه مضاف إلى الآية وهي مؤنّثة، كما قالوا: ذهبت بعض أصابعه.

ومعنى الآية: الإخبار عن أنّ هؤلاء لا يؤمنون إيماناً يستحقّون به الثواب، ولا ينافي ذلك قدرتهم على الإيمان، كما أنّه إذا أخبر أنّه لا يقيم القيامة الساعة، لم يمنع ذلك من قدرته على إقامتها في الحال. وقيل: إنّ التقدير في الآية: أنّ الّذين لا يؤمنون حقّت عليهم كلمة ربّك.

قوله [تعالى]:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ آية بلا خلاف.

معنى ﴿فلولا﴾: هلّا، وهي تستعمل على وجهَيْن: أحدهما: على وجه التحضيض. والثاني: على وجه التأنيب، كقولك: هلّا يأتي زيداً لحاجتك،

وهلّا امتنعت من الفساد الّذي دعيت إليه، قال الشاعر:

تَعدُّونَ عَقَرَ النِيبِ أفْضلَ مَجْدِكُم بَني ضَوْطَرَى لولا الكَميّ المُقْنَعا[1]

أي: هلّا تعقرون[2] الشجعان.

وقوله: ﴿إلّا قوم يونس﴾ استثناء منقطع في اللفظ وتقديره لكن قوم يونس لمّا آمنوا، والمعنى فما كان أهل قرية آمنوا إلّا قوم يونس، و نصب لأنّه منقطع، كما قال الشاعر:

أعْيَتْ جَواباً وما بالرَبْع من أحَدِ

إلّا الأواريّ لأُياً ما أُبيّنها

والنُؤْيُ كالحوضِ بالمَظْلومة الجَلَدِ[3]

وحكى الفرّاء[4]: «لا إنْ ما أُبيّنهما» وقال: جمع الشاعر بين ثلاثة أحرف في النفي: «لا» و «إن» و «ما». وإنّما جاز ﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾ لأنّ المراد: أهل قرية، فحُذِف اختصاراً من غير إخلال بالمعنى.

وقوله: ﴿فنفعها إيمانها﴾ معناه: هلّا كانت أهل قرية آمنت في وقتٍ ينفعها الإيمان، وجرى هذا بعقب قول فرعون: لمّا إذا أدركه الغرق قال آمنت أنّه لا إله إلّا الّذي فأعلم الله أنّ الإيمان لا ينفع عند نزول العذاب ولا عند حضور الموت، وقوم يونس لم يقع بهم العذاب، كأنّهم لمّا رأوا الآية الدالّة على العذاب آمنوا، فلمّا آمنوا كشف عنهم العذاب.

---

(١) لجرير، من قصيدة طويلة يهجو الفرزدق. راجع ديوان جرير: ص ٢٥٤.

(٢) في الحجريّة: هلّا تعدّون.

(٣) للنابغة الذبياني، من قصيدة يمدح الملك النعمان. راجع ديوان النابغة: ص ١٩.

(٤) ورواية الفرّاء للبيت هكذا: إلّا أواريّ ما إن لا أُبيّنها.

و «النفع»: هي اللذّة، ومعناه هاهنا: أنّه وجبت لهم اللذّة بفعل ما يؤدّي إليها، كما أنّ الصلة بالمال نفع لأنّه يؤدّي إلى اللذّة، وكذلك أكل الطعام الشهيّ وتناول الكريه عند الحاجة نفع لأنّه يؤدّي إلى اللذّة، و «الخزي»: هو الهوان الّذي يفضح صاحبه ويضع من قدره.

وقال الجُبّائي: المراد بأهل القرية ـ على قول كثير من أهل التأويل ـ ثمود الّذين أهلكهم الله بكفرهم، والتقدير: هلّا أهل قريةٍ سوى قوم يونس آمنوا فنفعهم إيمانهم وزال عنهم العذاب كما آمن قوم يونس لمّا أحسّوا بنزول العذاب، فكشف الله عنهم [عذاب] الخزي في الحياة الدنيا ومتّعهم وبقّاهم أحياءً سالمين في الدنيا بعد توبتهم إلى مدّة من الزمان. وهذا الّذي ذكره إنّما كان يجوز لو كان ﴿إلّا قوم يونس﴾ رفعاً، وكان يكون ﴿إلّا قوم يونس﴾ صفة أو بدلاً من الأوّل، لأنّ المعنى: «إلّا قوم يونس» محمول على معنى «هلّا كان قوم قرية» أو: «قوم نبيٍّ آمنوا إلّا قوم يونس». قال الزجّاج: لم يقرأ أحد بالرفع، ويجوز في الرفع أن يكون بدلاً من الأوّل وإن لم يكن من جنس الأوّل، كما قال الشاعر:

وبَــلْدةٍ ليس لهــا أنـيسُ ... إلّا اليَعافِيرُ وإلّا العِيسُ[١]

وقال أبو عُبَيْدة: ﴿إلّا﴾ هاهنا بمعنى الواو، والمعنى: وقوم يونس. وقال الحسن: معنى الآية: أنّه لم يكن فيما خلا أن يؤمن أهل قرية بأجمعها حتّى لا يشذّ منهم أحد إلّا قوم يونس، فهلّا كانت القرى كلّها هكذا. وقرأ طلحة بن مصرّف: «يونِس» و «يوسِف» بكسر النون والسين،

(١) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ٢ ص ٣٢٢. ونسبه محقّق الكتاب إلى جران العود، وذكر ديوانه: ص ٥٣.

أراد أن يجعل الاسمين عربيّين مشتقّين من «أسف» و «أنس» وهو شاذّ.

فإن قيل: قوله: ﴿كشفنا عنهم العذاب﴾ يدلّ على نزول العذاب بهم، فكيف ينفع مع ذلك الإيمان؟ وهل ذلك إلّا ضدّ قوله: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا﴾ (١)؟

قلنا: ليس يجب أن يكون العذاب نزل بهم، بل لا يمتنع أن يكون ظهرت لهم دلائله وإن لم يروا العذاب، كما أنّ العليل المُدْنَف قد يستدرك التوبة، فيقبل الله توبته قبل أن يتحقّق الموت، فإذا تحقّقه لم يقبل بعد ذلك توبته، وقد قال الله تعالى: ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ (٢) ولا يدلّ ذلك على أنّهم كانوا دخلوا النار فأُنْقِذوا منها، فكذلك لا يمتنع أن يكون كشف عنهم العذاب وإن لم يكن حلّ بهم ولا عاينوه إذا كان قد قرب منهم واستحقّوه في الحكم.

قوله [تعالى]:

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّه ﴿لو شآء﴾ وأراد ﴿لآمن مَن في الأرض كلّهم جميعاً﴾ فـ﴿كلّهم﴾ رفع لأنّه تأكيد لـ ﴿مَن﴾ وهي مرتفعة بـ«الإيمان» و ﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال. و«المشيئة» و «الإرادة» و«الإيثار» و «الاختيار» نظائر، وإنّما يختلف عليهم الاسم بحسب مواقعها على ما بيّنّاه في الأُصول. وقيل: إنّ «الشيء» مشتقّ من «المشيئة» لأنّه ممّا يصحّ أن يذكر ويشاء، كما اشتقّوا «المعنى» من «عنيت».

---

(١) غافر: ٨٥.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

ومعنى الآية: الإخبار عن قدرة الله، وأنّه يقدر على أن يكره الخلق على الإيمان، كما قال: ﴿إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آيةً فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾ (١) وإنّما أراد بذلك الإخبار عن قدرته بلا خلاف، ولذلك قال بعد ذلك: ﴿أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين﴾ ومعناه: أنّه لا ينبغي أن يريد إكراههم، لأنّ الله عزّ وجلّ يقدر عليه ولا يريده، لأنّه ينافي التكليف، وأراد بذلك تسلية النبيّ صلى الله عليه وآله والتخفيف عنه ممّا يلحقه من التحسّر والحرص على إيمانهم.

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبّرة، فإنّه تعالى لم يزل كان شائياً، وأنّه لا يوصف بالقدرة أن يشاء، لأنّه تعالى أخبر أنّه لو يشاء لقدر عليه، لكنّه لم يشأ فلذلك لم يوجد، ولو كان شائياً لم يزل لما جاز أن يقول ﴿ولو شاء ربّك﴾ كما لا يجوز أن يقول: «لو شاء لقدر» لما كان كونه قادراً حاصلاً لم يزل.

قوله [تعالى]:

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

آية بلا خلاف .

قرأ أبو بكر إلّا الأعشى والبُرْجُمي: ﴿ونجعل﴾ بالنون، الباقون بالياء. مَن قرأ بالياء فلأنّه تقدّم ذكر الله فكنّى عنه، ومَن قرأ بالنون ابتدأ بالإخبار عن الله.

ومعنى قوله: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله﴾ أنّه لا يمكن أحد أن يؤمن إلّا بإطلاق الله له في الإيمان وتمكينه منه ودعائه إليه بما خلق

(١) الشعراء: ٤.

فيه من العقل الموجب لذلك. وقال الحسن وأبو عليّ الجُبّائي: إذنه هاهنا أمره، كما قال: ﴿يا أيّها الناس قد جاءكم الرسول بالحقّ من ربّكم فآمنوا خيراً لكم﴾[١] وحقيقة إطلاقه في الفعل بالأمر، وقد يكون الإذن بالإطلاق في الفعل برفع التبعة. وقيل[٢]: معناه: وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بعلم الله.

وأصل «الإذن»: الإطلاق في الفعل، فأمّا الإقدار على الفعل فلا يسمّى إذناً فيه، لأنّ النهي ينافي الإطلاق. قال الرُمّاني: والنفس خاصّة الشيء الّتي لو بَطُل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء، ونفسه وذاته واحد، إلّا أنّه قد يؤكّد بالنفس ولا يؤكّد بالذات. و «النفس» مأخوذة من: النفاسة.

وقوله: ﴿ويجعل الرجس على الّذين لا يعقلون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الفرّاء: ﴿الرجس﴾ العذاب يجعله على الّذين لا يعقلون أمر الله ولا نهيه ولا ما يدعوهم إليه.

الثاني: قال الحسن: ﴿الرجس﴾ الكفر، أي: يجعله بمعنى: أنّه يحكم أنّهم أهله ذمّاً لهم وسماً ﴿على الّذين لا يعقلون﴾ أي: كأنّهم لا يعقلون شيئاً ذمّاً لهم وعيباً. وقال ابن‌عبّاس: ﴿الرجس﴾ الغضب والسخط.

وقال أبو عُبَيْدَة: ﴿الرجز﴾ العذاب، ومثله: الرجس، ومنه قوله: ﴿لَئِن كشفت عنّا الرِجز﴾[٣] وقوله: ﴿فلمّا كشفنا عنهم الرِجز﴾[٤] وقوله: ﴿والرُجزَ فاهجُرْ﴾[٥] معناه: وذا الرجز، أي: الّذي تؤدّي عبادته إلى العذاب. وقال الحسن[٦]: «الرجز» بضمّ الراء: العذاب، وبكسرها: الرجس. وقال الفرّاء: يجوز أن يكون «الرجز» بمعنى «الرجس» وقُلِبَت الزاي سيناً كما قالوا:

---

(١) النساء: ١٧٠. (٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٣ ص ٣٦.

(٣ و ٤) الأعراف: ١٣٤ و ١٣٥ على الترتيب.

(٥) المدّثّر: ٥. (٦) في الخطّيّة: أبو عليّ.

أسد وأزد.

قوله [تعالى]:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْأَيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ آية بلا خلاف.

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يأمر الخلق بالنظر، لأنّه الطريق المؤدّي إلى معرفة الله [تعالى] و «النظر» المراد في الآية: الفكر والاعتبار، وقال الرُمّاني: هو طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب إدراكه بالعين.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ماذا في السموات والأرض﴾ أي: ما فيهما من العِبَر من مجيء الليل والنهار، ومجرى النجوم والأفلاك، ونتاج الحيوان، وخروج الزرع والثمار، ووقوف السماوات والأرض بغير عماد، لأنّ كلّ ذلك تدبير يقتضي مدبّراً لا يشبه الأشياء ولا تشبهه.

وقوله: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: أن تكون ﴿ما﴾ نفياً، بمعنى: ما يغني عنهم شيئاً يدفع الضرر إذا لم يفكّروا فيها ولم يعتبروا بها، كقولك: وما يغني عنك المال شيئاً إذا لم تنفقه في وجوهه.

والآخر: أن تكون ﴿ما﴾ للاستفهام، كقولك: أيّ شيءٍ يغني عنهم من اجتلاب نفعٍ أو دفع ضررٍ إذا لم يستدلّوا بها؟ «النُذُر» جمع «نذير» وهو صاحب النذارة، وهي إعلام موضع المخافة ليقع به السلامة.

قوله [تعالى]:

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ آية بلا خلاف.

خاطب الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله بلفظ الاستفهام والمراد به النفي، لأنّ

تقديره: ليس ينتظر هؤلاء الكفّار إلّا مثل أيّام الّذين خَلَوا من قبلهم، وإنّما قابل بين الأيّام المنتظرة والأيّام الماضية في وقوع العذاب والحسرة حيث لا تنفع الندامة.

و «الانتظار» هو الثبات لتوقّع ما يكون من الحال، تقول: انتظرني حتّى ألحقك، ولو قلت: توقّعني، لم تكن قد أمرته بالثبات. والمثل في الجنس: ما سدّ أحدهما مسدّ صاحبه فيما يرجع إلى ذاته، والمثل في غير الجنس: ما كان على المعنى يقرّبه من غيره كقربه من جنسه، كتشبيه أعمال الكفّار بالسراب.

وقوله: ﴿قل فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين﴾ أمر من الله لنبيّه أن يقول لهم: انتظروا ما وعدكم الله به من العقاب فإنّي منتظر نزوله بكم مع جميع المنتظرين كما وعد الله به.

قوله [تعالى]:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب: ﴿ثمّ نُنْجي﴾ بالتخفيف. وقرأ الكسائي ويعقوب وحفص والكسائي عن أبي‌بكر: ﴿ننجي المؤمنين﴾ بالتخفيف، الباقون بالتشديد فيهما.

قال أبو عليّ النحوي: يقال: نَجَا زيد [نفسه] فإذا عدّيته: فإن شئت قلت: أنْجيته، وإن شئت قلت: نجّيته، ومَن شدّد فلقوله: ﴿ونجّينا الّذين آمنوا﴾ (١) ومن خفّف فلقوله: ﴿فأنْجاه الله من النار﴾ (٢) وكِلَاهما حسن.

أخبر الله تعالى: أنّه إذا أراد إهلاك قومٍ استحقّوا الهلاك نجّى رسله من بينهم وخلّصهم من العقاب، ويخلّص مع الرسل المؤمنين الّذين أقرّوا له

---

(١) فصّلت: ١٨.
(٢) العنكبوت: ٢٤.

بالوحدانية وللرسل بالتصديق.

وقوله: ﴿كذلك حقّاً علينا ننج المؤمنين﴾ وجه التشبيه في ذلك: أنّ نجاة من بقي من المؤمنين كنجاة من مضى في أنّه حقّ على الله ثابت لهم. ويحتمل أن يكون العامل في ﴿كذلك﴾: ﴿ننجّي﴾ الأوّل، وتقديره: ننجّي رسلنا والّذين آمنوا كذلك الإنجاء. ويحتمل أن يعمل فيه الثاني.

وكذلك ﴿حقّاً علينا﴾ [1] يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: أن يكون معناه: واجباً علينا ننجي المؤمنين من عقاب الكفّار، ذكره الجُبّائي. الثاني: أن يكون على وجه التأكيد، كقولك: مررت بزيدٍ حقّاً، إلّا أنّ ﴿علينا﴾ يقتضي الوجه الأوّل.

و«النجاة» مأخوذة من «النجوة» وهي الارتفاع عن الهلاك. و«السلامة» مأخوذة من إعطاء الشيء من غير نقيصة، أسلمته إليه: إذا أعطيته سالماً من غير آفة.

قوله [تعالى]:

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّه ﷺ أن يقول للخلق: ﴿يا أيّها الناس إن كنتم في شكّ من ديني﴾ فإنّ ديني أن ﴿لا أعبد الّذين تعبدون من دون الله﴾ أي: إن كنتم في شكٍّ ممّا أذهب إليه من مخالفتكم، فإنّي أُظهره لكم، وأبرأ ممّا أنتم عليه، وأُعرّفكم ما أُمرت به، وهو أن أكون مؤمناً بالله وحده، وأن أُقيم وجهي للدين حنيفاً.

---

(١) في الحجريّة زيادة: ومعنى قوله حقّاً علينا.

إن قيل: لِمَ قال: ﴿إن كنتم في شكٍّ من ديني﴾ مع اعتقادهم بطلان دينه؟
قلنا عنه ثلاثة أجوبه:

أحدها: أن يكون على وجه التقدير، أي: من كان شاكّاً في أمري وهو مصمّم على أمره فهذا حكمه.

الثاني: أنّهم في حكم الشاكّ، للاضطراب الّذي يجدون نفوسهم عليه عند ورود الآيات.

الثالث: أنّ فيهم الشاكّ فغلب ذكرهم. وإنّما جعل جواب ﴿إن كنتم في شكّ﴾: ﴿لا أعبد﴾ وهو لا يعبد غير الله شكّوا أو لم يشكّوا، لأنّ المعنى: لاتطمعوا أن تشكّكوني بشكّكم[1] حتّى أعبد غير الله كعبادتكم، كأنّه قيل: إن كنتم في شكٍّ من ديني فلا أعبد الّذين تعبدون من دون الله بشكّكم، ولكن أعبد الله الّذي يتوفّاكم، أي: الّذي أحياكم ثمّ يقبضكم، وهو الّذي يحقّ له العبادة دون أوثانكم ودون كلّ شيء سواه.

قوله [تعالى]:

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴿١٠٥﴾﴾ آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما قبلها، والتقدير: وأُمرت أن أكون من المؤمنين، وقيل لي: أَقِم وجهك. وقيل في معناه قولان:

أحدهما: استقم بإقبالك على ما أُمرت به من القيام بأعباء النبوّة، وتحمّل أمر الشريعة، ودعاء الخلق إلى الله بوجهك، إذ مَن أقبل على الشيء بوجهه يجمع همّته له فلم يضجع فيه.

الثاني: أن يكون معناه: أقم وجهك في الصلاة بالتوجّه نحو الكعبة.

و«الإقامة»: نصب الشيء المنافي لإضجاعه، تقول: أقامَ العود إذا

---

(١) في الخطّيّة، بدل «بشكّكم»: لشكّكم.

جعله على تلك الصفة. فأمّا «أقام بالمكان» فمعناه: استمرّ به.

و«الوجه»: عبارة عن عضو مخصوص، ويستعمل بمعنى الجهة كقولهم: هذا معلوم في جهة[١] كذا، ويستعمل بمعنى الصواب كقولهم: هذا وجه الرأي.

وقيل في معنى «الحنيف» قولان: أحدهما: الاستقامة، وقيل للمايل القَدَم: «أحنف» تفاؤلاً. الثاني: الميل، وقيل: الحنف في الدين لأنّه ميل إلى الحقّ.

وقوله: ﴿ولا تكوننّ من المشركين﴾ معناه: نهي عن الإشراك مع الله تعالى غيره في العبادة، تصريحاً بالتحذير عن ذلك والذمّ لفاعله.

قوله [تعالى]:

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

آية بلا خلاف.

قيل في معنى قوله: ﴿ولا تدْعُ من دون الله﴾ قولان:

أحدهما: لا تدعه[٢] إلهاً، كما يدعو المشركون الوثن إلهاً. الثاني: لا تدعه دعاء الإله في العبادة بدعائه.

و «الدعاء» يكون على وجهَيْن: أحدهما بلفظ النداء، كقولك: «يا زيد» إذا دعوته باسمه. الثاني: أن تدعوه إلى الفعل وتطلب منه كقول القائل لمن فوقه: افعل.

ومعنى ﴿من دون الله﴾ من دون دعاء الله ومعناه: لا تدع غير الله إلهاً.

وإنّما قال: ﴿ما لا ينفعك ولا يضرّك﴾ مع أنّه لو نفع وضرّ لم تحسن عبادته لأمرَيْن:

أحدهما: أن يكون معناه: ما لا ينفعك ولا يضرّك نفع الإله وضرّه.

---

(١) في الحجريّة: وجه، ظ.

(٢) في الخطّيّة، بدل «لا تدعه»: لا تدعوا إلهاً.

والثاني: أنّه إذا كان عبادة غير الله ممّن يضرّ وينفع قبيحة فعبادة من لا يضرّ ولا ينفع أقبح وأبعد من الشبهة.

وقوله: ﴿فإن فعلت فإنّك إذاً من الظالمين﴾ معناه: أنّك إن خالفت ما أُمرت به من عبادة غير الله[1] كنت ظالماً لنفسك بإدخال الضرر الّذي هو العقاب عليها. وهذا الخطاب وإن كان متوجّهاً إلى النبيّ فالمراد به أُمّته. ويجوز أن يكون الإنسان ظالماً لنفسه بأن يفعل ما يؤدّيها إلى الضرر. ولايجوز أن يُنْعِم على نفسه لأنّ النعمة تقتضي شكر المُنْعَم عليه، وذلك لا يمكن بين الإنسان ونفسه، كما لايمكن أن يثبت له في نفسه مال أو دين.

قوله [تعالى]:

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٧) آية بلا خلاف.

قوله: ﴿وإن يمسسك الله بضرّ﴾ أي: إن أحلّ بك[2] الضرّ، لأنّ المسّ الحقيقي لا يجوز عليه، لأنّ حقيقتها تكون بين الجسمَيْن، لكن لمّا أُدخل الباء للتعدية جرى مجرى أن تقول: يمسّك من: أمسّه، وأمّا إذا لم يتعدّ فيكون كقوله: ﴿مسّني الضرّ﴾[3] و«المماسّة» و «المطابقة» و «المجامعة» نظائر، وضدّها: «المباينة». و «الكشف»: رفع الساتر المانع من الإدراك، فكان الضرّ هاهنا كأنّه ساتر يمنع من إدراك الإنسان.

وقوله: ﴿وإن يردك بخير﴾ تقديره: وإن يرد بك الخير، وجاز على التقديم والتأخير، كما يقول القائل: فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير. والمعنى: أنّه لا رادّ لما يريد الله بخلقه، فإن أراد بهم سوءاً لا يقدر على

---

(١) هذا بيان مخالفته. (٢) في الخطّيّة، بدل «أحلّ بك»: أخذتك. (٣) الأنبياء: ٨٣.

دفعه أحد، وإن أرادهم بخير فلا يقدر أحد على صرفه عنهم ﴿يصيب به من يشاء من عباده﴾ يعني: بالخير.

وقوله: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ معناه: أنّه الغفّار لكلّ من تاب من شركه وذنبه، فلا ييأس من ذلك أحد في حال تكليفه، وعندنا: يجوز أن يغفر ذنب المؤمن من غير توبة. و ﴿الرحيم﴾ معناه: إنعامه على جميع خلقه.

قوله [تعالى]:

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ آية بلا خلاف.

أمر الله تعالى نبيّه في هذه الآية أن يقول للخلق: ﴿قد جاءكم الحقّ من﴾ الله، وهو الّذي يعمل به من العباد نجا، وضدّه: الباطل وهو الّذي من عمل به هلك، فمن عمل بالحقّ كان حكيماً، ومن عمل بالباطل كان سفيهاً. والمراد بـ ﴿الحقّ﴾ هاهنا: ما أتى به النبيّ صلّى الله عليه وآله من القرآن والشرائع والأحكام وغير ذلك من الآيات والدلالات ﴿فمن اهتدى﴾ بها بأن نظر فيها وعرفها حقّاً وصواباً ﴿فإنّما يهتدي لنفسه﴾ ومعناه: فإنّ منافع ذلك تعود عليه من الثواب دون غيره ﴿ومن ضلّ﴾ عنها وعدل عن تأمّلها والاستدلال بها والعمل بموجبها ﴿فإنّما يضلّ﴾ عن منافع نفسه، وهو الجاني عليها.

وقوله: ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ معناه: وما أنا عليكم بوكيل في منعكم من اعتقاد الباطل، بل أنظروا لأنفسكم نظر من يطالب بعمله ولا يطالب غيره بحفظه كأنّه قال: ما أنا حافظكم من الهلاك إذا لم تنظروا أنتم لأنفسكم ولم تعملوا بما يخلّصها كما يحفظ الوكيل مال غيره.

قوله [تعالى]:

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ آيـة بلاخلاف.

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يتّبع ما يوحى إليه. و«الإيحاء»: إلقاء المعنى في النفس على وجهٍ خفيٍّ، وهو ما يجيء به المَلَك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله عن الله تعالى فيلقيه إليه ويخصّه به من غير أن يرى ذلك غيره من الخلق.

وقوله: ﴿واَصبر﴾ أمر من الله تعالى له بـالصبر، وهـو تـجرّع مـرارة الامتناع من المشتهى إلى الوقت الّذي يجوز فيه تناوله، كصبر الصائم على الجوع والعطش، وكصبر النفس عن تناول المحرّمات. وإنّما يـعين عـلى الصبر: العلم بعاقبته، وكثرة الفكر فيه وفي الخير الّذي يـنال بـه، وبـذكر ما وعد الله على فعله من الثواب وعلى تركه من العقاب.

وقوله: ﴿حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ أمر منه تعالى للـنبيّ صلى الله عليه وآله بالصبر على أذى المشركين وعلى قولهم: إنّك ساحر وكـاذب ومـجنون، حتّى يحكم فيأمرك بالهجرة والجهاد. قال الحسن: وقد كان الله أعلمه أنّه سيفرض عليه جهاد الكفّار. وقيل: نسخ ذلك فيما بـعد بـالأمر بـالجهاد. والتقدير: إلى أن يحكم الله بهلاكهم وعذابهم في يوم بدر وغيره ﴿وهو خير الحاكمين﴾ معناه: خير الحكّام لأنّه قد يكون حاكم أفضل من حاكم مع كونهما محقّين،كمن يحكم على الباطن فإنّه أفـضل مـمّن يـحكم عـلى الظاهر، لأنّ الأوّل لا يقع إلّا حقّاً، والآخر يجوز أن يكون حقّاً في الظاهر وإن كان فاسداً في الباطن.

سورة هود

هي مكّية في قراءة قَتَادَة ومجاهد وغيرهما، وهي مائة وثلاث وعشرون آيةً في الكوفي، وآيتان في المدني، وواحدة في البصري وعند إسماعيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله:

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ آية بلا خلاف.

روى الكسائي عن أبي بكر: ﴿من لدْنِ حكيم﴾ هاهنا وفي النمل[1] بسكون الدال وإشمامها الضمّ وكسر النون، الباقون بضمّ الدال وإسكان النون. ولم يعدّ أحد من القُرّاء ﴿الٓر﴾ آيةً كما عدّ قوم ﴿طه﴾ و ﴿الٓم﴾ و﴿حمٓ﴾ آيةً، لأنّه ثابتة[2] لا يشبه رؤوس الآي بنفس الحرف ولابالردف. وقد بيّنّا في أوّل سورة البقرة اختلاف المفسّرين وأهل اللغة في هذه

(١) الآية: ٦.

(٢) في الحجريّة: لأنّ ثانيه.

الحروف وأمثالها، وأنّ الأقوى أن يقال: إنّها أسماء للسور.

ورُوي عن الحسن أنّه قال: ما أدري تأويل ﴿الر﴾ غير أنّ المسلمين كانوا يقولون: هي أسماء للسور ومفاتحها. وخرجت هذه الحروف على وجه التهجّي لا يُعْرَب شيء منها، لأنّها حروف، ولو كانت أسماء لدخلها الإعراب.

وقال الفرّاء: ﴿الر كتابٌ﴾ رُفِع بحروف الهجاء. وقال غيره[١]: ﴿كتاب﴾ رفع بأنّه خبرالمبتدأ، وتقديره: هوكتاب، أو: هذا كتاب. والمراد بـ﴿كتاب﴾: القرآن.

وقوله: ﴿أُحكمت آياته ثمّ فُصّلت﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الحسن: أُحكمت بالأمر والنهي، وفُصّلت بالثواب والعقاب.

الثاني: قال قَتادَة: أُحكمت آياته من الباطل، ثمّ فُصّلت بالحرام والحلال.

الثالث: قال مجاهد: ﴿أُحكمت آياته﴾ على وجه الجملة ﴿ثمّ فُصّلت﴾ أي: بُيّنت بذكر آية آية. و «الإحكام»: منع الفعل من الفساد، قال الشاعر:

أبَني حنيفةَ أحكِمُوا سُفَهاءَكُم إنّي أخافُ عليكُم أن أغْضَبا[٢]

وقوله: ﴿من لدن حكيم خبير﴾ معناه: من عند حكيم عليم، وقوم يجعلون في «لدن» ضميراً، فينصبون ما بعده فيقولون: لدن غدوةً. وقوم يجعلونه غايةً ولا يضمرون فيه شيئاً بعينه، فيرفعون ما بعده لأنّ ما بعد الغاية مرفوع، فيقولون: لدن غدوةٌ. ورُوي[٣] عن عِكْرِمَة أنّه قرأ: ﴿فَصَلَت﴾ بفتح الفاء والصاد وتخفيفها، وهي شاذّة لم يقرأ به أحد.

---

(١) كالزجّاج في معاني القرآن: ج ٣ ص ٣٧.

(٢) لجرير، من أبيات له. راجع ديوان جرير: ص ٤٧.

(٣) رواه ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن: ص ٦٣.

و «الحكيم» يحتمل معنَيَيْن: أحدهما: عليم، فعلى هذا يجوز وصفه بأنّه حكيم لم يزل. والثاني: بمعنى: أنّه محكم لأفعاله، وعلى هذا لا يوصف به فيما لم يزل. و «الحكمة»: المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد والنقص، وبها يميّز القبيح من الحسن والفاسد من الصحيح.

وقال الجُبّائي: في الآية دلالة على أنّ كلام الله محدث لأنّه وصفه بأنّه أُحكمت آياته، والإحكام من صفات الأفعال، ولا يجوز أن تكون إحكامه غيره، لأنّه لو كان إحكامه غيره لكان قبل أن يحكمه غير محكم، ولو كان كذلك لكان باطلاً، لأنّ الكلام متى لم يكن محكماً وجب أن يكون باطلاً فاسداً، وهذا باطل.

قوله [تعالى]:

أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ آية بلا خلاف.

يحتمل «أن» في قوله: ﴿أن لا تعبدوا﴾ أمرَيْن:

أحدهما: أن يكون بمعنى المصدر، كقولك: «كتبت إليه أن لا تخرجْ» [والثاني أن يكون بمعنى أي كقولك كتبت إليه ألّا تخرج بالجزم][1] وكان يجوز في العربية: أن لا تعبدون، على الوجه الأوّل، وهو الإخبار بأنّهم لا يعبدون، كما تقول: كتبت إليه أن لا تخرج، أي: بأنّك لا تخرج.

و ﴿أن لا تعبدوا﴾ في موضع نصب، وتقديره: فصّلت آياته بأن لا تعبدوا، أو: لئلّا تعبدوا. ويحتمل أن يكون المعنى: أُمرتم بأن لا تعبدوا، فلمّا حذف الباء نصب بعدها.

ومعنى ﴿إلّا﴾ في الآية إيجاب للمذكور بعدها، وهو ما نفي عن كلّ

---

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الحجريّة.

ما سواه من العبادة، وهي الّتي تفرغ عامل الإعراب لما بعدها من الكلام.

وقوله: ﴿إنّني لكم منه نذير وبشير﴾ إخبار من النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه مخوّف من مخالفة الله وعصيانه بأليم عقابه، مبشّر بثواب الله على طاعته وآجتناب معاصيه. و «النذارة»: إعلام موضع المخافة ليتّقى، و ﴿نذير﴾ بمعنى: منذر، كـ «أليم» بمعنى: مؤلم. و «البشارة»: إعلام ما يظهر في بَشَرة الوجه به المسرّة، و ﴿بشير﴾ بمعنى: مبشّر. وقوله: ﴿وأبشروا بالجنّة﴾ [1] معناه: واستبشروا.

قوله [تعالى]:

وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ آية بلاخلاف.

هذه الآية عطف على ما قبلها، وتقديره: ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير بأن لا تعبدوا إلّا الله، وبأن ﴿استغفروا ربّكم﴾ بمعنى:سلوا الله المغفرة ثمّ توبوا إليه، وإنّما ذكرت التوبة بعد الاستغفار لأنّ المعنى: اطلبوا المغفرة بأن تجعلوها غرضكم ثمّ توصّلوا إلى مطلوبكم بالتوبة، فالمغفرة أوّل في الطلب وآخر في السبب. وقيل: إنّ المعنى: استغفروا ربّكم من ذنوبكم ثمّ توبوا إليه في المستأنف متى وقعت منكم المعصية، ذكره الجُبّائي.

وقوله: ﴿يمتّعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمّى﴾ يعني: أنّكم متى استغفرتموه وتبتم إليه متّعكم متاعاً حسناً في الدنيا بالنِعَم السابغة والملاذّ المختلفة إلى الوقت الّذي قدّر لكم أجل الموت [فيه].

وقوله: ﴿ويؤت كلّ ذي فضل فضله﴾ يحتمل أمرَيْن:

---

(١) فصّلت: ٣٠.

أحدهما: أن يعطي كلّ ذي عملٍ على قدر عـمله فـي الآخـرة دون الدنيا، لأنّها ليست دار الجزاء. الثاني: الترغيب في عمل الخير، لأنّه على مقداره يجازى صاحبه.

وقوله: ﴿فإن تولّوا فإنّي أخاف عليكم﴾ يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: فإن تتولّوا، إلّا أنّه حُذِف للتضعيف، ولذلك شدّده ابن كثير في رواية البزّي عنه.

والآخر: أن يكون بمعنى: فقل إنّي أخاف عليكم عذاب يـوم كـبير، يعني: عذاب يوم القيامة، ووصف ذلك اليوم بالكبير لِعِظَم ما يكون فيه من الأهوال والمجازاة لكلّ إنسان على قدر عمله.

قوله [تعالى]:

إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ آية بلا خلاف.

قيل في معنى قوله: ﴿إلى الله مرجعكم﴾ قولان:

أحدهما: إليه مصيركم بإعادته إيّاكم للجزاء. الثاني: إلى الله مرجـعكم بإعادته إلى مثل الابتداء من أنّه لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً سواه تعالى، و «المرجع»: المصير إلى مثل الحال الأُولى.

وقوله: ﴿وهو على كلّ شيء قدير﴾ إخبار منه تعالى أنّه يقدر على كلّ شيء إلّا ما أخرجه الدليـل مـمّا يسـتحيل أن يكـون قـادراً عـليه مـن مقدورات غيره، وما يقضى وقته من الأجناس الّتي لا يصحّ عليها البقاء.

قوله [تعالى]:

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ آية بلا خلاف.

روي عن ابن‌عبّاس أنّـه قـرأ: ﴿ألا إنّهم يثنّون صدورهم﴾ عـلى وزن

«يحلّون» وأراد المبالغة. ومعنى ﴿ألا﴾ التنبيه، وما بعده مبتدأ.

أخبرالله تعالى: أنّ الكفّار يثنون صدورهم، وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الفرّاء والزجّاج: يثنونها على عداوة النبيّ صلى الله عليه وآله. وقال الحسن[1]: يثنونها على ما هم عليه من الكفر. وقال أبو عليّ الجُبّائي[2]: يثني الكافر صدره على سبيل الانحناء في خطابه لكافرٍ مثله ممّن يختصّه لئلّا يعرف الله ما أضمره.

وقال عبدالله بن شدّاد: ولّى ظهره إذا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وغطّى وجهه بالثوب.

وأصل «الثني»: العطف، تقول: ثنيته عن كذا، أي: عطفته ومنه: «الاثنان» لعطف أحدهما على الآخر في المعنى، ومنه: «الثناء» لعطف المناقب في المدح، ومنه: «الاستثناء» لأنّه عطف عليه بالإخراج منه.

وقوله: ﴿ليستخفوا منه﴾ فالاستخفاء: طلب خفاء النفس، تقول: استخفى استخفاءً، وتَخَفّى تَخَفِّياً، ونظيره: استغشى وتغشّى، قالت الخَنْساء:

أرْعَى النجومَ وما كُلّفتُ رِعْـيَتَها وتارةً أتَغَشّى فَضْلَ أطْمارِي[3]

والهاء في ﴿منه﴾ يحتمل أن تكون عائدة إلى اسم الله ـ في قول الحسن ومجاهد والجُبّائي ـ جهلاً منهم بأنّ الله لا يخفى عليه خافية. الثاني قال عبدالله بن شدّاد: هي عائدة على النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقوله: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ معناه: أنّهم كانوا يتغطّون بثيابهم ثمّ يتفاوضون ما كانوا يدبّرونه على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى المؤمنين ويكتمونه عن الناس، فبيّن الله تعالى أنّهم وقت ما يتغطّون بثيابهم ويجعلونها غشاءً

(١) وهذا هو القول الثاني. (٢) وهو القول الثالث.

(٣) من قصيدة تندب أخاها صخراً. راجع ديوان الخنساء: ص ٥٨.

فوقهم عالم بما ﴿يسرّون وما يعلنون﴾ لا أنّه يتجدّد له العلم في حال استغشائهم بالثوب، بل هو عالم بذلك في الأزل. ومعنى ﴿ما يسرّون وما يعلنون﴾ أي: ما يخفونه في أنفسهم، وما يعلنونه أي: يظهرونه ﴿إنّه عليم بذات الصدور﴾ معناه: عالم بأسرار ذات الصدور.

قوله [تعالى]:

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه ليس من دابّة في الأرض إلّا والله تعالى متكفّل برزقها، و «الدابّة» الحيّ الّذي من شأنه أن يدبّ، يقال: دَبَّ يَدبُّ دَبِيباً، وأدبّه إدْباباً، غير أنّه صار بالعرف عبارة عن الخيل والبراذين دون غيرها من الحيوان.

وقوله: ﴿ويعلم مستقرّها ومستودعها﴾ فالمستقرّ: الموضع الّذي يقرّ فيه الشيء، وهو قراره ومكانه الّذي يأوي إليه. و«المستودع» المعنى المجعول في القرار، كالولد في البطن، والنُطْفة الّتي في الظهر. وقيل[1]: ﴿مستودعها﴾ مدفنها بعد موتها. وقيل: ﴿مستقرّها﴾ في أصلاب الآباء ﴿ومستودعها﴾ في أرحام الأمّهات. وقيل: ﴿مستقرّها﴾ ما يستقرّ عليه عمدها[2] ﴿ومستودعها﴾ ما تصير إليه.

وقوله: ﴿كلٌّ في كتاب مبين﴾ خبر من الله تعالى أنّ جميع ذلك مكتوب في كتابٍ ظاهرٍ، يعني: اللوح المحفوظ. وإنّما أثبت تعالى ذلك مع أنّه عالم لا يعزب عنه شيء لما فيه من اللطف للملائكة أو يكون فيه لطف

(١) قاله الفرّاء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٤. (٢) في الخطّيّة: «عملها» وكذا في المجمع.

لمن يخبر بذلك.

قوله [تعالى]:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه خلق السماوات والأرض وأنشأهما في ستّة أيّام، وإنّما خلقهما في هذا المقدار من الزمان مع قدرته أن يخلقهما في أقلّ من لمح البصر ليبيّن بذلك أنّ الأمور جارية في التدبير على منهاج، ولما علم في ذلك من مصالح الخلق من جهة اقتضاء أن يُنشِئها على ترتيبٍ يدلّ على أنّها كانت عن تدبير عالم بها قبل فعلها مثل سائر الأفعال المحكمة.

وقوله: ﴿وكان عرشه على الماء ليبلوكم﴾ معناه: أنّه خلق الخلق ودبّر الأمر ليظهر إحسان المحسن، لأنّه الغرض الّذي يجري بالفعل إليه. وفي وقوف العرش على الماء والماء على غير قرار أعظم للاعتبار لمن أنعم[1] النظر واستعمل الفكر.

والمراد بقوله: ﴿في ستّة أيّام﴾ ما مقداره مقدار ستّة أيّام، لأنّه لم يكن هناك أيّام تُعدّ، لأنّ «اليوم» عبارة عمّا بين طلوع الشمس وغروبها.

وقوله: ﴿ليبلوكم﴾ معناه: ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر مظاهرةً في القول، لئلّا يتوهّم أنّه يجازي العباد بحسب[2] ما في المعلوم أنّه يكون منهم قبل أن يفعلوه.

وقوله: ﴿أيّكم أحسن عملاً﴾ فيه دلالة على أنّه يكون فعل حسن

---

(١) في الحجريّة: «أعظم، أعطى خ ل».

(٢) في الخطّيّة: بدل «بحسب»: بحيث.

أحسن من حسن آخر، لأنّ لفظة «أفعل» حقيقتها ذلك، ولا يجوز ترك ذلك إلّا لدليل، وليس هاهنا ما يوجب الانصراف عنه.

وقوله: ﴿ولئن قلت انّكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الّذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين﴾ إعلام من الله تعالى لنبيّه أنّه لو قال لهؤلاء الكفّار: إنّ الله سيبعثكم بعد موتكم ويجازيكم على أعمالكم لقالوا: ليس هذا القول إلّا سحر ظاهر. ومَن قرأ: ﴿ساحر﴾ أراد: ليس هذا ـ يعنون النبيّ صلى الله عليه وآله ـ إلّا ساحر مبين.

وقال الجُبّائي: في الآية دلالة على أنّه كان قبل خلق السماوات والأرض الملائكة، قال: لأنّ خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه إلّا أن يكون فيه لطف لمكلّفٍ يمكنه الاستدلال به، فلابدّ إذاً من حيٍّ مكلّف. والأقوى أن يقال: إنّه لا يمتنع أن يتقدّم خلق الله لذلك إذا كان في الإخبار بتقدّمه مصلحة للمكلّفين، وهو الّذي اختاره الرُمّاني، وكان عليّ بن الحسين الموسوي المعروف بالمرتضى رحمه الله ينصره.

وظاهر الآية يقتضي أنّ العرش الّذي تعبّد الله الملائكة بحمله كان مخلوقاً قبل السماوات والأرض، وهو قول جميع المفسّرين، كابن عباس ومجاهد وقَتادَة والبلخي والجُبّائي والرُمّاني والفرّاء والزجّاج وغيرهم. وقال ابن‌عبّاس: كان العرش على الماء، والماء على الهواء. وقال الجُبّائي: ثمّ نقل الله العرش إلى فوق السماوات.

قوله [تعالى]:

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ آية بلا خلاف.

اللام في قوله: ﴿ولئن أخّرنا﴾ لام القَسَم، ولا يجوز أن تكون لام الابتداء،

لأنّها دخلت على «إن» الّتي للجزاء، ولام الابتداء إنّما هي للاسم أو ماضارع الاسم في باب «إنّ» وجواب الجزاء مستغنىً عنه بجواب القَسَم، لأنّه إذا جاء في صدر الكلام غلب عليه، كما أنّه إذا تأخّر أو توسّط اُلغي.

ومعنى قوله: ﴿أخّرنا عنهم العذاب إلى اُمّة معدودة﴾ [أخّر] إلى حين اُمّة معدودة، كما قال: ﴿وادَّكر بعد اُمّة﴾ (١) أي: بعد حين، وهو قول ابن‌عبّاس ومجاهد وقَتادَة والزجّاج والفرّاء وغيرهم.

وقال الجُبّائي: معناه إلى اُممٍ بعد هؤلاء يكلّفهم فيعصونه، فتقتضي الحكمة إهلاكهم وإقامة القيامة. وقال الرُمّاني: معناه: إلى جماعة معدودة بأنّه ليس فيها من يؤمن، فإذا صاروا إلى هذه الصفة اُهلِكوا بالعذاب، كما اُهلك قوم نوحٍ في الدنيا، واُهلكوا بعذاب الآخرة لكونهم على هذه الصفة.

وقوله: ﴿ليقولنّ ما يحبسه﴾ فالحبس: المنع بالحصر في خباء، ويقال: حُبِس الماء إذا مُنِع من النفوذ، وحَبَس السلطان الرزق: إذا منعه، وحُبِس عنهم العذاب: إذا مُنِع من إتيانهم إلى الأجل المعلوم. والتقدير: ما الّذي يمنع من تعجيل هذا العذاب الّذي نتوعّد به؟ فقال الله تعالى: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾ ومعناه: أنّ هذا العذاب الّذي يستبطئونه إذا نزل بهم في الوقت المعلوم لا يقدر على صرفه أحد عنهم، ولا يتمكّنون من إذهابه عنهم إذا أراد الله أن يأتيهم به.

وقوله: ﴿وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون﴾ معناه: أنّه نزل بهم الّذي كانوا يسخرون منه من نزول العذاب ويحقّقونه (٢).

قوله [تعالى]:

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ آية بلاخلاف.

---

(١) يوسف: ٤٥.

(٢) في الحجريّة: «ويخفوه».

أقسم الله تعالى في هذه الآية أنّه لو أحلّ تعالى بالإنسان رحمةً من عنده، يعني: ما يفعله الله تعالى بهم في الدنيا من الأرزاق، فإنّه يعمّ بها خلقه: كافرهم ومؤمنهم، ثمّ نزعها منه وسلبها، وسمّى إحلال اللذّات بهم إذاقةً تشبيهاً ومجازاً، لأنّ الذوق في الحقيقة: تناول الشيء بالفم لإدراك الطعم، والإنسان حيوان على الصورة الإنسانيّة، لأنّ الصورة الإنسانيّة بانفرادها قد تكون للتمثال ولا يكون إنساناً، فإذا اجتمعت الحيوانيّة[١] والصورة لشيءٍ فهو إنسان. قال الرُمّاني: وكلّما لا حياة فيه فليس من الإنسان كالشعر والظفر وغيرهما.

و«النزع»: رفع الشيء عن غيره ممّا كان مشابكاً[٢] له. و«النزع» و«القلع» و «القشط»[٣] نظائر. و «اليأس»: القطع بأنّ الشيء لا يكون، وهو ضدّ «الرجاء». و «يؤوس»: كثير اليأس من رحمة الله، وهذه صفة ذمّ، لأنّه لا يكون كذلك إلّا للجهل بسعة رحمة الله الّتي تقتضي قوّة الأمل.

وفائدة الآية: الإخبار عن سوء خلق الإنسان وقنوطه من الرحمة عند نزول الشدّة، وأنّه إذا أنعم عليه بنعمةٍ لم يشكره عليها، وإذا سلبها منه يَئِس من رحمة الله وكفر نِعَمه، وهو مصروف إلى الكفّار الّذين هذه صفتهم.

قوله [تعالى]:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ آية بلا خلاف.

وأقسم الله تعالى في هذه الآية أنّه لو أحلّ بالإنسان ﴿نعماء بعد ضرّاء مسّته﴾ لأنّ الهاء كناية عن الإنسان الّذي مضى ذكره. و«النعماء»: إنعام

---

(١) في الخطّيّة: الإنسانيّة.

(٢) في الخطيّة بدل «مشابكاً»: مشابهاً.

(٣) في المطبوعتين، الكشط.

يظهر أثره على صاحبه. و «الضرّاء»: مضرّة تظهر الحال بها، لأنّها أُخرجت مخرج الأحوال الظاهرة كـ «حمراء» و «عوراء» مع ما فيها من المبالغة. ومعنى ﴿مسّته﴾: نالته.

وقوله: ﴿ليقولنّ ذهب السيّئات عنّي﴾ أي: يقول عند نزول النعماء به بعد أن كان في ضدّها من الضرّاء: ذهبت الخصال الّتي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه أو عقله، وهو هاهنا بمعنَى المرض والفقر، ونحو ذلك.

وقوله: ﴿إنّه لفرح فخور﴾ إخبار منه تعالى أنّ الإنسان فرح فخور، و«الفرح»: انفتاح القلب بما يلتذّ به، وضدّه: «الغمّ» ومثله: «السرور» و«المرح» و«الفرح»: لذّة في القلب أعظم من ملاذّ الحواسّ. و «الفخور»: المتطاول بتعديد المناقب، و «فخور»: كثير الفخر، وهي صفة ذمّ إذا أُطلقت، لما فيه من التكبّر على من لا يجوز أن يُتَكبّر عليه. وقيل: للعالم أن يفخر على الجاهل بالعلم، لتعظيم العلم وتحقير الجهل، ولذلك تفخّر النبيّ على الكفّار.

قوله [تعالى]:

إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ آية بلاخلاف.

لمّا أخبرالله تعالى عن أحوال الخلق، وأنّ أكثرهم إذا أحلّ بهم[١] نِعَمه تعالى بعد أن كانوا في مضرّة شديدة، وأنّهم إذا أذهب[٢] السيّئات عنهم، وأنّ كثيراً منهم فرح فخور، استثنى من جملتهم المؤمنين بتوحيد الله، الصابرين على طاعاته والكفّ عن معاصيه، وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحات. و«الصبر»: حبس النفس عن المشتهى من المحارم، والصبر على مرارة الحقّ يؤدّي إلى الفوز بالجنّة في الآخرة مع ما فيه من الجمال في الدنيا.

---

(١) في الحجريّة: إذا حلّ بهم.

(٢) في الحجريّة: إذا ذهب.

واستثنى الّذين صبروا من «الإنسان» لأنّه في معنى الجمع، كما قال: ﴿والعصر * إنّ الإنسان لفي خسر * إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[١]. وقال الزجّاج والأخْفَش: ﴿إلّا﴾ بمعنى «لكن» لأنّه ليس من جنس الأوّل. والأوّل قول الفرّاء.

وقوله: ﴿أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ إخبار من الله تعالى عن هؤلاء المؤمنين بأنّ لهم عند الله المغفرة والأجر العظيم.

قوله [تعالى]:

فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ آية بلاخلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّه ﷺ يحثّه على أداء جميع ما بعثه به وأوحى إليه، وينهاه عن كتمانه، ويشجّعه على الأداء، ويقول له: لا يكون لِعِظَم ما يرد على قلبك ويضيق به صدرك من غيظهم[٢] يتوهّمون عليك أنّهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربّك، وأنّك تترك بعض الوحي ويضيق به صدرك مخافة أن يقولوا، أو: لئلّا يقولوا: ﴿لولا أُنزل عليه كنز﴾ أي: هلّا أُنزل عليه كنز فينفق منه ﴿أو جاء معه مَلَك﴾ يعينه على أمره، بل ﴿إنّما أنت نذير﴾ أي: منذر مخوّف من معاصي الله وعقابه ﴿والله على كلّ شيء وكيل﴾ أي: حافظ، يكتب عليهم أفعالهم وأقوالهم، ويجازيهم عليها، فلا تغمّك أقوالهم ولا أفعالهم، ولا يضيق بذلك صدرك، فإنّ وبال ذلك عائد عليهم.

---

(١) العصر: ١ و٢ و٣.

(٢) في الخطّيّة: ما يرد عليك ويضيق به صدرك من تخليطهم.

و«ضائق» و «ضيّق» واحد، إلّا أنّ «ضائق» هاهنا أحسن لمشاكلته لقوله: ﴿تارك﴾ و «الضيّق»: قصور الشيء عن مقدار غيره أن يكون فيه، فإذا ضاق صدر الإنسان قَصُر عن‌معانٍ يتحمّلها الواسع الصدر. و«الصدر»: مسكن القلب، ويشبّه به رفيع المجالس، ورئيس القوم لشرفه على غيره. و«الكنز»: المال المدفون لعاقبته، وصار في الشرع اسم ذمٍّ في كلّ مالٍ لايُخرَج منه حقّ الله ـ من الزكاة وغيره ـ وإن لم يكن مدفوناً.

قوله [تعالى]:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)﴾ آية بلا خلاف.

هذه الآية صريحة بالتحدّي، وفيها قطع لاعتلال المشركين وتعنّتهم، لأنّهم لمّا عجزوا عن معارضة القرآن قالوا: إنّ ما فيه من الأخبار كذبٌ اختلقه واخترعه أو قرأ الكتب السالفة. فقال الله تعالى لهم: افتروا أنتم مثله، أو[1] أدحضوا حجّته، فذلك أيسر وأهون ممّا تكلّفتموه، فعجزوا عن ذلك وصاروا إلى الحرب وبذل النفس والمال وقتل الآباء والأبناء، ولو قدروا على إطفاء أمره بالمعارضة لفعلوه مع هذا التقريع العظيم.

وفيه دلالة على جهة إعجاز القرآن، وأنّها الفصاحة في هذا النظم المخصوص، لأنّه لو كان غيره لما قنع في المعارضة بالافتراء والاختلاق.

وقوله: ﴿فأتوا﴾ وإن كان لفظه لفظ الأمر فالمراد به التهديد والتحدّي، والمثل المذكور في الآية ما كان مثله في البلاغة والنظم أو ما يقاربه، لأنّ البلاغة ثلاث طبقات: فأعلاها مُعْجِز، وأدناها وأوسطها ممكن، فالتحدّي

(١) في الحجريّة: «و» بدل «أو».

وقع بما هو في أعلى طبقة في البلاغة، ولا يجوز أن يكون المراد بالمثل في الجنسيّة، لأنّ مثله في الجنس[١] يكون حكايته، وذلك لا يقع به تحدّي، وإنّما يرجع إلى ما هو متعارف بينهم في تحدّي بعضهم بعضاً، كمناقضات آمرئ القَيْس وعَلْقَمة، وعَمْرو بن كُلْثُوم والحارث بن حِلِّزة، وجَرير والفَرَزْدَق وغيرهم.

ومعنى ﴿أم﴾ تقرير بصورة الاستفهام، وتقديره: بل أيقولون افتراه. وقال بعضهم: إنّ الاستفهام محذوف، كأنّه قال: أيكذّبونك أم يقولون افتراه؟ وهذا ليس بصحيح، لأنّ ﴿أم﴾ هاهنا منقطعة ليست معادلة، وإنّما يجوز حذف الاستفهام في الضرورة.

وقوله: ﴿ادعوا من استطعتم من دون الله﴾ أي: ادعوهم إلى معاونتكم على المعارضة، وهذا غاية ما يمكن من التحدّي والمحاجّة.

وقوله: ﴿بعشر سور مثله﴾ أي: مثل سورة منه، كلّ سورة منها[٢]. ومعنى ﴿مفتريات﴾ مختلقات، يقال: افْتَرى واخْتَلَق واخْتَرَق وخَلَقَ وخَرَقَ وخَرَصَ واخْتَرَص: إذاكذب.

قوله [تعالى]:

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ آية بلا خلاف.

قيل في المعنيّ بقوله: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ قولان:

أحدهما: إنّ المراد به المؤمنون، و التقدير: فإن لم يطلبوا[٣] إجابتك

---

(١) في الحجريّة: ولا يجوز أن يكون المراد بالمثل إلّا في الجنسيّة لأنّ مثله في العين.

(٢) وكذا العبارة في معاني الزجّاج: ج ٣ ص ٤٢.

(٣) في الحجريّة: يقبلوا، خ ل.

يا محمّد والمؤمنين، ولا يأتون بعشر سُوَرٍ معارضة لهذا القرآن، فليعلم المؤمنون إنّما أُنزل بعلم الله بهذا الدليل، وهو قول مجاهد والجُبّائي.

والآخر: أن يكون المراد به المشركين. والتقدير: فإن لم يستجب لكم من تدعونهم إلى المعاونة، ولا يهيّأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجّة.

والاستجابة في الآية: طلب الإجابة بالقصد إلى فعلها، يقال: استجاب وأجاب بمعنىً واحد، والفرق بين «الإجابة» و «الطاعة»: أنّ «الطاعة» موافقة الإرادة الجاذبة إلى الفعل برغبة أو رهبة، و «الإجابة»: موافقة الداعي إلى الفعل من أجل أنّه دعا به.

وقوله: ﴿أُنزل بعلم الله﴾ يحتمل أمرَيْن: أحدهما: بعلم الله أنّه حقّ من عنده أي: عالم به. والآخر: بعلم الله بمواقع تأليفه في علوّ طبقته.

وقوله: ﴿وأن لا إله إلّا هو﴾ أي: فاعلموا أن لا إله إلّا هو. وقوله: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ معناه: هل أنتم بعد قيام الحجّة عليكم بما ذكرناه من كلام الله، وأنّه أنزله على نبيّه تصديقاً له فيما أدّاه إليكم عن الله مسلمون له موقنون به؟ لأنّ كلّ من سلّم له الأمر فقد استسلم له، قال مجاهد: وهذا خطاب لأصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله من المسلمين[1].

قوله [تعالى]:

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ آية بلا خلاف.

شَرَطَ الله تعالى بهذه الآية أنّ ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ وحسن بهجتها ولا يريد الآخرة، فإنّ الله تعالى يوفّيه جزاء عمله ﴿فيها﴾ يعني: في

---

(١) في الخطّيّة: «والمسلمين».

الدنيا، ولا يبخسهم شيئاً منها. و «الزينة»: تحسين الشيء بغيره من لبسة أوحلية أو هيئة، يقال: زانَهُ يَزِينُهُ زينة، وزَيّنَه تَزْييناً تزيّن تزيّناً. و«التوفية»: تأدية الحقّ على تمام. و «البَخْس»: نقصان الحقّ، يقال: بَخَسَه بَخْساً إذا ظلمه بنقصان الحقّ. وفي المَثَل: «تَحسِبُها حَمقاءَ وهي باخِسٌ»[١].

وقيل في العمل الّذي يوفّون حقّهم من غير بَخْس قولان:

أحدهما: قال الضحّاك ومجاهد: هو أن يصل الكافر رحمه أو يعطي سائلاً سأله أو يرحم مضطرّاً أو غير ذلك من أفعال الخير، فإنّ الله تعالى يعجّل له جزاء عمله في الدنيا بتوسيع الرزق، وإقرار العين فيما خُوّل، ودفع مكاره الدنيا.

الثاني: الغزو مع النبيّ ﷺ للغنيمة دون ثواب الآخرة، أمر الله نبيّه أن يوفّيهم قسمتهم، وهذا من صفة المنافقين، ذكره الجُبّائي.

وإنّما جاز أن يقول: ﴿من كان يريد الحياة الدينا وزينتها نوفٌ إليهم﴾ ولم يجز أن يقول: من جاءني أكرمه، لأنّ الأجْوَد في الشرط والجزاء أن يكونا مستقبلَيْن أو يكونا ماضيَيْن بنيّة الاستقبال، فإن كان أحدهما ماضياً والآخر مستقبلاً كان جائزاً على ضعف، كما قال زُهَيْر:

ومَن هابَ أسبابَ المنايا يَـنَلْنَهُ ولو رَامَ أسبابَ السّماءِ بسُـلّمِ[٢]

قلنا عنه جوابان: أحدهما: قال الفرّاء: إنّ المعنى: مَن يرد الحياة الدنيا، و ﴿كان﴾ زائدة. الثاني: إنّ المعنى: أن يصحّ أنّه كان، كقوله: ﴿إن كان قميصه قدَّ من دبر فكذبت﴾[٣] ولا يجوز مثل هذا في غير «كان» لأنّها أُمّ الأفعال.

---

(١) المثل يضرب لمن يتباله ويظهر الحمق وفيه دهاء. راجع مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) من معلّقته المشهورة. راجع ديوان زُهير بن أبي سلمى: ص ٨٧.

(٣) يوسف: ٢٧.

قوله [تعالى]:

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَاصَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ آية بلا خلاف.

قوله: ﴿أُولئك﴾ كناية عن الّذين ذكرهم في الآية الأولى، وهم الّذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها دون ثواب الآخرة، فأخبر الله: أنّه ليس لهم في الآخرة مستقرّ إلّا النار، وأنّ أعمالهم كلّها محبطة لا يستحقّون عليها ثواباً، لأنّهم أوقعوها على غير الوجه المأمور به، وعلى حدٍّ لا تكون طاعةً، وأنّ جميع ما فعلوه في الدنيا باطل لا ثواب عليها[1]. وقد بيّنّا فساد القول بالإحباط[2] على ما يذهب إليه المعتزلة وأصحاب الوعيد، سواء قالوا: الإحباط بين الطاعة والمعصية أو بين المستحقّ عليها، فلامعنى للتطويل بذكره هاهنا.

وقوله: ﴿وباطل ماكانوا يعملون﴾ بعد قوله: ﴿حبط ماصنعوا فيها﴾ يحقّق ما نقوله: إنّ نفس الأعمال تبطل بأن تُوقَع على خلاف الوجه الّذي يستحقّ به الثواب.

قوله [تعالى]:

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَاتَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ آية بلا خلاف.

الألف في قوله: ﴿أفمن كان﴾ ألف استفهام والمراد بها التقرير. والتقدير:

---

(١) كذا في الخطّيّة والحجريّة.

(٢) عند تفسير الآية: ٢٧١ من سورة البقرة، والآية: ٨٨ من آل عمران.

هل الّذي كان على بيّنة؟ يعني: برهان وحجّة من الله. والمراد بالبيّنة هاهنا: القرآن، والحجّة والبرهان. والمعنيُّ بقوله: ﴿أفمن كان على بيّنة﴾ النبيّ صلى الله عليه وآله وكلّ مَن اهتدى به واتّبعه.

وقوله: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: شاهد من الله محمّد النبيّ صلى الله عليه وآله رُوي ذلك عن الحسين بن عليّ عليهما السلام وذهب إليه ابن زيد، واختاره الجُبّائي.

الثاني: قال ابن عبّاس ومجاهد وإبراهيم والفرّاء والزجّاج: جبرائيل يتلو القرآن على النبيّ صلى الله عليه وآله.

الثالث: شاهد منه لسانه، رُوي ذلك عن محمّد بن عليّ عليهما السلام أعني: ابن الحنفيّة، وهو قول الحسن وقَتادَة.

الرابع: رُوي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام: أنّه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ورواه الرُمّاني، وذكره الطبري بإسناده عن جابر بن عبدالله عن عليّ عليه السلام.

وذكر الفرّاء وجهاً خامساً، قال: ﴿ويتلوه﴾ يعني: القرآن ﴿يتلوه شاهد﴾ هو الإنجيل ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ يعني: التوراة. والمعنى: ويتلوه في الحجّة والبيّنة.

وقوله: ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ الهاء في ﴿قبله﴾ عائدة على القرآن المدلول عليه فيما تقدّم من الكلام، والمعنى: أنّه يشهد به بالبشارة الّتي فيه.

وقوله: ﴿إماماً ورحمةً﴾ العامل فيه أحد أمرَيْن:

أحدهما: الظرف في قوله: ﴿ومِن قبله﴾. الثاني: وشاهد من قبله كتاب موسى إماماً ورحمة.

وخـــبر ﴿مَن﴾ فـــي قـوله: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه﴾ مـحذوف، والتقدير: أفمن كان على بيّنة من ربّه وعلى الأوصاف الّتي ذكرت كـمن لا بيّنة معه، قال الشاعر:

وأُقْسِمُ لَو شَيْءٌ أَتَانا رَسُولُهُ سِوَاكَ ... ولكِـــنْ لَــمْ نَـجِدْ عَـنْكَ مَـدْفَعا

وأنشد الفرّاء:

فـــما أدري إذا يَـمّمتُ وَجْـهاً ... أُريــدُ الخَــيْرَ أيُّــهما يَـلِيني

أالخــير الّــذي أنـــا أبــتَغِيه ... أم الشــرّ الّـذي لا يأْتَـليني[1]

قال: «أيّهما» وإنّما ذكر الخير وحده لأنّ المعنى مفهوم، لأنّ المبتغي للخير متقٍّ للشرّ[2]. وقال قوم: خبره قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ وقد تقدّمه واستُغني به.

وقوله: ﴿أُولئك يؤمنون به﴾ كناية عمّن كان على بيّنة من ربّـه أنّـهم يصدّقون بالقرآن ويعترفون بأنّه حقّ.

وقوله: ﴿ومَن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ معناه: أنّ كـلّ مَـن يجحده ولا يعترف به من الأحزاب الّذين أجمعوا على عـداوتـه، وقـال الفرّاء: يقال: كلّ كافر حزب النار. ﴿والنار موعده﴾ يعني: مستقرّه وموعده ﴿فلا تَكُ﴾ يا مـحمّد صلى الله عليه وآله ﴿في﴾ شكٍّ مـن ذلك، فـالخطاب مـتوجّه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلّفين.

وقوله: ﴿إنّه الحقّ من ربّك﴾ إخبار منه تعالى بأنّ هذا الخبر الّذي ذكره حقّ من عند الله ﴿ولكن أكثر الناس﴾ لا يعلمون صحّته وصدقه، لجـهلهم

---

(١) وأنشدهما الأزهري أيضاً في تهذيب اللغة: مادّة «أنم» ونسبهما إلى المثقّب العبدي.

(٢) في الخطّيّة: «إلّا أنّ المبتغي للخير حقيق الشرّ».

بالله وجحدهم بنبوّة نبيّهﷺ. ورُوي: أنّ الحسن قرأ: ﴿في مُرية﴾ بضمّ الميم، وهي لغة أسد وتَمِيم، وأهل الحجاز يكسرون الميم وعليه القُرّاء.

قوله [تعالى]:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١٨) آية بلا خلاف.

قال الحسن: معنى قوله: ﴿ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً﴾: لا أحد أظلم منه، إلّا أنّه خرج مخرج الاستفهام مبالغةً في أنّه أظلم لنفسه من كلّ ظالم، وإنّما كان المفتري على الله كذباً أظلم من كلّ ظالم لأنّه يجحد نِعَم الله ولا يشكرها.

وقوله: ﴿أُولئك يعرضون على ربّهم﴾ إخبار منه تعالى أنّ مَن هذه صفته يُعْرَض على الله يوم القيامة، و «العرض»: إظهار الشيء بحيث يُرى للتوقيف على حاله، يقال: عرضت الكتاب على فلان، وعُرِض الجند على السلطان، ومعنى «العرض على الله»: أنّهم يقفون في المقام الّذي يراهم العباد، وقد جعله الله تعالى للمطالبة بالأعمال، فهو بمنزلة العرض في الحقيقة، لأنّهم لا يُخْفون عليه في حال من الأحوال، بل هو تعالى يراهم حيث كانوا.

وقوله: ﴿ويقول الأشهاد﴾ يعني: الملائكة والأنبياء والعلماء، يشهدون بما كان منهم من الكذب عليه تعالى، وقيل: هو جمع «شاهد» مثل: صاحب وأصحاب، وقيل: جمع «شهيد» كشريف وأشراف.

وقوله: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ تنبيه من الله تعالى لخلقه أنّ لعنته

على الظالمين الّذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها، وعلى غيرهم بإدخال الآلام عليهم. ولعنة الله: إبعاده من رحمته.

قوله [تعالى]:

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۝١٩﴾ آية بلا خلاف.

وصف الله تعالى الظالمين الّذين جعل لعنة الله عليهم بأنّهم ﴿يصدّون عن سبيل الله﴾ بمعنى: أنّهم يغوون[١] الخلق ويصرفونهم عن المصير إليه واتّباعه بغير الحقّ، ويجوز أن يكون صدّه عن الفساد بدعائه إلى تركه، والصدّ عن الحقّ سبب الامتناع منه إذا صادف منه قبولاً[٢] فيفعله من أجل ذلك الداعي.

وإنّما جاز تمكين الصادّ من الفساد لأنّه مكلّف للامتناع منه، وليس في منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد إلى الصلاح، فهو كشهوة القبيح الّذي به يصحّ التكليف، قال أبو عليّ: ولو لم يكن إغواء الشيطان إضلالاً لعمل من قبل نفسه مثل ذلك أو شرّاً منه.

وقوله: ﴿يبغونها عوجاً﴾ معناه: أنّهم يطلبون لسبيل الله عدولاً عنه، و «العِوَج»: العدول عن طريق الصواب، وهو في الدين «عِوَج» بالكسر، وفي العود «عَوَج» بالفتح، فرّقوا بين ما يُرى وبين ما لا يُرى، فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب بالفتح والكسر. و «البغية»: طلبة أمر من الأمور، تقول: بَغَاه يُبغِيه بُغيةً، مثل: طَلَبَه يَطْلِبُه طِلْبةً.

---

(١) في الحجريّة: «يغرّون».

(٢) في مصحّح الحجريّة: «ما يهواه» بدل «قبولاً».

وقوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ إخبار منه تعالى أنّ هـؤلاء الّـذين يصدّون عن سبيل الله كافرون بالآخرة والبعث والنشور والثواب والعقاب، أي: جاحدون غير مقرّين. وقوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ كرّر ﴿هم﴾ مرّتين كما قال: ﴿أيعدكم أنّكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً أنّكم مخرجون﴾ [١] كرّر ﴿أنّكم﴾ مرّتين، ووجهه أنّه لمّا طال الكلام وفارق فعله كرّره مرّةً أخرى.

قوله [تعالى]:

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ آية بلاخلاف.

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفّار الّذين وصفهم بأنّ عليهم لعـنة الله، وأنّهم الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً بأنّهم غير ﴿معجزين في الأرض﴾ أي: لم يكونوا فائتين فيها هرباً من الله تعالى إذا أراد إهلاكهم، كما يهرب الهارب من عدوٍّ قد جدّ في طلبه، و «الإعجاز»: الامتناع من المراد بما لا يمكن معه إيقاعه، وأنّهم لم يكن لهم وليٌّ يسـتطيع الدفـاع عنهم من دون الله، و«الوليّ» هو الخصّيص بأن يلي بالمعاونة لدفع الأذيّة، ومنه قولهم: تولّاك الله بحفظه، فلا وليّ لهؤلاء يعاونهم ويدفع العقوبة عنهم، لأنّ الله تعالى قد أيأسهم من ذلك.

وقوله: ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما: بحسب تضاعف الأجرام. والآخر: كلّما مرّ ضعف جاء ضعف، وكـلّه عـلى قـدر الاستحقاق.

وقوله: ﴿ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون﴾ معناه: أنّه كـان

---

(١) المؤمنون: ٣٥.

يثقل عليهم سماع الحقّ ورؤيته، كما يقال: فلان لا يستطيع النظر إلى فلان. وحقيقة «الاستطاعة»: القوّة الّتي تنطاع بها الجارحة للفعل، ولذلك لا يقال في الله: إنّه يستطيع، وليس المراد بنفي الاستطاعة في الآية نفي القدرة، بل ما ذكرناه، لأنّه لو لم يكن فيهم قدرة لما حَسُن تكليفهم.

وقد ذكر الفرّاء فيه وجهاً مليحاً، فقال: المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يعقلون[1] وحذف الباء كما قال: ﴿أليم بما كانوا يكذبون﴾[2] أي: تكذيبهم، وسقوط الباء جائز، كما قال: ﴿أحسن ما كانوا يعملون﴾[3] ويقول القائل: لأجزينّك ما عملت وبما عملت، واختار ذلك البلخي. و«السمع»: إدراك الصوت بما به يكون مسموعاً، و«الإبصار»: إدراك الشيء بما به يكون مبصراً.

قوله [تعالى]:

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٢١﴾ آية بلا خلاف.

ثمّ أخبر عنهم بخبرٍ آخر، وهو أنّهم ﴿الّذين خسروا أنفسهم﴾ من حيث إنّهم فعلوا ما استحقّوا به العقاب وهلكوا، فذلك خسران أنفسهم، وخسران النفس أعظم الخسران، لأنّه ليس عنها عوض، وفي هلاك رأس المال عوض، فسلامة النفس أجلّ فائدة، وما يأتي[4] بعده من نفع فهو ربح.

وقوله: ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: ذهب عنهم الانتفاع بالافتراء كما كانوا في الدنيا. والثاني: ذهب عنهم الأوثان الّتي كانوا يأملون بها الانتفاع، في قول الحسن.

---

(١) في المصدر: «ولا يفعلون».
(٢) البقرة: ١٠.
(٣) التوبة: ١٢١.
(٤) في الحجريّة: وما كان.

و «أُولئك» إشارة إلى البعيد، و «أُولاءِ» إشارة إلى القريب، و «أُولاءِ» مبنيّ على الكسر لأنّه اسم للجمع بمنزلة الواحد، والكـاف فـي «أُولئك» حرف يدلّ على أنّ الكلام الّذي معه مخاطباً به.

ووجه اتّصال[1] ﴿ما﴾ في الآية: أنّ ﴿أُولئك﴾ إشارة إلى مـن تـقدّم ذكره، و﴿الّذين﴾ صفة لهم وهو موصول، و ﴿خسروا﴾ صلته، و﴿أنفسهم﴾ معمول الصلة، و ﴿ضلّ﴾ معطوف على الصلة، و﴿عنهم﴾ متعلّق بمعطوف الصلة و﴿ما﴾ فاعل معطوف الصلة، و ﴿كانوا﴾ صلة فاعل معطوف الصلة، و﴿يفترون﴾ خبر صلة فاعل معطوف الصلة، وهو تمام الاسم.

قوله [تعالى]:

لَاجَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ آية بلا خلاف.

معنى ﴿لاجرم﴾ قال الزجّاج: معنى «لا»: نفي لما ظنّوا أنّـه يـنفعهم، كأنّ المعنى: لا ينفعهم ذلك، ثمّ ابتدأ ﴿جرم أنّهم﴾ أي: كسب ذلك الفعل لهم الخسران. وقال غيره[2]: معناه: لابدّ أنّهم، ولا محالة أنّهم. وقـيل[3]: معناه: حقّاً أنّهم. وأصل «الجرم»: القطع، فكأنّه قال: لا قطع من أنّهم في الآخرة هم الأخسرون.

و «جرم» في قوله: ﴿لا جَرَمَ﴾ فعل، وتقديره: لا قطع قاطع عن ذا، إلّا أنّه كثُر في كلامهم حتّى صار كالمَثَل، وهو من قول الشاعر:

ولَـقَد طَـعَنْتُ أبـا عُـيَيْنَةَ طَـعنةً　　جَرَمَتْ فَزارَةُ بَعدَها أن يَغضَبوا[4]

(١) في الحجريّة: «اتّصالات».
(٢) وهو الفرّاء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٨.
(٣) قاله سيبويه في الكتاب: ج ٣ ص ١٣٨.
(٤) أنشده البغدادي في خزانة الأدب: ج ١٠ ص ٢٨٣ وما بعده، ونسبه إلى أبـي أسـماء بـن الضريبة، وقيل: إنّما هو لعَطِيّة بن عُفَيف. والاثنان من شعراء الجاهلية.

أي: قطعتهم إلى الغضب، فرواية الفرّاء نصب «فزارة» والمعنى: كسبهم أن يغضبوا[١]. وخسران النفس يتعاظم، لأنّ خسران النفس بعذابٍ دائمٍ أعظم من خسرانها بعذابٍ منقطع.

و ﴿هم﴾ في قوله: ﴿هم الأخسرون﴾ يحتمل وجهَيْن: أحدهما: أن يكون فصلاً و ﴿الأخسرون﴾ خبر «أنّ» والآخر: أن تكون اسماً مبتدأ وخبره ﴿الأخسرون﴾ والجملة خبر «أنّ» و﴿هم﴾ إذا كانت فصلاً لم تقع في النكرة، وقولك: كانوا في الدار هم القائمون، فلا يكون هاهنا إلّا اسماً، فإن جعلتها فصلاً قلت: كانوا في الدار هم القائمين[٢].

قوله [تعالى]:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ آية بلا خلاف.

لمّا ذكر الله تعالى الكفّار، ووصف ما أعدّ لهم من العذاب وخسران النفس، أخبر هاهنا: أنّ الّذين يؤمنون بالله ويعتقدون وحدانيّته، ويصدّقون رسله ﴿وعملوا﴾ الأعمال الصالحة الّتي أمرهم الله بها ورغّبهم فيها ﴿وأخبتوا إلى ربّهم﴾ أي: خشعوا إليه، والإخْبات: الخشوع المستمرّ على استواءٍ فيه، وأصله: الاستواء، من «الخَبْت» وهو الأرض المستوية الواسعة. وقيل: إنّ الإخبات الإنابة، ذكره ابن‌عبّاس. وقال مجاهد: هو الاطمئنان إلى ذكر الله. وقال قَتادَة: هو الخشوع إليه والخضوع له. وقال الحسن: هو الخشوع للمخافة الثابتة في القلب. وقال الجُبّائي: «الإخْبات»

---

(١) في الخطّيّة زيادة هنا: «وروي برفعها والمعنى: أنّ الفعل لها، وتقديره: حقّ لها أن يغضبوا».

(٢) كذا في الخطّيّة والعبارة في الحجريّة هكذا: وقوله ما كانوا في الدارهم القائمون فلا يكون إلّا اسماً فإن جعلتهما فصلاً قلت: كانوا في الدارهم القائمون.

سكون الجوارح على وجه الخضوع لله تعالى. و ﴿الصالحات﴾ جمع «صالحة» ومعناه: الأعمال الصالحات.

وليس كلّ عملٍ صالحٍ يستحقّ عليه جزاء أومدح، لأنّه مثل«الحسن» في أنّه ينقسم قسمَيْن: أحدهما: يستحقّ عليه الحمد، والآخر: لا يستحقّ عليه كالمباح، فكذلك الصالحات. والمراد بالصالحة هاهنا: الطاعة، لأنّه وعد عليها الجزاء وفي قوله: ﴿إنّ الحسنات يذهبن السيّئات﴾[١].

وقوله: ﴿وأخبتوا إلى ربّهم﴾ قال قوم[٢]: معناه: أخبتوا لربّهم، فوضع «إلى» مكان اللام، لأنّ حروف الإضافة توضع بعضها مكان بعض، كما قال: ﴿أوحى لها﴾[٣] بمعنى: أوحى إليها. والآخر: أنّ معناه: عمدوا بإخباتهم إلى الله.

وقوله: ﴿أُولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾ إشارة إلى المؤمنين الّذين وصفهم بأنّهم يعملون الصالحات ويخبتون إلى ربّهم، فأخبر عنهم أنّهم أصحاب الجنّة اللازمون لها، وأنّهم فيها مخلّدون دائمون.

قوله [تعالى]:

مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ آية بلا خلاف.

«المَثَل» قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأوّل، والأمثال لا تغيّر عن صورتها، كقولك للرجل: «أطِرّي إنّك ناعِلَة»[٤] وكذلك يقال للكافر:

---

(١) الآية: ١١٤ الآتية. (٢) كالفرّاء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٩ ـ ١٠. (٣) الزلزلة: ٥.

(٤) أي: أدِلّي على المشي فإنّك غليظة القدمين غير محتاجة إلى النعلَيْن، والمثل يضرب للمذكر والمؤنّث والاثنين والجمع، ويُضرب في جَلادَة الرجل ومعناه: اركب الأمر الشديد فإنّك قويّ عليه. راجع اللسان: مادّتي «طرر» و «نعل».

هو أعمى أصمّ، أي: هو بمنزلة الّذين قيل لهم هذا القول، ويجري هذا في كلّ كافرٍ يأتي من بعد.

والواو في قوله: ﴿كالأعمى والأصمّ﴾ قيل في دخولها قولان:

أحدهما: لعموم التشبيه، أي: حال الكافر كحال الأعمى، وكحال الأصمّ، وكحال مَن جمع العمى والصمم. الثاني: أنّ المعنى واحد، وإنّما دخلت الواو لاتّصال الصفة الأُولى بعلامة.

وإنّما قال: ﴿هل يستويان﴾ لأنّه أراد الفريقَيْن: الموصوف أحدهما بالصمم والعمى، والآخر بالبصر والسمع.

وفائدة الآية: تشبيه حال المؤمن والكافر في تباعد ما بينهما، فشبّههما بالأعمى والبصير، والأصمّ والسميع، فالكافر كالأعمى والأصمّ في أنّه لايبصر طريق الرشد ولا يسمع الحقّ، وأنّه مع ذلك على صفة النقص، و«الصمم»: عبارة عن فساد آلة السمع، ولو كان معنىً يضادّ السمع لتعاقبا على الحيّ، والأمر بخلافه، لأنّه قد ينتفي حال الصمم ولا يكون سامعاً به. وكذلك «العمى»: عبارة عن فساد آلة الرؤية، وليس بمعنىً يضادّ الإبصار، لأنّ الصحيح أنّ الإدراك أيضاً ليس بمعنىً، ولو كان معنىً لما وجب أن يكون العمى ضدّه، لأنّه لو كان ضدّه لعاقبه على حال الحيّ، وكان يجوز أن يحضر المرئي من الأجسام الكثيفة من غير ساتر، فلا يرى مع حصول المقابلة[1] لأجل وجود الضدّ، وكذلك الصوت[2] لا ضدّ له لأنّه ليس هناك حال يعاقبه على حال مخصوصة كمعاقبة «العجز» للقدرة على حال الحياة.

---

(١) في الحجريّة: «شروط الإدراك» بدل «المقابلة».

(٢) في الحجريّة: الصمم، خ ل.

وقوله: ﴿هل يستويان مثلاً﴾ معناه لا يستويان مثلاً وإن كان بصورة الاستفهام [فهو] لضربٍ من التوبيخ والتقريع. وقوله: ﴿أفلا تذكّرون﴾ معناه: أفلا تتفكّرون في ذلك فتعلموا صحّة ما ذكرناه.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ آيتان بلا خلاف.

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة: ﴿إنّي﴾ بكسر الهمزة، الباقون بفتحها.

قال أبوعليّ النحوي: مَن فتح «أنّي» حملها على «أرسلنا» أي: أرسلناه بأنّي لكم، ولم يقل: «أنّه» لأنّه انتقل عن الغيبة إلى الخطاب، ومثله كثير، قال الله تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة﴾ ثمّ قال بعده: ﴿فخذها بقوّة﴾ [1] فكذلك الآية. ومَن كسر أضمر القول قبلها، كأنّه قال: أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال: إنّي لكم نذير، ومثله كثير، قال الله تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب * سلام عليكم﴾ [2] أي: يقولون: سلام عليكم، وقوله [تعالى]: ﴿والّذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ [3] أي: قالوا: ما نعبدهم، ويكون الكلام على ظاهره لم يرجع من الغيبة إلى الخطاب، وليس لأحدٍ أن يرجّح القراءة بالفتح من حيث إنّ ما بعده من قوله: ﴿أن لا تعبدوا إلّا الله﴾ محمولٍ على الإرسال. فإذا فتحت أنّي كان أشكل بما بعدها لحملها جميعاً على الإرسال، وذلك أنّ مَن كسر حمل قوله: ﴿إنّي لكم﴾ وما بعده على

(١) الأعراف: ١٤٥. (٢) الرعد: ٢٣ و ٢٤. (٣) الزمر: ٣.

الاعتراض بين المفعول وما يتّصل به ممّا بعده، كما أنّ قوله: ﴿إنّ الهدى هدى الله﴾ اعتراض بينهما في قوله: ﴿ولا تؤمنوا إلّا لمن تبع دينكم قل إنّ الهدى هدى الله أن يُوتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم﴾ [1] فكذلك قوله: ﴿إنّي لكم نذير مبين﴾ لأنّ التقدير: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أن لا تعبدوا إلّا الله إنّي لكم نذير مبين. وقال الزجّاج: تقديره أرسلنا نوحاً بالإنذار أن لا تعبدوا إلّا الله أي أُنذركم لتوحّدوا الله وأن تتركوا عبادة غيره.

أقسم الله تعالى في هذه الآية أنّه أرسل نوحاً إلى قومه وأمره بأن يقول لهم: إنّي مؤدٍّ عن الله ومخوّفكم من عقابه وترك طاعاته، لأنّ اللام في قوله: ﴿لقد﴾ لام القَسَم، وهي تدخل على الفعل والحرف الّذي يختصّ بالفعل ممّا يصحّ معناه معه، ولام الابتداء للاسم خاصّةً. ومعنى «قد» توقّع الخبر على وجه التقريب من الحال، تقول: «قد ركب الأمير» لقومٍ يتوقّعون ركوبه.

وقوله: ﴿أن لا تَعبدوا إلّا الله﴾ يحتمل أن يكون موضع ﴿تعبدوا﴾ من الإعراب نصباً، والمعنى: مبين عن أن لا تعبدوا إلّا الله، ويجوز أن يكون موضعه جزماً على تقدير: أي لا تعبدوا. ويحتمل أن يكون متعلّقاً بقوله: ﴿أرسلنا﴾ وتقديره: أرسلناه بأن لا تعبدوا إلّا الله، على ما بيّنّا من الاعتراض، أو حملها جميعاً على الإرسال.

وقوله: ﴿إنّي أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ إخبار منه، من نوح عليه السلام لقومه إنّي أخاف عليكم عذاب يوم أليم أي: مؤلم عذابه، وإنّما قال: ﴿عذاب يومٍ أليمٍ﴾ [بالجرّ] ومعناه: مؤلم، لأنّ الألم يقع في اليوم، فكأنّه سبب الألم،

(١) آل عمران: ٧٣.

ولو نصبته على أن يكون صفة لـ«العذاب» كان جائزاً، ولم يقرأ به أحد.

وإنّما بُدِئ بالدعاء إلى العبادة دون سائر الطاعات، لأنّها أهمّ ما يدعى إليه من خالف الحقّ فيه، ولأنّه يجب أن يفعل كلّ واحد من الطاعات على وجه الإخلاص والعبادة فيها لله.

وإنّما قال: ﴿إنّي أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ مع أنّ عذاب الكافر معلوم، لأنّه يخاف ما لم يعلم إلى ما يؤول إليه أمرهم من إيمان أو كفر، وهذا لطف في الاستدعاء، وأقرب إلى الإجابة في غالب أمر الناس.

قوله [تعالى]:

فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أبوعمرو ونصير: ﴿بادئ الرأي﴾ بهمز في﴿بادي﴾ الباقون بلا همز.

قال أبو عليّ الفارسي: حدّثنا محمّد بن السُدّي: أنّ اللحياني قال: يقال: أنت بادي الرأي، تريد ظلمنا، لا يُهمز «بادي» و «بادئ الرأي». مهموز، فمن لم يهمز أراد: أنت فيما بدا من الرأي، أي: أنت ظاهر الرأي. ومن همز أراد: أنت أوّل الرأي ومبتدأه، وهما في القرآن. وقال أبو عليّ: من قال: ﴿بادي الرأي﴾ بلا همز جعله من بدا الشيء إذا ظهر، وما اتّبعك إلّا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي، أي: لم يفعلوه بنظرٍ فيه ولا بتبيّنٍ له، ومَن همز أراد: اتّبعوك في أوّل الأمر من غير فكر فيه ورويّة، والقراءتان متقاربتان، لأنّ الهمز في اللام منها ابتداء الشيء وأوّله، وابتداء الشيء يكون ظهوراً، وإن كان الظهور قد يكون ابتداء وغير ابتداء، فلذلك يستعمل كلّ واحد منهما مكان الآخر، يقولون: أنا بادي بدٍ وبادئ بدءٍ

فإنّي أحمد الله.

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن جماعة الرؤساء من قوم نوح الّذين كفروا به وجحدوا نبوّته: أنّهم قالوا له: ﴿ما نراك إلّا بشراً مثلنا﴾ و «البشر» مأخوذ من ظهور البشرة، لأنّ الغالب على الحيوان غير الإنسان أن يلبس البشرة منه بالصوف أو الشعر أو الريش أو الصدف، و «الإنسان» مأخوذ من «النِسْيان» لأنّهم يصغّرونه: «أُنَيْسِيان» ويجوز أن يكون من «الإنسان» إلّا أنّهم زادوا الياء في التصغير. و «المثل»: ما سدّ مسدّ غيره فما يرجع إلى ذاته، قال الرُمّاني: المثل ما سدّ مسدّ غيره في الجنس بمعنى لو ظهر للمشاهدة لسدّ مسدّه كما يسدّ الأسود مسدّ الأسود من غير فصل[١].

وقوله: ﴿ما نراك اتّبعك إلّا الّذين هم أراذلنا﴾ حكاية أيضاً عمّا قاله قوم نوح من أنّه ما نرى مَن اتّبعك إلّا من هو رذل خسيس حقير من جماعتنا، تقول: رَذْل، وجمعه: أرْذُل[٢] وجمع الجمع: أراذِل، مثل: كَلْب وأكْلُب وأكَالِب. والعامل في ﴿الّذين﴾ قوله: ﴿اتّبعك﴾ كأنّه قال: ما اتّبعك إلّا الّذين هم أراذلنا، و ﴿نراك﴾ ملغىً، ذكره الفرّاء. قال أبو عليّ النحوي: هو نصب على الحال، والعامل فيه: ﴿اتّبعك﴾ وأُخّر الظرف وأُوقع بعد ﴿إلّا﴾ ولو كان الظرف غيره لم يجز، لأنّ الظرف اتّسع فيه في مواضع.

ومعنى ﴿بادئ الرأي﴾: أوّل الرأي ما نراهم، و «الرأي» الرؤية من قوله: ﴿يرونهم مثلَيْهم رأي العين﴾[٣] وهو نصب على المصدر، كقولك:

---

(١) كذا في الخطّيّة، والعبارة في الحجريّة هكذا: والمثل ما سدّ مسدّ غيره في الجنس بمعنى أنّه لو ظهر للمشاهد لسدّ مسدّه كما يسدّ الأسود مسدّ الأسود في الجنس من غير فصل.

(٢) اللسان: الرَذْل والرذيل والأرذل: الدون من الناس، والجمع: أرذال ورُذَلاء ورُذُول ورُذَال، الأخيرة من الجمع العزيز، والأرذلون.

(٣) آل عمران: ١٣.

ضربته أوّل الضرب، وقال الزجّاج: نصبه بـ «اتّبعوك أوّل الرأي» من غير فكرٍ، كأنّه قيل: اتّبعوك رأياً غير سديد أي لرأي غير سديد. ومَن قرأ ﴿بادي الرأي﴾ بلا همز أراد: ظاهر الرأي، قال الشاعر:

وقد عَلَتْني ذُرْأَةٌ بـادِي بَـدي ورَثْيَةٌ تَنْهضُ في تَشـدُّدي[1]

وقال آخر:

أضْحى لِخالي شَبَهِي بـادِي بَـدِي وصـارَ للـفَحْلِ لِسـاني ويَـدِي[2]

وقوله: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ تمام الحكاية عن كفّار قوم نوح أنّهم قالوا لنوح: إنّا لا نرى لك ولأمثالك علينا زيادة خير، لأنّ الفضل هو زيادة الخير، وإنّما قالوا ذلك لأنّهم جهلوا ما طريقة الاستدلال.

وقوله: ﴿بل نظنّكم كاذبين﴾ هو [أيضاً] تمام الحكاية عن كفّار قومه أنّهم قالوه له ومن آمن معه.

قوله [تعالى]:

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ آية بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿فعُمِّيت﴾ بضمّ العين وتشديد الميم، الباقون بتخفيف الميم وفتح العين.

وقال أبو عليّ: مَن قرأ ﴿فعَمِيت﴾ بالتخفيف فلقوله: ﴿فعَمِيت عليهم الأنباء يومئذٍ﴾[3] وهذه مثلها، ويجوز في قوله: ﴿فعميت﴾ أمران:

أحدهما: أن يكون عموا هم، ألا ترى أنّ الرحمة لا تعمى وإنّما يُعمى

---

(١) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ٣ ص ٣٠٥ ونسبه إلى أبي نُخَيْلَة.

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «بدا» ولم ينسبه لأحد.

(٣) القصص: ٦٦.

عنها، فيكون هذا من المقلوب، كقولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي، وأدخلت الخاتم في إصبعي، ونحو ذلك ممّا يقلب إذا زال الإشكال.

والآخر: أن يكون معنى ﴿عمّيت﴾: خُفيت، كقول الشاعر:

ومَهْمَهٍ أطرافُهُ في مَهْمَهٍ أعْمَى الهُدى في‌الحائرينَ العُمَّهِ[١]

أي: خفي الهدى، ألا ترى أنّ الهدى ليس بذي جارحة تلحقها هذه الآفة، وقد قيل للسحاب: «العَماء» لإخفائه ما يخفيه، كما قيل له: الغَمام، ومن ذلك قول زُهَيْر:

ولكنّني عن عِلْمِ ما في غَدٍ عَمي[٢]

ومن شدّد اعتبر قراءة الأعمش، فإنّه قرأها: ﴿فعمّاها عليهم﴾ وروى ذلك الفرّاء عن أبيٍّ، والمعنيان متقاربان، قال الفرّاء: يقال: عَمَى عليَّ الخبر وعُمِي، بمعنىً واحد.

حكى الله تعالى عن قوم نوح ما قاله لقومه جواباً عمّا قالوه لهم[٣] ممّا حكيناه، فإنّه ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي﴾ أي: على برهان وحجّة من المعجزة الّتي تشهد بصحّة النبوّة، وخصّهم بهذا إذ هو طريق العلم بالحقّ لا ما التمسوا من اختلاف الخلق.

وقوله: ﴿آتاني رحمة من عنده﴾ يردّ عليهم ما ادّعوه من أنّه ليس له عليهم‌فضل، فبيّن ذلك بالهداية إلى‌الحقّ من‌جهة‌البرهان المؤدّي إلى العلم.

---

(١) لرُؤْبة، وقد مرّ ذكره عند تفسير الآية: ١٥ من سورة البقرة.

(٢) وصدره: وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ. من معلّقته المشهورة. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٨٦.

(٣) كذا في الخطّيّة والحجريّة، وفي المطبوع: حكى الله تعالى عن نوح ما قاله لقومه جواباً عمّا قالوه له.

وقوله: ﴿فعمِّيت عليكم﴾ يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: خُفِيت عليكم لأنّكم لم تسلكوا الطريق المؤدّي إليها.

والآخر: أن يكون المعنى: عُمِيتُم عنها، وأضاف العمى إلى البيّنة لما عموا عنها لضربٍ[1] من المجاز، لأنّ المعنى ظاهر في ذلك، كما يقال: أدخلت الخاتم في يدي والقلنسوة في رأسي، والمراد: أدخلت يدي في الخاتم ورأسي في القلنسوة. ومَن قرأ بتشديد الميم وضمّ العين أضاف التعمية إلى غيرهم ممّن صدّهم عن النظر فيها وأغواهم في ذلك من الشياطين والمضلّين عن الحقّ.

وقوله: ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ معناه: أنضطرّكم إلى موجب البيّنة مع العلم مع كراهتكم لذلك فيبطل تكليفكم الاستدلال بالبيّنة المؤدّية إلى المعرفة، إذا صرتم[2] إلى حال الضرورة. ووجه آخر: وهو أن يكون المراد: أنّ الّذي عليَّ أن أدلّ بالبيّنة، وليس عليَّ أن أضطرّكم إلى المعرفة.

وفي قوله: ﴿أنلزمكموها﴾ ثلاث مضمرات: ضمير المتكلّم وضمير المخاطب وضمير الغائب، وهو على أحسن ترتيب: بدأ بالمتكلّم، لأنّه أخصّ بالفعل ثمّ بالمخاطب ثمّ بالغائب. ولو أتى بالمنفصل لجاز، لتباعده عن العامل بما فرّق بينه وبينه، فأشبه: ما ضربتُ إلّا إيّاك، وما ضربني إلّا أنت، وأجاز الفرّاء «أنلزمْكُمُوها» بتسكين الميم، جعله بمنزلة: «عَضُد وعَضْد» و «كَبُد وكَبْد» ولا يجوز ذلك عند البصريّين، لأنّ الإعراب لا يلزم فيه الثقل كما يلزم في بناء الكلمة، وإنّما يجيزون مثل ذلك في ضرورة الشعر، كقول امرئ القَيْس:

---

(١) في الخطّيّة: «على ضربٍ من المجاز».

(٢) في الحجريّة: أي: أضطرّكم.

فاليَومَ أشْرَبْ غَيْرَ مستَحْقِبٍ ... إثْـماً مِـن ٱللهِ ولا واغِـلِ[١]

وقال آخر:

وَنَـاعٍ يُـخَبّرنا بِـمُهْلَكِ سَـيّدٍ ... تَقَطّعَ مِنْ وَجْدٍ عليهِ الأنامِلُ[٢]

وقال آخر:

إذا ٱعْوَجَجْنَ قلتُ صاحِبْ قوِّمِ[٣]

يريد: يا صاحب قوم.

قوله تعالى:

﴿وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُمْ مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝٢٩﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية حكاية ما قال نوح لقومه، أي[٤]: لا أطلب منكم ﴿مالاً﴾ أجراً على الرسالة ودعائكم إلى الله فتمتنعون من إجابتي خوفاً من أخذ المال، بل أجري وثوابي في ذلك على الله.

وقوله: ﴿وما أنا بطارد الّذين آمنوا﴾ معناه: أنّي لست أطرد المؤمنين من عندي ولا أُبعّدهم على وجه الإهانة، وقيل: إنّهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا أَنَفَةَ من أن يكونوا معهم على سواء، ذكره ابن جُرَيْج والزجّاج.

وقوله: ﴿إنّهم ملاقوا ربّهم﴾ إخبار بأنّ هؤلاء المؤمنين ملاقوا جزاء ربّهم بعقاب من طردهم، في قول الزجّاج.

وقوله: ﴿ولكنّي أراكم قوماً تجهلون﴾ معناه: أراكم تجهلون أنّهم خير

---

(١) من قصيدة له حين ظفر ببني غُنم من أسد. راجع ديوان امرئ القيس: ص ١٤٨.

(٢) أنشده الفرّاء في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٢ ولم ينسبه لأحد.

(٣) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ٤ ص ٢٠٣. ونسبه محقّق الكتاب إلى أبي نُخَيْلَة.

(٤) في الخطّيّة: «إنّي» بدل «أي».

منكم لإيمانهم بربّهم وكفركم به.

وقال قوم: إنّهم قالوا له: إنّ هؤلاء اتّبعوك طمعاً في المال على الظاهر دون الباطن، فقال لهم نوح: إنّهم ملاقوا جزاء أعمالهم فيجازيهم على ما يعلم من بواطنهم، وليس لي إلّا الظاهر أحملهم على ظاهر الإيمان، فأنتم تجهلون ذلك.

قوله [تعالى]:

وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ آية بلا خلاف.

ثمّ قال لهم نوح عليه السلام: ﴿يا قوم﴾ وأراد به الجماعة الّذين يقومون بالأمر، و «قوم»[١] اسم جمعٍ لا واحد له من لفظه ﴿من ينصرني من الله﴾ أي: من يمنعني من الله؟ يقال: نصره من كذا، يعني: منعه منه، ونصره عليه بمعنى: أعانه عليه حتّى يغلب، ونصره إلى كذا بمعنى: نصره معه، ومنه قوله: ﴿مَن أنصاري إلى الله﴾[٢] ويجوز أن يُقدر الله الكافر على الكفر، ولا يجوز أن ينصره عليه، لأنّ النصرة على الشيء زيادة في القوّة ليقع ذلك الشيء، وهذا لا يجوز على الله. والقدرة تصلح للضدّين على منزلة سواء، ولا دليل فيها على إرادة أحدهما.

وقوله: ﴿أفلا تذكّرون﴾ معناه: أفلا تتفكّرون فتعلمون أنّ الأمر على ماقُلْته؟ وفرّق الرُمّاني[٣] بين «التذكّر» و «التفكّر» بأن قال: «التذكّر» طلب معنىً قد كان حاضراً للنفس، و «التفكّر» طلب معرفة الشيء بالقلب وإن لم يكن حاضراً للنفس.

---

(١) في الخطّيّة: «هو» بدل «قوم».

(٢) آل عمران: ٥٢.

(٣) في الحجريّة: «الطبري» بدل «الرُمّاني».

و «النصرة» المذكورة في الآية ليست من الشفاعة في شيء، لأنّ النصرة هي المنع على وجه المغالبة والقهر، والشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع، وليس لأحدٍ أن يستدلّ بذلك على نفي الشفاعة للمذنبين.

قوله [تعالى]:

وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣١) آية بلا خلاف.

في هذه الآية تمام الحكاية عمّا قال نوح لقومه وحاجّهم به، وهو أنّه قال لهم مضافاً إلى ما مضى حكايته: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنّي ملك﴾ والمعنى: أنّي لا أرفع نفسي فوق قدرها فأدّعي أنّ عندي خزائن الله من الأموال فأُعطيكم منها وأستطيل عليكم بها[١] أو أقول: إنّي أعلم الغيب، أو أقول لكم: إنّي ملك روحاني غير مخلوق[٢] من ذكر وأُنثى بخلاف ما خلقني الله، بل أنا بشر مثلكم،وإنّما خصّني الله بالرسالة وشرّفني بها. وقيل: معنى ﴿خزائن الله﴾: مقدوراته، لأنّه يوجِدُ منها ما يشاء، وفي وصفها بذلك بلاغة. وقيل: ﴿لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ فأدعوكم إلى أن أُعطيكم منها، ذكره ابن جُرَيْج. و «الغيب»: ذهاب الشيء عن الإدراك، ومنه: «الشاهد» خلاف «الغائب» وإذا قيل: علم الغيب، معناه: علم من غير تعليم، وهو جميع الغيب، وعلى هذا لا يعلم الغيب إلّا الله تعالى.

---

(١) في الخطّيّة: «فأُعطيكم فيها أو أستطل عليكم بها».

(٢) في الخطّيّة: «غير محقوق» بدل «غير مخلوق».

وقـــوله: ﴿ولا أقول للّذين تزدري أعينكم﴾ أي: لست أقــول للّـذين احتقرتهم أعينكم، و «الازدراء»: الافتعال من الزراية، يقال: زَرَيْت عليه إذا عِبْته، وأزْرَيت عليه[1] إذا قصّرْت به، والازدراء: الاحتقار.

وقوله: ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾ معناه: لا أقول لهؤلاء المـؤمنين الّـذين احتقرتموهم: إنّهم لايعطيهمالله فيالمستقبل خيراً على أعمالهم ولا يثيبهم عليها، من حيث لا علم لي بباطنهم، بل الله أعلم بما في أنفسهم: هل هم مؤمنون في باطنهم أم لا، ومتى قلت: لا يعطيهم الله خيراً كـنت إذاً مـن الظالمين الّذين ظلموا أنفسهم وغيرهم.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ آية بلاخلاف.

في هذه الآية حكاية عمّا قال قوم نوح لنوحٍ جواباً عمّا قاله لهم فيما تقدّم: ﴿يا نوح قد جادلتنا﴾ أي: خاصمتنا وحاججتنا فأكثرت جدالنا أي مجادلتنا، وروي[2]: فأكثرت جَدَلنا، والمعنى واحد، فلسنا نؤمن لك ﴿فأْتِنا بما تَعِدُنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيما تقوله على الله تعالى.

وحقيقة «المجادلة»: المقابلة بما يقبل الخصم من مـذهبه بـحجّة أو شبهه، وهو من «الجَدْل» لشدّة الفتل، ويقال للصقر: أجْدَل لأنّه أشدّ مـن الطير. و «الإكثار»: الزيادة على مقدار الكفاية، و «الإقلال»: النقصان عن مقدار الكفاية. والفرق بين «الجِدال» و «الحجاج»: أنّ المطلوب بالحجاج

(١) في اللسان: أزْريت به إذا قصّرْتَ به وتَهاوَنْت.

(٢) رواه ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن: ص ٦٤ ونسبه إلى ابنعبّاس وأيوب السختياني.

ظهور الحجّة، والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب. و «المراء» مذموم لأنّه مخاصمة في الحقّ بعد ظهور الحقّ كَمَرْيِ الضَرْع بعد دروره، وليس كذلك الجدال. وفي الآية دلالة على حسن الجدال في الدين، لأنّه لو لم يكن حسناً لما استعمله نوح مع قومه، لأنّ الأنبياء لا يفعلون إلّا ما يحسن فعله.

قوله [تعالى]:

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ آية بلا خلاف.

فأجابهم نوح عليه السلام عمّا قالوه فقال: إنّما يأتي بالعذاب الله تعالى دون غيره يأتي به متى يشاء، ولستم تفوّتونه هرباً.

ومعنى «إنّما» اختصاص ما ذُكِر لمعنىً دون غيره، تقول: إنّما زيد كريم، أي: هو كريم دون غيره. وإنّما دخل «إنّما» بمعنى الاختصاص بالمذكور دون غيره لأنّها لتحقيق المعنى، ومن تحقيقه أن يكون لهذا دون غيره، إذ المشترك لم يحقّق على شيء بعينه. وإذا دخلت «إنّما» هذه على آسمٍ كان الاسم مرفوعاً، لأنّ «ما» كافّة للعامل، ولولا ذلك لما دخلت على الفعل. و «الإعجاز» هو الفوت بالهرب.

وفي الآية دلالة على أنّ المجادلة تقوم بها الحجّة على مخالف الحقّ، لأنّه لو لم تقم بها الحجّة ما جادلهم (١) نوح، ولما قال الله تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وآله: ﴿وجادلهم بالّتي هي أحسن﴾ (٢).

قوله [تعالى]:

وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) في الخطّيّة: ما جادلها.

(٢) النحل: ١٢٥.

هذه الآية عطف على قول نوح: ﴿إنّما يأتيكم﴾ بالعذاب ﴿الله إن شاء﴾ ولستم تفوّتونه ﴿ولا ينفعكم نصحي﴾.

ويحتمل قوله: ﴿يريد أن يغويكم﴾ أمرَيْن:

أحدهما: إن كان الله يريد أن يخيّبكم من رحمته بأن يحرمكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي. يقال: غَوَى يَغْوي غَيّاً، ومنه قوله تعالى: ﴿فسوف يلقون غيّاً﴾ [١] أي: خيبةً وعذاباً، وقال الشاعر:

فَمَن يَلْقَ خيراً يَحْمد النـاسُ أمـرَهُ
ومَن يَغْوَ لا يَعْدم على الغيّ لائِماً [٢]

فلمّا كان الله قد خيّب قوم نوح من رحمته وثوابه وجنّته أعلم نبيّه نوحاً بذلك في قوله: ﴿لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن﴾ [٣] وأنّهم سيصيرون [٤] إلى خيبة وعذاب. أخبرهم الله بذلك على لسان نبيّه فقال: ﴿ولا ينفعكم نصحي﴾ مع إيثاركم [٥] ما يوجب خيبتكم والعذاب الّذي جرّه عليكم قبيح أفعالكم، ويريد إهلاككم وعقوبتكم على ذلك، وحُكِيَ عن طيٍّ أنّها تقول: أصبح فلان غاوياً، أي: مريضاً، وحُكِي عن غيرهم سماعاً منهم: أغويت فلاناً بمعنى: أهلكته، وغوي الفصيل: إذا فقد اللبن فمات، بكسر الواو في الماضي وفتحها في المستقبل، ومنه قوله [تعالى]: ﴿وعصى آدم ربّه فغوى﴾ [٦] أي: خاب من الثواب الّذي كان يحصل له بتركه.

والوجه الثاني: أن يكون جرى على عادة العرب في اسم العقوبة باسم

---

(١) مريم: ٥٩.

(٢) أنشده في العقد الفريد: ج ٢ ص ١٥٥ وج ٥ ص ٣٢٨ ونسبه إلى المرقّش.

(٣) الآية: ٣٦ الآتية.

(٤) في الخطّيّة: سيصرفون.

(٥) في الحجريّة: إتيانكم.

(٦) طه: ١٢١.

الشيء المعاقَب عليه، فيكون المعنى: إن كان الله يريد عقوبتكم على إغوائكم الخلق وإضلالكم إيّاهم، فسمّى عقوبته إيّاهم على إغوائهم إغواءً، كما قال: ﴿وجزاء سيّئة سيّئة﴾ (١) ﴿ومكروا ومَكَر الله﴾ (٢) و ﴿الله يستهزئ بهم﴾ (٣) ونظائر ذلك كثيرة.

ومثله قوله حكاية عن إبليس: ﴿بما أغويتني﴾ (٤) فإنّه يحتمل هذَيْن الوجهَيْن: يحتمل أن يكون: فبما خيّبتني، والثاني: فبما جازيتني على إغوائي الخلق عن الهدى. ولا يجوز أن يكون المراد بذلك: أنّه يجعلكم كفّاراً على ما يذهب إليه المجبّرة، لأنّ الإغواء بمعنى: الدعاء إلى الكفر أو فعل الكفر لا يجوز عليه تعالى لقبحه،كقبح الأمر بالكفر.

و «النُصْح»: إخلاص العمل من الفساد على الاجتهاد فيه، و «النُصْح» نقيض «الغشّ» وكان نُصْح نوحٍ لقومه إعلامهم موضع الغيّ ليتّقوه، وموضع الرشد ليجتنبوه.

وإنّما شرط النصح بالإرادة في قوله: ﴿إن أردت أن أنصح﴾ مع وقوع هذا النصح، استظهاراً في الحجّة، لأنّهم ذهبوا إلى أنّه ليس بنُصْحٍ، فقال: لو كان نصحاً ما نفع من لا يقبله.

وقوله: ﴿هو ربّكم وإليه ترجعون﴾ إخبار من نوح أنّ الله الّذي يريد عذابكم ويخيّبكم (٥) [من] رحمته هو الّذي خلقكم ويميتكم، ثمّ يردّكم بأن يحييكم ليجازيكم على أفعالكم ويعاقبكم على كفركم بنعمه حيث لا ينفعكم استدراك ما فات، ولا ينفعكم الندم على ما مضى.

---

(١) الشورى: ٤٠. (٢) آل عمران: ٥٤. (٣) البقرة: ١٥.
(٤) الأعراف: ١٦ والحجر: ٣٩. (٥) في الحجريّة: «الّذي عذّبكم وخيّبكم».

وقال الحسن: معنى الآية: إن كان الله يريد أن يعذّبكم وينزل بكم عذابه فآمنتم عند ذلك[١] ولا ينفعكم نصحي، لأنّ الله تعالى لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب.

وقال بعض العلماء: إنّ قوم نوح كانوا يعتقدون أنّ ما هم عليه بإرادة الله لولا ذلك لغيّره وأجبرهم على خلافه. فقال نوح على وجه الإنكار عليهم والتعجّب من قولهم: إنّ نصحي لا ينفعكم إن كان القول كما تقولون وتعتقدونه، حكاه البلخي.

قوله [تعالى]:

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ آية بلا خلاف.

معنى قوله: ﴿أم يقولون ٱفْتَرَىٰهُ﴾ إخبار من الله تعالى بأنّ هؤلاء الكفّار الّذين ليس يقبلون ما أتاهم به من عند الله يقولون: ليس هذا القرآن من عند الله، بل افتراه وتخرّصه وكذّبه على الله، فمعنى ﴿أم﴾ في الآية: «بل» فأمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول لهم: ﴿إن ٱفتريته فعليَّ إجرامي﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّه وعيد، بأنّي إن كنت افتريته فيما أخبرتكم به من الخبر عن نوحٍ فعليَّ عقاب جرمي، وإن كانت الأُخرى فعليكم عقاب تكذيبي، وستعلمون صدق قولي وأيّنا الأحقّ.

الوجه الثاني: إنّه قال ذلك على وجه الاحتجاج بصحّة أمره[٢] بأن

---

(١) في الحجريّة: «فأنتم عند ذلك لا ينفعكم».

(٢) في الخطّيّة: «ولصحّة أمره فإنّه».

لا يتقوّل مثل هذا مع ما فيه من العذاب في الآخرة والعار في الدنيا، مع أنّه ذو أمانة(١) وصيانة، وهو في خطاب محمّد ﷺ.

وقوله: ﴿وأنا بريء ممّا تجرمون﴾ معناه: ليس عليَّ من إجرامكم ضرر، وإنّما ضرر ذلك عليكم، فاعملوا بحسب ما يقتضيه العقل من التفكّر في هذا المعنى.

والفرق بين افتراء الكذب وبين قول الكذب: أنّ قول الكذب قد يكون على وجه تقليد من الإنسان فيه لغيره، وأمّا افتراؤه فهو افتعاله من قِبَل نفسه. ومعنى «أجرم»: أذنب، ومثله: جرم، قال النُمَيْري حار الزِبْرِقان(٢):

طَريدُ عَشيرةٍ ورَهينُ ذَنْبٍ ... بِمَا جَرَمَتْ يَدِي وجَنَى لسانِي(٣)

ومعنى «أجرم»: اقترف السيّئة بفعلها لأنّه من القطع، وأذنب أي: تشبّه بالذنب في السقوط، [و«جَرَم» و «أجْرَم» في المأثم أكثر، قال الشاعر](٤):

كذا(٥) النَاسُ مَجْرومٌ عليه وجارِمُ

قوله [تعالى]:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه أوحى إلى نوح وقال له: ﴿أنّه لن يؤمن﴾ أحد ﴿من قومك﴾ في المستقبل أكثر من الّذين آمنوا ﴿فلا تبتئس﴾

(١) في الخطّيّة: ذو مرّة.

(٢) كذا في الخطّيّة والنسخة المصحّحة، وفي مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٨٨ نسبه إلى الهَيْرُدان السعدي. وفي الهامش ذكر المحقّق: ولعلّه للزبرقان الّذي ورد اسمه في الفروق.

(٣) والبيت لحسّان بن ثابت من قصيدة له في الفخر والحماسة. راجع ديوان حسّان: ج ١ ص ٣١٤.

(٤) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

(٥) في الخطّيّة: «كما الناس» بدل «كذا الناس».

أي: لا تغتمّ ولا يلحقك بوائس حزن لأجلهم، يقال: ابتَأَسَ ابتئاساً فهو مُبْتَئِس، وقد يكون البُؤْس بمعنى الفقر، والابتِئاس حزن في الاستكانة، أنشد أبو عُبَيْدَة:

ما يَقْسِمِ اللهُ أَقْبَلْ غيرَ مُبتَئِسٍ منهُ وأَقْعُدْ كريماً ناعِمَ البالِ[1]

وأصله: البؤس، وهو الفقر والمسكنة. ولمّا أعلم الله نوحاً عليه السلام أنّ أحداً من قومه لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم قال: ﴿ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً * إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً﴾[2] ذكره قَتادَة وغيره.

والعقل لا يدلّ على أنّ قوماً لا يؤمنون في المستقبل، وإنّما طريق ذلك السمع، وقد يغلب في الظنّ ذلك مع قيام التجويز، ألا ترى أنّه يغلب في ظنوننا أنّ الروم مع كثرتهم لا يؤمنون جملةً، إلّا أنّه ليس يمتنع من ذلك أن يؤمنوا، لأنّ الله قد كلّفهم الإيمان، فلو لم يكن ذلك جائزاً لما كلّفهم.

قوله [تعالى]:

وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية إخبار من الله تعالى عمّا أمر به جلّ وعزّ نوحاً عليه السلام حين آيسه من إيمان قومه فيما بعد، وأنّه مهلكهم بالطوفان: بأن يتّخذ الفُلْك ويصنعها. و «الصنع»: جعل الشيء موجوداً بعد أن كان معدوماً، ومثله: الفعل، وينفصلان من الحدوث، من حيث: إنّ الصنعة تقتضي صانعاً،

---

(١) والبيت لحسّان بن ثابت من قصيدة له في الفخر والحماسة. راجع ديوان حسّان: ج ١ ص ٣١٤.
(٢) نوح: ٢٦ و ٢٧.

والفعل[١] [يقتضي فاعلاً من حيث اللفظ، وليس كذلك الحدوث، لأنّه يفيد تجدّد الوجود لا غير][٢]. و «الصناعة»: الحرفة الّتي يكتسب بها، و«الفُلك»: السفينة، ويكون ذلك واحداً وجمعاً، كما قالوا في أُسْد وأَسَد، كذلك قالوا في جمع الفلك فُلْك وفَلَك، لأنّ «فُعْلاً» و «فَعَلاً» جمعهما واحد، ويأتيان بمعنىً واحدٍ كثيراً، يقال: عُجْم وعَجَم، وعُرْب وعَرَب، ومثله: فُلْك وفَلَك، و «الفَلَك والفَلْكَة» يقال لكلّ شيء مستدير أو شيء فيه استدارة، ويقال تَفَلّك ثدي المرأة: إذا استدار، ومنه: الفَلَك.

وقوله: ﴿بأعيننا﴾ معناه: بحيث نراها وكأنّها تُرى بأعْين على طريق المبالغة، والمعنى: بحفظنا إيّاك حفظ مَن يراك ويملك دفع السوء عنك، وقال الجُبّائي: بأعْين أوليائنا من الملائكة الّذين يعلّمونك كيفيّة عملها والموكّلين بك. وقيل: معناه: بعلمنا.

وقوله: ﴿ووحينا﴾ أي: على ما أوحينا إليك من صفتها وحالها، قال ابن‌عبّاس: أمره الله تعالى أن يبنيها على هيئة جؤجؤ الطائر. ويجوز أن يكون المراد: بوحينا إليك أن اصنعها.

وقوله: ﴿ولا تخاطبني في الّذين ظلموا إنّهم مغرقون﴾ نهي لنوح عليه السلام أن يراجع الله تعالى ويخاطبه ويسأله في أمرهم بأن يمهلهم ويؤخّر إهلاكهم، لأنّه حَكَم بإهلاكهم وأخبر بأنّه سيغرقهم، فلا يكون الأمر بخلاف ما أخبر به. ويجوز الأمر بما علم أنّه لا يكون، ولا يجوز أن يدعو بما يعلم أنّه لا يكون، لأنّ في ذلك إيهاماً بأنّه لا يرضى باختياره، وليس كذلك الأمر، لأنّه يتناول مَن يجوز عليه هذا المعنى. وكسر ﴿إنّهم﴾ على الابتداء.

---

(١) في الخطّيّة: «والفعل الوجود لا غير».

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.

قوله [تعالى]:

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ آيتان بلا خلاف.

أخبر الله تعالى [في هذه الآية] عن نوحٍ أنّه أخذ في عمل السفينة، قال الحسن: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستّمائة ذراع. وقال قَتادَة: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وارتفاعها ثلاثين ذراعاً، وبابها في عرضها. وقال ابن‌عبّاس: كانت ثلاث طبقات: طبقة للناس، وطبقة للطير، وطبقة للدوابّ والوحش.

وقوله: ﴿وكلّما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ إخبار من الله عن أشراف قومه ورؤسائهم أنّهم كلّما اجتازوا به وهو يعمل السفينة هزئوا من فعله. وقيل[1]: إنّهم كانوا يقولون له: يا نوح صرت نجّاراً بعد النبوّة، على طريق الاستهزاء.

وقال الرُمّاني: «السخريّة»: إظهار خلاف الباطن على جهةٍ يفهم منها استضعاف العقل، ومنه: «التسخير»: التذليل استضعافاً بالقهر.

والفرق بين «السخريّة» و «اللعب»: أنّ في السخريّة خديعة واستنقاصاً، ولا يكون إلّا بالحيوان، وقد يكون اللعب بجمادٍ لأنّه طلب الفرجة من غير مراعاة لما يعقب، كفعل الصبيّ. وإنّما كانوا يسخرون من عمل السفينة لأنّه كان يعملها في البرّ على صفةٍ من الهَوْل، ولا ماء هناك يحمل مثلها،فكانوا يتضاحكون ويتعجّبون من عمله.

---

(١) قاله ابن‌عبّاس. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٢٢ ـ ٢٣.

وقوله: ﴿إنّا نسخر منكم كما تسخرون﴾ جواب من نوح عليه السلام [لهم] بأنّا نسخر منكم، يعني: نذمّكم على سخريّتكم، وسمّاه سخريّةً كما قال: ﴿وجزاء سيّئة سيّئة مثلها﴾ [1] وقوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [2] وأطلق عليه اسم السخريّة على وجه الازدواج. وقال قوم: معناه: إن تستجهلونا في هذا الفعل فإنّا نستجهلكم كما تستجهلون، ذكره الزجّاج.

وقوله: ﴿فسوف تعلمون﴾: «سوف» ينقل الفعل عن الحال إلى الاستقبال، مثل السين سواء، إلّا أنّ فيه معنى التسويف، وهو تعليق النفس بما يكون من الأُمور.

وقوله: ﴿مَن يأتيه عذاب﴾ قيل في معنى ﴿مَن﴾ قولان:

أحدهما: أن يكون بمعنى «أيّ» كأنّه قال: فسوف تعلمون أيّنا يأتيه عذاب يخزيه. الثاني: أن يكون بمعنى «الّذي» والمعنى واحد. و «مَن» إذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلة، وإذا كانت بمعنى «الّذي» فلابدّ لها من الصلة كما استغنت «كم» و«كيف» لأنّ البيان مطلوب من المسؤول دون السائل.

و «الخزي»: العيب الّذي تظهر فضيحته والعار به، ومنه: «الذلّ» و«الهوان».

وقوله: ﴿ويحلّ عليه﴾ معناه: ينزل عليه. وقال الرُمّاني: «الحلول»: النزول للمقام، وهو من الحلّ، خلاف «الارتحال». و«حلول العرض»: وجوده في الجوهر من غير شغل حيّز.

وقوله: ﴿عذاب مقيم﴾ أي: دائم لا يزول.

قوله [تعالى]:

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا

---

(١) الشورى: ٤٠.
(٢) آل عمران: ٥٤.

مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ آية بلا خلاف.

روى [١] حفص: ﴿من كلٍّ زوجين﴾ بتنوين في اللام هنا، وفي «المؤمنون» [٢].

وقال أبو الحسن: يقال للاثنين هما زوجان، قال الله تعالى: ﴿ومن كلّ شيء خلقنا زوجين﴾ [٣] ويقال: للمرأة زوج، وللرجل زوجها، قال الله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها﴾ [٤] وقال: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ [٥] وقال بعضهم: زوجة، قال الأخْطَل:

زَوجَــةُ أَشْــمَطَ مَــرهوبٍ بَــوادِرُهُ
قد صارَ في رأْسِهِ التَحْوِيصُ والنَزَعُ [٦]

وقال أبو الحسن: يقال للاثنين هما زوج. قال أبو عليّ الفارسي: يدلّ على أنّ «الزوج» يقع للواحد قوله: ﴿ثمانيةَ أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ إلى قوله: ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾ [٧]. وقال الكسائي: أكثر كلام العرب بالهاء. قال القاسم بن مَعَن: إنّه سمعها من العرب، من أزْد شَنُوءَة [٨] وليس في القرآن بالهاء، هو أفصح من إثباتها عند البصريّين.

ومَن قرأ بالإضافة كان قوله: ﴿اثنين﴾ مفعول «الحمل» والمعنى: احمل من الأزواج إذا كانت اثنين اثنين زوجين، والزوجان من قوله: ﴿من كلّ زوجين﴾ يريد بهما الشياع، ولا يُراد به الناقص من الاثنين، ومنه قول الشاعر:

فمالَكَ الّذي لا تَستطيع من الأُمور يدان

(١) في الحجريّة: «قرأ» بدل «روى». (٢) الآية: ٢٧.
(٣) الذاريات: ٤٩. (٤) النساء: ١. (٥) الأحزاب: ٣٧.
(٦) من قصيدة طويلة يصف قريشاً وكرمهم. راجع ديوان الأخطل: ص ١١١.
(٧) الأنعام: ١٤٣ ـ ١٤٤.
(٨) وأزْدُ شَنُوءَة: قبيلة من اليمن. في الحجريّة: «أسد» بدل «أزْد».

وَمن نوّن حذف المضاف[١] من ﴿كلّ﴾ والمعنى: من كلّ شيءٍ، أو: من كلّ زوجٍ زوجين اثنين، فيكون انتصاب ﴿اثنين﴾ على أنّه صفة لـ ﴿زوجين﴾ وذُكِر تأكيداً، كما قال: ﴿إلهين اثنين﴾[٢].

أعلم الله نوحاً في هذه الآية أنّ وقت هلاك قومه الكفّار فور التنّور. وفي ﴿التنور﴾ أقوال: منها: إنّ الماء إذا فار من التنّور الّذي يخبز فيه[٣]. وقيل[٤]: ﴿التنّور﴾ عين ماءٍ معروفة، وتنُّور الخابزة وافقت فيه لغة العرب لغة العجم. وقيل: إنّ ﴿التنّور﴾ وجه الأرض، ذكره ابن‌عبّاس، واختاره الزجّاج. وقيل: ﴿التنّور﴾ تَنَوُّر الصبح، روي[٥] ذلك عن عليّ‌عليه‌السلام. و﴿حتّى﴾ متعلّقة بقوله: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا... حتّى﴾.

أخبر الله تعالى: أنّه لمّا جاء أمره بإهلاك قوم نوح‌عليه‌السلام لاستحقاقهم ذلك بالكفر ﴿وفار التنّور﴾ يعني: خروج الماء من موضعٍ لم يعهد خروجه منه علامةً لنوح‌عليه‌السلام وهو تنّور الخبز، في قول ابن‌عبّاس والحسن ومجاهد. وقيل[٦]: هو تنُّور آدم‌عليه‌السلام. ويقال: فَارَ إذا ارتفع ما فيه، كما يَفُور القدر بالغليان، فَارَ يَفُورُ فوراً وفوراناً وفُؤوراً، وقال ابن‌عبّاس: فَارَ إذا نبع.

وقوله: ﴿قلنا احمل فيها من كلّ زوجين اثنين﴾ إخبار منه تعالى أنّه أمر نوحاً أن يحمل معه في سفينته من كلّ جنسٍ زوجين، و «الزوج» واحد له شكل إلّا أنّه قد كثر على الرجل الّذي له امرأة. قال الحسن: في قوله:

---

(١) كذا في النسخ وفي مجمع البيان، المضاف إليه. (٢) النحل: ٥١.

(٣) في الخطّيّة: «من تنوّر الخابزة» بدل «من التنوّر الّذي يخبز فيه».

(٤) قاله عكرمة، وأنّ هذا التنّور العين الّتي بالجزيرة «عين وردة». راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٤٧٢.

(٥) رواه عنه‌عليه‌السلام الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٢٤ بسنده عن أبي جُحَيْفَة.

(٦) قاله الحسن. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٤٧٢.

﴿من كلّ شيء خلقنا زوجين﴾[١] فالسماء زوج، والأرض زوج، والشتاء زوج، والصيف زوج، والليل زوج، والنهار زوج، حتّى يصير الأمر إلى الله الفرد الّذي لا يشبهه شيء. قال الأعشى:

وكُلُّ زَوْجٍ من الديباجِ يَلْبَسُهُ   أبو قُدامَةَ مَحْبُوّاً بِذاكَ مَعَا[٢]

وقوله: ﴿وأهلك﴾ معناه: واحمل معك أهلك ﴿إلّا من سبق عليه القول﴾ بالإهلاك، قال الضحّاك وابن جُرَيْج: هو ابنه وامرأته.

وقوله: ﴿ومن آمن﴾ تقديره: واحمل مَن آمن، ثمّ أخبر تعالى فقال: ﴿وما آمن معه إلّا قليل﴾ قال ابن جُرَيْج: القليل الّذين نجوا معه كانوا ثمانية. وقال الأعمش: كانوا سبعة. وقال ابنعبّاس: كانوا ثمانين، وكان فيهم: ثلاثة بنيه يافث وسام وحام، وثلاث كنائن له، ويافث جدّ الترك والروم والصقالبة وأصناف البيضان، وحام جدّ السودان وهم الحبش والنوبة والزنج وغيرهم، وسام أبو فارس وأصناف العجم.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ آية بلاخلاف.

[قرأ حمزة] والكسائي: ﴿مَجراها﴾ بفتح الميم[٣] الباقون بضمّها. وكلّهم ضمّ ميم ﴿مرساها﴾. ومَن ضمّها قابل بينها وبين ﴿مرسها﴾ في المشاكلة، ومَن فتح فلأنّه قال بعده: ﴿وهي تجري﴾ ومَن اختار الأوّل قال: التقدير: اجْري فَجَرَت.

---

(١) الذاريات: ٤٩.

(٢) من قصيدة طويلة يمدح هَوْذَة بن عليّ. راجع ديوان الأعشى: ص ١١٢.

(٣) وإمالة الراء. وكذلك هي قراءة حفص عن عاصم.

قال أبوعليّ الفارسي: يجوز في ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ أن يكون حالاً من شيئين: من الضمير الّذي في قوله ﴿اركبوا﴾ ومن الضمير الّذي في ﴿فيها﴾. فإن جعلت ﴿بسم الله مجراها﴾ خبر مبتدأ مقدّم في قول مَن لا يرفع بالظرف، أو جعلته مرتفعاً بالظرف، لم يكن قوله: ﴿بسم الله مجراها﴾ إلّا جملة في موضع الحال من الضمير الّذي في ﴿فيها﴾ ولا يجوز أن يكون الضمير في قوله: ﴿اركبوا فيها﴾ لأنّه لا ذكر فيها يرجع إلى الضمير، ألا ترى أنّ الظرف في قول مَن يرفع به ارتفع به الظاهر، وفي قول من رفع مثل هذا بالابتداء قد جعل في الظرف ضمير المبتدأ، فإذا كان كذلك خلت الجملة من ذكر يعود من الحال إلى ذي الحال، وإذا كان كذلك لم يكن إلّا حالاً من الضمير الّذي في ﴿فيها﴾.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿بسم الله﴾ حالاً من الضمير الّذي في ﴿اركبوا﴾ على أن لا يكون الظرف خبراً عن الاسم الّذي هو ﴿مجراها﴾ على ما كان في الوجه الأوّل، ويكون المعنى: اركبوا الآن متبرّكين ببسم الله في الوقتين اللذين لا ينفك الراكبون فيها منهما من الإرساء والإجراء، وليس يريد: اركبوا في وقت الجري والرسو. فموضع ﴿مجراها﴾ نصب على هذا الوجه بأنّه ظرفٌ عُمِل فيه على المعنى، وفي الوجه الأوّل رفع بالابتداء أو بالظرف.

ومَن فتح الميم فلأنّه قال: ﴿وهي تجري﴾ ومَن ضمّ فلأنّ «جَرَت بهم» و «أجرتهم» متقاربان في المعنى، ويقال: جَرَى الشيء وجريت به وأجْرَيْته. وإنّما ضمّوا الميم من ﴿مرساها﴾ لقوله: ﴿أيّان مرساها﴾ [1] وقوله:

(١) الأعراف: ١٨٧، والنازعات: ٤٢.

﴿والجبال أرساها﴾ [١] ومَن أمال أو ترك الإمالة، فكِلَاهما حسنان.

أخبر الله تعالى عمّا قال نوح لقومه حين دنا ركوبهم السفينة: ﴿اركبوا فيها﴾ يعني: في السفينة، و «الركوب»: العلوّ على ظهر الشيء، فمنه: ركوب الدابّة، وركوب السفينة، وركوب البرّ، وركوب البحر.

والعامل في ﴿بسم الله﴾ يحتمل ثلاثة أشياء: أحدها: ﴿اركبوا﴾ ببسم الله وثانيها: ابدؤا ببسم الله، والثالث: ببسم الله أجروها وأرسوها.

و «المجرى» يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون معناه موضع الإجراء، وثانيها: وقت الإجراء، وثالثها: نفس الإجراء. وقيل: كان إذا أراد أن تجري قال: ﴿بسم الله﴾ فَجَرَت، فإذا أراد أن ترسو قال: ﴿بسم الله﴾ فرَسَت، ذكره الضحّاك. قال لَبِيد:

عَمرتُ حين ثلاثاً قَبلَ مُجْرى داحسٍ
لو كـان للنفسِ اللَجُوجِ خُلُودُ [٢]

و «الإرساء»: إمساك السفينة بما تقف عليه، أرساها إرساءً، ورَسَت تَرْسُو رسوّاً، قال عَنْتَرة:

فَصَبَرْتُ نَفْساً عندَ ذلكَ حُرّةً ... تَرسُو إذا نَفْسُ الجَبانِ تَطَلّعُ [٣]

وقوله: ﴿إنّ ربّي لغفور رحيم﴾ إخبار منه تعالى حكاية عمّا قال نوح لقومه: ﴿إنّ ربّي لغفور رحيم﴾ أي: ساتر عليهم ذنوبهم، رحيم بهم، منعم عليهم.

ووجه اتّصال الآية بما قبلها: أنّه لمّا ذُكِرت النجاة بالركوب في

---

(١) النازعات: ٣٢.

(٢) من قصيدة يذكر مآثره وما صار إليه من ضعف وشيخوخة. راجع ديوان لبيد بن ربيعة: ص٤٦ وفيه: وغَنيتُ سَبتاً قبل مُجرى داحسٍ.

(٣) من أبيات في فخرياته. راجع ديوان عنترة بن شدّاد: ص ٢٩.

السفينة ذُكِرت النعمة بالمغفرة والرحمة ليجتلب الطاعة كما اجتلب النجاة.

قوله [تعالى]:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن حال السفينة بعد الغرق أنّها كانت تجري على الماء في أمواج كالجبال. و «الجَرْي»: مرٌّ سريع كمرِّ الماء على وجه الأرض، والسفينة تجري بالماء، والفرس يجري في عَدْوه، ويقال: هذه العلّة تجري في أحكامها، أي: تمرّ فيها من غير مانع منها. و «المَوْج»: جمع «موجة» وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير، ومنه: أمواج البحر، وأعظم ما يكون إذا اشتدّت به الريح، وشبّه الله تعالى الأمواج بالجبال في عِظَمِها. و «الجبل»: جسم عظيم غليظ شاخص من الأرض، هو لها كالوتد في عِظَمِه، وجمعه: أجْبال وجِبال.

وقوله: ﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل﴾ فالمعزل: موضع منقطع عن غيره، وكان ابن نوح في ناحية منقطعة عنه حين ناداه.

وقرأ عاصم: ﴿يا بُنيَّ اركب﴾ بفتح الياء، الباقون بكسرها، وفي قوله: ﴿يا بُنيَّ﴾ ثلاث ياءات: ياء التصغير، وياء الأصل، وياء الإضافة. وفي قوله: ﴿يا بَنيَّ إنّ الله اصطفى لكم الدين﴾ [1] ياءان: ياء الجمع، وياء الإضافة. قال أبو عليّ الفارسي: الوجه كسر الياء، لأنّ اللام من «ابن» ياء أو واو، وحُذِفَت من «ابن» كما حُذِفَت من «اسم» فإذا حُقّرت ألحقت ياء التحقير، لزم أن تردّ اللام الّذي حُذِفَت، لأنّك لو لم تردّها لوجب أن تحرّك ياء

---

(١) البقرة: ١٣٢.

التحقير بحركات الإعراب، وهي لاتُحرّك أبداً بحركات الإعراب ولاغيرها، فإذا أضفته إلى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات: الأُولى الّتي هي للتحقير، والثانية لام الفعل، والثالثة هي الّتي للإضافة، تقول: «بُنَيِّي» فإذا ناديت جاز فيه وجهان: إثبات الياء وحذفها، فمن قال: «يا عبادي» أثبت الياء فقياسه أن يقول: يا بنيَّ، ومن قال: «يا عبادِ» يقول: يا بنيِّ، حُذِفَت الّتي للإضافة وأُبقيت الكسرة دالّة عليها، وهذا هو الجيّد عندهم. ومَن فتح الياء أراد الإضافة كما أرادها في قوله: ﴿يا بنيَّ﴾ إذا كسر الياء الّتي هي لام الفعل، كأنّه قال: يا بنيِّ، ثمّ أبدل من الكسرة الفتحة، ومن الياء الألف، فصار «يا بنيَّا» كما قال:

يا بنتِ عَمّا لا تَلُومي واْهْجَعي

ثمّ حُذِفَت الألف كما كانت تُحذَف الياء في ﴿يا بنيَّ إنّها﴾[1] وقد حُذِفَت الياء الّتي للإضافة إذا أُبدلت الألف منها، أنشد أبوالحسن:

فَلَسْتُ بمُدْرِكٍ ما فاتَ منِّي بلَهْفٍ ولا بلَيْتُ ولا لواني[2]

كذلك سمع من العرب، فقوله: «بلهفٍ» إنّما هو: بلهفا، فحُذِفَت الألف، قال أبو عثمان: ووضع الألف مكان الياء في الإضافة مطّرد، وأجاز: يا زيدا أقبل، إذا أردت الإضافة.

قوله [تعالى]:

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى في هذه الآية ما أجاب ابن نوح أباه عليه السلام وإنّه ﴿قال

---

(١) لقمان: ١٦.

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «لهف» ولم ينسبه لأحد.

سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء﴾ أي: سأرجع إلى مأوىً من جبلٍ يعصمني من الماء، أي: يمنعني منه، يُقال: أوَى يأوِي أوِيّاً إذا رجع إلى منزلٍ يقيم فيه. و «العصمة»: المنع من الآفة. والمعصوم في الدين: الممنوع باللطف من فعل القبيح لا على وجه الحيلولة.

فإن قيل: كيف دعا نوح ابنه إلى الركوب معه في السفينة مع أنّ الله تعالى نهاه أن يُرْكِب فيها كافراً؟

قلنا فيه جوابان: أحدهما: أنّه دعاه إلى الركوب بشرط أن يؤمن. الثاني: قال الحسن والجُبّائي: إنّه كان ينافق بإظهار الإيمان.

فإن قيل: هلّا كان ما صار إليه ابن نوح من تلك الحال الهائلة الجاء؟!

قلنا: [لا][1] لأنّ الإلجاء لا يكون إلّا بأحد شيئين: أحدهما: بأن يخلق فيه العلم بأنّه متى رام خلافه مُنِع منه، الثاني: بتوفير الدواعي من ترغيب أو ترهيب. ولم يحصل له واحد من الأمرَيْن، لأنّه جوّز أن يكون من عجائب الزمان، وأنّه وقع إلى نوح علم به فتقدّم فيه.

وقوله: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من رحم﴾ حكاية لما قال نوح لولده حين ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ بأنّه لا مانع اليوم من أمر الله، واستثنى ﴿مَن رَحِم﴾ وقيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: إنّه استثناء منقطع، كأنّه قال: من رحم فهو معصوم.

الثاني: لا عاصم إلّا مَن رحمنا [بنجاته][2] لنا، كأنّه قال: لا عاصم إلّا الله، [الثالث: إلّا من رحمه الله] فنجا وهو نوح عليه السلام وهو اختيار أبي عليّ النحوي.

وقال[3]: لأنّه يحتمل أن يكون «عاصم» بمعنى: معصوم، مثل: «دافق»

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الحجرية: رحمة الله سبحانه.

(٣) أي: أبو عليّ الفارسي النحوي.

بمعنى: مدفوق، فيكون الاستثناء متّصلاً. وقال ابن كَيْسان: لمّا قال: ﴿لا عاصم﴾ كان معناه: لا معصوم، لأنّ في نفي العاصم نفي المعصوم، ثمّ قال: ﴿إلّا من رحم﴾ فاستثناه على المعنى ويكون متّصلاً.

وقوله: ﴿وحال بينهما الموج﴾ إخبار منه تعالى أنّه حالَ بين نوح وولده الموج ﴿فكان من المغرقين﴾.

قوله [تعالى]:

وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى في هذه الآية قصّة نوح وقومه بأوجز لفظ وأبلغه، وبلوغها الغاية الّتي لا تدانيها بلاغة ولا تقاربها فصاحة، لأنّ قوله: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ إخبار منه عن إذهاب الماء عن وجه الأرض في أوجز مدّة، فجرى ذلك مجرى أن قال لها: ابلعي ماءك، فبلعت. و «البلع» في اللغة: إجراء الشيء في الحلق إلى الجوف، فكانت الأرض تبلع الماء هكذا حتّى صار في بطنها قال الفرّاء، يقال: بَلَعَت وبَلِعَت، بفتح اللام وكسرها.

وقوله: ﴿وياسماء اقلعي﴾ إخبار أيضاً عن إقشاع السحاب وقطع المطر في أسرع وقت، فكأنّه قال لها: اقلعي، فأقلعت. و «الإقلاع»: إذهاب الشيء من أصله حتّى لا يبقى له أثر[١] [يقال اقلعت السماء، إذا ذهب مطرها حتّى لا يبقى شيء منه][٢] وأقلع عن الأمر: إذا تركه رأساً.

وقوله: ﴿وغيض الماء﴾ أي: أذهب به عن وجه الأرض إلى [باطنها]

(١) في الحجريّة: «لا يبقى منه شيء».

(٢) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الحجريّة.

يقال: غاضَ الماءُ يَغيضُ غَيْضاً إذا ذهب في الأرض.

وقوله: ﴿وقُضِي الأمر﴾ معناه: أوقع الهلاك بقوم نوح على تمام، و«القضاء»: وقوع الأمر على تمام وإحكام.

وقوله: ﴿واستوت على الجودي﴾ يعني: السفينة استوت على جبل معروف، قال الزجّاج: هو بناحية آمد. وقال غيره[1]: بقرب جزيرة الموصل. وقال زيد بن عمرو بن نُفَيْل:

وقَبْلنا سَبّحَ الجُودِيّ والجُمُدُ

وقيل: أرست على الجودي شهراً. وقال قَتادَة: أُهبِطوا يوم عاشوراء.

وقوله: ﴿وقيل بُعْداً للقوم الظالمين﴾ معناه: أبعدهم الله من الخير بُعْداً، على وجه الدعاء، ويجوز أن يكون الله تعالى قال لهم ذلك، ويجوز أن يكون المؤمنون دعوا عليهم بذلك، وهو منصوب على المصدر.

وقيل: في هذه الآية وجوه كثيرة من عجيب البلاغة، منها: أنّه خرج مخرج الأمر على جهة التعظيم لفاعله من نحو: ﴿كن فيكون﴾[2] لأنّه من غير معافاةٍ[3] ولا لغوب. ومنها: حسن تقابل المعنى. ومنها: حسن ائتلاف الألفاظ. ومنها: حسن البيان في تصوير الحال. ومنها: الإيجاز من غير إخلال. ومنها: تقبّل الفهم على أتمّ الكمال ... إلى غير ذلك ممّا عليه هذا الكلام في الحسن العجيب واللطف البديع.

قوله [تعالى]:

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ

---

(١) وهو الفرّاء في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٦.

(٢) البقرة: ١١٧، وآل عمران: ٤٧ وغيرهما.

(٣) كذا في الخطّيّة والحجريّة، والظاهر «من غير معاناة».

ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن نوح أنّه حين رأى قومه قد أهلكهم الله دعا الله تعالى ﴿فقال﴾ ياربّ ﴿إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ﴾ لأنّه تعالى كان وعده بأنّه ينجيه وأهله، وأمره بأن يحملهم معه في الفلك في قوله: ﴿وقلنا احمل فيها من كلّ زوجين اثنين وأهلك﴾ فسأل نوح ربّه[١] أنّ آبنه إن كان ممّن وعده بنجاته أن ينجيه، فسأله بهذا الشرط لأنّه لا يجوز أن يسأل نبيٌّ من أنبياء الله أمراً لا يُجاب إليه، وخاصّةً على رؤوس الملأ، لأنّ ذلك ينفر عنهم، وإنّما يجوز أن يسأل بما يظهر له بشرط مقترن بالكلام أو حال يدلّ عليه، فيعرف أنّه لم يحصل الشرط.

و«الربّ» و «المالك» واحد، وقيل: إنّ الربّ المالك للشيء من كلّ وجه يصحّ أن يملك منه[٢] وهو أتمّ الملك، ولا تصحّ الصفة به على الإطلاق إلّا لله تعالى، والإنسان قد يكون مالكاً بالإطلاق.

وقوله: ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ يعني: في قولك وفعلك، لأنّه حقّ تدعو إليه الحكمة. فقال نوح ذلك على وجه الاعتراف تعظيماً لله تعالى به.

قوله [تعالى]:

قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ آية بلا خلاف.

قرأ الكسائي ويعقوب: ﴿إنّه عَمِلَ غير صالح﴾ على الفعل ونصب ﴿غيرَ﴾ الباقون: ﴿عَمَلٌ﴾ اسم مرفوع منوّن ﴿غيرُ﴾ رفع. وقرأ ابن كثير ﴿تسألنَّ﴾ بالتشديد وفتح النون، وافقه نافع في التشديد إلّا أنّه كسر النون

(١) في الخطّيّة: «قال نوح لربّه».

(٢) في الحجريّة: به.

الباقون بالتخفيف والكسر من النون، إلّا أنّ أباعمرو يثبت الياء في الوصل.

قال أبوعليّ النحوي: «سألت» فعل يتعدّى إلى مفعولَيْن، وليس فيما يدخل على المبتدأ وخبره، ويمتنع أن يتعدّى إلى مفعول واحد، فَمَن قرأ بفتح اللام ولم يكسر النون [عدّاه] إلى مفعول واحد في اللفظ، والمعنى على التعدّي إلى ثانٍ، ومَن كسر النون دلّ على أنّه عدّاه إلى مفعولَيْن: أحدهما: اسم المتكلّم، والآخر: الاسم الموصول، وحذف النون المتّصلة بياء المتكلّم كما حذفت من قولهم: «إنّي» كراهية اجتماع النونات. ومَن أثبت الياء فهو الأصل، ومَن حذفها اجتزأ بالكسرة الدالّة عليها.

في هذه الآية حكاية عمّا أجاب الله تعالى به نوحاً حين سأله نجاة ابنه بأن قال له: ﴿يا نوح إنّه ليس من أهلك...﴾ وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال ابن‌عبّاس وسعيد بن جُبَيْر والضحّاك وأكثر المفسّرين: إنّه ليس من أهلك الّذين وعدتك بنجاتهم معك، وإنّه كان ابنه لصلبه، بدلالة قوله: ﴿ونادى نوح ابنه﴾ فأضافه إليه إضافة مطلقة.

والثاني: إنّه أراد بذلك أنّه ليس من أهل دينك، كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «سلمان منّا أهل البيت»[١] وإنّما أراد: على ديننا.

وثالثها: قال الحسن ومجاهد: إنّه كان لغيره[٢] ووُلِد على فراشه، فسأل نوح على الظاهر فأعلمه الله باطن الأمر، فنفاه منه على ما علّمه، فيكون على هذا هو نفسه عملاً غير صالح، كما يقولون: الشعر زُهَيْر. وهذا الوجه ضعيف، لأنّ في ذلك طعناً على النبيّ وإضافة ما لا يليق به إليه،

(١) رواه الطبراني في المعجم: ج ٦ ص ٢٦١، وابن سعد في الطبقات: ج ٤ ص ٥٩ وج ٧ ص ٦٥، وابن الأثير في البداية والنهاية: ج ٢ ص ١٨٠ وج ٤ ص ٩٩ وغيرها.

(٢) في الخطّيّة: «لغير رشده».

والمعتمد الأوّل. وقال ابن‌عبّاس: ما زنت امرأة نبيٍّ قط، وكانت الخيانة من امرأة نوح أنّها كانت تنسبه إلى الجنون، والخيانة من امرأة لوط أنّها كانت تدلّ على أضيافه. ورُوِي[١] عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ: ﴿ونادى نوح ابنها﴾ فنسبه إلى المرأة، وأنّه كان ربيبه. ورُوي[٢] عن محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام وعُرْوَة بن الزُبَيْر أنّهما قرءا: ﴿ونادى نوح ابنهَ﴾ بفتح الهاء وترك الألف كراهية ما يخالف المصحف، وأرادا أن ينسباه إلى المرأة، وأنّه لم يكن ابنه لصلبه. وقال الحسن: كان منافقاً يُظهر الإيمان ويستر الكفر.

وقوله: ﴿إنّه عمل غير صالح﴾ فَمَن قرأ على الفعل فمعناه: أنّه ليس من أهلك لأنّه عَمِل غيرَ صالح، وتقديره: أنّه عَمِل عملاً غيرَ صالح، وحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، وذلك يستعمل كثيراً، وهذه القراءة تقوّي قول من قال: إنّ ابنه لم يكن على دينه، لأنّ الله تعالى علّل كونه ليس من أهله بأنّه عَمِل عملاً غيرَ صالح. وأمّا مَن قرأ على الرفع والتنوين على الاسم فتقديره: أنّه ذو عملٍ غيرُ صالح، فجاء على المبالغة في الصفة، كما قالت الخَنْساء:

تَرْتَعُ مارَتَعَتْ حتّى إذا ٱدَّكَرَتْ ... فإنّما هي إقْبالٌ وإدْبارُ[٣]

قال الزجّاج: تقديره: فإنّما هي ذاتُ إقبال وإدبار، تصف الناقة في حنينها إلى ولدها. وقيل: إنّ المعنى: إنّ سؤالك إيّاي هذا عملٌ غيرُ صالح، ذكره ابن‌عبّاس ومجاهد وإبراهيم. وهذا ضعيف، لأنّ فيه إضافة القبيح إلى الأنبياء عليهم السلام وذلك لا يجوز عندنا على حال، فالأوّل هو الجيّد. ويحتمل

---

(١) رواه ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن: ص ٦٥. (٢) نفس المصدر السابق.

(٣) من قصيدة طويلة ترثي أخاها صخراً. راجع ديوان الخَنْساء: ص ٤٨.

أن يكون المراد: أنّ كونك مع الكافرين وانحيازك إليهم وتركك الركـوب معنا[١] عَمَلٌ غيرُ صالح[٢].

وقوله: ﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾ معناه: لا تسألني ما لا تعلم أنّه جائز في حكمي، لأنّ هذا من سؤال الجاهلين، نهاه عن ذلك، ولا يدلّ ذلك على أنّ ما نهاه عنه قد وقع، كما أنّ قوله: ﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾[٣] لا يدلّ على وقوع الشرك.

وقوله: ﴿إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ فالوعظ: الزَجْر عن القبيح بما يدعو إلى الجهل على وجه الترغيب والترهيب. والصحيح: أنّ الجهل قبيح على كلّ حال، وقال الرُمّاني: إنّما يكون قبيحاً إذا وقع عن تعمّد، فأمّا إذا وقع غلطاً أو سهواً لم يكن قبيحاً ولا حسناً. وهذا ليس بصحيح، لأنّ استحقاق الذمّ عليه يشرط بالعمد، فأمّا قبحه فلا، كما نقوله في الظلم سواء.

قوله [تعالى]:

قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية إخبار عمّا قاله نوح عليه السلام حين عرّفه الله حال ولده، وأنّه لا يستحقّ الغفران، ووعظه بأن يكون من الجاهلين، فإنّه قال: ﴿إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم﴾ فالعياذة: طلب النجاة بما يمنع من الشرّ، يقال: عاذَ يَعُوذُ عَوْذاً وعياذاً، فهو عائذ بالله، و«العِياذ»: الاعتصام بما يمنع من الشرّ، والمعنى: أنّي أعتصم بك من أن أسألك ما لا أعلمه، وإنّما اعتصم من ذلك لأنّ ما يعلمه الإنسان يجوز أن يكون حسناً، ويجوز أن

---

(١) في الحجريّة: معي.
(٢) كذا في الخطّيّة، وفيها تأمّل.
(٣) الزُمَر: ٦٥.

يكون قبيحاً، ولا يحسن أن يسأل ما يجوز كونه قبيحاً وإن شرط حسن السؤال، وينبغي أن يشرط إن كان ما سأله حسناً فيحسن السؤال حينئذٍ. قال الرُمّاني: ولا يحسن أن تسأل فتقول: اللّهمّ إحْيِي أقاربي في دار الدنيا على مايصحّ ويجوز، لأنّه قد دلّ الدليل على أنّ ذلك لا يحسن في الحكمة، فلا يجوز أن يسأله بحال. وإنّما جاز إطلاق ﴿ما ليس لي به علم﴾ مع أنّه قد علّمه سؤالاً لأنّ هذا العلم لا يعتدّ به، لأنّ المراد: علم ماله أن يسأله إيّاه.

وإنّما حذف «يا» من قوله: ﴿ربّ إنّي أعوذبك﴾ وأثبته في قوله: ﴿يا نوح﴾ لأنّ ذلك نداء تعظيم، وهذا نداء تنبيه، فوجب أن يأتي بحرف التنبيه.

وقوله: ﴿به﴾ يحتمل وجهَيْن:

أحدهما: أن يكون كقوله: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ (١) و﴿إنّي لك من الناصحين﴾ (٢) و﴿أنا على ذلكم من الشاهدين﴾ (٣) قال أبو الحسن: إنّما يجوز في حروف الجرّ (٤) ذلك لأنّ التقدير فيه التعلّق بمضمرٍ يفسّره هذا الّذي ظهر بَعْد وإن كان لا يجوز تسليطه عليه، ومثله: ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ (٥) فانتصب ﴿يوم يرون﴾ بما دلّ عليه ﴿لا بشرى يومئذ﴾ ولا يجوز فيما بعد ﴿لا﴾ هذه أن يتسلّط على ﴿يوم﴾ وكذلك ﴿ما ليس لك به علم﴾ يتعلّق بما دلّ عليه قوله: ﴿علم﴾ المذكور وإن لم يجز (٦) أن يعمل فيه.

والثاني: أن يكون متعلّقاً بالمستقرّ، وهو العامل فيه، كتعلّق الظرف بالمعاني، كما تقول: ليس لك فيه رضاء، فيكون ﴿به﴾ في الآية بمنزلة «فيه».

---

(١) يوسف: ٢٠. (٢) القصص: ٢٠. (٣) الأنبياء: ٥٦.
(٤) في الحجريّة: «الجزاء» بدل «الجرّ». (٥) الفرقان: ٢٢.
(٦) في الخطّية: «يحسن» بدل «يجز».

قوله [تعالى]:

قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية حكاية ما أمر الله تعالى به نوحاً حين استوت السفينة على الجبل، وأنّه قال له: ﴿اهبط﴾ أي: انزل من الجبل، فالهبوط: نـزول من أعلى مكان في الأرض لا مافوقه من السماء[١].

وقوله: ﴿بسلام منّا﴾ قيل في معناه وجهان:

أحدهما: بسلامةٍ منّا وتنجية[٢] منّا، قال لَبِيد:

إلى الحَوْل ثـمّ آسـمُ السـلامِ عـليكُما
وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فَـقَد آعـتَذَرْ[٣]

قيل: إنّه بمعنى: ثمّ السلام عليكما. وقيل: معناه: بتسليمٍ منّا عليك.

وقوله: ﴿وبركات عليك﴾ معناه: ونِعَم دائمة وخير نابتٍ[٤] حالاً بعد حال، وأصله: الثُبُوت، فمنه: البُرُوك، و«البركة» لثبوت الماء فيها، قال الشاعر:

ولا يُنْجِي مِن الغَمَرات إلّا بَرَاكاءُ القتالِ أو الفَـرارُ[٥]

أي: الثبوت للقتال. ومعنى «تبارك الله»: ثبت تعظيم ما لم يزل ولا يزال.

وقوله: ﴿وعلى أُمم ممّن معك﴾ فالأُمّة: الجماعة الكثيرة على ملّة واحدة متّفقة، لأنّه من: أمّهَ يَؤُمُّهُ أمّاً إذا قصده، أو الاتّفاق في المنطق على

---

(١) كذا في ظاهر الخطّيّة، وفي الحجريّة: من أعلى مكان في الأرض إلى ما دونه من السماء.

(٢) في الحجريّة: بتحيّة، خ ل.

(٣) من قصيدة يخاطب ابنتيه لمّا حضرته الوفاة. راجع ديوان لَبيد: ص ٧٩.

(٤) في المطبوعتين: ثابت.

(٥) أنشده في اللسان: مادّة «برك» ونسبه إلى بِشْر بن أبي حازم.

نحو: منطق الطير أو المأكل والمشرب والمنكح، حتّى قيل: إنّ الكلاب أُمّة. وقيل في معناه هنا قولان:

أحدهما: إنّه أراد الأمم الّذين كانوا معه في السفينة، فأخرج الله أُمماً من نسلهم وجعل فيهم البركة.

وقال قوم: يعني بذلك: الأُمم من سائر الحيوان الّذين كانوا معه، لأنّ الله تعالى جعل فيها البركة، وتفضّل عليها بالسلامة، حتّى كان منها نسل العالم.

وقوله: ﴿وأُمم سنمتّعهم ثمّ يمسّهم منّا عذاب أليم﴾ معناه: أنّه يكون من نسلهم أُمم سيمتّعهم الله في الدنيا بضروب من النِعَم، فيكفرون نِعَمه ويجحدون ربوبيّته، فيهلكهم الله ثمّ يمسّهم بعد ذلك عذاب مؤلم موجع. وإنّما رفع ﴿أُمم﴾ لأنّه استأنف الإخبار عنهم.

قوله [تعالى]:

تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَاكُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴿٤٩﴾ آية بلا خلاف.

الإشارة بقوله: ﴿تلك﴾ إلى ما تقدّم ذكره من أخبار نوح وقومه، وما أحلّ الله بهم من الإهلاك، والتقدير: تلك الأنباء من أنباء الغيب، ولو قال: «ذلك» كان جائزاً، لأنّ المصادر يكنّى عنها بالتأنيث تارةً وبالتذكير أخرى، يقولون: قَدِمَ فلان ففرحت بها وفرحت به، أي: بقدومه أو بقدمته. و«الغيب»: ما غاب عن النفس معرفته بطريق الستر له، بخلاف «السهو» لأنّه ذهاب المعنى عن النفس بحالٍ ينافي الذكر.

وقوله: ﴿نوحيها إليك﴾ أي: نوحي إليك تلك الأخبار. وقوله: ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك﴾ معناه: أنّ هذه الأخبار الّتي أعلمناك إيّاها لم تكن تعلمها قبل وحينا إليك ولا قومك من العرب يعرفونها قبل إيحائنا إليك.

وقوله: ﴿فاصبر إنّ العاقبة للمتّقين﴾ أمر النبيّ ﷺ بأن يصبر على أذى قومه وجهلهم بموضعه كما صبر نوح مثل ذلك على قومه، وهو أحد الوجوه الّتي لأجلها كرّر الله تعالى قصص الأنبياء في «الأعراف» و«هود» و«الشعراء» ليصبر النبيّ ﷺ على أذى قومه حالاً بعد حال، وقوله: ﴿إنّ العاقبة للمتّقين﴾ إخبار منه تعالى بأنّ العاقبة المحمودة لمن اتّقى معاصي الله وتحرّز من عقابه.

قوله [تعالى]:

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ آية بلا خلاف.

قوله: ﴿أخاهم﴾ نصب بتقدير: أرسلنا، كأنّه قال: وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم، ودلّ عليه ما تقدّم من قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾. و﴿عاد﴾ مصروف، لأنّ المراد به الحيّ، وقد يُقصد به القبيلة فلا يُصرف، قال الشاعر:

لَو شَهْدَ عادَ في زَمانِ عادِ ... لابــتَزّها مَـبارِكَ الجِـلَادِ

وإنّما سمّى عاداً «أخا هود»[1] مع أنّهم كفّار وهود نبيّ لأنّ المراد بذلك الأُخوّة في النسب لا في الدين، فحذف لدلالة الحال عليه ولولا ذلك لم‌يجز. وقيل[2]: نسبه إليهم لأنّه كان على لسانهم.

وقوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ حكاية ما قال هود عليه السلام لهم، وأمرهم أن يوجّهوا عبادتهم إلى الله، ونفى أن يكون لهم معبودٌ يستحقّ العبادة غيره. ومَن ضمّ الراء حمل الصفة[3] على الموضع لأنّ فيها معنى الاستثناء، فكأنّه قال: ما لكم من إله إلّا هو، ولا يجوز في هذا الاستثناء الحمل على

---

(١) في المطبوعتين: هوداً «أخا عاد». (٢) حكاه الزجّاج في معاني القرآن: ج ٣ ص ٥٦.

(٣) في الحجريّة: «حمله» بدل «حمل الصفة».

اللفظ لأنّ الواجب لا يدخله «مِن» الزائدة. ومَن جرّه حمله على اللفظ. وقال بعضهم[١]: تقديره: مالكم إله غيرُه، و﴿من﴾ زائدة فلذلك رفع.

وقوله: ﴿إن أنتم إلّا مفترون﴾ إخبار من الله تعالى حكاية ما قال هود لهم بأنّه ليس أنتم إلّا متخرّصون، وإنّما سمّاهم مفترين بعبادة غير الله لأنّهم في حكم مَن قال: هي جائزة لغير الله، فلذلك قال لهم ذلك.

ومساكن عاد كانت بين بلاد الشام واليمن تُعرف بالأحقاف، وكانوا أصحاب بساتين وزروع، ويسكنون الرمال، دعاهم هود إلى الإيمان بالله وتوجيه العبادة إليه، فكفروا به فأهلكهم الله بالريح، فذُكِر[٢]: أنّها كانت تدخل في أفواههم فتخرج من استاههم فتقطّعهم عضواً عضواً، نعوذ بالله منها.

قوله [تعالى]:

يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾

آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن هود أنّه قال لقومه: لست أطلب منكم على دعائي لكم إلى عبادة الله ﴿جزاءً﴾ لأنّه ليس جزائي في ذلك إلّا على الله الّذي خلقني، فهلّا تفكّرون بعقولكم في ذلك، فتعلمون أنّ ذلك محض النصيحة، لأنّه لو كان لغيره لطلبت عليه الجزاء.

و«السؤال» و«الطلب» معناهما واحد، إلّا أنّ الطلب قد يكون في غير معنَى السؤال، لأنّ مَن ضاع منه شيء فطلبه، أو: طلب الماء إذا عدمه أو: طلب المعادن، لا يقال فيه «سأل» ولا هو سائل. و«الأجر» هو الجزاء على العمل على عمل الخير بالخير، وقد يستحقّ الأجر على الشكر،

---

(١) كالزجّاج في المعاني: ج ٣ ص ٥٧.

(٢) ذكره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٣ ص ٥٧.

كالأجر الّذي يعطيه الله العبد على شكره لنِعَمه. و«الفطر»: الشقّ عن أمر [الله] كما ينفطر الورق عن الثمر، [ومنه: فَطَر الله الخلق][١] ومنه قوله: ﴿إذا السماء انفطرت﴾[٢] و﴿هل ترى من فُطُور﴾[٣] [ومنه:] فطر الله الخلق لأنّه بمنزلة ما شقّ عنه فظهر.

ويقال لمن عدل عن الاستدلال: لا يعقل، لأنّه بمنزلة مَن لا يعقل، في أنّه لا ينتفع بموجب العقل. وقيل: إنّ المعنى: أفلا تعقلون أنّي أطلب بذلك نصحكم وصلاحكم فتقبّلوه ولا تردّوه.

قوله [تعالى]:

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما قبلها، وفيها حكاية أيضاً عمّا قال هود لقومه، فإنّه ناداهم وقال لهم: ﴿استغفروا ربّكم﴾ أي: اطلبوا منه المغفرة ﴿ثمّ توبوا إليه﴾ وإنّما قدّم الاستغفار قبل التوبة لأنّه طلب المغفرة الّذي هو الغرض، ثمّ بيّن ما به يتوصّل إليها من التوبة، والغرض مقدّم في النفس لأنّ الحاجة إليه، ثمّ السبب لأنّه يحتاج إليه من أجله.

وقيل: إنّ ﴿ثمّ﴾ في الآية بمعنى الواو، كما قال: ﴿خلقكم من نفسٍ واحدة ثمّ جعل منها زوجها﴾[٤] وكان جعل الزوج منها قبل خلق جميع البشر. وقيل: إنّ المعنى: استغفروا ربّكم من الوجه الّذي يصحّ: من الإيمان به وتصديق رسله، والإقلاع عن معاصيه[٥] والتوبة [به] من القبائح ﴿ثمّ توبوا

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة. (٢) الانفطار: ١. (٣) الملك: ٣.
(٤) الزمر: ٦. (٥) في الخطّيّة «عن معارضته».

إليه﴾ بمعنى: استديموا على ذلك وجدّدوا[١] التوبة بعد التوبة لئلّا يكونوا مصرّين. وكلّ ذلك جائز.

وظاهر هذه الآية يقتضي أنّ الله تعالى يجعل الخير بالتوبة ترغيباً فيها، لأنّه وعد متى تاب العاصي يرسل السماء عليهم مدراراً، وهو الدارّ الكثير المتتابع[٢] على قدر الحاجة إليه دون الزائد المفسد المضرّ، ونصبه على الحال.

ورُوي: أنّهم كانوا أجدبوا، فوعدهم هو أنّهم إن تابوا أخصبت بلادهم وأثمرت أشجارهم وأنزل عليهم الغيث الّذي يعيشون به.

و«مِفْعال» صفة للمبالغة، كقولهم: مِنْجار، ومِعْطار، ومِغْزار، ومثله قوله: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[٣] ولولا هذا الوعد لما وجب ذلك. وأمّا الثواب على التوبة فمعلوم عقلاً.

وقوله: ﴿ويزدكم قوّة إلى قوّتكم ولا تتولّوا مجرمين﴾ معناه: أنّ الله تعالى إذا تبتم يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوّةً إلى القوّة الّتي فعلها فيكم، ويجوز أن يريد بالقوّة القدرة في أبدانهم، ويجوز أن يريد بذلك تمكينهم من النِعَم الّتي ينتفعون بها ويلتذّون باستعمالها، فإنّ ذلك يسمّى قوّة.

وقوله: ﴿ولا تتولّوا مجرمين﴾ تمام الحكاية عنه أنّه قال لقومه: لا توالوا من عَصَى الله وترك عبادته.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ يَـٰهُودُ مَاجِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) في الحجريّة: خذوا، جدّدوا، خ ل.

(٢) في الخطّيّة: «الشايع» بدل «المتتابع».

(٣) الطلاق: ٢ و ٣.

في هذه الآية حكاية عمّا قاله قوم هود له حين دعاهم إلى عبادة الله وترك ما سواه، بأنّهم ﴿قالوا﴾ له ﴿يا هود﴾ لم تجئنا ﴿ببيّنة﴾ يعني: بحجّة دالّة على صدقك، ولسنا نترك عبادة آلهتنا لأجل قولك، ولسنا بمصدّقيك ولا معترفين بعبادة إلهك الّذي تدّعي أنّك رسوله.فالبيّنة: الحجّة الواضحة الّتي تفصل بين الحقّ والباطل، و«البيان»: فصل المعنى من غيره حتّى يظهر للنفس متميّزاً ممّا سواه.

ويجوز أن يكون حملهم على رفع[1] البيّنة مع ظهورها أُمور: أحدها: تقليد الآباء والرؤساء فدفعوها لذلك. ومنها: اتّهامهم[2] لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها. ومنها: أنّهم دخلت عليهم الشبهة في صحّتها. ومنها: اعتقادهم لأُصول فاسدة تدعوهم إلى جحدها.

وأمّا الداعي إلى عبادة الأوثان فيحتمل أن يكون أحد أشياء: أحدها: أنّهم ظنّوا أنّها تقرّبهم إلى الله زُلْفى إذا عبدوها. الثاني: أن يكونوا على مذهب المشبّهة فجعلوا وثناً على صورته فعبدوه. الثالث: أن يكون أُلقي إليهم أنّ عبادتها محظٍ[3] في دار الدنيا.

وقوله: ﴿عن قولك﴾ معناه: بقولك، وجعلت ﴿عن﴾ مكان الباء لأنّ معنى كلّ واحد من الحرفَيْن يصحّ فيه. وقال الرُمّاني: مَن عبد إلهاً في الجملة هو ممّن عبد غير الله، لأنّ كلّ واحد منها لم تخلص العبادة له، ولا أوقعها على وجهٍ يستحقّ به الثواب.

قوله [تعالى]:

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى

(١) في الخطّية: دفع.

(٢) في الخطّية: «إيهامهم» بدل «اتّهامهم».

(٣) في المطبوعتين: تخطي.

بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ آية بلاخلاف.

في هذه الآية تمام الحكاية عن جواب قوم هود لهود، وهو أنّهم قالوا مع جحدهم لنبوّته ﴿إن نقول﴾ لسنا نـقول ﴿إلّا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ لذكرك إيّاها، وسبّك لها، ومعنى ﴿اعتراك﴾: أصابك، من قولهم: عَرَاه يَعْروه إذا أصابه، قال الشاعر:

مِن القَومِ يَعرُوهُ اجتِرَاءٌ ومأْثَمُ[١]

وقيل: ﴿اعتراك﴾ أصابك بجنون خبل عـقلك، ذهب إليـه ابـنعبّاس ومجاهد. وإنّما جاز أن يقول ﴿إلّا اعتراك﴾ مع أنّهم قالوا أشياء كثيرة غير هذا، لأنّ المعنى: ما نقول في سبب الخلاف إلّا اعتراك، فحذف، لأنّ الحال يقتضي أنّ كلامهم في الخلاف وسببه.

وقوله: ﴿قال إنّي أُشهد الله﴾ إخبار عمّا أجابهم به هود بأن قال: أشهد الله على أدائي إليكم ونُصحي إيّاكم، وعلى ردّكم ذلك عـليَّ وتكـذيبكم إيّاي ﴿واشهدوا﴾ أنتم أيضاً أنّني ﴿بريء ممّا تشركون﴾ وإنّما أشهدهم على ذلك وإن لم يكونوا أهل شهادة من حيث كانوا كفّاراً فُسّاقاً إقامةً للحجّة عليهم، لا لتقوم الحجّة بهم، فقيل هذا القول إعـذاراً وإنـذاراً. ويـجوز أن يكون يريد بذلك: اعلموا، كما قال: ﴿شَهِد الله﴾[٢] بمعنى: علم الله.

قوله [تعالى]:

مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية دلالة على صحّة النبوّة، لأنّه قال لقومٍ من أهل البأس

---

(١) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٩٠ ونسبه إلى أبي خراش الهُذَلي.

(٢) آل عمران: ١٨.

والنـــجدة ﴿كيدوني جميعاً ثمّ لا تنظرون﴾ أي: لا تـــمهلوني، ثـقةً بأنّـهم لا يصلون إليه بسوء، لِمَا وعده الله عزّ وجلّ من العزّ والغَلَبة، ومثله: قـال نوح لقومه: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا إليَّ ولا تُنظرون﴾ (١) وقال نبيّناﷺ: ﴿فإن كان لكم كيدٌ فكيدونِ﴾ (٢).

والفرق بين «الإنظار» و«التأخير»: أنّ «الإنظار» إمهال لينظر صاحبه في أمره، و«التأخير» خلاف «التقديم» من غير تضمين.

وفي هذه الآية تضمين بما قبلها، لأنّ التقدير: أنّي بريء ممّا تشركون من دونه، وهاهنا يحسن الوقف، ويـحسن أيـضاً أن يـقف عـلى قـوله: ﴿تشركون﴾ ثمّ يبتدئ من دونه وإذا وقف على قوله ممّا تشركون كان ذلك وقفاً كافياً لأنّه يحسن الوقف عليه، ولا يحسن استئناف ما بـعده، وأمّـا الوقف التامّ فهو الّذي يحسن الوقف عليه ويحسن استئناف ما بعده، نحو قوله: ﴿وإيّاك نستعين﴾ ثمّ يستأنف ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾.

و«الكيد»: طلب الغيظ بالشرّ، وهو الاحتيال بالشرّ تقول: كادَهُ يَكيدُهُ كَيْداً، وكايَدَهُ مُكايَدَةً، مثل: غايَظَهُ مُغَايَظَةً.

قوله [تعالى]:

إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّامِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ آية بلا خلاف.

هذه الآية [فيها] حكاية ما قال هود لقومه بعد ذكر ما تقدّم القول فيه: ﴿إنّي توكّلت على الله﴾ و«التـوكّل»: تـفويض الأمـر إلى الله تـعالى عـلى طاعاته فيما أمر به، لأنّ ذلك من تسليم التدبير له، لأنّ أفعاله تعالى كلّها

(١) يونس: ٧١.
(٢) المرسلات: ٣٩.

جارية على ما هو أصلح للخلق[١].

وقوله: ﴿ما من دابّة إلّا هو آخذ بناصيتها﴾ معناه: ليس من حيوان يدبّ إلّا وهو تعالى آخذ بناصيته، أي: قادر على التصرّف فيه، وتصريفه كيف شاء. و«الناصية»: قِصاص الشَعر، ومنه قوله: ﴿فيؤخذبالنَواصي والأقدام﴾[٢] وفي جرّ الرجل بناصيته إذلال له، وأصل «الناصية»: الاتّصال، من قولهم: «مَفَازَة تُناصي مَفَازَة» إذا كانت الأخيرة متّصلة بالأولى، قال الشاعر:

في تُناصيها بلادُ قيّ[٣]

وقال ذو الرُمّة:

يَنْصُو الجماهين

ونَصَوْتُه أنْصُوهُ نَصْواً: إذا اتّصلت به.

وقال أبو النَجْم:

إنْ يُمْسِ رأْسِي أَشْمَطَ العَناصِي كَأنَّما فَرّقَهُ مُناصِي[٤]

أي: يجاذب ليتّصل به في مرّة. وإنّما قال: ﴿آخذ بناصيتها﴾ مع أنّه مالك لجميعها لِمَا في ذلك من تصوير حالها على عادة معروفة من أمرها في إذلالها، فكلّ دابّة في هذه المنزلة في الذلّة لله تعالى.

وقوله: ﴿إنّ ربّي على صراط مستقيم﴾ معناه: أنّ أمر ربّي في تدبير خلقه على صراطٍ مستقيمٍ لا عِوَج فيه[٥] ولا اضطراب، فهو يجري على سبيل الصواب لا يعدل إلى اليمين والشمال بالفساد، والفائدة هاهنا: أنّ ربّي وإن كان قادراً على التصرّف في كلّ شيء فإنّه لا يفعل إلّا العدل

(١) في الحجريّة: «للحقّ» بدل «للخلق». (٢) الرحمن: ٤١.
(٣) كذا في الخطّيّة والحجريّة وفي تفسير روض‌الجنان: قيّ تناصيها بلاد قيّ.
(٤) أنشده في اللسان: مادّة «نصا». (٥) في الخطّيّة: «لا خلل فيه» بدل «لا عوج فيه».

ولا يشاء إلّا الخير.

قوله [تعالى]:

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ آية بلا خلاف.

معنى الآية: حكاية ما قال هود لقومه من قوله لهم: إن تولّيتم فليس ذلك لتقصيرٍ في إبلاغكم، وإنّما هو لسوء اختياركم في الإعراض عن نصحكم. ويجوز أن يكون ذلك حكاية ما قال الله لهود: إنّهم إن تولّوا فقل لهم: فقد أبلغتكم. وقال الزجّاج: التقدير: فإن تتولّوا، فحذف إحدى التاءَيْن لدلالة الكلام عليها، فعلى هذا تقديره: قل لهم فإن تتولّوا. ومثله قال الجُبّائي.

و«التولّي»: الذهاب إلى خلاف جهة الشيء، وهو الإعراض عنه، والمعنى هاهنا: التولّي عمّا دعوتكم إليه من عبادة الله واتّباع أمره. و«الإبلاغ»: إلحاق الشيء بنهايته، وذلك أنّه قد يلحق الحرف بالحرف على جهة الوصل، فلا يكون إبلاغاً لأنّه لم يستمرّ إلى نهايته.

وقوله: ﴿ويستخلف ربّي قوماً غيركم﴾ فالاستخلاف: جعل الثاني بدلاً من الأوّل يقوم مقامه فيما كان عليه الأوّل، فلمّا كانوا قد كلّفوا فلم يجيبوا جعل الثاني بدلاً منهم في التكليف.

وقوله: ﴿ولا تضرّونه شيئاً﴾ معناه: أنّه إذا استخلف غيركم لا تقدرون له على ضرّ ولا نفع. وقيل[1]: إنّ معناه: لا ينقصه هلاككم لأنّه يجلّ عن لحاق المنافع والمضارّ.

وقوله: ﴿إنّ ربّي على كلّ شيء حفيظ﴾ معناه: أنّه يحفظه من الهلاك إذا

---

(١) قاله الفرّاء في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٩.

شاء ويهلكه إذا شاء. ووجه آخر وهو أنّه حفيظ لأعمال العباد حتّى يجازيهم عليها. وقيل[١]: معناه: يحفظني من أن تنالوني بسوء.

قوله [تعالى]:

وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ آية بلاخلاف.

المعنى: ولمّا جاء أمرنا بهلاك عاد ودلائله ﴿نجّينا هوداً والّذين آمنوا معه برحمة منّا ونجّيناهم من عذاب غليظ﴾ يعني: من عذاب الدنيا والآخرة، فسلموا من الأمرَيْن.

و«النجاة»: السلامة من الهلاك، وقد تكون السلامة من إصابة ألم ما، والرحمة قد تكون مستحقّة بدلالة قوله: ﴿ونجّيناهم برحمة منّا﴾. ويجوز أن يكون المراد: بما أريناهم من الهدى والبيان الّذي هو رحمة. والرحمة مستحقّة بالوعد وحسن التدبير في الفصل بين الوليّ والعدوّ. و«الغليظ»: عظيم الجثّة والغِلَظ عظم الجثّة الكثيفة، وإنّما وصف به تعالى العذاب لأنّه بمنزلته في الثقل على النفس وطول المكث.

قوله [تعالى]:

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ آية بلا خلاف.

قوله: ﴿وتلك﴾ إشارة إلى مَن تقدّم ذكره، والتقدير: تلك القبيلة عاد جحدوا بآيات ربّهم. و«الجحد»: الخبر بأنّ المعنى ليس بكائن على صحّة، فعلى هذا حجد هؤلاء الكفّار آيات الله، [والجحد ضدّ الاعتراف والنفي

(١) قاله الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٣٧.

نقيض الإثبات والجحد خبر][1] بأنّ المعنى لا نعرف صحّته، و«النفي»: خبر بعدمه. وقال صاحب العين: «الجحد» إنكارك بلسانك ما تستيقنه نفسك.

وقوله: ﴿وعصوا رسله﴾ فيه إخبار أنّهم مع جحدهم لأدلّة رسل الله، وإنكارهم آيات الله خالفوا ما أراده الدُعاة إلى الله، على طريق الإيجاب بالترغيب والترهيب، فالرسول دعاهم إلى عبادة الله فخالفوه، وإنّما قال: ﴿عصوا رسله﴾ وهم عصوا هوداً لأنّ الرسل قد تقدّمت عليهم بمثل ذلك، وذلك عصيان لهم فيما أمروا به ودعوا إليه من توحيد الله وعدله وأن لا يشركوا به شيئاً.

وقوله: ﴿واتّبعوا أمر كلّ جبّار عنيد﴾ فيه إخبار من الله بأنّ قوم هود تركوا اتّباع هود واتّبعوا أمر كلّ جبّار عنيد. والعنيد: العاتي الطاغي، عَنَد يَعْنِدُ عَنَداً وعُنُوداً إذا تجبّر، عَنَد الرجل عن الأمر: إذا حاد عنه فهو عانِدٌ وعَنودٌ، وعانَدَ الحقّ عناداً: إذا حاد عنه كثيراً، قال الشاعر:

إنّي كبيرٌ لا أطيقُ العُنّدا[2]

قوله [تعالى]:

وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّ عاداً لمّا عصوه وكفروا به وكذّبوا هوداً أكثر بهم الهلاك[3] وأتبعهم ﴿في دار الدنيا لعنة﴾ بمعنى: أنّه أخبر نبيّنا والأمم المستقبلة بإهلاكهم، وأنّه لعنهم وأمر بلعنهم، وعرّفه[4] أنّه

(١) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الحجريّة.

(٢) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٩١.

(٣) في الحجريّة: «ألحق الله بهم الهلاك».

(٤) في الحجريّة: عرفهم.

أبعدهم من رحمته.

و«اللعنة»: الدعاء بالإبعاد، من قولك: لَعَنَه إذا قال: عليه لعنة الله، وأصله: الإبعاد من الخير، يقال: ذئب لعين أي: طريد، ولا يجوز أن يُلْعن شيء من البهائم وإن كانت مؤذية، لأنّه لا يجوز أن يُدعى عليها بالإبعاد من رحمة الله.

وقوله: ﴿ويوم القيامة﴾ أي: ويتّبعون لعنه يوم القيامة، يعني: يوم يقوم الناس من قبورهم للجزاء والحساب، كما قال: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنّهم إلى نُصُب يوفضون﴾ [١] وقوله: ﴿ألا إنّ عاداً كفروا ربّهم﴾: ﴿ألا﴾ معناه التنبيه، وما بعده إخبار بأنّ قوم عاد كفروا بربّهم.

وقوله: ﴿ألا بُعداً لعادٍ قوم هود﴾ نصب ﴿بُعداً﴾ على المصدر، والمعنى: أبعدهم الله بُعداً، ووقع ﴿بُعداً﴾ موقع «إبعاداً» كما وقع «نبات» موقع «إنبات» في قوله: ﴿أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ [٢].

قوله [تعالى]:

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى في هذه الآية أنّه أرسل ﴿إلى﴾ قوم ﴿ثمود أخاهم صالحاً﴾ ونصب ﴿أخاهم﴾ بـ«أرسلنا» عطفاً على ما تقدّم، وأنّه ﴿قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ وقد فسّرناه [٣].

وقوله: ﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ قيل في معناه قولان:

---

(١) المعارج: ٤٣. (٢) نوح: ١٧. (٣) عند تفسير الآية: ٥٠ المتقدّمة.

أحدهما: إنّه خلقكم من آدم، وآدم من تراب. الثاني: إنّه خلقكم من الأرض. والأوّل اختيار الجُبّائي، وهو الأقوى. و «الإنشاء»: الإيجاد ابتداءً من غير استعانة بشيء من الأسباب، وهما نشأتان: الأُولى في الدنيا والثانية في الآخرة.

وقوله: ﴿واستعمركم فيها﴾ أي: جعلكم قادرين على عمارة الأرض، ومكّنكم من عمارتها والحاجة إلى سكناها. و «الاستعمار»: جعل القادر يعمّر الأرض كعمارة الدار. وقال مجاهد: معنى ﴿استعمركم فيها﴾ أي: أعمركم بأن جعلها لكم طول أعماركم. ومنه: «العُمْرَى»[1] المسألة المعروفة في الفقه.

وفي الآية دلالة على فساد قول من حرّم المكاسب، لأنّه تعالى امتنّ على خلقه بأن مكّنهم من عمارة الأرض، فلو كان ذلك محرّماً لم يكن لذلك وجه. والعبادة لا تستحقّ إلّا بالنِعَم المخصوصة الّتي هي أُصول النِعَم، فلذلك لا يستحقّ بعضنا على بعض العبادة ابتداءً وإن استحقّ الشكر، وكذلك لا تحسن العبادة ابتداءً، كما لا يحسن الشكر إلّا في مقابلة النِعَم.

وقوله: ﴿فاستغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه﴾ قد بيّنّا معناه[2]. وقوله: ﴿إنّ ربّي قريب مجيب﴾ معناه: أنّه قريب الرحمة لا من قرب المكان، لكنّه خرج هذا المخرج لحسن البيان في المبالغة. وقيل: إنّ بلاد ثمود بوادي القُرى بين المدينة والشام، وكانت عاد باليمن.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَـٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا

---

(١) والعُمرى: ما تجعله للرجل طول عمرك أو عمره، فإذا مات ردّ.

(٢) عند تفسير الآية: ٥٢ المتقدّمة.

وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية حكاية ما أجاب به قوم صالح له حين ﴿قالوا﴾ له ﴿يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا﴾ ومعناه: قد كنّا نرجو منك الخير، ونطمع فيه من جهتك قبل هذا لما كنت عليه من الأحوال الجميلة، فالآن يئسنا منك. و «الرجاء»: تعلّق النفس بمجيء الخير على جهة الظنّ، ومثله: «الأمل» و «الطمع».

وقوله: ﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ معناه: تحظر علينا عبادة كان يعبدها أباؤنا. وقوله: ﴿إنّنا لفي شكّ ممّا تدعونا إليه مريب﴾ معناه: أنّ الّذي أتيتنا به لا يوجب العلم بل يوجب الشكّ، فنحن في شكّ لما جئتنا به. و«الريبة» هي الشكّ، إلّا أنّ [مع] الريبة تهمة للمعنى ليست في نقيضه، والشكّ قد يعتدل فيه النقيضان.

قوله [تعالى]:

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَيـٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى في هذه الآية ما أجاب به صالح لقومه ثمود بأن ﴿قال﴾ لهم ﴿أرأيتم إن كنت على﴾ حجّة ﴿من ربّي﴾ ودليل من جهته. ولا مفعول لـ ﴿أرأيتم﴾ لأنّه يُلغى، كما يُلغى إذا دخل عليه لام الابتداء في قوله: قد رأيتُ لزَيدٌ خيرٌ منك، فكذلك الجزاء.

وجواب ﴿إن﴾ الأُولى الفاء، وجواب ﴿إن﴾ الثانية محذوف وتقديره: إن عصيته فمن ينصرني، إلّا أنّه يستغنى بالأُولى فلا يظهر.

وقوله: ﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته﴾ صورته صورة الاستفهام ومعناه النفي، كأنّه قال: فلا ناصر لي من الله إن عصيته، ومعنَى الكلام:

أَعَلِمتم مَن ينصرني من الله إن عصيته بعد بيّنة من ربّي ونعمة؟ وإنّما جاز إلغاء «رأيت» لأنّها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة أنّها تفيد لو انفردت عن غيرها، و ﴿من﴾ يتعلّق بمعناها دون تفصيل لفظها.

وقوله: ﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: ليس تزيدونني باحتجاجكم بعبادة آبائكم، أي: ما تزدادون أنتم إلّا خساراً، هذا قول مجاهد. وقال قوم: تزيدونني لأنّهم يعطونه ذاك بعد أوّل أمرهم. الثالث: قال الحسن: معناه: إن أجبتكم إلى ما تدعونني إليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران. وقال آخرون: معناه: ما تزيدونني على ما أنا عندكم إلّا خساراً.

قوله [تعالى]:

وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية حكاية ما قال صالح لقومه بعد أن أنذرهم وخوّفهم من عبادة من دون الله، وحذّرهم معاصيه: ﴿ويا قومِ هذه ناقة الله لكم آية﴾ وأشار إلى ناقته الّتي جعلها الله معجزته، لأنّ الله تعالى أخرجها لهم من جوف صخرة يشاهدونها على تلك الصفة، وخرجت وهي حامل كما طلبوا، وإنّها كانت تشرب يوماً فتنفرد به ولهم يوم، وتأتي المرعى يوماً والوحش يوماً.

وقوله: ﴿ولا تمسّوها بسوء﴾ نهي منه لهم أن يمسّوا الناقة بسوء أي: بعقر أو ضرر. و «المسّ» و «اللمس» متقاربان، وفرّق بينهما الرُمّاني بأنّ «المسّ» يكون بين جمادَيْن، و «اللمس» لا يكون إلّا بين حيّيْن لِمَا فيه من الإدراك، وقوله: ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ جواب النهي بالفاء، وكذلك

نصبه، والمعنى: إن مسستموها بضرٍّ أخذكم عذاب عاجل.

قوله تعالى:

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ ﴿٦٥﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن قوم صالح بأنّهم عصوه فيما أمرهم به، وارتكبوا ما نهاهم عنه من أذَى الناقة، وأنّهم عقروها. و «العقر»: قطع العضو الّذي له تأثير آفة في النفس، قال آمرؤ القيس:

يــقولُ وقَــد مــالَ الغَـبيطُ بـنا مـعاً
عَقَرْت بَعيري يا آمرءَ القَيْسِ فانزلِ[1]

وكان سبب عقرهم لها أنّهم كرهوا أن يكون لها يوم ولهم يـوم فـي الشرب لضيق الماء عليهم والمرعى على مواشيهم، فعقرها أحمر ثـمود، وضربت به العرب المَثَل في الشؤم، فـلمّا فـعلوا ذلك قـال لهـم صـالح: ﴿تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام﴾ أي: تلذّذوا بما تريدون من المدركات الحسان من المناظر والأصوات وغيرها ممّا يُدرك بالحواس، ويقال للـبلاد: دار، لأنّها تجمع أهلها كما تجمع الدار، ومنه قولهم: ديار ربيعة، وديار مضر.

وقيل[2]: معنى ﴿في داركم﴾ أي: في دارالدنيا. و«أيّام» أصله: «أيوام» فقُلبت الواو ياءً وأُدغمت الياء الأُولى فيها فـصارت «أيّـام» لاجـتماعها وسكون الأُولى، وإنّما وجب ذلك لاشتراكهما في أنّهما حرفا علّة.

وقوله: ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ معناه: أنّ ما وعدتكم به من نـزول

---

(١) من قصيدة في الفخر. راجع ديوان آمرئ القيس: ص ١٥٥.

(٢) قاله الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٣٩.

العذاب بعد ثلاثة أيّام وعد صدق ليس فيه كذب.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أهل‌المدينة‌إلّا إسماعيل والكسائي والبُرْجُمي‌والشمُوني: ﴿يومَئذ﴾ بفتح الميم هاهنا وفي المعارج[١] الباقون بكسر الميم على الإضافة.

قال أبوعليّ: يوم من ﴿يومئذ﴾ ظرف ـ كُسِرت أو فُتِحت ـ في المعنى، إلّا أنّه اتّسع فيه فجعل اسماً، كما اتّسع في قوله: ﴿بل مَكْر الليل والنهار﴾[٢] فأُضيف «المكر» إليهما وإنّما هو فيهما. فكذلك «العذاب» و«الخزي» و«الفزع»[٣] أضفن إلى «اليوم» والمعنى على أنّ ذلك كلّه في «اليوم» كما أنّ المكر في الليل والنهار. ومَن كسر الميم من ﴿عذاب يومِئذ﴾ فلأنّ «يوماً» اسم معرب أضاف إليه ما أضافه من «العذاب» و«الخزي» و «الفزع» فانجرّ بالإضافة، ولم يفتح «اليوم» فيبنيه لإضافته إلى المعنى[٤] لأنّ المضاف منفصل من المضاف إليه ولا يلزمه الإضافة، فلمّا لم يلزم الإضافة المضاف لم يلزم البناء. ومَن فتح فقال: ﴿من عذاب يومَئذ﴾ ففتح مع أنّه في موضع جرّ، فلأنّ المضاف يكتسي[٥] من المضاف إليه التعريف والتنكير، ومعنى الاستفهام والجزاء في نحو غلام من تضرب

---

(١) الآية: ١١. (٢) سبأ: ٣٣.

(٣) في قوله تعالى: ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ و ﴿لا يَحْزُنهم الفَزَعُ الأكبرُ﴾ و ﴿فَفَزِعَ مَن في السّموات ومَن في الأرضِ﴾. ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾.

(٤) كذا في الخطّيّة والحجريّة، وفي المصدر: المبنيّ.

(٥) كذا في الخطّيّة والحجريّة والمصدر، وفي تفسير أبي‌الفتوح: يكتسب، وهكذا في ما يأتي من مشتقّاته.

وغلام مَن تضرب أضربه. فلمّا كان يكتسي من المضاف إليه هذه الأشياء اكتسى منه الإعراب والبناء أيضاً. إذا كان المضاف من الأسماء الشائعة المبنيّة نحو: «أين» و «كيف». ولو كان المضاف مخصوصاً نحو: «رجل» و «غلام» لم‌يكتس منه البناء كما اكتسى من الأسماء الشائعة[1]. ومن أضاف من عذاب يومئذ، ومن خزي يومئذ، فلأنّها معارف تعرّفت بالإضافة إلى «اليوم».

أخبر الله تعالى أنّه لمّا جاء أمره بإهلاك قوم صالح الّذين هم ثمود نجّى صالحاً والمؤمنين معه برحمةٍ منه تعالى. وقوله: ﴿ومن خزي يومئذ﴾ فالخزي: العيب الّذي تظهر فضيحته ويستحيى من مثله، يقال خَزِيَ يَخْزَى خِزْياً: إذا ظهر له عيب بهذه الصفة.

وقوله: ﴿إنّ ربّك هو القويّ العزيز﴾ فالقويّ هو القادر، والعزيز هو القادر على منع غيره من غير أن يقدر على منعه، وأصله: المنع، فمنه: عزّ الشيء إذا امتنع بقلبه، ومنه: «العزاز»[2] الأرض الصلبة الممتنعة بالصلابة، ومنه: تعزّز بفلان أي: امتنع به[3] ويقال: «مَن عَزّ بزّ» أي: مَن غَلَبَ سَلَبَ.

وكانت علامة العذاب في ثمود ما قال لهم‌صالح: آية ذلك أنّ‌وجوهكم تصبح في اليوم الأوّل مصفرّة، وفي اليوم الثاني محمرّة، وفي اليوم الثالث مسودّة، ذكره الحسن وغيره . وهذا من حكمته تعالى وحسن تدبيره في الإنذار بما يكون من العقاب قبل أن يكون، للمظاهرة[4] في الحجّة.

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة لأبي‌عليّ ٢: ٤٠٣.

(٢) كذا، وفي اللسان: العَزَز والعَزَاز: المكان الصلب السريع السيل، وأرض عَزَاز وعَزّاء وعَزَازَة ومَعزُوزَة، والعِزّ: المطر الغزير.

(٣) في الخطّيّة: «ومنه التعزّز بفلان أي الامتناع به».

(٤) في الخطّيّة: في المظاهرة.

ولم يختر أبو عمرو بناء «يوم» إذا أُضيف إلى مبنيّ كما اختير في قوله: على حينِ عاينت لأنّ هذا أُضيف إلى اسمٍ مبنيّ، وذلك أُضيف إلى فعل مبنيّ فباعده عن التمكّن بأكثر ممّا باعده الأوّل.

قوله [تعالى]:

وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ آية بلا خلاف.

أخبرالله تعالى أنّه لمّا نجّى صالحاً والمؤمنين وأراد إهلاك الكفّار منهم ﴿أخذ الّذين ظلموا الصيحة﴾ وهي الصوت العظيم من الحيوان. وقال الجُبّائي: لاتكون الصيحة إلّا حدوث صوت في فم وحلق حيوان، فقيل: إنّ جبرائيل عليه السلام صاح بهم. ويجوز أن يكون الله تعالى أحدث الصيحة في حلق حيوان. وإنّما ذكّر اللفظ لأنّه حمله على المعنى، فلأنّ «الصيحة» و«الصياح» واحد، ويجوز تأنيثه حملاً على اللفظ كما جاء في موضع آخر[1].

وقوله: ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ معناه: أنّه لمّا أتتهم الصيحة ليلاً أصبحوا في ديارهم خامدين على هذه الصفة، والعرب تقول في تعظيم الأمر: «وَاسَوْأَ صَباحاه» و «الجثوم»: السقوط على الوجوه، وقيل: هو القعود على الركب، يقال: جَثَم على القلب إذا ثقل عليه. وذكرهم الله بالظلم هاهنا دون الكفر ليعلم أنّ الكفر ظلم النفس، إذ يصير به إلى أعظم الضرر بعذاب الأبد.

قوله [تعالى]:

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ آية بلا خلاف.

قرأ الكسائي وحده: ﴿لثمودٍ﴾ بخفض الدال وتنوينها، الباقون بغير

---

(١) كما في الآية: ٩٤ الآتية، وفي الحجر: ٧٣ و٨٣ وغيرها.

(٢) في الحجرية: واسَوْءة.

صرف. وقرأ حمزة وحفص ويعقوب: ﴿ألا إنَّ ثمود﴾ وفي الفرقان: ﴿وعاداً وثمودَ﴾ [١] وفي العنكبوت: ﴿وثمودَ وَقَد تَبَيَّنَ﴾ [٢] وفي النجم: ﴿وثمودَ فما أبقى﴾ [٣] بغير تنوين فيهنّ، وافقهم يحيى والعُلَيْمي والشمُوني في سورة «والنجم».

قال الفرّاء: قلت للكسائي: لِمَ صرفت ﴿ثمود﴾ هاهنا؟ فقال: لأنّه قرب من المنصوب، وهو مجرور، وإنّما صرف «ثمود» في النصب دون الجرّ والرفع لأنّه لمّا جاز الصرف وترك الصرف، اختير الصرف في النصب لأنّه أخفّ.

قال أبو عليّ الفارسي: الأسماء الّتي تجري على القبائل والأحياء على أَضْرُب:

أحدها: أن يكون اسماً للحيّ أو للأب. والثاني: أن يكون اسماً للقبيلة. الثالث: أن يكون الغالب عليه الأب والحيّ والقبيلة. و الرابع: أن يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهَيْن، ولا يكون لأحد الوجهَيْن مزيّة على الآخر في الكثرة. فممّا جاء على أنّه اسم الحيّ قولهم: ثَقيف وقُرَيْش وكلّ ما لا يقال فيه: بنو فلان. وأمّا ما جاء اسماً للقبيلة فنحو تميم، قالوا: تَميم بنت مُرٍّ ، قال سيبويه [٤]: سمعناهم يقولون: قَيْس ابنةُ عَيْلان، وتميمُ صاحبةُ ذلك، وقالوا: تَغْلِبُ ابنةُ وائلٍ. وأمّا ما غلب عليه اسم الحيّ أو القبيلة فقد قالوا: باهِلَةُ بنُ أَعْصُرَ، وقالوا: يَعْصُر، و «باهِلة» اسم امرأة، قال سيبويه: ولكنّه جعل اسم الحيّ، و «مجوس» لم يجعل اسم قبيلة [٥] و«سَدُوس» أكثرهم يجعله اسم القبيلة، و «تَميم» أكثرهم يجعله

(١ و ٢) الآية: ٣٨. (٣) الآية: ٥١. (٤) في الكتاب: ج ٣ ص ٢٤٩.

(٥) كذا في الخطّيّة والحجريّة، وفي الحجّة لأبي عليّ ومجمع البيان: لم يجعل إلّا اسم قبيلة.

اسم قبيلة، ومنهم من يجعله اسم الأب. وأمّا ما يستوي فيه أن يكون اسم قبيلة وأن يكون اسماً للحيّ فقال سيبويه[١]: نحو: ثَمود وسبأ هما مرّة للقبيلتَيْن ومرّة للحيّين، وكثرتهما سَواء، قال: ﴿وعاداً وثمودَ﴾[٢] وقال: ﴿ألا إنَّ ثمودَ كفروا ربّهم﴾ وقال: ﴿وآتينا ثمودَ الناقة﴾[٣]. فإذا استوى في «ثمود» أن يكون مرّةللقبيلة ومرّة للحيّ ولم يكن لحمله على أحد الوجهَيْن مزيّة في الكثرة، فمَن صرف في جميع المواضع كان حسناً، ومَن لم يصرف في جميع المواضع فكذلك، وكذلك إن صُرِف في موضع ولم يُصرف في موضع آخر، إلّا أنّه لا ينبغي أن يخرج عمّا قرأت به القُرّاء، لأنّ القراءة سُنّة، فلا ينبغي أن يُحمل على ما يجوز في العربية حتّى ينضمّ إليه الرواية.

معنى قوله: ﴿كأنْ لم يغنوا﴾ كأن لم يقيموا فيها، لانقطاع آثارهم بالهلاك إلّا ما بقي من أجسادهم[٤] الدالّة على الخزي الّذي نزل بهم، يقال: غَنِيَ بالمكان إذا أقام به، والمغاني: المنازل، قال النابغة:

غَنِيَتْ بذلكَ إذ هُمُ لكَ جِيرةٌ ... منها بعطفِ رسالةٍ وتَودُّدِ[٥]

وأصل «الغِنى»: الاكتفاء، فمنه: الغِنَى بالمال، و «الغِناء»: الصوت الّذي يغنّى به، و «الغِناء»: الاكتفاء بحال الشيء، وغَنِيَ بالمكان: إذا أقام به، لاكتفائه بالإقامة فيه، و«الغَانية»: الشابّة المتزوّجة.

و «ألا» معناها التنبيه، وهي ألف استفهام دخلت على «لا» فالألف يقتضي معنىً، و «لا» ينفي معنىً، فاقتضَى الكلام بهما معنى التنبيه مع نفي الفعليّة.

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٥٢.
(٢) الفرقان: ٣٨، العنكبوت: ٣٨.
(٣) الإسراء: ٥٩.
(٤) في الحجريّة: أخبارهم.
(٥) من قصيدة يمدح النعمان. راجع ديوان النابغة الذبياني: ص ١٤٤.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ آية بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي: ﴿قال سِلْم﴾ بكسر السين وسكون اللام من غير ألف هاهنا وفي الذاريات[1]. قال محمّد بن يزيد المبرّد: «السلام» في اللغة يحتمل أربعة أشياء: منها: مصدر «سَلّمتُ» ومنها: جمع «سلامة» ومنها: اسم من أسماء الله، ومنها: اسم شجرةٍ، ومنه: قول الأَخْطَل:

إلّا سَلامُ وحَرْمَلُ[2]

وقوله: ﴿دار السلام﴾[3] يحتمل أن يكون مضافة إلى «الله» تعظيماً لها، ويجوز أن يكون دار السلام من العذاب لمن حصل فيها. وأمّا انتصاب قوله: ﴿سلاماً﴾ فلأنّه لم يَحْكِ شيئاً تكلّموا به، فيحكي كما تحكي الجمل، ولكن هو ما تكلّمت به الرسل، كما أنّ القائل إذا قال: لا إله إلّا الله، فقلت حقّاً أو قلت إخلاصاً، أعملت القول في المصدر لأنّك ذكرت معنى ما قال، فلم يحكِ نفس الكلام الّذي هو جملة يحكى، فكذلك نصب ﴿سلاماً﴾ هاهنا، لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس القول بعينه.

وقوله: ﴿إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[4] قال سيبويه[5]: زعم أبوالخطّاب: أنّ مثله يريد مثل قولك: «سبحان الله» الّذي تفسيره: براءة من

---

(١) الآية: ٢٥.

(٢) من قصيدة طويلة يمدح خالد بن عبدالله بن أُميّة ويذكر فيها الظعائن. راجع ديوان الأَخْطَل: ص ١٥٢.

(٣) الأنعام: ١٢٧، يونس: ٢٥.

(٤) الفرقان: ٦٣.

(٥) في الكتاب: ج ١ ص ٣٢٤ وفيه: «تسلّماً» بدل «مسلّماً» و «لا أبتلي» بدل «لا ألتبس».

الله من السوء، وقولك للرجل: «سلاماً» تريد: مسلماً منك[١] لا ابتلي بشيء من أمرك.

وقوله: ﴿سلام﴾ مرفوع، لأنّه من جملة الجملة المحكيّة، وتقديره: سلام عليكم، فحذف الخبر كما حذف من قوله: ﴿فصبر جميل﴾[٢] أي: صبر جميل أمثل، أو يكون المعنى: أمري سلام وشأني سلام، كما يجوز أن يكون في قوله: ﴿فصبر جميل﴾ المحذوف منه المبتدأ، ومثله على حذف المبتدأ قوله تعالى: ﴿فاصفح عنهم وقل سلام﴾[٣] أو حذف الخبر ويكون ﴿سلام﴾ مبتدأ[٤]. وأكثر ما يستعمل «سلام» بغير ألف ولام، لأنّه في معنى الدعاء، فهو مثل قولهم: خير بين يديك، فمن ذلك قوله: ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي﴾[٥] وقوله: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾[٦] وقوله: ﴿سلام على نوح﴾[٧] و ﴿سلام على إبراهيم﴾[٨] وقوله: ﴿سلام على عباده الّذين اصطفى﴾[٩] وقد جاء بالألف واللام قال تعالى: ﴿والسلام على من اتّبع الهدى﴾[١٠] و﴿السلام عليَّ يوم ولدتُ﴾[١١]. وزعم أبو الحسن: أنّ في العرب مَن يقول: السلام عليكم، ومنهم من يقول: سلامٌ عليكم، فمن ألحق فيه الألف واللام حمله على المعهود، ومن لم يلحقه حمله على غير المعهود، وزعم أنّ منهم من يقول: «سلام عليكم» فلا ينوّن[١٢]، وحمل ذلك على وجهَيْن:

---

(١) في الخطّيّة: «تسلّماً» بدل «مسلماً». (٢) يوسف: ١٨ و٨٣.

(٣) الزُخرف: ٨٩.

(٤) في الخطّيّة: «خبره» بدل «مبتدأ». وفي مجمع البيان: وقل سلام على حذف المبتدأ الّذي سلام خبره. (٥) مريم: ٤٧. (٦) الرعد: ٢٤.

(٧ و٨) الصافّات: ٧٩ و١٠٩ على التوالي. (٩) النمل: ٥٩.

(١٠) طه: ٤٧. (١١) مريم: ٣٣. (١٢) في المطبوعتين: بلا تنوين.

أحدهما: أنّه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل من نحو: لم يكُ، ولا أدرِ، ويوم يأتِ. والآخر: أنّه لمّا كثر استعمال هذه الكلمة وفيها الألف واللام حذفا منه لكثرة الاستعمال، كما حذفا[1] من «اللّهمّ» فقالوا: لَاهُمّ:

لاهُــمّ إنّ عــامِرَ الفَــجُورِ قَد حَبَس الخَيلَ على يَعْمُور

ومَن قرأ: ﴿سِلْم﴾ بلا ألف احتمل أمرَيْن: أحدهما: أن يكون بمعنى «سلام» والمعنى: أمرنا سلم، وسلم عليكم، ويكون «سلم» بمعنى «سلام» كقولهم: حِلّ وحَلال، وحِرْم وحَرام، وأنشد الفرّاء:

وَقَـفْنا فَـقُلنا إيْـهِ سِـلْمٌ فَسَـلّمتْ كما اكْتَلّ[2] بالبَرْقِ الغَمامُ اللَوائِحُ

وروي: كما انكَلّ، ثمّ قال الفرّاء في رفع ﴿سلام﴾: إنّه حين نَكِرَهم قال: هو سلام إن شاء الله، من أنتم؟ فعلى هذا القراءتان بمعنىً واحد.

والآخر: أن يكون «سِلْم» خلاف العدوّ والحرب، كأنّهم لمّا كفّوا عن تناول ما قدّمه إليهم فنَكِرَهم وأوجس منهم خيفة قال: أنا سِلْم ولست بحربٍ ولا عدوٍّ، فلا تمتنعوا من تناول طعامي كما يمتنع من تناول طعام العدوّ.

وقوله: ﴿ولقد﴾ دخلت اللام لتأكيد الخبر، كما يؤكّد القَسَم، ومعنى «قد» هاهنا: أنّ السامع لقصص الأنبياء يتوقّع قصّة بعد قصّة، و «قد» للتوقّع فجاءت لتؤذن أنّ السامع في حال توقّع.

أخبر الله تعالى : أنّه لمّا جاءت رسل الله لإبراهيم يبشّرونه، وقيل في البشارة بماذا كانت قولان:

---

(١) في الحجريّة: حذفها منها لكثرة الاستعمال كما حذفوا.

(٢) في المطبوعتين: اكيل.

أحدهما: قال الحسن: كانت بـإذن الله تـعالى يـهب له إسـحاق ولداً ويجعله رسولاً إلى عباده. وقال غيره: كانت البشارة بإهلاك قوم لوط.

وقوله: ﴿قالوا سلاماً﴾ حكاية ما قال رسل الله لإبراهيم، فقال إبراهيم مجيباً لهم: ﴿سلام﴾.

وقوله: ﴿فما لبث أن جاء بعِجْلٍ حنيذٍ﴾ معناه: لم يتوقّف حتّى جـاءهم ـ على عادته في إكرام الأضياف وتقديم الطعام إليهم ـ بعجلٍ، وهـو ولد البقرة سمّي بذلك لتعجيل أمره بقرب ميلاده، ويقال فيه: عِجّوْل، وجمعه: عَجاجِيل. و «الحنيذ»: المشويّ، ومعناه: محنوذ، فـجاء «فـعيل» بـمعنى «مفعول» كطبيخ ومطبوخ، وقتيل ومقتول، تـقول: حَـنَذَهُ يـحنذه حَـنْذاً ويَحْنِذُه، قال العجّاج:

وَرَهِبا مِن حَنْذِه أن يَهْرَجا[1]

يعني: الحمر الوحشية، أي: حَنَذَها حرّ الشمس على الحجارة. وقال الحسن: ﴿حنيذ﴾ بمعنى: نضيج مشويّ. وقال ابن‌عبّاس وقَتادَة ومجاهد: نضيج. وحكى الزجّاج: أنّ الحنيذ هو الّذي يقطر ماؤه، تقول العرب: أحْنِذْ هذا الفرس، أي: جَلِّلْهُ حتّى يقطر عَرقاً. وإنّما قـدّم الطـعام إليـهم وهـم ملائكة لأنّه رآهم في صورة البشر فظنّهم أضيافاً. وقال الحسن: جاؤوه فاستضافوه، وإلّا لم يخف عليه أنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

وقوله: ﴿أن جاء﴾ في موضع نصب بوقوع ﴿لبث﴾ عليه، كأنّه قـال: فما أبطأ عن مجيئه بعِجْل، فلمّا حذف حرف الجـرّ نـصب. قـال الفـرّاء: ويحتمل ﴿أن جاء بعِجْل﴾ أن يكون في موضع رفع بأن تجعل ﴿لبث﴾ فعلاً

---

(١) أنشده أبوعُبَيْدة في مجازالقرآن: ج١ ص٢٩٢، وفي‌الهامش ذكره عن ديوان‌العجّاج: ص٩.

له كأنّك قلت: فما أبطأ[١] مجيئه بعجلٍ حنيذ.

قال الفرّاء: «الحنيذ»: ما حفرت له في الأرض ثمّ غممته، وهو فعل أهل البادية. قال الفرّاء وغيره: وإنّما خافهم إبراهيم حيث لم ينالوا من طعامه لأنّ عادة ذلك الوقت إذا قدّم الطعام إلى قومٍ فلا يمسّونه ظنّوا أنّهم أعداء.

قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَاتَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَاتَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ آية بلا خلاف.

قيل في وجه إتيان الملائكة إبراهيم عليه السلام في صورة الأضياف قولان:

أحدهما: قال الحسن إنّهم أتوه على الصفة الّتي كان يحبّها، لأنّه كان يُقْري الضيف. والآخر: إنّهم أرَوْه معجزاً من مقدور الله في صورتهم مع البشارة له بالولد على الكبر. فأخبر الله تعالى: أنّ إبراهيم لمّا رأى الملائكة ممتنعين من تناول الطعام، وأنّ أيديهم لا تصل إليه، والعقل لم يكن مانعاً من أكل الملائكة الطعام وإنّما عُلِم ذلك بالإجماع وبهذه الآية، وإلّا ما كان يجوز أن يكون إبراهيم يقدّم إليهم الطعام مع علمه بأنّهم ملائكة ويجوز أن يأكلوه، وإنّما جاز أن يتصوّر الملائكة في صورة البشر مع ما فيه من الإيهام لأنّه اقترن[٢] به دلالة، وكان فيه مصلحة، فجرى مجرى السراب الّذي يتخيّل أنّه ماء من غير علم أنّه ماء.

وقوله: ﴿نَكِرَهم﴾ يقال: نَكِرْته وأنكرته بمعنىً واحد. وقيل: «نَكِرْته» أشدّ مبالغة وهي لغة هُذَيْل وأهل الحجاز، و «أنْكَرْته» لغة تميم. قال

---

(١) العبارة في الخطّيّة هكذا: ويحتمل أن يكون رفعاً بأن يجعل لبث فعلاً، لأن كأنّك قلت فلما أبطأ.

(٢) في الحجريّة: «لأنّهم أتون».

الأعشى في الجمع بين اللغتَيْن:

وأنكَرَتْني وما كانَ الّذي نَكِـرَتْ ... من الحوادث إلّا الشَيْبَ والصَلَعا(١)

وقال أبو ذُؤَيْب:

فَــنَكِرْتَهُ فَــنَفَرْنَ وآمـتَرَسَتْ بـهِ ... هَــوْجَاءُ هــادِيَةٌ وَهَــادٍ جُــرْشُعُ

وقوله: ﴿أوجس منهم خيفة﴾ أي: أضمر الخوف منهم، و «الإيجاس»: الإحساس، قال ذو الرُمّة:

وقَد تَوَجّسَ رِكْـزاً مُـغْفِراً نَـدِساً ... بنَبْأةِ الصّوتِ ما في سَمْعِهِ كَذبُ(٢)

أي: تجسيس. وقيل(٣): ﴿أوجس﴾: أضمر. وإنّما خافهم حين لم ينالوا من طعامه لأنّه رآهم شباباً أقوياء وكان ينزل طرفاً من البـلد لم يأمـن ـحيث لم يتحرّموا بطعامه ـ أن يكون ذلك لبلاءٍ حتّى قالوا له: ﴿لا تخف﴾ يا إبراهيم ﴿إنّا أُرسلنا إلى قوم لوط﴾ بالعذاب والإهلاك. وقيل: إنّهم دعوا الله فأحيا العجل الّذي كان ذبحه إبراهيم وشواه فطفر ورعى، فعلم حينئذٍ أنّهم رسل الله.

قوله [تعالى]:

وَٱمْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحمزة وحفص: ﴿ويعقوبَ﴾ بنصب الباء.

قال أبو عليّ: من رفع فبأحد أمـرَيْن: أحـدهما: بـالابتداء، والآخـر بالظرف على مذهب من رفع به، وذلك بيّن. ومَن فتح احتمل ثلاثة أشياء:

---

(١) من قصيدة يمدح هوذة بن عليّ. راجع ديوان الأعشى: ص ١٠٥.

(٢) من قصيدته البائية المشهورة. راجع ديوان ذي الرُمّة: ص ٤٢ وفيه: مقفرندس.

(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٣ ص ٦١.

أحدها: أن يكون في موضع جرّ، والمعنى: فبشّرناها بإسحاق ويعقوب، وقال أبو الحسن: وهو أقوى في المعنى، لأنّها قد بُشّرت به، قال: وفي إعمالها ضعف، لأنّك فصلت بين الجارّ والمجرور بالظرف، كما لا يجوز: مررت بزيد في الدار والبيت عمرو. وقال الرُمّاني: لا يجوز ذلك لأنّه يجب منه العطف على عاملَيْن، وذلك لا يجوز، لأنّه أضعف من العامل الّذي قام مقامه، وهو لا يجرّ ولا ينصب.

الثاني: أن يحمله على موضع الجارّ والمجرور، كقول الشاعر:

إذا ما تلاقينا من اليومِ أو غَدا[١]

وكقراءة من قرأ: ﴿حوراً عيناً﴾[٢] بعد: ﴿يطاف عليهم﴾ بكذا. ومثله قوله:

فَلَسْنا بالجِبالِ ولا الحديدَا[٣]

وكقول الشاعر:

جِئْني بمثلِ بني بَدْرٍ لقَومِهِم
أوْ مِثْلَ أُسرةِ مَنْظُورِ بن سَيّار
أوْ عامِرَ بن طُفَيْلٍ في مُرَكّبِهِ
أوْ حارِثاً حينَ نادَى القَومُ يا حارِ[٤]

فنصب «عامراً» و «حارِثاً» كأنّه قال: أو جئني بعامر، فلمّا أسقط

(١) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ١ ص ٦٨ ونسبه إلى كعب بن جُعَيْل والشاهد فيه أنّه نصب «غداً» عطفاً على موضع «من اليوم» كأنّه قال: تلاقينا اليوم أو غداً.

(٢) أي بالنصب، وهي قراءة أُبيّ بن كعب. راجع مختصر شواذ القرآن: ص ١٥١. والآية: ٢٢ من سورة الواقعة المباركة.

(٣) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ١ ص ٦٧ ونسبه إلى عُقَيْبَة الأسدي. والشاهد فيه نصب «الحديدا» وعطفه على موضع «الجبال».

(٤) لجرير من قصيدة يهجو الأخطل ويفخر بقومه. راجع ديوان جرير: ص ٢٣٢ وفيه: «أو حارثٍ».

حرف الجرّ نصب.

الثالث: أن تحمله على فعل مضمر، كأنّه قال: فبشّرناها بإسحاق ووهبنا له يعقوب. وقال أبو عليّ الفارسي: والوجه للأوّل نصّ سيبويه على فتح مثله، نحو: مررت بزيد أوّل من أمس وأمس عمرو، وكذلك قال أبو الحسن قال: لو قلت: مررت بزيد اليوم وأمس عمرو لم يحسن، والحمل على الموضع على حدّ: مررت بزيد وعمراً، فالفصل فيه أيضاً قبيح كما قبح الحمل على الجرّ وغير الجرّ، فهذا في القياس مثل الجرّ في القبح، لأنّ الفعل يصل بحرف العطف، وحرف العطف هو الّذي يشرك في الفعل، وبه يصل الفعل إلى المفعول به، كما يصل بحرف الجرّ، فإذا قبح الأمران وجب أن تحمل قراءة من قرأ بالنصب على تقدير فعل آخر مضمر يدلّ عليه «بشّرنا».

وقيل في معنى قوله: ﴿وامرأته قائمة﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّها كانت قائمة بحيث ترى الملائكة فضحكت سروراً بالسلامة، وأردف ذلك السرور بما كان من البشارة. والثاني: أنّها كانت قائمة من وراء الستر تستمع إلى الرسل. والثالث: أنّها كانت قائمة تخدم الأضياف وإبراهيم جالس.

وقال مجاهد: معنى ﴿فضحكت﴾ حاضت. قال الفرّاء: لم أسمع ذلك من ثقةٍ، فوجهه أنّه كناية[1]. قال الكُمَيْت:

وأضْحَكَتِ السِباعَ سُيوفُ سَعْدٍ   لِقَتْلى ما دُفِنّ ولا وُدِينا[2]

(١) في الحجريّة: «ووجدته كتابة».

(٢) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٤٥ وفيه: «الضباع».

يعني: بالحيض. وقالوا: وأبو الحرث بن كعب يقول: ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع والبُسْر، وقالوا: «الضحك»: الطلع، وسُمِع مَن يحكي: أَضْحَكْتَ حوضَك إذا ملأته حتّى فاضَ، وأنشد بعضهم في الضحك بمعنى «الحيض» قول الشاعر:

وضِحْكُ الأرانِبِ فوقَ الصَفا كَمِثْلِ دمِ الجَوْفِ يومَ اللّقا[١]

وقال قومٌ: «الضحك»: العجب، وأنشد لأبي ذؤيب:

فجاء بمزْجٍ لم يَرَ الناس مثله هو الضحك إلّا أنّه عمل النحل

وقيل في معنى ﴿ضحكت﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: إنّها ضحكت تعجّباً من حال الأضياف في امتناعهم من أكل الطعام، مع[٢] إبراهيم وزوجته سارة يخدمانهم.

وثانيها: قال قَتادَة: ضحكت تعجّباً من حال قوم لوط إذ أتاهم العذاب وهم في غفلة.

وثالثها: قال وهب بن منبّه: إنّها ضحكت تعجّباً من أن يكون لهما ولد وقد هرما. فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير، كأنّه قال: فبشّرناها بإسحاق فضحكت بعد البشارة.

وقوله: ﴿فبشّرناها﴾ يعني: امرأة إبراهيم سارة بإسحاق أنّها تلده، ومن بعد إسحاق يعقوب من ولده، فبشّرت بنبيٍّ بين نبيّين، وهو إسحاق أبوه نبيّ وابنه نبيّ. وقال الزجّاج: إنّما ضحكت لأنّها كانت قالت لإبراهيم: اضمم لوطاً ابن أخيك إليك فإنّي أعلم أن سينزل على هؤلاء القوم عذاب، فضحكت سروراً لما أتى الأمر على ما توهّمت.

---

(١) أنشده الطبري أيضاً في تفسيره المتقدّم.

(٢) في الخطّيّة: «من أن» بدل «مع».

وقال ابن عبّاس والشعبي والزجّاج: يقال لولد الولد: هـذا ابـني مـن ورائي، هو ابن ابني.

قوله [تعالى]:

قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية إخبار عمّا قالت امرأة إبراهيم حين بُشّرت بأنّـها تـلد إسحاق وهو أن ﴿قالت يا ويلتى﴾ ومعنى ﴿يا ويلتى﴾: الإنذار بورود الأمر الفظيع، كما تقول العرب: يا للـدواهـي، أي: تـعالين فـإنّه مـن أحـيانك لمحضور ما حضر[1] من أشكالك وألف «يا ويلتى» يحتمل أن يكون ألف ندبة، ويحتمل أن يكون للإضافة انقلبت من الياء.

وكان هذا القول من امرأة إبراهيم على وجه التعجّب بطبع البشرية، إذا ورد عليها ما لم تجر به العادة قبل أن تفكّر في ذلك، كما ولّى موسى مدبراً حين انقلبت العصا حيّةً حتّى قيل له: ﴿أقبِلْ ولا تَخَف﴾[2] وإلّا فهي كانت مؤمنة عارفة بأنّ الله تعالى يقدر على ذلك. قال الرُمّاني: والسبب في أنّ العجوز لا تلد: أنّ الماء الّذي يخلق الله عزّ وجلّ منه الولد مع نطفة الرجل قد انقطع بدلالة ارتفاع الحيض، فجعل الله الولد على تلك الحال مـعجزاً لنبيّه إبراهيم عليه السلام. وقال مجاهد: كان لإبراهيم في ذلك الوقت مـائة سـنة ولها تسع وتسعون سنة. وقال ابن إسحاق: كان لإبراهيم مائة وعشـرون سنة، ولسارة تسعون سنة.

و«البعل»: الزوج، وأصله: القائم بالأمر، فيقولون للنخل الّذي يستغني

(١) في الحجريّة: «من أزمانك بحضور ما حضر».

(٢) القصص: ٣١.

بماء السماء عن سقي الأنهار والعيون: بعل، لأنّه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلّف السقي له، ومالك الشيء القيّم بتدبيره: بعل، ومنه قوله [تعالى]: ﴿أتدعون بَعْلاً وتذرون أحسن الخالقين﴾[١]. و﴿شيخاً﴾ نصب على الحال، والعامل فيه ما في ﴿هذا﴾ من معنى الإشارة أوالتنبيه، وفي قراءة ابن مسعود بالرفع. ويحتمل الرفع في قول سيبويه والخليل أربعة أوجه[٢]: فيرفع ﴿هذا﴾ بالابتداء و ﴿بعلي﴾ خبره و ﴿شيخ﴾ خبر ثانٍ كأنّه قال: هذا شيخ، ويجوز أن يكونا خبرين لـ ﴿هذا﴾ [فيرتفعا] كقولك: هذا حلو[٣] حامض، ويجوز أن يكون ﴿بعلي﴾ بدلاً من ﴿هذا﴾ وبياناً له و ﴿شيخ﴾ خبره[٤].

وقوله: ﴿إنّ هذا لشيء عجيب﴾ أن يكون الولد بين عجوزَيْن شيخَيْن شيء يتعجّب منه.

قوله [تعالى]:

قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية حكاية ما قالت الملائكة لامرأة إبراهيم حين تعجّبت من أن تلد بعد الكبر، فإنّهم ﴿قالوا﴾ لها: ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ وهذه الألف للاستفهام ومعناها هاهنا التنبيه، وليست ألف إنكار، وإنّما هي تنبيه وتوقيف. و «العجب» يجري على المصدر وعلى المتعجّب منه، كقولك: هذا أمر عجب، ولا يجوز العجب من أمر الله، لأنّه يجب أن يعلم أنّه قادر على كلّ شيء من الأجناس، لا يعجزه شيء، وما عرف سببه لا يُعجَب منه.

(١) الصافّات: ١٢٥. (٢) ذكرهنّ سيبويه في الكتاب: ج ٢ ص ٨٣ ـ ٨٦ عن أُستاذه الخليل.
(٣) في الحجريّة: خلّ.
(٤) كذا، ولم يذكر الرابع وهو على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا بعلي هو شيخ.

وقوله: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم﴾ يحتمل معنيَيْن: أحدهما: الدعاء لهم بالرحمة والبركة. الثاني: التذكير بنعمة الله وبركاته عليهم، والإخبار لهم بذلك.

وقوله: ﴿أهل البيت﴾ يدلّ على أنّ زوجة الرجل تكون من أهل بيته في قول الجُبّائي، وقال غيره: إنّما جعل سارة من أهل بيت إبراهيم لما كانت بنت عمّه على ما قال المفسّرون.

وقوله: ﴿إنّه حميد مجيد﴾ معناه: مستحمد إلى عباده، وقال أبو عليّ: يُحمِد المؤمنين من عباده. و «المجيد»: الكريم في قول الحسن، يقال: مَجُدَ الرجل يَمجُدُ مَجادَةً إذا كرم، قال الشاعر:

رَفَعْتُ مَجْدَ تَميمٍ ياهلالُ لَها ... رَفْعَ الطِرافِ على العَلْياء بالعَمَدِ

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه حين ذهب عن إبراهيم الروع وهو الإفزاع، يقال: راعَهُ يَرُوعُه رَوْعاً إذا أفزعه، قال عَنْتَرة:

ما راعَني إلّا حَمولَةُ أهلِها ... وَسْطَ الديارِ تَسُفُّ حَبَّ الخِمْخَمِ[1]

أي: ما أفزعني. وارتاعَ ارتياعاً: إذا خاف، و «الرُوع» بضمّ الراء: النفس، يقال: أُلْقِي في رُوعِي، وهو موضع المخافة. ﴿وجاءته البشرى﴾ يعني: بالولد ﴿يجادلنا﴾ وتقديره: جعل يجادلنا، فجواب ﴿لمّا﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه، لأنّ ﴿لمّا﴾ تقتضيه، والفعل خلف منه. وقال الأَخْفَش: ﴿يجادلنا﴾ بمعنى: جادلنا. وقال الزجّاج: يجوز أن يكون ذلك حكاية

---

(١) البيت من معلّقته المشهورة. راجع ديوان عنترة بن شدّاد: ص ٥٤.

حال حرف[١] وإلّا فالجيّد أن تقول: لمّا قام قمت، ولمّا جاء جئت، ويضعف أن تقول: لمّا قام أقوم، والتقدير في الآية: لمّا ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى أقبل يجادلنا، وأخذ يجادلنا.

وقوله: ﴿يجادلنا﴾ يحتمل معنيَيْن:

أحدهما: يجادل رسلنا من الملائكة في قول الحسن، الثاني: يسألنا في قوم لوط. والمعنى: أنّه يسأل الله، إلّا أنّه استغني بلفظ ﴿يجادلنا﴾ لأنّه حرص في السؤال حرص المجادل.

وقيل فيما به جادل ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الحسن: إنّه جادل الملائكة بأن قال لهم: ﴿إنّ فيها لوطاً﴾ [٢] كيف تهلكونهم؟ فقالت له الملائكة: ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه وأهله﴾ [٣].

الثاني: قال قَتادَة: إنّه سألهم: أتعذّبون خمسين من المؤمنين إن كانوا؟ قالوا: لا، ثمّ نزل إلى عشرة، فقالوا: لا.

الثالث: قال أبو عليّ: جادلهم ليعلم بأيّ شيء استحقّوا عذاب الاستئصال؟ وهل ذلك واقع بهم لا محالة أم على سبيل الإخافة ليرجعوا إلى الطاعة؟

قوله [تعالى]:

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ آية في الكوفي [والمدني] وهذا آخر الآية مع الأُولى في البصري[٤].

هذا إخبار من الله تعالى عن حال إبراهيم، ووصفه بأنّه كان أوّاهاً، وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

---

(١) في الحجريّة: «قد جرت» بدل «حرف». (٢ و ٣) العنكبوت: ٣٢.

(٤) يريد: لم يعدّ البصري هذه آيةً، بل عدّها مع الّتي قبلها آية واحدة.

أحدها: قال الحسن: الأوّاه: الرحيم. وقال مجاهد: هو الرجّاع. وقال الفرّاء: هو الدعّاء. وقال قوم[١]: هو المتأوّه. وقال قوم: هو الرجّاع[٢] المتأوّه خوفاً من العقاب، ولمثل ذلك حصل له الأمان لتمكّن[٣] الأسباب الصارفة عن العصيان. و «الحليم»: هو الّذي يمهل صاحب الذنب، فلايعاجله بالعقوبة.

وقيل: كان إبراهيم ذا احتمال لمن آذاه وخنى عليه، لا يتسرّع إلى المكافأة وإن قوي عليه. و «الأناة»: السكون عند الحال المزعجة عن المبادرة، وكذلك «التأنّي»: التسكّن عند الحال المزعجة من الغضب. ويوصف الله تعالى: بأنّه حليم من حيث لا يعاجل العُصاة بالعقاب الّذي يستحقّونه، لعلمه بما في العجلة من صفة النقص.

و «المنيب»: هو الراجع إلى الطاعة عند الحال الصارفة، ومنه قوله: ﴿وأنيبوا إلى ربّكم﴾[٤] والتوبة: الإنابة، لأنّها رجوع إلى حال الطاعة. وكون إبراهيم منيباً إلى طاعة الله لا يدلّ على أنّه كان عاصياً قبل ذلك، بل أنّه يفيد أنّه كان يرجع إلى طاعته في المستقبل وإن كان على طاعته أيضاً فيما مضى. وقال أبوعليّ: كان يرجع إلى الله في جميع أُموره ويتوكّل عليه.

قوله [تعالى]:

يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ آية بلاخلاف.

في هذه الآية حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام فإنّها نادته بأن

---

(١) منهم أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٧٠.

(٢) في الحجريّة: هو الوجّاع.

(٣) في الحجريّة: «لتمكين» بدل «لتمكّن».

(٤) الزُمَر: ٥٤.

قالت: ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ القول، و «الإعـراض»: الذهـاب عـن الشيء في جهة العرض، ويكون انصرافاً عنه بالوجه والفكـر. والإشـارة بقوله: ﴿عن هذا﴾ إلى الجدال، وتقديره: يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال في قوم لوط، لأنّ العذاب نازل بهم لا محالة.

وقوله: ﴿جاء أمر ربّك﴾ يحتمل أمرَيْن: أحدهما: جاء أمره لنا بالعذاب. والثاني: جاء إهلاكه بما لا مردّ له.

وقوله: ﴿غير مردود﴾ أي: غير مدفوع، و «الردّ»: إذهاب الشـيء إلى حيث جاء منه، تقول: رَدّه يَردُّه ردّاً فهو رادّ، والشـيء مـردود، و «الردّ» و«الدفع» واحد، ونقيضه: «الأخذ». والفرق بين «الدفع» و «الردّ»: أنّ الدفع قد يكون إلى جهة القدّام والخلف، والردّ لا يكون إلّا إلى جهة الخلف.

قوله [تعالى]:

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية إخبار من الله تعالى: أنّه ﴿لمّا جاءت﴾ رسله تعالى ﴿لوطاً سيء بهم﴾ معناه: ساءَهُ مجيؤهم، وأصله: سَوِئَ بهم، فنقلت حركة الواو إلى السين وقُلبت همزة، والضمير في ﴿بهم﴾ عـائد إلى «الرسـل». ويـجوز تخفيف الهمزة بإلقاء الحركة على ما قبلها، ومنهم من يشدّد على الشذوذ.

وقوله: ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ قال ابن‌عبّاس: سـاء بـقومه ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ [أي:] بأضيافه، وأنّه لمّا رأى لهم من جمال الصورة وقد دعوه إلى الضيافة، وقومه كانوا يسارعون إلى أمثالهم بالفاحشة، فضاق بـهم ذرعاً لهذه العلّة. والمعنى: أنّه ضاق بهم ذرعه يقال ضاق بأمره ذرعاً إذا لم يجد

من المكروه مخلصاً، وقيل: ضاق بحفظهم من قومه ذرعاً حيث لم يجد سبيلاً إلى حفظهم من فُجّار قومه.

والفرق بين «السوء» و «القبيح»: أنّ السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه، والقبيح ما ليس للقادر عليه أن يفعله.

وقوله: ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ حكاية ما قاله لوط في ذلك الوقت بأنّ هذا يوم شديد الشرّ، لأنّ «العصيب»: الشديد في الشرّ خاصّةً، كأنّه التفّ على الناس بالشرّ أو يكون التفّ شرّه بعضه ببعض، يقال: هذا يوم عَصِيب [وعصيصب] قال عَدِيٌّ بن زيد:

وكُنْتُ لِزازَ خصمِكَ لم أُعرِّدِ وقد سَلَكُوكَ في يومٍ عَصيبِ(١)

وقال الراجز:

يومٌ عَصيبٌ يَعْصِبُ الأبطَالا عَصْبَ القَويّ السُلّم الطِوالا(٢)

وقال آخر:

فإنّكَ إنْ لا تُرْضِ بَكْرَ بن وَائِلٍ يكنْ لكَ يومٌ بالعراقِ عَصيبُ(٣)

وقال كَعْبُ بن جُعَيْل:

ويُلبُّونَ بالحضيضِ قِيامٌ عارِفاتٌ منهُ بيومٍ عَصيبِ(٤)

قوله [تعالى]:

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٩٤. فيه: مُلِبّون بالحضيض فنام.
(٢) و (٣) أنشدهما أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٩٤.
(٤) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٥٠.

أخبر الله تعالى عن قوم لوط أنّهم حين أحسّوا بمن نزل بلوط وظنّوهم أضيافه جاؤوا لوطاً ﴿يهرعون﴾ أي: يسرعون، والإهراع: الإسراع في المشي[١] في قول مجاهد وقَتادَة والسُدّي، وإنّما أهرعوا لطلب الفاحشة لمّا أعلمتهم عجوز السوء ـ امرأة لوط ـ بمكان الأضياف، فقالت: ما رأيت أحسن وجوهاً، ولا أطيب ريحاً، ولا أنظف ثياباً[٢] منهم. وقال الشاعر:

بِمُعجَلاتٍ نَحوَهُ مَهارِعُ[٣]

وقال مُهَلْهَل:

فجاءوا يُهرَعُونَ وهم أُسارى نفورهُم[٤] على رَغْمِ الأنُوفِ[٥]

وقوله: ﴿ومن قبلكانوا يعملون السيّئات﴾ وهي إتيان الذكران في الأدبار يكنّى عنه فيالقرآن، [ومعناه: أنّهم كانوا قبل هذا المجيء يعملون ذلك][٦] وقيل: ﴿من قبل﴾[٧] ألقوا الفاحشة، فجاهروا بها ولم يستحيوا منها.

وقوله: ﴿قال يا قوم﴾ يعني: لوطاً لمّا رآهم همّوا بأضيافه عرض عليهم النكاح المباح، وأشار إلى نساءٍ فقال: ﴿هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم﴾ قال قَتادَة: كُنّ بناته لصلبه. وقال مجاهد: كنّ بنات أُمّته فكُنّ كالبنات له، فإنّ كلّ نبيٍّ أبو أُمّته، وأزواجه أُمّهاتهم، وهو أب لهم.

وقوله: ﴿فاتّقوا الله﴾ أمر من لوط لقومه بتقوى معاصي الله، وأن

---

(١) في الحجريّة: «والإسراع: الإهراع في الشيء».
(٢) في الحجريّة: «ولا أنطق ثنايا، لساناً خ ل».
(٣) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٥٠.
(٤) في لسان العرب: «يقودهم» ج ٨ (هرع).
(٥) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٥٠.
(٦) ما بين المعقوفتين لم يرد في الخطّيّة.
(٧) كذا في الخطّيّة والحجريّة.

لايفضحوه في أضيافه. وقـوله: ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ خـرج مـخرج الإنكار عليهم وإن كان لفظه لفظ الاستفهام. و«الرشيد» هو الّذي يعمل بما يدعوا إليه عقله، لأنّه يدعو إلى الحقّ، ومنه: الإرشاد في الطرق، فقال: أما منكم مَن يدعو إلى الحقّ ويعمل به؟ ونقيض «الرشد»: الغيّ.

ولا يجوز نصب «أطْهَر» في قول سيبويه وأكثر النحويّين، لأنّ الفصل إنّما يدخل مع الخبر ليؤذن بأنّه معتمد الفائدة دون ما هو زائد في الفائدة، أو على معنى الصفة، فلهذا لم يجر في الحال، وأجمعوا على أنّه لا يجوز «قَدِمَ زيدٌ هو ابنُك» إلّا بالرفع، ومَن أجازه فإنّما يجيزه مع المـبهم مـن «هذا» ونحوه تشبيهاً بخبر «كان». وقرأ الحسن وعيسى‌بن عمرو بالنصب.

وقيل في وجه عرض المُسْلِمَة على الكفّار قولان:

قال الحسن: إنّ ذلك كان جائزاً في شرع لوط، وفي صـدر الإسـلام أيضاً، ولذلك زوّج النبيّ ﷺ بنته من أبي‌العاص قبل أن يسلم، ثمّ نُسِخ بقوله: ﴿ولا تنكحوا المشركين حتّى يؤمنوا﴾ [١].

والثاني: قال الزجّاج: إنّ ذلك عرض بشرط أن يسلموا[٢] كـما هـو على شرط النكاح الصحيح. و «الضيف» يقع على الواحد والاثنين والجماعة.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ آية بلاخلاف.

هذا حكاية ما أجاب به قوم لوط حين عرض عليهم بناته ونهاهم عن الفواحش ودعاهم إلى النكاح المباح، بأن قالوا: ﴿ما لنا في بناتك من حقّ﴾ وقيل في معناه قولان:

---

(١) البقرة: ٢٢١.

(٢) في الحجريّة: «أن يؤمنوا عمّا هو على».

قال ابن إسحاق والجُبّائي: معناه: أنّهنّ لسن لنا بأزواج. والآخر: معناه ما لنا في بناتك من حاجة، فجعلوا تناول ما لا حاجة لهم فيه بمنزلة تناول ما لا حقّ لهم فيه. فمن قال بالأوّل ردّه على ظاهر اللفظ، ومن قال بالثاني حمله على المعنى.

وقوله: ﴿وإنّك لتعلم ما نريد﴾ تمام حكاية ما قالوه للوط، كأنّهم قالوا له: إنّك تعلم مرادنا من إتيان الذكران دون الإناث.

قوله [تعالى]:

قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ آية بلا خلاف.

هذه حكاية ما قال لوط عند إياسه من قبول قومه منه، بأنّه ﴿قال لو أنّ لي بكم قوّة﴾ ومعناه: أنّي لوقدرت على دفعكم وقويت على منعكم من أضيافي لحلت[1] بينكم وبين ما جئتم له من الفساد، وحُذِف الجواب لدلالة الكلام عليه.

وقوله: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾ معناه: لو كان لي من أستعين به في دفاعكم. وقيل[2]: معناه: لو كان لي عشيرة. قال الراجز:

يأوي إلى ركنٍ من الأركـانِ في عَدَدٍ طَيْسٍ ومجدٍ بانِ[3]

و «الركن»: معتمد البناء بعد الأساس، ورُكْنا الجبل: جانباه، وإنّما قال هذا القول مع أنّه كان يأوي إلى الله تعالى، لأنّه إنّما أراد العدّة من الرجال، وإلّا فله ركن وثيق من معونة الله ونصره، إلّا أنّه لا يصحّ التكليف إلّا مع التمكين والقوّة القدرة الّتي يصحّ بها الفعل، ويقال للعدّة من السلاح: قوّة،

---

(١) في الخطّيّة: «فحلت».

(٢) قاله الفرّاء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٤، وأبو عُبَيْدَة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٩٤.

(٣) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن المتقدّم ولم ينسبه لأحد.

كقوله: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة﴾ (١) والشدّة بجَمْعٍ يصعب معه التفكّك، وقد يكون الشدّة تقبّضاً يعسر (٢) معه التحلّل.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أهل الحجاز: ﴿فاسر﴾ و﴿أنِ اسْر﴾ (٣) بوصل الهمزة من «سَرَيْت» الباقون بقطعها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿إلّا امرأتُك﴾ بالرفع، الباقون بالنصب.

فحجّة من قرأ بقطع الهمزة قوله تعالى: ﴿سبحان الّذي أسرى بعبده﴾ (٤) ومن وصل الهمزة فالمعنى واحد.

يقال: أسرى يُسْرِي وسَرَى يَسْري فهو سارٍ ، لغتان بمعنىً واحد. والإسراء: سير الليل، قال امرؤ القَيْس:

سَرَيْتُ بِهم حتّى تَكِلَّ مَطِيُّهُم   وحتّى الجيادُ ما يُقَدْنَ بأرْسانِ (٥)

وقال النابغة:

أسْرَتْ عليهِ من الجَوْزاءِ سارِيةٌ   تُزْجِي الشَمال عليه جامد البَرَدِ (٦)

أخبر الله تعالى عمّا قالت الملائكة رسله للوط حين رأته (٧) كئيباً

(١) الأنفال: ٦٠.
(٢) في الحجريّة: بعقد يصعب معه.
(٣) الشعراء: ٥٢.
(٤) الإسراء: ١.
(٥) من قصيدة أنشدها وهو في طريقه لقيصر. راجع ديوان امرئ القيس: ص ١٧٥ وفيه: «مَطَوْت بهم».
(٦) من قصيدة يمدح الملك النعمان. راجع ديوان النابغة الذبياني: ص ٢١.
(٧) في الخطّيّة: قال الملائكة رسل الله اللوط حين رأوه.

بسببهم ﴿إنّا رسل ربّك﴾ بعثنا الله لإهلاك قومك، فلا تغتمّ، فإنّهم لا ينالونك بسوء ﴿فأسر بأهلك﴾ أي: امض ومعك أهلك بالليل.

وقوله: ﴿بقِطْعٍ من الليل﴾ و «القِطْع»: القطعة العظيمة تمضي من الليل. وقال ابن‌عبّاس: طائفة من الليل. وقيل: هو نصف الليل كأنّه قُطِع بنصفَيْن، ذكره الجُبّائي. وقيل[1]: معناه: في ظلمة الليل.

وقوله: ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد: لا ينظر وراءه أحد كأنّهم تعبّدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة.

والآخر: قال أبوعليّ: لايلتفت منكم أحد إلى ماله ولا متاعه بالمدينة، وليس المعنى: لا يلتفت من الرؤية، كأنّه أراد أنّ في الرؤية عبرة، فلم يُنْهوا عنها وإنّما نُهوا عمّا يفتّرهم عن الجدّ في الخروج من المدينة.

ومَن رفع ﴿امرأتك﴾ جعله بدلاً من قوله: ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ ومَن نصبه جعله استثناء من قوله: ﴿فأسر بأهلك﴾ كأنّه قال: فأسر بأهلك إلّا امرأتك، وزعموا أنّ في حرف[2] عبدالله أو أُبيّ: ﴿فاسر بأهلك بقطعٍ الليل إلّا امرأتك﴾ وليس فيه ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ [فهذا يقوّي قول من نصب، وإن جعله استثناء من قوله ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾][3] جاز النصب على ضعفه، والرفع الوجه.

وقيل: إنّ لوطاً عليه السلام لمّا عرف الملائكة أذِن لقومه في الدخول إلى منزله، فلمّا دخلوه طمس جبرائيل عليه السلام على أعينهم فعُمِيت، هكذا ذكره قَتادَة، وعلى أيديهم فجفّت حكاه أبو عليّ الجُبّائي.

---

(١) قاله الفرّاء والزجّاج في كتابيهما معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٤ وج ٣ ص ٦٨ على الترتيب.
(٢) في الحجريّة: في مصحف.
(٣) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الحجريّة.

وقوله: ﴿إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ معناه: أنّ موعد إهلاكهم عند الصبح، وإنّما قال: ﴿أليس الصبح بقريب﴾ لأنّه لمّا اقتضى عظيم ما قصدوا له من الفحش إهلاكهم فقالت الملائكة هذا القول تسليةً له.

وقيل[1]: إنّه قال لهم: أهلكوهم الساعة، فقالت الملائكة له: إنّ وقت إهلاكهم الصبح ﴿أليس الصبح بقريب﴾ ؟

قوله تعالى:

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَاهِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ آيتان بلا خلاف، تمام الآية الأُولى في المدني الأخير من قوله: ﴿سجّيل﴾ الباقون قوله: ﴿منضود﴾.

قيل في قوله: ﴿فلمّا جاء أمرنا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: جاء أمرنا الملائكة بإهلاك قوم لوط. الثاني: ﴿جاء أمرنا﴾ يعني: العذاب، كأنّه قيل: «كن» وعلى التعظيم وطريق المجاز، كما قال الشاعر:

فقالَتْ له العينانِ سمعاً وطاعةً وحدّرتا كالدُرّ لمّا يُثَقّب[2]

الثالث: أن يكون الأمر نفس الإهلاك، كما يقال: لأمر ما، أي: لشيءٍ ما. قال الرُمّاني: إنّما قال: ﴿أمرنا﴾ بالاضافة ولم يجز مثله في شيء، لأنّ في «الأمر» معنى التعظيم، فمن ذلك «الأمر» خلاف «النهي» ومن ذلك «الإمارة» و «التأمّر».

وقوله: ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ معناه: قلبنا القرية أسفلها أعلاها

---

(١) قاله حُذَيْفَة وسعيد. راجع تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٥٤ مسنداً عنهما.

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «قول» ولم ينسبه لأحد.

﴿وأمطرنا عليها﴾ يعني: أرسلنا على القرية حجارة بدل المطر حتّى أهلكتهم عن آخرهم. والإمطار: إحدار المطر من السماء.

وقوله: ﴿من سجّيل﴾ قيل في معنى «سجّيل» ثمانية أقوال:

أحدها: إنّها حجارة صلبة ليست من جنس حجارة الثلج والبرد. وقيل: هو فارسي معرّب «سَنگ» و «گل» ذكره ابنعبّاس وقَتادَة ومجاهد وسعيد بن جُبَيْر.

وقال الفرّاء: من طين قد طُبخ حتّى صار بمنزلة الرحا[1] ويقوّيه قوله: ﴿لنرسل عليهم حجارةً من طين﴾[2].

والثاني قال أبو عُبَيْدَة: إنّها شديدة من الحجارة، وأنشد لابن مُقْبِل:

ضَرْباً تَواصَى به الأبطالُ سِجّيناً

إلّا أنّ النون قُلِبَت لاماً. الثالث: من مثل «السَجيل»[3] في الإرسال، والسَجيل: الدَلْو، وقال الفضل بن العبّاس:

مَن يُساجِلْني يُساجِلْ ماجِداً ... يملأُ الدَلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ[4]

الرابع: من أسجلته إذا أرسلته، فكأنّه: مثل مايرسل فيسرعةالإرسال.

الخامس: منأسجلته أيأعطيته، فتقديره: مرسل منالعطيّة فيالإدرار.

السادس: من «السِجِلّ» وهو الكتاب، فتقديره: من مكتوب الحجارة، ومنه قوله: ﴿كلّا إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين * وما أدراك ما سجّين * كتاب مرقوم﴾[5] وهي حجارة كتب الله أن يعذّبهم بها، اختاره الزجّاج.

السابع: «من سجّين» أي: من جهنّم، ثمّ أُبدلت النون لاماً. الثامن: قال

---

(١) في المصدر والخطّيّة: «الأرحاء». (٢) الذاريات: ٣٣.

(٣) كذا في الموضعين، وفي اللسان: السَجْل: الدَلْو الضخمة المملوءة ماءً، والجمع: سِجَال وسُجُول. (٤) أنشده الطبري في تفسيره: ج١٢ ص٥٧. (٥) المطفّفين: ٧ ـ ٩.

ابن زيد: من السماء الدنيا، وهي تسمّى سجِّيلاً.

ومعنى ﴿منضود﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: قال الربيع: نُضد بعضه على بعض حتّى صار حجراً. وقال قَتادَة: مصفوف في تتابع، وهو من صفة ﴿سجّيل﴾ فلذلك جرّه.

وقوله: ﴿مسوّمة﴾ يعني: المعلمة، وذلك أنّه جعل فيها علامات تدلّ على أنّها معدّة للعذاب فأُهلكوا بها، قال قَتادَة: كانوا أربعة آلاف ألف[1]. وقيل: إنّها كانت مخطّطة بسواد وحُمْرة، ذكره الفرّاء، فتلك تعليمها. و نصب ﴿مسوّمةً﴾ على الحال من «الحجارة». وقوله: ﴿عند ربّك﴾ معناه: في خزائنه الّتي لا يتصرّف في شيء منها إلّا بإذنه، فإذا أمر المَلَك أن يمطرها على قومٍ فعل ذلك بإذنه. وأصل «المسوّمة» من «السيماء» وهي العلامة، وذلك أنّ الإبل السائمة تختلط في المرعى، فيُجعل عليها السيماء لتمييزها.

وقوله: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّ مثل ذلك ليس ببعيد من ظالمي قومك يا محمّد، أراد به إرهاب قريش. وقال أبو عليّ: ذلك لا يكون إلّا في زمان نبيّ أو عند القيامة، لأنّه معجز.

والثاني: قال: ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ يعني: من قوم لوط أنّها لم تكن تخطئهم. وقال مجاهد: إنّ جبرائيل عليه السلام أدخل جناحه تحت الأرض السُفلى من قوم لوط ثمّ أخذهم بالجناح الأيمن فأخذهم مع سرحهم ومواشيهم، ثمّ رفعها إلى سماء الدنيا حتّى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثمّ قلبها، فكان أوّل ما سقط منها شِرافَها، فذلك قول الله تعالى: ﴿فجعلنا

---

(١) في الحجريّة: «أربعة ألف ألف».

عاليها سافلها﴾ قال السُدّي: وهو قوله: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾[١]. وإنّما أمطر الله عليهم الحجارة بعد أن قُلِبَت قريتهم تغليظاً للعذاب وتعظيماً له. وقيل: قُتِل بها مَن كان بقي حيّاً. وقرية قوم لوط يقال لها: «سدوم» بين المدينة والشام. وقيل: إنّ إبراهيمعليه‌السلام كان يشرف عليها فيقول: سدوم يوماً مالَكِ.

قوله [تعالى]:

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَاتَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه أرسل شُعَيْباً ـ أخا مَدْيَن ـ إليهم نبيّاً، وإنّما سمّاه أخاً لهم لأنّه كان من نسبهم، وقيل: إنّهم من ولد مَدْيَن بن إبراهيم. وقيل: إنّ مَدْيَن اسم القبيلة أو المدينة الّتي كانوا فيها، في قول الزجّاج. فعلى هذا يكون التقدير: وإلى أهل مَدْيَن أخاهم، كما قال: ﴿واسأل القرية﴾[٢] فقال لهم شُعَيْب: ﴿يا قومِ اعبدوا الله﴾ وحده لا شريك له، فإنّه ليس ﴿لكم﴾ إله يستحقّ العبادة سواه، ونهاهم أن يبخسوا الناس فيما يكيلونه لهم ويزنونه لهم، وقال لهم: ﴿إنّي أراكم بخير﴾ يعني: برُخْص السعر، وحذّرهم الغلاء، في قول ابن‌عبّاس والحسن. وقال قَتادَة وابن زيد: أراد بالخير زينة الدنيا والمال. وقال لهم: ﴿إنّي أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾ يعني: يوم القيامة، لأنّه يحيط عذابه بجميع الكفّار في قول الجُبّائي، فوصف اليوم بالإحاطة، وهو من نعت «العذاب» في الحقيقة، لأنّ «اليوم» محيط بعذابه بدلاً من إحاطته بنعيمه، وذلك أظهر في الوصف وأهول في النفس.

---

(١) النجم: ٥٣.

(٢) يوسف: ٨٢.

و «النقصان»: أخذ الشيء عن المقدار، و «الزيادة»: ضمّ الشـيء إلى المقدار، وكلّه خروج عن المقدار أو نقصه عنه. و «الوزن»: تعديل الشيء بغيره في الخفّة والثقل بآلة التعديل. وإذا قيل: شِعر موزون، معناه: معدّل بالعروض.

قوله [تعالى]:

وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَاتَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَاتَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ آية بلا خلاف.

وهذا أيضاً حكاية ما قـال شُـعَيْب لقـومه، وأنّـه أمـرهم أن يـوفوا ﴿المكيال والميزان بالقسط﴾ يـعني: بـالعدل والسـويّة ﴿ولاتبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي: لاتنقصوهم ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي: لا تضطربوا بالقبيح، يقال: عَثِيَ يَعْثي عثىً، وعاثَ يَعِيثُ عَيْثاً، بمعنىً واحد.

و «الوفاء»: تمام الحقّ، و «الإيفاء»: إتمامه، يقال: وَفَى يَفِي وأَوْفـى لغتان. ونقيض «الوفاء»: البخس. والفرق بين «البـخس» و «الظـلم»: أنّ «الظلم» أعمّ، لأنّ «البخس» نقصان الحقّ اللازم، وقد يكون «الظلم» الألم بغير حقّ.

قوله [تعالى]:

بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ آية بلاخلاف.

«البقيّة»: تركة شيء من شيءٍ قد مضى، والمعنى: بقيّة الله من نِـعَمِه. وقيل: ﴿بقيّة الله﴾ طاعة الله ـ في قول الحسن ومجاهد ـ لأنّه يبقى ثوابها أبداً، وكانت هذه البقيّة خيراً من تعجيلهم النـفع بـالبخس فـي المكـيال والميزان. وإنّما شرط أنّه خير بالإيمان في قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ وهو خير على كلّ حال، لأنّهم إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحّته، ووجه آخر:

أنّ المراد: إن كنتم مؤمنين فهو ثابت.

وقوله: ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ معناه هاهنا: أنّ هذه النعمة الّتي أنعمها الله عليكم لست أقدر على حفظها عليكم، وإنّما يحفظها الله عليكم إذا أطعتموه، فإن عصيتموه أزالها عنكم. وقال قوم: ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ عليكم كيلكم ووزنكم حتّى توفوا الناس حقوقهم ولا تظلموهم، وإنّما عليَّ أن أنهاكم عنه.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَايَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَانَشَـٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴿٨٧﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر: ﴿أصلاتك﴾ على التوحيد، الباقون على الجمع.

هذا حكاية ما قال قوم شُعَيْب لهعليه السلام حين نهاهم عن بخس المِكْيال والميزان وأمرهم بإيفاء الحقوق: ﴿يا شعيب أصلواتك[1] تأمرك﴾ بهذا. قال الحسن: وأراد بالصلاة الدين، أي: أدينُك تأمرك. وقال الجُبّائي: يريد: ماكانوا يرونه من صلاته لله وعبادته إيّاه، وإنّما أضاف ذلك إلى الصلاة لأنّها بمنزلة الأمر بالخير والناهي عن الشرّ. وقيل: أدينُك، على ما حكيناه عن الحسن.

وقوله: ﴿أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ كرهوا الانتقال عن دين آبائهم، ودخلت عليهم شبهة بذلك، لأنّهم كانوا يعظّمون آباءهم وينزّهونهم عن الغلط في الآراء[2] فقالوا: لو لم يكن صواباً ما فعلوه وإن خفي عنّا وجهه!

وقوله: ﴿إنّك لأنت الحليم الرشيد﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّهم قالوا ذلك على وجه الاستهزاء، في قول الحسن وابن جُرَيْج

---

(١) في الحجريّة: أصلاتك.

(٢) في الحجريّة: الأمر.

وابن زيد. والآخر: إنّهم أرادوا: أنت الحليم الرشيد عند قومك، فلايليق هذا الأمر بك. وقال المؤرّج: ﴿الحليم الرشيد﴾ معناه: الأحمق السفيه بلُغَة هُذَيْل. والحليم: الّذي لا يعاجل مستحقّ العقوبة بها، والرشيد: المرشد.

قال الزجّاج: ﴿أو أن نفعل﴾ موضع ﴿أن﴾ نصب، المعنى: أو تأمرك أن نترك أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ والمعنى: أنّا قد تراضينا بالبخس فيما بيننا.

وقال الفرّاء: معناه: أتأمرك أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء، فـ﴿أن﴾ مردودة[1] على ﴿نترك﴾ ووجه آخر وهو: أن يجعل الأمر كالنهي، كأنّه قال: أصلاتك تأمرك بذا وتنهانا عن ذا، فهي حينئذٍ مردودة على ﴿أن﴾ الأُولى لا إضمار فيه، كأنّك قلت: تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء، كما تقول: أضرِبُك أن تُسيء، كأنّه قال: أنهاك بالضرب عن الإساءة، ويُقرأ:﴿أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء﴾[2].

والّذي نقوله: إنّ قوله: ﴿أن نفعل﴾ ليس بمعطوف على ﴿أن﴾ الأُولى، وإنّما هو معطوف على ﴿ما﴾ وتقديره: أو بترك فعل ما نشاء في أموالنا، وليس المعنى: أصلاتك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء، لأنّه ليس بذلك أمرهم.

و ﴿الرشيد﴾ معناه: رشيد الأمر، في أمره إيّاهم أن يتركوا عبادة الأوثان. وقيل: إنّ قوم شُعَيْب عُذِّبوا في قطع الدراهم وكسرها وحذفها.

قوله [تعالى]:

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ

---

(١) أراد: متعلّقة بـ﴿نترك﴾ لا بـ﴿تأمر﴾.

(٢) نسبها ابن خالويه في مختصره: ص ٦٥ إلى عليّ عليه السلام والضحّاك.

أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ آية بلا خلاف.

جواب ﴿إن﴾ في الآية محذوف، والتقدير: يا قوم إن كنت على حجّة ودلالة من ربّي، ومع ذلك رزقني منه رزقاً حسناً، وإنّما وصفه بأنّه حسن مع أنّ جميع رزق الله حسن لأمرَيْن:

أحدهما: أنّه أراد بحسن موقعه لجلالته وعظمته. والثاني: أنّه أراد ماهو عليه على وجه التأكيد. وقيل[1]: إنّ الرزق الحسن هاهنا النبوّة. وقال البلخي: معناه: الهدى والإيمان، لأنّهما لا يوصل إليهما إلّا بدعائه وبيانه ومعونته ولطفه،أفأعدل عمّا أنا عليه من عبادته مع هذه الحال الداعية إليها؟! وإنّما حذف لدلالة الكلام عليه. و «الرزق»: عطاء الخير الجاري في حكم المعطي، والعطيّة الواصلة من الإنسان: رزق من الله وصلة من الإنسان، لإدرار الخير على العبد في حكمه.

وقوله: ﴿وما أُريد أن أُخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: ليس نهيي لكم لمنفعة أجترّها إلى نفسي بما تتركون من منع الحقوق.

والثاني: أنّي لا أنهاكم عن القبيح وأفعله مثل من ليس بمستبصر في أمره، كما قال الشاعر:

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأْتيَ مِثْلَهُ عارٌ عليكَ إذا فَعَلْتَ عَظيمُ[2]

وقوله: ﴿إن أُريد إلّا الإصلاح﴾ معناه: لست أُريد بما آمركم به وأنهاكم

---

(١) قاله ابن عيسى. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٤٩٧.

(٢) المشهور أنّه لأبي الأسود الدُؤلي من قصيدة يتناقلها الأُدباء. راجع خزانة الأدب للبغدادي: ج ٨ ص ٥٦٤ وما بعده.

عنه إلّا إصلاح أمركم وحالكم ما قدرت عليه.

وقوله: ﴿وما توفيقي إلّا بالله﴾ والتوفيق: عبارة عن اللطف الّذي تقع عنده الطاعة، وذلك[١] بحسب ما يعلم الله تعالى، [وإنّما لم يكن الموفّق للطاعة إلّا الله لأنّ أحداً لا يعلم ما يتّفق عنده الطاعة][٢] ـ من غير تعليم ـ سواه تعالى.

وقوله: ﴿عليه توكّلت﴾ معناه: على الله [توكّلت و] فوّضت أمري إليه على وجه الرضا بتدبيره مع التمسّك بطاعته.

﴿وإليه أُنيب﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد: إليه أرجع. و [الثاني] : قال الحسن: إليه أرجع بعملي ونيّتي، أي: أعمل أعمالي لوجه الله.

قوله [تعالى]:

﴿وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال شُعَيْب لقومه حين لم يقبلوا أمره ونهيه: ﴿يا قوم لا يجرمنّكم﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الحسن وقَتادَة: لا يحملنّكم. وقال الزجّاج: معناه: لا يكسبنّكم، كأنّه قال: لا يقطعنّكم إليه بحملكم عليه.

و «الشقاق» و «المشاقّة»: المباعدة بالعداوة إلى جانب المباينة وشقّها، وكان سبب هذه العداوة دعاؤه لهم إلى مخالفة الآباء والأجداد في عبادة الأوثان، وما يثقل عليهم من الإيفاء في الكيل والميزان.

وقوله: ﴿أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح﴾

---

(١) في الخطّيّة: وليس ذلك جنساً بل.

(٢) ما بين المعقوفتين، لم يرد في الخطّية.

قيل: أهلك الله قوم نوح بالغرق، وقوم هود بالريح العقيم، وقوم صالح بالرجفة، وقوم لوط بالائتفاك، فحذّرهم شُعَيْب أن يصيبهم مثل ذلك.

وقوله: ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قريب منكم في الزمان الّذي بينهم وبينكم، في قول قَتادَة.

والآخر: إنّ دارهم قريبة من دارهم فيجب أن يتّعظوا بهم.

قوله [تعالى]:

وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية حكاية ما قال شُعَيْب أيضا لقومه بعد تحذيره إيّاهم عذاب الله، وحثّهم على أن يطلبوا مغفرة الله ثمّ يرجعوا إلى طاعته، وأخبرهم أنّ الله رحيم بعباده، يقبل توبتهم ويعفو عن معاصيهم، وودود لهم أي: محبّ لهم، ومعناه: مريد لمنافعهم.

وقيل في معنى ﴿استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه﴾ قولان:

أحدهما: اطلبوا المغفرة من الله بأن يكون غرضكم، ثمّ توصّلوا إليها بالتوبة. الثاني: استغفروا ربّكم ثمّ أقيموا على التوبة. ووجه ثالث: أنّ معناه: استغفروا ربّكم على معاصيكم الماضية ثمّ ارجعوا إليه بالطاعات في المستقبل.

و «المودّة» على ضربَيْن: أحدهما: بمعنى المحبّة، تقول: وددت الرجل إذا أحببته. الثاني: وددت الشيء إذا تمنّيته، أودّ فيهما مودّة وأنا وادّ، والودود: المحبّ لا غير.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية حكاية ما أجاب به قوم شُعَيْب له عليه السلام فقالوا له حين سمعوا منه الوعظ والتخويف: لسنا نفقه أي: لسنا نفهم عنك معنى كلامك. و «الفقه»: فهم الكلام على ما تضمّن من المعنى، وقد صار علماً لضربٍ من علوم الدين، فصار الفقه عبارة عن علم مدلول الدلائل السمعيّة، وأُصول الدين علم مدلول الدلائل العقلية.

وقوله: ﴿وإنّا لنراك فينا ضعيفاً﴾ قيل في معناه أربعة أقوال:

قال الحسن: معناه: مهيناً. وقال سُفْيان: معناه: ضعيف البصر. وقال سعيد بن جُبَيْر وقَتادَة: كان أعمى. قال الزجّاج: ويسمّى الأعمى بلغة حِمْيَر ضعيفاً. وقال الجُبّائي: معناه: ضعيف البدن.

وقوله: ﴿ولولا رهطك﴾ فالرَهْط: عشيرة الرجل وقومه، وأصله: الشدّ، و «الترهيط»: شدّة الأكل، ومنه: «الراهِطاء» جُحْر اليربوع، لشدّته وتوثيقه ليخبّئ فيه ولده.

وقوله: ﴿لرجمناك﴾ فالرجم: الرمي بالحجارة، والمعنى: لرميناك بالحجارة. وقيل[1]: معناه: لَسَبَبْناك.

﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي: لست علينا بمنيع[2] فلا نقدر عليك بالرجم، ولا أنت تكرم[3] علينا، وإنّما نمتنع[4] لمكان عشيرتك، وعشيرته كانوا على دينه.

قوله تعالى:

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ آية.

---

(١) قاله الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٦٤.

(٢) في الحجريّة: «ممتنع» بدل «بمنيع».

(٣) في الحجريّة: بكريم.

(٤) في الحجريّة: «تمتنع» بدل «نمتنع».

هذا حكاية ما قال شُعَيْب لقومه حين قالوا له: ﴿لولا رهطك لرجمناك﴾: يا قوم أعشيرتي وقومي ﴿أعزّعليكم من الله﴾ والأعزّ: الأقْوَى الأمْنَع، و«الأعزّ» نقيض «الأذلّ» و «العزّة» نقيض «الذلّة» و «العزيز» نقيض «الذليل».

وقوله: ﴿واتّخذتموه وراءكم ظهريّاً﴾ فالاتّخاذ: أخذ الشيء لأمرٍ يستمرّ في المستأنف، كاتّخاذ البيت واتّخاذ المركوب، و «الظِهْري»: جعل الشيء وراء الظهر، قال الشاعر:

وَجَدْنا بَني البَرْصاءِ من وَلَدِ الظَهْرِ (١)

وقال آخر:

تَميمَ بن قَيْسٍ لا تَكُونَنّ حاجَتي
بظَهْرٍ ولا يَعْيا عليَّ جَوابُها(٢)

وقيل فيما تعود الهاء إليه من قوله: ﴿اتّخذتموه﴾ ثلاثة أقوال:

فقال ابن‌عبّاس والحسن: إنّها عائدة إلى الله. وقال مجاهد:هي عائدة على ما جاء به شُعَيْب. وقال الزجّاج:هي عائدة على أمر الله.

وقوله: ﴿إنّ ربّي بما تعملون محيط﴾ قيل في معناه هاهنا قولان: أحدهما: إنّه مُحْصٍ لأعمالكم لا يفوته شيء منها. الثاني: إنّه خبير بأعمال العباد ليجازيهم بها، ذكره الحسن. قال سُفْيان: كان شُعَيْب خطيب الأنبياء.

قوله [تعالى]:

وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ

---

(١) أنشده في اللسان: مادّة «ظهر» ونسبه إلى أرْطاة بن سُهَيّة.

(٢) للفرزدق من قصيدة يجيب امرأةً في حاجة لها بشأن ولدها. راجع ديوان الفرزدق: ج١ ص١٤٤.

يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ آية بلا خلاف.

فقال لهم شُعَيْب أيضاً: ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ والمكانة: الحال الّتي يتمكّن بها صاحبها من عملٍ، فقال لهم: قد مُكِّنتم في الدنيا من العمل، كما مكّن غيركم ممّن عمل بطاعة الله، وسترون منزلتكم من منزلته. وهذا الخطاب وإن كان ظاهره ظاهر الأمر فالمراد به التهديد، وتقديره: كأنّكم إنّما أُمرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر والعصيان، وفي هذا نهاية الخزي والهوان.

وقوله: ﴿سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ معناه: أنّكم تعلمون في المستقبل من يحلّ به العذاب الّذي يخزيه أي: يفضحه ويذلّه، وهو أشـدّ من العذاب الّذي لا يفضح.

﴿ومن هو كاذب﴾ أي وتعرفون من [هو] الكاذب منّي ومنكم.

وقوله: ﴿وَٱرتقِبوا﴾ معناه: انتظروا ما وعدتكم به من العـذاب، يـقال: رَقَبَه يَرْقُبُه رُقُوباً، وٱرْتَقَبه ٱرتِقاباً، وتَرَقَّبه تـرَقُّباً ﴿إنّي معكم رقيب﴾ أي: منتظر لنزول ذلك بكم.

وموضع ﴿من يأتيه﴾ إن جعلت ﴿مَن﴾ بمعنى «الّذي» نصب، وقوله: ﴿ومن هو كاذب﴾ عطف عليه، وإن جعلتها للاستفهام كان موضعها الرفع، ذكره الفرّاء. وأدخلوا ﴿هو﴾ في قوله: ﴿ومن هو﴾ لأنّهم لا يقولون: مَـن قائم؟ ولا من قاعد؟ وإنّما يقولون: مَن قام؟ ومَن يقوم؟ أو مَن القائم؟ فلمّا لم يقولوا إلّا بمعرفة أو «بفعل» أدخلوا «هو» مع «قائم» ليكونا جميعاً في مقام «فعل» و «يفعل» لأنّهما يقومان مقام اثنين، وقد ورد في الشعر «مَن قائم؟» قال الشاعر:

مَن شارِب مُرْبِحٌ[١] بالكَأْسِ نادَمَني

لا بـالحَصُورِ ولا فِـيها بِسَـوّارِ[٢]

قال الفرّاء: وربما خفضوا بعدها، فيقولون: مِنْ رجلٍ يتصدّق؟ على تأويل: هل مِن رجلٍ؟

قوله [تعالى]: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه لمّا جاء أمر الله بإهلاك قوم شُعَيْب، وقد بيّنّا معناه فيما مضى[٣] ﴿نجّينا شعيباً﴾ أي: خلّصناه، ونجّينا ﴿معه﴾ من كان مؤمناً من قومه ﴿برحمة﴾ من جهته تعالى. ويجوز أن يكون في نجاة شُعَيْب ومَن آمن معه لطف لمن سمع بأخبارهم فيؤمن، كما أنّه متى كان في نجاة الظالمين لطف وجب تخليصهم، وكذلك إن كان المعلوم من حال الكافر أنّه يؤمن فيما بعد وجب تبقيته، عند أبي عليّ ومَن وافقه، وعند قوم آخرين: لا يجب.

وقوله: ﴿وأخذت الّذين ظلموا الصيحة﴾ أنّث الفعل هاهنا لأنّه ردّه إلى «الصيحة» وفيما قبل[٤] ذكّر لأنّه ردّه إلى «الصياح».

وقوله: ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ قال الجُبّائي: معناه: منكبّين على وجوههم. وقال قوم: الجثوّ على الركب. وقال قوم: معناه: خامدين موتى. قال البلخي: يجوز أن تكون الصيحة صيحةً على الحقيقة، كما

---

(١) كذا في الخطّيّة والحجريّة، لكن في ديوان الأخطل: «واو» بدل «مَن».

(٢) للأخطل من قصيدة يمدح بني أُميّة في إنفاقهم الأموال في شرب الخمرة وصناعتها! راجع ديوان الأخطل: ص ٢٠.

(٣) في تفسيره للآية: ٨٥ ـ ٩٣ من الأعراف.

(٤) الآية: ٦٧ المتقدّمة.

روي: أنّ الله تعالى أمر جبرائيل فصاح بهم صيحةً ماتوا كلّهم من شدّتها. ويجوز أن يكون ضرباً من العذاب أهلكهم واصطلمهم، تقول العرب: صاح الزمان بآل فلان إذا هلكوا، قال امرؤ القَيْس:

دَعْ عنكَ نَهْباً صِيحَ في حَجَراتِهِ
ولكِنْ حديث ما حَديثُ الرَاوحِلِ[١]

معنى «صِيحَ في حَجَراتِه» أي: أُهلِك وذهب به.

قوله [تعالى]:

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ آية بلا خلاف.

شبّه الله تعالى هلاك قوم شُعَيْب وانقطاع آثارهم منها بحالهم لو لم يكونوا فيها، ويقال: غَنِيَ بالمكان إذا أقام به على وجه الاستغناء به عن غيره، واتّخاذه وطناً ومأوىً يأوي إليه، ولذلك قيل للمنازل: المغَاني، وإنّما شبّه حالهم بحال ثمود خاصّةً لأنّهم أُهلكوا بالصيحة كما أُهلكت ثمود مثل ذلك مع الرجفة.

وقوله: ﴿ألا بُعْداً لمدين﴾ دعاء عليهم بانتفاء الرحمة عنهم كما أهلك الله تعالى ثمود فلم يرحمهم، وجعل انتفاء الرحمة بُعْداً من الرحمة لأنّه أظهر فيما يتصوّر، فكأنّهم يرونها حسرةً لا تصل إليهم منها منفعة لما يحصلون عليه من مضرّة الحسرة.

و ﴿كأَنْ﴾ هذه يحتمل أن تكون مخفّفة من الثقيلة على أن يضمر فيها، كالإضمار في ﴿أن﴾ من قوله: ﴿وآخر دعواهم أنِ الحمد لله ربّ العالمين﴾[٢]

---

(١) من قصيدة يهجو خالداً السدوسي لمّا أخذ بنو جديلة إبله. راجع ديوان امرئ القيس: ص ١٤٦.

(٢) يونس: ١٠.

ويجوز أن تكون «أن» الّتي تنصب الفعل بمعنى المصدر. و «بَعِدَت» و«بَعُدَت» بالكسر والضمّ لغتان، وكانت العرب تذهب بالرفع إلى التباعد، وبالكسر إلى الدعاء، وهما واحد، وقرأ أبو عبدالرحمن السُلَميّ: ﴿كما بَعُدَت﴾ بضمّ العين، و ﴿أَلَا﴾ حرف تنبيه ﴿بُعْداً﴾ نصب على المصدر، وتقديره: ألا أهلكهم الله فبَعدوا بُعْداً.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ آيتان بلا خلاف.

أخبر الله تعالى وأقسم أنّه أرسل موسى نبيّاً بالآيات، وهي الحجج والمعجزات الدالّة على نبوّته ﴿وسلطان مبين﴾ أي: حجّة ظاهرة مخلصة من تلبيس وتمويه، على أتمّ ما يمكن فيه.

و«السلطان» و«الآيات» وإنكان معناهما الحجج فإنّما عطف إحداهما علىالأُخرى لاختلاف اللفظ، ولأنّ معناهما مختلف، لأنّ «الآيات» حجج من وجه الاعتبار العظيم بها، و «السلطان» من جهة القوّة العظيمة على المبطل، وكلّ عالم له حجّة يقهر بها [شُبهةَ] مَن نازعه من أهل الباطل بشبهة فله سلطان. وقد قيل: إنّ سلطان الحجّة أنفذ من سلطان المملكة، والسلطان متى كان محقّاً حجّة وجب اتّباعه، وإذا كان بخلافه لايجب اتّباعه. وقال الزجّاج: سُمّي السلطان سلطاناً لأنّه حجّة الله في أرضه، واشتقاقه من «السليط» وهو ممّا يُستضاء به، ومنذلك قيلللزيت: السَليط.

وقوله: ﴿إلى فرعون وملائه﴾ معناه: أنّه أرسل موسى إلى فرعون وأشراف قومه الّذين تملأ الصدور هيبتهم.

وقوله: ﴿فاتّبعوا أمر فرعون﴾ فالاتّباع: طلب الثاني للتصرّف بتصرّف الأوّل في أيّ جهةٍ أخذ، و «الأمر» هو قول القائل لمن دونه: إفعل. وفيه إخبار أنّ قوم فرعون اتّبعوه على ما كان يأمرهم به. ثمّ أخبر تعالى أنّ أمر فرعون لم يكن رشيداً. و «الرشيد»: هو الّذي يدعو إلى الخير ويهدي إليه، فأمر فرعون كان بضدّ هذه الحال، لأنّه يدعو إلى الشرّ ويصدّ عن الخير.

واستدلّ قوم بهذه الآية على أنّ لفظة «الأمر» مشتركة بين القول والفعل[1] لأنّه قال: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ يعني: وما فعل فرعون برشيد. وهذا ليس بصحيح، لأنّه يجوز أن يكون أراد بذلك الأمر الّذي هو القول، أو يكون مجازاً.

قوله [تعالى]:

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ آية بلاخلاف.

هذا إخبار من الله تعالى: أنّ فرعون يوم القيامة ﴿يقدُم قومه﴾ ومعناه: يمشي على قدمه يقودهم إلى النار، ولو قال: «يسبق» لجاز أن يوجده الله عزّ وجلّ قبلهم في النار، و ﴿القيامة﴾ هو وقت قيام الناس من قبورهم للجزاء والحساب بأعمالهم.

وقوله: ﴿فأوردهم النار﴾ معناه: أوجب ورودهم إلى النار، و «الإيراد»: إيجاب الورود إلى الماء أو ما يقوم مقامه، قال أبو عليّ: إنّما لم يقل: يوردهم النار، لأنّه ذكره ليوم القيامة أنّه يقدمهم فيه يدلّ على أنّه فعل مستقبل، فأجرى الماضي مجرى المستقبل لدلالة الكلام عليه.

وقوله: ﴿وبئس الورد المورود﴾ قال أبو عليّ: إنّه مجاز، والمعنى: بئس

---

(١) وممّن ذهب إليه صاحب مجمع البيان.

وارد النار. وقال البلخي: بل هو حقيقة، لأنّه تعالى وصف النار بأنّها بئس الورد المورود، وهي كذلك. و «الوِرْد»: الماء الّذي ترده الإبل، و «الوِرْد»: الإبل الّتي ترد الماء، و «الوِرْد»: ما يجعله عادة لقراءة وتلاوة للقرآن. و «الوِرْد»: ورد الحُمّى، كل ذلك بكسر الواو، وحكي[١] عن ابن‌عبّاس: أنّ الوِرْد الدخول. والمعنى: أنّ ما وردوه من النار هو المورود، وبئس الوِرْد لمن ورده، ويقال: إنّهم إذا وردوه، وردوه عطاشاً فيردون على الحميم والنيران، ولا يزيدون بذلك إلّا عذاباً وعطشاً. وإنّما وصف بأنّه «بئس» وإن كان عدلاً حسناً لِمَا فيه من الشدّة مجازاً.

قوله [تعالى]:

وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ آية بلا خلاف.

معنى قوله: ﴿وأُتبعوا في هذه لعنة﴾: أنّ الله لعنهم والملائكة والمؤمنون، فاختصر على وجه ذكر ما لم يسمّ فاعله، لأنّ الإيجاز لا يخلّ بهذا المعنى. و «اللعن» من العباد: الدعاء والمسألة لله تعالى بالإبعاد من الرحمة، في قولهم: لعنه الله. و «الذمّ»: الوصف بالقبيح على وجه التحقير.

ومعنى الآية: أنّهم كيف تصرّفوا وحيث كانوا فاللعنة تتبعهم، و«اللعنة» من الله: الإبعاد من رحمته بأن يحكم بذلك، فمن لعنه الله فقد حكم بإبعاده من رحمته وأنّه لا يرحمه.

وقوله: ﴿ويوم القيامة بئس الرفد﴾ والرِفْد: العون على الأمر، وإنّما قيل هاهنا: «رفد» لأنّ اللعنة جُعِلَت بدلاً من الرَفْد بالعطيّة، ويقال: رَفَدَه وهو يَرْفِدُه رَفْداً ورِفْداً بفتح الراء وكسرها. قال الزجّاج: كلّ شيء جعلته عوناً

---

(١) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٦٦ مسنداً.

لشيء وأسندت به شيئاً فقد رَفَدْته، يقال عَمَدْتُ الحائط ورَفَدْتُه بمعنىً واحدٍ، و«الرفد»: القدح العظيم. ورُوِيَ بفتح الراء في الآية، وهي لغة شاذّة.

قوله [تعالى]:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١٠٠﴾ آية بلا خلاف.

قوله: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى النبأ، كأنّه قال: ذلك النبأ من أنباء القرى، وقد تقدّم ذكره، ثمّ وقعت الإشارة إليه. و«الأنباء» جمع «نبأ» كالأخبار جمع «خبر» إلّا أنّه لا يقال: «نبأ» إلّا في خبر عظيم، يقال: لهذا الأمر نبأ أي: خبر عظيم.

وقوله: ﴿نقصّه عليك﴾ فالقصص: الخبر عن الأمور الّتي يتلو بعضها بعضاً، يقال: قَصَّ قَصَصاً، وهو يقُصُّ أثَره أي: يتّبع أثره، ويقتصّ[1] منه أي: يتبعه بجنايته.

وقوله: ﴿منها قائم وحصيد﴾ فالقائم: المعمور، و «الحصيد»: الخراب من تلك الديار، لأنّ الإهلاك قد أتى عليها ولم تعمر فيما بعد، وقيل[2]: ﴿منها قائم﴾ على بنائه وإن كان خالياً من أهله. و «الحَصْد»: قطع الزرع من الأصل، فالحصيد منهم كالزرع المحصود، وحَصَدَهم بالسيف إذا قتلهم.

قوله [تعالى]:

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝١٠١﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه بما فعله بالأمم الّتي أهلكها لم يظلم أحداً منهم ﴿ولكن ظلموا﴾ هم ﴿أنفسهم﴾ بأن ارتكبوا المعاصي الّتي استحقّوا بها

---

(١) في الحجريّة: «اقتصّ» بدل «يقتصّ».

(٢) قاله الفرّاء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٧، والطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٦٧.

الهلاك، فكان ذلك ظلمهم لأنفسهم، وبيّن أنّه ﴿ما أغنت عنهم آلهتهم﴾ يعني: الأوثان الّتي كانوا يعبدونها ﴿من دون الله﴾ ما دفعت عنهم ولاأعانتهم بشيء ﴿لمّا جاء أمر﴾ الله وإهلاكه وعذابه ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ بمعنى: غير تخسير في قول مجاهد وقَتادَة، مأخوذ من: تَبَّتْ يَدُه أي: خَسِرَت، ومنه: تبّاً له، وقال جَرير:

عَرادَةُ[1] مِن بقيّةِ قَومِ لُوطٍ ألا تبّاً لِما فَعَلُوا تَبابا[2]

وإنّما قال: ﴿يدعون من دون الله﴾ لأنّهم كانوا يسمّونها آلهة، ويطلبون الحوائج منها كما يطلب الموحّدون من الله، ومعنى ﴿من دون الله﴾: مَن منزلته أدنى من منزلة عبادة الله، لأنّه من الأدْوَن، وهو الأقرب إلى جهة السفلى.

قوله [تعالى]:

وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ آية بلاخلاف.

وجه التشبيه في قوله: ﴿وكذلك أخذ ربّك﴾ : أنّ أخْذه الظالم الّذي يساوي[3] من تقدّمه في ظلمه وحاله في بطلان الفلاح ببقائه كأخْذِه الّذي قبله، لأنّه ليس هناك محاباة لأحد من خلقه. و «الأخذ»: نقل الشيء إلى جهة الآخذ، فلمّا نقلهم الله إلى جهة عقابه كان قد أخذهم به. و «الظالم»: الفاعل للظلم، و «العادل»: الفاعل للعدل. ثمّ أخبر تعالى أنّ أخذه للظالم مؤلم شديد، و «الشدّة» تجمّع يصعب معه التفكّك، ويقال للنقص: شدّة، و«شدّة الألم» تجمّعه على النفس بما يعسر زواله.

---

(١) في الخطّيّة والحجريّة: «عرابة» بدل «عرادة».

(٢) من قصيدة طويلة يهجو الراعي النُمَيْري. راجع ديوان جَرير: ص ٦٠ و «عَرادة» راوي الراعي الشاعر.

(٣) في الخطّيّة «ساوى» بدل «يساوي».

قوله [تعالى]:

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴿١٠٣﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّ فيما أخبر به ـ من إهلاك مَن ذكره على وجه العقوبة لهم على كفرهم ـ آيةً، أي: علامة عظيمة لِمَا فيها من البيان عن الأمر الكبير[1] قال الشاعر:

بآيةٍ تُـقْدِمون الخـيلَ زُوراً ‏ ‏ ‏ ‏ كأنّ على سَنابِكِها مُداماً[2]

[قوله:] ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ أي: لمن خشي من عقوبة الله يوم القيامة. و «الخوف»: انزعاج النفس بتوقّع الشرّ، ونقيضه: «الأمن» وهو سكون النفس بتوقّع الخير. والفرق بين «العذاب» و «الألم»: أنّ العذاب استمرار الألم، قال عَبِيد:

فالمَرْءُ ما عاشَ في تَكْذيبٍ ‏ ‏ ‏ ‏ طُولُ الحياةِ لَـه تَـعذيبُ[3]

وقوله: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ معناه: أنّ يوم القيامة يومٌ يُجمع فيه الناس ويشهده جميع الخلائق، وليس يوصف في هذه الصفة يومٌ سواه. و «الجمع» ضمّ أحد الشيئين إلى الآخر، وقيل: هو جعل الشيئين فصاعداً في معنىً. و «القبض»: ضمّ الشيء إلى جهة الوسط كقبض البساط، وهو نقيض بَسْطِه من غير تبرّي أجزائه.

قوله [تعالى]:

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ

---

(١) في الحجريّة: «الكثير» بدل «الكبير».

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «أيا» ولم ينسبه لأحد. وفيه «شعثاً» بدل «زوراً».

(٣) من قصيدته الباءة المشهورة. راجع ديوان عَبيد بن الأبرص: ص ٢٦.

وَسَعِيدٌ﴿١٠٥﴾آيتان بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلّا الكسائي وابن عامر ﴿يوم يأت﴾ بغير ياء، الباقون بياء في الوصل دون الوقف، إلّا ابن كثير فإنّه أثبت الياء في الحالَيْن.

قال أبو عليّ: من أثبت الياء في الوصل فهو القياس البيّن، لأنّه لاشيء هاهنا يوجب حذف الياء في الوصل، ومَن حذفها في الوقف شبّهها بالفاصلة وإن لم يكن فاصلة، لأنّ هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة، بدلالة أنّهم قد حذفوها كما حذفوا الحركة، فكما أنّ الحركة تُحذف في الوقف فكذلك ما أشبهها من هذه الحروف فكان في حكمها،ومَن أثبتها في الحالَين فقد أحسن، لأنّها أكثر من الحركة في الصوت، فلا ينبغي إذا حُذفت الحركة للوقف أن تُحذف الياء له، كما لاتُحذف سائر الحروف، ومَن حذف الياء في الحالَين جعلها في الحالَيْن بمنزلة ما استعمل محذوفاً ممّا لم يكن ينبغي في القياس أن يحذف نحو: «لم يكُ» و «لا أدرِ»[1] وهي لغة هُذَيْل، قال الشاعر:

كَفَّاكَ كَفٌّ لا تُليقُ دِرْهماً جُوداً وأُخرى تُعْطِبالسَيْفِالدَما[2]

فحَذَف الياء من «تعط» وليس هذا ما يوجب حذفها.

الضمير في قوله: ﴿وما نؤخّره﴾ عائد على قوله: ﴿يوم مشهود﴾ وهو يوم الجزاء، ومعناه:الإخبار بأنّه تعالى ليس يؤخّر يوم الجزاء إلّا ليستوفي الأجل المضروب لوقوع الجزاء فيه. وإنّما قال: ﴿لأجل﴾ ولم يقل: إلى أجل، لأنّ قوله: ﴿لأجل﴾ يدلّ على الغرض وأنّ الحكمة اقتضت تأخيره،

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة لأبي عليّ الفارسي ٢: ٤١٧ ـ ٤١٨.

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «ليق» ولم ينسبه لأحد، وفيه: «كفٌّ» بالرفع.

ولو قال: إلى أجل لما دلّ على ذلك.

وقوله: ﴿يوم يأتِ﴾ يعني: اليوم الّذي تقدّم ذكره بأنّه مشهود، والضمير في ﴿يأتِ﴾ حين الجزاء، لأنّه قد تقدّم الدليل عليه في قوله: ﴿يوم مشهود﴾ وأحسن الإضمار ما يدلّ الكلام عليه وإنّما أضاف ﴿يوم﴾ إلى الفعل لأنّه اسم زمان، فناسب الفعل للزمان من حيث إنّه لا يخلو منه، وإنّه يتصرّف بتصرّفه، وإنّه لا يكون حادثاً إلّا وقتاً، كما أنّ الزمان لا يبقى.

ومعنى قوله: ﴿لا تكلّم نفس إلّا بإذنه﴾ أي: لا تتكلّم، فحذف إحدى التاءَيْن لدلالة الكلام عليه، وقيل في معنى ﴿لا تكلّم﴾ قولان:

أحدهما: إنّ فيه وقتاً يمنعون من التكلّم إلّا بالحقّ، فهو بإذنه تعالى. والآخر: إنّه لا يتكلّم بكلام ينفع إلّا بإذنه، من شفاعة ووسيلة، بدلالة قولهم:﴿والله ربّنا ما كنّا مشركين * انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ (١).

وقال الجُبّائي: الإذن: إلجاؤهم إلى الحسن، لأنّه لا يقع منهم ذلك اليوم القبيح.

وقوله: ﴿فمنهم شقيّ وسعيد﴾ إخبار منه تعالى بأنّهم ينقسمون قسمَيْن: منهم الأشقياء وهم المستحقّون للعقاب، ومنهم السعداء وهم المستحقّون للثواب. و «الشقاء» قوّة أسباب البلاء، و «الشقي» مَن شَقِي بسوء عمله في معاصي الله، و «السعيد» من سعد بحسن عمله في طاعة الله، وإنّما وصف الأجل بأنّه معدود لأنّه متناهٍ منقضٍ، لأنّ كلّ معدود قد وجد عدده لا يكون ذلك إلّا متناهياً.

---

(١) الأنعام: ٢٣ و ٢٤.

فإن قيل: كيف قال هاهنا: ﴿يوم يأتي لا تكلّم نفس إلّا بإذنه﴾ وقال في موضع آخر: ﴿هـذا يـوم لا يَنطقون * ولا يُؤذن لهـم فيعتـذرون﴾ [1] وقـال في موضع آخر: ﴿يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها﴾ [2] وقال: ﴿وقِفُوهم إنّهم مسؤلون﴾ [3] وقال في مـوضع آخـر: ﴿فيومئذٍ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ﴾ [4] وهل هذا إلّا ظاهر التناقض؟!

قلنا: لا تناقض في ذلك، لأنّ مـعنى قـوله: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤلون﴾: أنّهم يُسألون سؤال توبيخ وتقرير وتقريع لإيجاب الحجّة عليهم لا سؤال استفهام، لأنّه تعالى عالم بذلك لنفسه، وقوله: ﴿فيومئذٍ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ﴾ أي: لا يُسْأل ليعلم ذلك منه، من حيث إنّه تعالى قد علم أعمالهم قبل أن يعملوها. وقيل: إنّ مـعناه: أنّـه لايَسْأل عـن ذنب المـذنب إنس ولا جانّ غيره، وإنّما يسأل المذنب لا غير، وكذلك قوله: ﴿يوم لا ينطقون﴾ أي لا ينطقون بحجّة، وإنّما يتكلّمون بالإقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضاً، وطرح بعضهم على بعضٍ الذنوب، فأمّا التكلّم بحجّة فلا، وهذا كما يقول القائل لمن يخاطبه بخطاب كثير فارغ من الحجّة: ما تكلّمت بشيء، وما نطقت بشيء، فسمّي من يتكلّم بما لا حجّة له فيه: غير متكلّم، كما قال: ﴿صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ [5] وهم كانوا يبصرون ويسمعون إلّا أنّهم في أنّهم لا يقبلون ولا يفكّرون فيما يسمعون ولا يتأمّلون بمنزلة الصمّ، قال الشاعر:

أَصَمّ عمّا ساءَهُ سَميعُ [6]

---

(١) المُرْسَلات: ٣٥ و٣٦. (٢) النَحْل: ١١١. (٣) الصافّات: ٢٤.
(٤) الرحمن: ٣٩. (٥) البقرة: ١٧١. (٦) أنشده في اللسان: مادّة «صمم» ولم ينسبه لأحد.

وقال بعضهم: إنّ ذلك اليوم يوم طويل، له مواضع ومواطن ومواقف، في بعضها يُمنَعون من الكلام، وفي بعضها يطلق لهم ذلك، بدلالة قوله: ﴿يوم يأتي لا تكلّم نفس إلّا بإذنه﴾ وكِلَاهما حسن، والأوّل أحسن.

قوله [تعالى]:

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَاشَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ آيتان بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّ الّذين شَقُوا باستحقاقهم عذاب النار جزاء بسوء أعمالهم داخلون في النار، وإنّما سمّي الشقيّ شقيّاً قبل دخوله في النار لأنّه على حالٍ تؤدّيه إلى دخولها من قبائح أعماله. فأمّا ما روي من قوله عليه السلام: «إنّ الشقيّ مَن شقي في بطن أُمّه»[1] فمجاز، لأنّ المعنى: أنّ المعلوم من حاله أنّه سيشقى بارتكاب المعاصي الّتي تؤدّيه إلى عذاب النار، كما يقال لولد شيخٍ هرمٍ: هذا يتيم، ومعناه: أنّه سييتم.

وقوله: ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ قال أهل اللغة: الزفير أوّل نهاق الحمار، والشهيق آخر نهاقه، قال رُؤْبَة:

حَشْرَجَ في الجَوْفِ صَهيل[2] أو شَهَقْ

حتّى يُقالَ ناهِقٌ وما نَهَقْ[3]

و«الزفير»: ترديد النَفَس مع الصوت من الحزن حتّى تنتفخ الضلوع، قال الجَعْدي:

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ج ٣ ص ١٩٤، والبغدادي في تاريخه: ج ٥ ص ٣٥٠ بالإسناد عن ابن عمر.

(٢) كذا في الخطّيّة ومجمع‌البيان، وفي الحجريّة والطبري: سحيلاً.

(٣) أنشده الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٦٩.

خِيطَ على زَفيرةٍ فَـتَمّ ولَـمْ يَرجِعْ إلى دقّةٍ ولا هَضَمِ(١)

وأصل «الزفير»: الشدّة من قولهم للشديدِ الخَلْق: المَزْفُور، و «الزَفْر»: الحمل على الظهر خاصّةً لشدّته، قال الشاعر:

.............................لم يَـجِدُوا رِيحَ الإماءِ إذا راحَتْ بأَزْفـارِ(٢)

و «الزُفَر»: السيّد، لأنّه يطيق عمل الشدائد، وزَفَرَت النار: إذا سُمِع لها صوت فيشدّة توقّدها. و«الشهيق»: صوت فظيع يخرج من الجوف بمدّ(٣) النَفَس، وأصله: الطول المفرط، من قولهم: جبل شاهق أي: ممتنع طولاً.

وقوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ فالخلود: الكون في الأمر أبداً، و «الدوام»: البقاء أبداً، ولهذا يوصف [الله] تعالى بأنّـه دائـم، ولا يوصف بأنّه خالد.

وقوله: ﴿إلّا ما شاء ربّك﴾ اختلفوا في هذا الاستثناء على عدّة أقوال:

فالّذي نختاره ويليق بمذهبنا فـي الإرجـاء: أنّ الله تـعالى أخـبر أنّ الأشقياء المستحقّين للعقاب يُحصّلون في النار، ثمّ آستثنى مَن أراد مـن فُسّاق أهل الصلاة إذا أراد التـفضّل بـإسقاط عـقابه، أو مـن يشـفع فـيه النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّ عند ذلك لا يدخله النار، وتكون على هذا: ﴿ما﴾ معناها: «مَن» كأنّه قال: إلّا مَن شاء ربّك فلا يدخله النار، وهو قول ابـنعبّاس وقَتادَة والضحّاك وجابر بن عبدالله وأبي سـعيد الخُـدَري وجـماعة مـن المفسّرين. ويجوز على هذا المذهب أن يكـون اسـتثناء مـن «الخـلود» فكأنّه قال: إلّا ما شاء ربّك بأن لا يخلّدهم في النار بل يخرجهم عنها.

---

(١) و(٢) أنشده في اللسان: مادّة «زفر» أوّله: «طِوالُ أنضية الأعناق لم يجدوا».

(٣) في الحجريّة: «عند» بدل «بمدّ».

وقال قَتادَة: ذكر لنا: أنّ ناساً يصيبهم سَفْع من النار بذنوبٍ أصابوها، ثمّ يُدخلهم الله الجنّة بفضل رحمته، يقال لهم: الجهنّميّون. قال قَتادَة: وحدّثنا أنس بن مالك: أنّ رسول الله ﷺ قال: «يخرج قوم من النار». وقال قَتادَة: ولا نقول ما يقول أهل حَرُوراء.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: قوله: ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ (١) وقوله: ﴿خالدين فيها إلّا ما شاء ربّك﴾ في أهل التوحيد. وروي عن ابن مسعود أنّه قال: ليأتينّ على جهنّم زمان تَخْفِق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد أن يلبثوا فيها أحقاباً. وقال الشعبي: جهنّم أسرع الدارَيْن عمراناً، وأسرعهما خراباً.

الثاني (٢): قال ابن زيد وحكاه الرُمّاني: إنّ المعنى: خالدين فيها ما دامت السماوات سماوات والأرض أرضاً، إلّا ما شاء ربّك من الزيادة المضاعفة.

وثالثها: قال الجُبّائي: إنّ المعنى: ما دامت السماوات لأهل الآخرة وأرضهم، إلّا ما شاء ربّك ممّا كان قبل أن يدخلوها من أوقات وقوفهم في صدر يومهم في الموقف، لأنّ الله تعالى قال: ﴿يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات﴾ (٣).

ورابعها: ما ذكره كثير من أهل العربيّة كالفرّاء والزجّاج وغيرهم: إنّ ﴿إلّا﴾ في الآية بمعنى «سوى» والتقدير: ما دامت السماوات والأرض سوى ما شاء ربّك، كما يقول القائل: لو كان معنا رجل إلّا زيد أي: سوى زيد، و: لك عندي ألف درهم إلّا الألفَيْن الّتي لك عندي أي: سوى الألفَيْن، ومثله قوله: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلّا ما قد سلف﴾ (٤) أي:

---

(١) النبأ: ٢٣.
(٢) يعني الثاني من عدّة أقوال.
(٣) إبراهيم: ٤٨.
(٤) النساء: ٢٢.

سوى ما قد سلف، لأنّ قوله: ﴿ولا تنكحوا﴾ مستقبل و ﴿إلّا ما شاء ربّك﴾ ماضٍ، والمعنى على هذا: خالدين فيها مقدار دوام السماوات والأرض سوى ما شاء ربّك من الخلود والزيادة.

وخامسها: ما قال الفرّاء: إنّ ﴿إلّا﴾ بمعنى الواو، كما قال الشاعر:

وكلُّ أخٍ مُفارِقُه أخوه لَعَمْرُ أبيك إلّا الفَرْقَدانِ[1]

أي والفرقدان وعلى هذا: لو قال القائل: لك عندي ألف إلّا ألفَيْن لزمه ثلاثة آلاف [درهم] لأنّه استثناء الزائد من الناقص، فكأنّه قال: إلّا ألفَيْن منفردَيْن. ولو قال: مالك عندي ألف إلّا ألفَيْن فإنّما أقرّ بألفَيْن، كأنّه قال: مالك عندي سوى ألفَيْن. ولو قال: لك عندي ألف إلّا ألفان بالرفع أقرّ بألف فقط، لأنّها صفة مثبتة، كأنّه قال: ألف لا ألفان.

وسادسها: إنّ ذلك تعليق لما لا يكون بما لا يكون، كأنّه قال: إلّا ما شاء ربّك وهو لا يشاء أن يخرجهم منها، وتكون الفائدة: أن لو شاء أن يخرجهم لقدر، ولكنّه قد أعلمنا أنّهم خالدون أبداً.

وسابعها: ذكره الزجّاج: إنّ الاستثناء وقع على أنّ لهم زفيراً وشهيقاً إلّا ما شاء ربّك من أنواع العذاب الّتي لم يذكرها.

وثامنها: ذكره البلخي: إنّ المراد بذلك: إلّا ما شاء ربّك من وقت نزول الآية إلى دخولهم النار، ولولا هذا الاستثناء لوجب أن يكونوا في النار من وقت نزول الآية أو من يوم يموتون.

فإن قيل: كيف يستثنى من الخلود فيها ما قبل الدخول فيها؟!

قلنا: يجوز ذلك إذا كان الإخبار به قبل دخولهم فيها.

وتاسعها: ما ذكره قوم من أصحابنا في التفسير: إنّ المعنى: أنّهم فيها

---

(١) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ٢ ص ٣٣٤ ونسبه إلى عمرو بن معديكرب.

يعني: في النار في حال كونهم في القبور دائمين فيها ما دامت السماوات والأرض، فإنّها إذا عدمت انقطع عقابهم إلى أن يبعثهم الله للحساب.

وقوله: ﴿إلّا ما شاء ربّك﴾ ممّا يكون في الآخرة. وقوله: ﴿إنّ ربّك فعّال لما يريد﴾ معناه: أنّه كلّما أراد شيئاً فعله، لأنّه لا يجوز عليه البداء بالرجوع عمّا أراده، ولا المنع من مراده، ولا يتعذّر عليه شيء منه مع كثرة ما أراده من أفعاله.

قوله [تعالى]:

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَاشَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ۝١٠٨ آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر ﴿سُعِدوا﴾ بضمّ السين، الباقون بفتحها.

قال أبو عليّ: حكى سيبويه: سَعِدَ يَسْعَدُ سَعادةً فهو سعيد، وينبغي أن يكون غير متعدّ، كما أنّ خلافه الّذي هو «شقي» كذلك، وإذا لم يكن متعدّياً لم‌يجز أن يبنى منه المفعول به، وإذا كان كذلك كان ضمّ السين مشكلاً، إلّا أن يكون سمع فيه لغة خارجة عن القياس أو يكون من باب «فعل» و «فعلته» نحو: غاض الماء وغضته، وحزن وحزنته، ولعلّهم استشهدوا على ذلك بقولهم: «مسعود» فإنّه على سَعِد فهو مسعود، ولادلالة في ذلك، لأنّه يجوز أن يكون مثل: أجنّه الله فهو مجنون، وأحبّه فهو محبوب، فالمفعول جاء في هذا على أنّه حذفت الزيادة منه، كما حذفت من اسم الفاعل في نحو:

ويَكْشِفُ عن جَمّاتِهِ دَلْوُ الدالِي [(١)]

---

(١) أنشده في اللسان: مادّة «دلو» ونسبه إلى العجّاج، وفيه: «الدالْ».

وإنّما هو المُذْلي، ومثله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾[1] يعني: ملاقح، فجاء على حذف الزيادة، فعلى هذا يكون أصله: «أُسْعِدوا» بحذف الزائد.

وحكى البلخي: أنّهما لغتان: ضمّ السين لغة هُذَيْل، وفتحها لغة سائر العرب.

لمّا أخبر الله تعالى أنّ الّذين شَقُوا بفعلهم المعاصي واستحقّوا الخلود في النار أخبر أنّ ﴿الّذين سُعِدوا﴾ بطاعات الله والانتهاء عن معاصيه يكونون في الجنّة ﴿ما دامت السموات والأرض إلّا ما شاء ربّك﴾ ومعنى ﴿مادامت السموات والأرض﴾ المصدر، كأنّه قال: دوام السماوات والأرض إلّا مشيئة ربّك، وفيه حسن التقابل، وفيه جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار إلّا الوجهَيْن اللذَيْن ذكرناهما في جواز إخراج بعض الأشقياء من تناول الوعيد لهم، وإخراجهم من النار بعد دخولهم فيها، فإنّ ذلك لا يجوز هاهنا، لإجماع الأُمّة على أنّ كلّ مستحقّ للثواب لابدّ أن يدخل الجنّة، ولا يخرج منها بعد دخوله فيها.

وقيل فيه وجه آخر يوافق ما قلناه في الآية الأُولى، وهو أن يكون المعنى: أنّ الّذين سعدوا بطاعات الله يدخلون الجنّة خالدين فيها، واستثنى من جملتهم من كان مستحقّاً للنار وأراد الله عقابهم ثمّ إخراجهم منها، فكأنّه قال: خالدين فيها إلّا مدّة ما كانوا معاقبين في النار. ذهب إليه الضحّاك، وهو يليق بقولنا في الإرجاء.

وقوله: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ يعني: غير مقطوع، في قول ابن عبّاس ومجاهد وقَتادَة والضحّاك. يقال: جَذَّهُ يَجُذُّهُ جَذّاً فهو جاذّ، وجَذَّ الله

---

(١) الحجر: ٢٢.

دابرهم[١] قال النابغة:

يَجُذُّ السَلُوقيّ المضاعَفَ نَسْجُهُ ويُوقِدُ بالصُفّاحِ نارَ الحَباحِبِ[٢]

ويقال: «جَذّه الله جَذّ الصِلْيانَة»[٣] وهي نبات. وقوله: ﴿عطاء﴾ نصب على المصدر بما يدلّ عليه الأوّل، كأنّه قال: أعطاهم النعيم عطاءً غير مجذوذ.

قوله [تعالى]:

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ آية بلا خلاف.

نهى الله تعالى نبيّه، والمراد به: أُمّته أن يكونوا في شكٍّ من عبادة هؤلاء، يعني: الكفّار الّذين تقدّم ذكرهم، وأنّه باطل. و «المِـرْية» بكسر الميم وضمّها: الشكّ مع ظهور الدلالة للتهمة[٤] وأصله: مَرَى الضَرْع ليدرّ بعد دُرورِه، فلا معنى له إلّا العبث بفعله.

وقوله: ﴿ما يعبدون إلّا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾ معناه: أنّهم مقلّدون في عبادتهم الأوثان، كما كان آباؤهم كذلك.

وقوله: ﴿وإنّا لموفّوهم نصيبهم غير منقوص﴾ إخبار من الله تعالى أنّه يعطيهم على جهة الوفاء قسمتهم من خيرٍ أو شرٍّ على قدر استحقاقهم، في قول ابن‌عبّاس. وقال ابن زيد: ما يستحقّونه من العذاب من غير أن ينقص منه شيء على وجه العقوبة بعد أن يوفّوا ما حكم لهم به من الخير في الدنيا. و «النصيب» القِسْم المجعول لصاحبه، ومنه: أَنْصباء الوَرَثَة،

---

(١) في الحجريّة: «أثرهم» بدل «دابرهم».

(٢) من قصيدة مدح عمرو بن الحارث حين هرب إلى الشام ونزل به. راجع ديوان النابغة الذبياني: ص ٥٢.

(٣) مَثَل يُضرب على اليمين الكاذبة. راجع مجمع الأمثال.

(٤) في الحجريّة: «البيّنة» بدل «للتهمة».

و «النصيب»: الحظّ. و«النَقْص»: البخس، و «المنقوص»: المبخوس.

قوله [تعالى]:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه أعطى ﴿موسى الكتاب﴾ يعني: التوراة، وأنّ قومه اختلفوا فيه يعني: في صحّة الكتاب الّذي أُنزل إليه. وأراد بذلك تسلية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه إيّاه وجحدهم للقرآن المُنْزَل عليه، فبيّن له أنّه كذلك فعل قوم موسى بموسى فلا تحزن لذلك ولا تغتمّ له. ثمّ قال: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم﴾ معناه: ولولا خبر الله السابق بأنّه يؤخّر الجزاء إلى يوم القيامة لما في ذلك من المصلحة لعجّل الثواب والعقاب لأهله. و «الكلمة»: واحدة «الكَلِم» ولذلك يقال للقصيدة: كلمة. ثمّ أخبر عن حال كفّار قوم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿أنّهم لفي شكّ﴾ ممّا أخبرناك به ﴿مريب﴾ و «الريب» أقوى الشكّ. و «الاختلاف»: ذهاب كلّ واحد إلى جهةٍ غير جهة الآخر، وهو على ثلاثة أوجه:

أحدها: اختلاف النقيضَيْن، فهذا لا يجوز أن يصحّا معاً، فأحدهما مبطل لصاحبه. والآخر: اختلاف الجنسَيْن، كاختلاف المجتهدين في جهة القبلة، فهذا يجوز أن يصحّا، لأنّه تابع للمصلحة ولا تناقض في ذلك، ومنه: اختلاف المجتهدين في الفروع عند من قال بجوازه.

قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ آية بلا خلاف.

اختلف القُرّاء في قوله: ﴿وإنَّ كلًّا لمَّا﴾ على أربعة أوجه:

قرأ ابن كثير ونافع بتخفيف ﴿إن﴾ وتخفيف ﴿لما﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بتشديدهما معاً، وقرأ أبو عمرو والكسائي بتشديد الأوّل وتخفيف الثاني، وقرأ أبو بكر عن عاصم بتخفيف الأوّل وتشديد الثانية.

وقيل في معنى ﴿لمَّا﴾ بالتشديد خمسة أوجه:

أوّلها: قول الفرّاء: إنّها بمعنى «لَمَنْ ما» فاجتمعت ثلاث ميمات، فحُذِفت واحدة ثمّ أُدغمت الأُولى في الثانية، كما قال الشاعر:

وأنّي لَمِمّا أَصْدَرَ الأمرُ وَجْهَهُ ... إذا هو أعْيَى بالسَبيلِ مَصادِرُهُ

ثمّ تخفّف، كما قرأ بعض القُرّاء: ﴿والبغي يعظكم﴾[1] فحذف إحدى الياءَيْن، ذكره الفرّاء.

والثاني: ما اختاره الزجّاج: أنّ ﴿لمّا﴾ بمعنى «إلّا» كقولهم: سألتك لمّا فعلت بمعنى إلّا فعلت ومثله: ﴿إنْ كلّ نفسٍ لمَّا عليها حافظ﴾[2] لأنّه دخله معنى: ما كلّهم إلّا لنوفّينّهم. وقال الفرّاء: هذا لا يجوز إلّا في اليمين، لأنّه لو جاز ذلك لجاز أن تقول: جاءني القوم لمّا زيداً، بمعنى: إلّا زيداً، وهذا لا يجوز بلا خلاف.

الثالث: اختاره المازني[3]: أنّها هي المخفّفة، شُدّدت للتأكيد. قال الزجّاج: هذا لا يجوز، لأنّه إنّما يجوز تخفيف المشدّدة عند الضرورة، فأمّا تشديد المخفّفة فلا يجوز بحال.

الرابع: حكاه الزجّاج: أنّها من: لَمِمْتُ الشيء أَلُمُّهُ لمَّاً: إذا جمعته، إلّا أنّها بُنيت على «فعلى» فلم تُصرف، نحو: «تترى» كأنّه قال: وإن كلّاً

---

(١) النحل: ٩٠. (٢) الطارق: ٤. (٣) في الخطّيّة: «الرمّاني».

جميعاً ليوفّينّهم.

الخامس: قراءة[١] الزُهري: «لَمّاً» بالتنوين، بمعنى: شديداً، كقوله: ﴿وتأكلون التراث أكلاً لَمّاً﴾[٢].

واللام في قوله: ﴿لمَّا﴾ يحتمل أن تكون لام القَسَم دخلت على «ما» الّتي للتوكيد. ويحتمل أن تكون لام الابتداء دخلت على «ما» بمعنى «الّذي» كقوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[٣] ومثله: ﴿وإنّ منكم لمن ليبطّئنَّ﴾[٤] قال الشاعر:

فَلَو أنّ قَوْمي لم يكُونوا أعِـزّةً لَبَعْدُ لَقَد لاقيتُ لابُدّ مَصْرَعا[٥]

وحكي[٦] عن العرب: «إنّي لَبحمد الله لصالح». قال أبو عليّ: من قرأ بتشديد ﴿إنّ﴾ وتخفيف ﴿لمّا﴾ فوجهه بيّن، وهو أنّه نصب ﴿كلًّا﴾ بـ ﴿إنّ﴾ و﴿إنّ﴾ تقتضي أن يدخل على خبرها أو اسمها لام، فدخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على الخبر في قوله: ﴿وإنّ كلًّا لما﴾ وقد دخلت في الخبر لام أُخرى وهي الّتي يتلقّى بها القَسَم، وتختصّ بالدخول على الفعل، ويلزمها في أكثر الأمر إحدى النونَيْن فلمّا اجتمعت اللامان واتّفقا في تلقّي القَسَم، واتّفقا في اللفظ فُصِل بينهما، كما فُصِل بين «إنّ» واللام، فدخلت «ما» لهذا المعنى وإن كانت زائدة لتفصل، كما جاءت النون وإن كانت زائدة في قوله: ﴿فإمّا ترينَّ من البَشَر﴾[٧] وكما صارت عوضاً من الفعل في قولهم: إمّا لا، فهذا بيّن، ويلي هذا الوجه في البيان قول مَن خفّف

---

(١) في الخطّيّة: «قرأ به» بدل: «قراءة». (٢) الفجر: ١٩.

(٣) و (٤) النساء: ٣ و٧٢ على التوالي.

(٥) أنشده الفرّاء في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٠ ولم ينسبه لأحد.

(٦) حكاه الفرّاء في المعاني عن أبي الجرّاح. (٧) مريم: ٢٦.

﴿إنّ﴾ ونصب ﴿كلًّا﴾ وخفّف ﴿لمّا﴾ كما قال الشاعر:

كَأَنْ ثَدْيَيْهِ حُقّانِ[١]

وأراد «كأنّ» المشدّدة، فخفّف وأعمل، لأنّ سيبويه[٢] حكى عمّن يثق به أنّه سمع من العرب مَن يقول: إنْ عمراً لَمنطلقٌ، قال: وأهل المدينة يقرؤون ﴿وإنْ كُلًّا لَمَا جميع لدينا مُحضَرون﴾[٣] يخفّفون وينصبون. ووجه النصب بها مع التخفيف: أنّ «إنْ» مشبّهة في نصبها بالفعل، والفعل يعمل محذوفاً كما يعمل غير محذوف في نحو: «لم يَكُ زيد منطلقاً» ﴿فلا تَكُ في مِرْية﴾ فأمّا من خفّف ﴿إن﴾ ونصب ﴿كلًّا﴾وشدّد ﴿لمّا﴾ فقراءته مشكلة، لأنّ «إن» إذا نصب بها وكانت مخفّفة كانت بمنزلة المثقّلة، و«لما» إذا شدّدت كانت بمنزلة «إلّا» فكذلك قراءة مَن شدّد ﴿لمّا﴾ وثقّل ﴿إنّ﴾ مشكلة، لأنّه كما لا يحسن أن تقول: إنّ زيداً إلّا منطلقٌ، فكذلك لايحسن تثقيل ﴿إنّ﴾ وتخفيفها ويراد الثقيلة مع تثقيل ﴿لمّا﴾. فأمّا قولهم: نشدتك الله لمّا فعلت، وإلّا فعلت، فقال الخليل: معناه: لتفعلنّ ، كما تقول: أقسمت عليك لتفعلنّ، وإنّما دخل «إلّا» و «لمّا» لأنّ المعنى: الطلب، فكأنّه قال: ماأسألك إلّا فعل كذا، فلم يذكر حرف النفي في اللفظ وإن كان مراداً، وليس في الآية معنى نفيٍ ولا طلبٍ.

وضعّف أبو عليّ الوجه الّذي حكيناه من أنّ أصله «لَمَنْ ما» فأدغم النون في الميم بعد ما قُلبت ميماً، قال: لأنّ الحرف المُدْغَم إذا كان قبله ساكن نحو «قوم مالك» لم يقو الإدغام فيه على أن يحرّك الساكن الّذي

---

(١) أنشده سيبويه في الكتاب: ج ٢ ص ١٣٥ و ١٤٠ ولم ينسبه لأحد.

(٢) في الكتاب: ج ٢ ص ١٤٠ وفيه الآية ﴿وإنْ كلًّا لَمَا ليُوفِّينَّهم ربّك أعمالهم﴾.

(٣) يٓس: ٣٢.

قبل الحرف المُدْغَم، فإذا لم يجز ذلك فيه وكان تغييراً أسهل من الحذف فأن لا يجوز الحذف الّذي هو أذهب في باب التغيير من تحريك الساكن أجدر، على أنّ في هذه السورة ميمات اجتمعت في الإدغام أكثر ممّا اجتمعت في «لَمَن ما» ولم يحذف منها شيء، نحو قوله: ﴿وعلى أُمم ممّن معك﴾ [1] ولم يحذف شيء منها، فأن لا يُحذف هاهنا أجدر. وحكي عن الكسائي أنّه قال: لا أعرف وجه التثقيل في ﴿لمّا﴾ قال أبو عليّ: ولم يبعد في ذلك، قال أبو عليّ: ولو خفّف مخفّف ﴿إنّ﴾ ورفع ﴿كلًّا﴾ وثقّل ﴿لمّا﴾ ويكون المعنى: ما كلٌّ إلّا ليوفّينّهم، كما قال: ﴿وإنْ كلُّ ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا﴾ [2] لكان ذلك أبيْنَ من النصب في «كلّ»، وتثقيل «لمّا».

و«كلّ» في الآية معرفة. والمعنى: وإنّ كُلّ المكلّفين ليوفّينّهم ربّك أعمالهم، أو كلّ المختلفين على ما تقدّم ذكره، كما يقولون: مررت بكلٍّ قائماً. و «التوفية»: بلوغ المقدار من غير نقصان، و «التوفية»: مساواة المقدار في معناه، لأنّه إذا ساواه في جنسه لم يجب به توفية.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه يوفي جميع المكلّفين ما يستحقّونه على أعمالهم من الثواب والعقاب، لأنّه عالم بما فعلوه خبير به، لا يخفى عليه شيء منه، ومَن ليس بعالمٍ لا يمكنه ذلك، لأنّه يجوز أن يكون قد خفي عليه كثير منه، وهو تعالى لايخفى عليه خافية.

قوله [تعالى]:

فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَاتَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ آية بلاخلاف.

---

(١) الآية: ٤٨ المتقدّمة.

(٢) الزُخرف: ٣٥.

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأُمّته أن يستقيموا كما أمرهم الله، وكذلك من رجع إلى الله وإلى نبيّه ﴿ولا تطغوا﴾ يعني: في الاستقامة، فتخرجوا عن حدّها بالزيادة على ما امرتم به، فرضاً كان أو نفلاً. وقيل: معناه: لا تطغينّكم النعمة فتخرجوا من الاستقامة.

و«الاستقامة»: الاستمرار في جهة واحدة، وأن لا يعدل يميناً وشمالاً. و «الطغيان»: تجاوز المقدار في الفساد، والطاغي كالباغي في صفة الذمّ، وطَغَى الماء مشبّه بحال الطاغي. وإنّما خصّ من تاب تعالى دون من أسلم من أوّل حاله للتغليب في الأكثر، ويدخل فيه الأقلّ على وجه التبَع.

وقوله: ﴿إنّه بما تعملون بصير﴾ إخبار منه تعالى أنّه عالم بأعمالهم، لا يخفى عليه شيء منها.

قوله [تعالى]:

وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ آية بلا خلاف.

نهى الله تعالى في هذه الآية عباده المكلّفين عن أن يركنوا إلى الّذين ظلموا نفوسهم وغيرهم. والركون إلى الشيء: هو السكون إليه بالمحبّة إليه والإنصات[1] إليه، ونقيضه: النُفُور عنه.

وإنّما نهاهم عن الركون إلى الظلمة لما في ذلك من التأنيس به ﴿فتمسّكم النار﴾ جواب النهي وبيان لأنّهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا إلى الظالمين نالتهم النار، ولم يكن لهم ناصر من دون الله يدفع عنهم، ثمّ لا يجدون مَن ينصرهم، ويدفع عنهم على وجه المغالبة. و «الوليّ» ضدّ

---

(١) كذا في الحجريّة ومجمع البيان، وفي الخطّيّة: والانصباب.

«العدوّ» وجمعه: أولياء.

وقال الجُبّائي: معنى ﴿ثمّ لا تنصرون﴾: أنّكم إن ركنتم إلى الكفّار والظالمين وسكنتم إليهم مسّتكم النار في الآخرة، ثمّ لا تُنصرون في الدنيا على الكفّار.

قوله [تعالى]:

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر: ﴿زُلُفاً﴾ بضمّ اللام. أمر الله تعالى في هذه الآية نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وأُمّة نبيّه بإقامة الصلاة، وإقامتها: هو الإتيان بأعمال الصلاة على وجه التمام في ركوعها وسجودها وسائر فروضها. وقيل: إقامة الصلاة هو عملها على استواء كالقيام الّذي هو الانتصاب في الاستواء. وقيل: هو الدوام على فعلها من قولهم: ما قائم، أي: دائم واقف.

وقوله: ﴿طرفي النهار﴾ يريد بهما صلاة الفجر والمغرب، في قول ابن‌عبّاس والحسن وابن زيد والجُبّائي. وقال الزجّاج: يعني الغداة والظهر والعصر، وبه قال مجاهد ومحمّد بن كَعْب القُرَظي والضحّاك. ويحتمل أن يريد بذلك صلاة الفجر والعصر، لأنّ طرف الشيء من الشيء، وصلاة المغرب ليست من النهار.

وقوله: ﴿وزُلَفاً من الليل﴾ قال ابن‌عبّاس ومجاهد وابن زيد: يريد العشاء الآخرة. وقال الزجّاج: يعني المغرب والعشاء الآخرة. و «الزُلْفَة»: المنزلة، وجمعها: «زُلَف» قال العجّاج:

ناجٍ طَواهُ الأيْنُ ممّا وجَفَا طَيَّ اللّيالي زُلَفاً فَزُلَفا[1]

---

(١) أنشده أبو عُبَيْدَة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٣٠٠.

قال الزجّاج: ويجوز «زُلُفا» بضمّ اللام، ونصب على الظرف، وهو واحد مثل: «الحُلُم». ويجوز أن يكون جمع «زَليف» مثل: «قريب» و «قُرُب». ومنه اشتقاق «المزْدَلِفَة» لأنّ ازدلاف الناس إليها منزلة من عرفات.

ومَن قال: المراد بـ ﴿طَرَفَي النهار﴾ الفجر والمغرب، قال: ترك ذكر الظهر والعصر لأحد أمرَيْن:

أحدهما: ترك ذكرهما لظهورهما في أنّهما صلاة النهار، والتقدير: أَقِم الصلاة طَرَفَي النهار مع الصلاة المعروفة من صلاة النهار.

والآخر: أنّهما ذُكِرا على التبع للطرف الأخير، لأنّهما بعد الزوال، فهما أقرب إليه، وقد قال الله تعالى: ﴿أقِم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ [1] ودُلُوكها: زوالها.

وقوله: ﴿إنّ الحسنات يذهبن السيّئات﴾ قيل فيه وجهان:

أحدهما: تذهب به على وجه التكفير إذا كانت المعصية صغيرة.

والآخر: أنّ المراد بالحسنات التوبة تذهب بالسيّئة أي: تسقط عقابها، لأنّه لاخلاف في سقوط العقاب عند التوبة. وقد قيل: إنّ الدوام على فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيّئات فكأنّها أُذهبت بها.

وقوله: ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ يعني: ما ذكره من قوله: ﴿إنّ الحسنات يذهبن السيّئات﴾ فيه تذكار لمن تذكّر به وفكّر فيه.

قوله [تعالى]:

وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ آية بلا خلاف.

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أذى قومه وتكذيبهم إيّاه والتجلّد

(١) الإسراء: ٧٨.

عليه، وعلى القيام بما افترضه عليه من أداء الواجب، والامتناع من القبيح، وبيّن له أنّه لا يضيع ولا يهمل جزاء المحسنين على إحسانهم بل يكافيهم عليه أتمّ الجزاء وأكمل الثواب. و «الصبر»: حبس النفس عن الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحقّ، وضدّه: «الجزع» قال الشاعر:

فإنْ تَصبِرا فالصَبْرُ خَيرٌ مغبّةً   وإنْ تَجزَعا فالأمرُ ما تَريانِ[1]

والصبر على الباطل مذموم، قال الله تعالى: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾[2]. ويعين على الصبر شيئان:

أحدهما: العلم بما يعقب من الخير في كلّ وجه وعادة النفس له. والثاني: استشعار ما في لزوم الحقّ من العزّ والأجر بطاعة الله. و «الصبر» مأخوذ من الصبر المرّ، لأنّه تجرّع مرارة الحقّ بحبس النفس عن الخروج إلى المشتهى.

قوله [تعالى]:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦) آية بلا خلاف.

معنى ﴿فلولا كان﴾: هلّا كان، ولم لا كان[3] ومعناه: النفي، وتقديره: لم يكن من القرون من قبلكم، فهو تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم في الفساد، نحو عاد وثمود وسائر القرون الّذين مرّ ذكرهم في القرآن وأخبر الله بهلاكها ﴿أُولوا بقيّةٍ ينهون عن الفساد في الأرض﴾ أي:

---

(١) البيت منسوب إلى أبي العبّاس: ذكره المصنّف في تفسير الآية: ٤٥ من البقرة وفيه: «معيشة» بدل «مغبّة».   (٢) صٓ: ٦.   (٣) في الحجريّة: معنى فلولا هلّا كان ولم لا وألا كان.

كان يجب أن يكون منهم قوم باقون في الأرض ينهون عن الفساد في الأرض مع إنعام الله عليهم بكمال العقل والقدرة، وبعثة الرسل إليهم وإقامة الحجج، و ﴿أُولوا بقيَّة﴾ هم الباقون، فعجّب الله نبيّه كيف لم يكن منهم بقيّة في الأرض يأمرون فيها بالمعروف وينهون فيها عن المنكر؟ وكيف اجتمعوا على الكفر حتّى استأصلهم الله بالعذاب والعقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم له؟ ثمّ استثنى بقوله: ﴿إلّا قليلاً﴾ والمعنى: أنّهم هلكوا جميعاً إلّا قليلاً ممّن أنجى الله منهم، وهم الّذين آمنوا مع الرسل، ونجوا معهم من العذاب الّذي نزل بقومهم.

وقوله: ﴿واتّبع الّذين ظلموا ما أُترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ معناه: أنّهم اتّبعوا التلذّذ والتنعّم بالأموال والنِعَم الّتي أعطاهم الله إيّاها وقضوا الشهوات، وذلك[1] من الحرام، وبيّن أنّهم كانوا بذلك مجرمين عاصين لله تعالى.

وقال الفرّاء والزجّاج: إنّ قوله: ﴿إلّا قليلاً﴾ استثناء منقطع، لأنّه إيجاب لم يتقدّم فيه صيغة النفي، وإنّما تقدّم تهجين لمخرج السؤال، ولو رفع لجاز في الكلام. ومعنى: ﴿أُترفوا فيه﴾ أي: عُوّدوا التُرْفَة بالتنعيم واللذّة، وذلك أنّ التُرْفَة عادة النعمة، قال الشاعر:

يُهدى رُؤوس المُترَفِينَ الصُدّادْ إلى أميرِ المؤمنينَ المُمْتَادْ[2]

أي: المسؤول، فأبطرتهم النعمة حتّى طغوا وبغوا. وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر، لأنّه تعالى ذمّهم بترك النهي عن الفساد، وأنّه نجّى القليل بنهيهم عنه، فلو نَهَى الكثير كما نَهَى القليل لَما أُهلكوا.

---

(١) في الخطّيّة: في ذلك.

(٢) ذكره المصنّف في تفسير الآية: ١١٢ من المائدة ونسبه إلى رؤبة، وفيه: «الأنداد» بدل «الصدّاد».

ومعنى ﴿أُولوا بقيّةٍ﴾: أصحاب جماعة تبقى من نسلهم، و «البقيّة» ممدوحة، يقال: في فلان بقيّة أي: فيه فضل وخير، كأنّه قيل: بقيّة خير من الخير الماضي.

قوله [تعالى]:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝١١٧﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه لم يهلك أهل قرية فيما مضى ممّن ذكر إهلاكهم مع أنّ أهلها أو أكثرهم يفعلون الصلاح، وإنّما أهلكهم إذا أفسدوا كلّهم أو أكثرهم، و «الإصلاح»: فعل الصلاح.

وقوله: ﴿بظلم﴾ قيل فيه ثلاثة أوْجُه:

أوّلها: بظلم صغير يكون منهم لأنّه يقع مكفّراً بمامعهم من الثواب الكثير.

الثاني: بظلم كثير من قليل منهم، مع أنّ أكثرهم المصلحون، لأنّ القليل لا يعتدّ به في جنب الكثير.

الثالث: أنّ المعنى: بظلمٍ منّا، كما قال الله تعالى: ﴿إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ (١).

قوله [تعالى]:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ آيتان في الكوفي (٢) تمام الأُولى عند قوله: ﴿مختلفين﴾ وهي آية فيما سوى ذلك.

هذه الآية تتضمّن الإخبار عن قدرته تعالى بأنّه ﴿لو شاء﴾ تعالى

---

(١) الآية: ٤٤ المتقدّمة.

(٢) في الحجريّة: في الكوفي والبصري.

﴿لجعل الناس أمّةً واحدةً﴾ أي: على دينٍ واحدٍ، كما قال: ﴿إنّا وجدنا آباءنا على أُمّة﴾ [١] وقال: ﴿ولولا أن يكون الناس أمّةً واحدةً﴾ [٢] أي: على دينٍ واحدٍ بأن يلجئهم إلى الإسلام، بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنّهم لو راموا غير ذلك لمُنِعُوا منه، لكنّ ذلك ينافي التكليف ويبطل الغرض بالتكليف، لأنّ الغرض به استحقاق الثواب، والإلجاء يمنع من استحقاق الثواب.

وقوله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ معناه: في الأديان كاليهود والنصارى والمجوس وغيرذلك من‌اختلاف المذاهب الباطلة، في قول مجاهد وقَتادَة وعطاء والأعمش والحسن في رواية، وفي رواية أُخرى عن الحسن: أنّهم يختلفون بالأرزاق والأحوال، وتسخير بعضهم لبعض. والأوّل أقوى.

و«الاختلاف»: هو اعتقاد كلّ واحد نقيض ما يعتقده الآخر، وهو ما لا يمكن أن يجتمعا في‌الصحّة وإن‌أمكن أن يجتمعا في‌الفساد، ألا ترى أنّ‌اليهوديّة والنصرانيّة لايجوز أن تكونا صحيحتين مع اتّفاقهما في الفساد، ويجوز أن يكون في اختلاف أهل‌الملل المخالفة للإسلام حقّ، لأنّ اعتقاد اليهودي أنّ النصرانيّة باطلة واعتقاد النصراني أنّ اليهوديّة فاسدة حقّ.

وقوله: ﴿إلّا من رحم ربّك﴾ استثناء منقطع، ولذلك جُعِل رأس آية، ولوكان متّصلاً لم يجز ذلك، وإنّما كان استثناءً منقطعاً لأنّ الأوّل على أنّهم يختلفون بالباطل، وليس كذلك مَن رحم لاجتماعهم على الحقّ، والمعنى: ولا يزالون مختلفين بالباطل إلّا مَن رحم ربّك بفعل اللطف لهم الّذي يؤمنون عنده ويستحقّون به الثواب، فإنّ مَن هذه صورته ناجٍ من الاختلاف بالباطل.

(١ و٢) الزُخرف: ٢٢ و٣٣.

وقوله: ﴿ولذلك خَلَقَهم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن‌عبّاس ومجاهد وقَتادَة والضحّاك: إنّ المراد: للرحمة خَلَقَهم، وليس لأحد أن يقول: لو أراد ذلك لقال: ولتلك خَلَقَهم، لأنّ «الرحمة» مؤنّثة اللفظ،وذلك أنّ تأنيث «الرحمة» ليس بتأنيث حقيقي، وما ذلك حكمه جاز أن يُعبّر عنه بالتذكير، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إنّ رَحْمَتَ الله قريب من المحسنين﴾ (١) ولم يقل: «قريبة» على أنّه لا يمتنع أن يكون المراد: ولأن يرحم(٢) خَلَقَهم، لأنّ الرحمة تدلّ على ذلك، فعلى هذا يكون التذكير واقعاً موقعه.

الثاني: أن يكون اللام لام العاقبة، والتقدير: أنّه خَلَقَهم وعلم أن عاقبتهم تؤول إلى الاختلاف المذموم، كما قال: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحَزَناً﴾ (٣) وكما قلناه في قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنّم﴾ (٤) وهو المرويّ عن ابن‌عبّاس والحسن وعطاء ومالك.

وقد يكون اللام بمعنى «على» كقولك: أكرمتك على برّك بي، أي: لبرّك بي، فيكون التقدير: وعلى ذلك خَلَقَهم.

ولا يجوز أن يكون اللام لام الغرض ويرجع إلى الاختلاف المذموم، لأنّ الله تعالى لا يخلقهم ويريد منهم خلاف الحقّ، لأنّه صفة نقص فتعالى الله عن ذلك، وأيضاً فلو أراد منهم ذلك الاختلاف لكانوا مطيعين له، لأنّ الطاعة هي موافقة الإرادة أو الأمر، ولو كانوا كذلك لم يستحقّوا عقاباً، وقد قال تعالى: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾ (٥) فبيّن تعالى أنّه خلقهم

(١) الأعراف: ٥٦. (٢) في مجمع البيان: «يرحموا». (٣) القصص: ٨.
(٤) الأعراف: ١٧٩. (٥) الذاريات: ٥٦.

وأراد منهم العبادة، فكيف يجوز مع ذلك أن يكون مريداً لخلاف ذلك؟ وهل هذا إلّا تناقض؟! فتعالى الله عن ذلك. على أنّ في اختلاف أهل الضلال ما يريده الله، وهو اختلاف اليهود والنصارى في التثليث، واختلاف النصارى لليهود في تأبيد شرع موسى.

وقيل: إنّ معنى الاختلاف هاهنا هو مضيّ قوم ومجيء قوم آخرين، كما قال: ﴿هو الّذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً﴾ (١) وهذا الاختلاف يجوز أن يريده الله.

وقال الحسن: قوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ مردود على قوله: ﴿وما كان ربّك ليهلك القرى بظلمٍ وأهلها مصلحون﴾ (٢) والمعنى: خلقهم ليكون عدله فيهم، هذا، أن لا يهلكهم وهم مصلحون.

وقوله: ﴿ولو شاء ربّك لجعل الناس أُمّة واحدة﴾ على الإيمان، وهذه مشيئة القدرة ﴿ولذلك خلقهم﴾ أن تكون مشيئته وقدرته عليهم ﴿ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم﴾ قال: ليخالف أهل الحقّ أهل الباطل، وهو كقوله: ﴿لتنذر أُمّ القرى ومن حولها و تنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنّة وفريق في السعير﴾ (٣).

ويقوّي هذا التأويل قوله: ﴿وإن كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا بريء ممّا تعملون﴾ (٤) وقوله: ﴿قل يا أيّها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ (٥) فيكون الله خلقهم ليخالفوا الكافرين والمبطلين. وقال عمر (٦) عن الحسن: إنّ معنى ﴿ولذلك خَلَقَهم﴾

---

(١) الفُرقان: ٦٢. (٢) الآية: ١١٧ المتقدّمة. (٣) الشُورى: ٧.
(٤) يونس: ٤١. (٥) الكافرون: ١ ـ ٣. (٦) في الخطّيّة: «عمرو».

ليكون أمر الكفّار[١] مختلفاً بكفرهم وتكذيبهم. وقال البلخي: أخبر أنّهم لا يزالون مختلفين، إلّا من رحم فإنّهم غير مختلفين، هذا معنى الآية، وإلّا فلا معنىً لها، ثمّ قال: ﴿ولذلك خَلَقهم﴾ أي: لأن تكونوا أُمّةً واحدةً متّفقين غير مختلفين.

وقوله: ﴿وتمّت كلمة ربّك لأملأنّ جهنّم من الجِنَّة والناس أجمعين﴾ معناه: التحذير لكلّ أحد أن يكون ممّن تملأ جهنّم به، وتمامها وقوع مخبرها على ما تقدّم بها، وهذا يمين أقسم الله به، وتقديره: يميناً لأملأنّ، كما تقول: حَلفي لأضربنّك، وبدا لي لأضربنّك، وكلّ فعل كان تأويله كتأويل «بلغني» أو «قيل لي» أو «انتهى إليَّ» فإنّ اللام و «أن» يصلحان فيه، فتقول: بدا لي لأضربنّك، وبدا لي أن أضربك. فلو قيل: «وتمت كلمة ربّك أن يملأ جهنّم من الجِنّة والناس» كان صواباً.

قوله [تعالى]:

وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ آية بلا خلاف.

قوله: ﴿وكُلًّا﴾ نصب على المصدر، وتقديره: كُلّ القصص نقصُّ عليك، وقال قوم[٢]: هو نصب على الحال، فقدّم الحال قبل العامل،كما تقول: كُلًّا ضربت. ويجوز أن يكون نصباً على أنّه مفعول به، وتقديره: وكُلّ الّذي يحتاج إليه نقصّ عليك، ويكون ﴿ما نثبّت به فؤادك﴾ بدلاً منه، في قول الزجّاج.

و «القصص»: الخبر عن الأمور بما يتلو بعضه بعضاً، مأخوذ من: قَصَّهُ

---

(١) في الخطّيّة: أمراً للكفّار.

(٢) منهم الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٨٥.

يَقُصُّه إذا اتّبع أثره، ومنه قوله: ﴿وقالت لأُختِه قُصّيه﴾[١] أي: اتّبعي أثـره. و «الأنباء» جمع «نبأ» وهو الخبر بما فيه عِظَم الشأن، ولذلك يقولون: لهذا الأمر نبأ. و «التثبيت»: تمكين إقامة الشيء، ثَبَّته تَثْبيتاً: إذا مكّنه.

ومعنى ﴿ما نثبّت به فؤادك﴾: يحتمل أن يكون ذلك بتسكينه. ويحتمل أيضاً أن يكون بالدلالة على وجـوده. و«الفـؤاد»: القـلب، مأخـوذ مـن «المفتأد» وهو المشوي، قال النابغة:

كأنّه خارِجاً مِن جنب صَـفْحَتِهِ ... سفُّودَ شَرْبٍ نَسُوهُ عندَ مُـفْتَأَدِ[٢]

ومعنى ﴿وجاءك في هذه الحقّ﴾ قال ابن‌عبّاس والحسن ومجاهد: يعني في هذه السورة. وقال الجُبّائي: يعني جاءك في هذه الأنباء. وقال الزجّاج: يعني في هذه الأزمان. وقال قَتادَة: معناه: في هذه الدنيا. والأوّل أصـحّ، والتقدير: وجاءك في هذه السورة الحقّ مع ما جاءك في سائر السور.

ومعنى الآية: الاعتبار بقصص الرسل لما فيه من حسن صبرهم على أُممهم واجتهادهم في دعائهم إلى عبادة الله مع الحقّ الّذي من عمل عليه نجا، ومع الوعظ الّذي يلين القلب لسلوك طريق الحقّ، ومع تذكّر الخـير والشرّ، وما يدعو إليه كلّ واحد منهما في عاقبة النفع أو الضرر.

وقوله: ﴿وموعظة﴾ يعني: وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله. وقوله: ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ معناه: تذكرة تذكّر المؤمنين بالله ورسله كي لا يفعلوا غير الواجب.

---

(١) القصص: ١١.

(٢) من قصيدته الّتي عدّها البعض من المعلّقات، أنشأها في مدح النعمان.راجع ديوان النابغة الذبياني: ص ٢٣.

قوله [تعالى]:

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ آيتان في الكوفي والبصري وأحد المدنيَّيْن، تمام الأُولى: ﴿إنّا عاملون﴾ وآية فيما سوى ذلك.

أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يقول للكفّار الّذين لا يصدّقون بتوحيد الله ولايعترفون بنبوّة نبيّه ﷺ: ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ و«المكانة»: الطريقة الّتي يتمكّن من العمل عليها، ويقال: له مكانة عند السلطان، أي: جاه وقدر، وهذا خرج مخرج التهديد، وهو مثل قوله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾[1].

وقوله: ﴿إنّا عاملون﴾ معناه: إنّا عاملون على الإيمان الّذي أمرنا الله به ودعانا إليه.

وقوله: ﴿وانتظروا﴾ أي: توقّعوا، وقد فرّق بينهما: بأنّ «التوقّع» طلب ما يقدّر أنّه يقع لأنّه من الوقوع، و«الانتظار» طلب ما يقدّر النظر إليه لأنّه من النظر. والفرق بين «الانتظار» و«الترجّي»: أنّ «الترجّي» للخير خاصّةً، و«الانتظار» في الخير والشرّ. ولو دخلت الفاء في قوله: ﴿إنّا﴾ لأفاد أنّ الثاني لأجل الأوّل، وحيث لم تدخل لم تُفِدْ ذلك.

ومتعلّق «الانتظار» يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: انتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور، فإنّا منتظرون ما يعدنا ربّنا من النصر والعلوّ، في قول ابن جُرَيْج.

الثاني: انتظروا ما يعدكم ربّكم على الكفر من العقاب، فإنّا منتظرون ما يعدنا على الإيمان من الثواب.

---

(١) فصّلت: ٤٠.

قوله [تعالى]:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ نافع وحفص: ﴿يُرجَع﴾ بضمّ الياء وفتح الجيم[١]. وقرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ويعقوب: ﴿تعملون﴾ بالتاء هاهنا وفي النمل[٢] الباقي بالياء.

مَن ضمّ الياء فلقوله: ﴿ثمّ رُدُّوا إلى الله مولاهم الحقّ﴾[٣] والمعنى: ردّ أمرهم إلى الله، ومَن فتح الياء فلقوله: ﴿والأمر يومئذٍ لله﴾[٤] والمعنيان متقاربان. ومَن قرأ بالتاء في ﴿تعملون﴾ جعل الخطاب للنبيّ ولأُمّته، وهو أعمّ فائدةً، ومَن قرأ بالياء [في ﴿يعملون﴾] جعل ذلك متوجّهاً إلى من تقدّم ذكره من الكفّار، وفيه ضرب من التهديد.

أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنّ له غيب السماوات والأرض، وخصّ الغيب بذلك لأحد أمرَيْن:

أحدهما: لأنّ ذلك يدلّ على أنّ له الشهادة أيضاً. الثاني: لِعِظَم شأن الغيب الّذي له. ومن كان له الغيب كان له الشهادة.

و«الغيب»: كون الشيء بحيث لا يلحقه الحسّ، ومنه: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾[٥] أي: عالم الموجود والمعدوم، وما يغيب عن إحساس الناس وما يظهر لها.

ومعنى ﴿وإليه يرجع الأمر كلّه﴾ أي: يذهب إلى حيث ابتدأ منه، فرجوع

---

(١) كذا،ولم يذكر قراءة الباقين وهي «يَرجِع» بفتح الياء وكسر الجيم. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٣٤٠. (٢) الآية: ٩٣. (٣) الأنعام: ٦٢.

(٤) الانفطار: ١٩. (٥) التوبة: ٩٤ و١٠٥، والمؤمنون: ٩٢ وغيرهما.

الأمر إلى الله بالإعادة بعد النشأة الأُولى. وقيل: ترجع الأُمور إلى أن لا يملكها سواه تعالى، في قول أبي عليّ الجُبّائي.

وقوله: ﴿فاعبده﴾ أي: وجّه عبادتك إليه وحده ﴿وما ربّك بغافل عمّا تعملون﴾ فالغفلة: السهو، إلّا أنّ الغفلة يغلب عليها أن تكون بعد اليقظة، كالنوم بعد الانتباه، و«السهو» نقيض «الذِكْر» من غير غلبة[1] في الصفة، والمعنى: أنّه ليس ربّك يا محمّد ﷺ بساهٍ عن أعمال عباده، بل هو عالمٌ بها ومُجازٍ كُلّاً على ما يستحقّه من ثواب أو عقاب، فلا يحزنك إعراضهم عنك وترك قبولهم منك.

وقال كَعْب الأحبار: خاتمة التوراة خاتمة هود[2].

---

(١) في الحجريّة: «علّة».

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره: ج ١٢ ص ٨٩ مسنداً.

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها
فهرس الأشعار والأرجاز
فهرس المباحث العامّة

فهرس الآيات

رقم الآية		الصفحة
	البقرة (٢)	
٣	يؤمنون بالغيب	٤٢٤
١٠	أليم بما كانوا يكذبون	٤٦٩
١٥	الله يستهزئ بهم	٤٧ و٤٨٧
١٧	وتركهم في ظلمات لا يبصرون	١٣٨
١٨ و ١٧١	صمّم بكم عمي	٢٥١ و٣٠٨
٢٢	الذي جعل لكم الأرض فراشاً...	٢٧٦
٥٢	ثمّ عفونا عنكم	٢١٧
٦١	باءُو بغضب من الله	٤١٩
٧٢	فادّارأتم فيها	٣٣٨
١١٧	كن فيكون	٥٠٣
١٣٢	يا بنيّ إنّ الله اصطفى...	٤٩٩
١٦٤	من السماء من ماء	١١
١٦٦	إذ تبرأ الّذين اتبعوا...	٣٥٧
١٧١	صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون	٥٧٦

١٧٧	أُولئك الذين صدقوا	٢٩٦
١٨٧	علم الله انكم كنتم تختانون...	٢٦٧
١٩١	والفتنة أشدّ من القتل	٤١٨
١٩٤	فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه	٣٣٧
١٩٨	أفضتم من عرفات	٣٩٤
٢١٠	هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله	٣٩ و ٣٢٥
٢١٣	كان الناس أُمّة واحدة فبعث...	٣٤٢
٢٢٠	ولو شاء الله لأعنتكم	٣٠٩
٢٢١	ولا تنكحوا المشركين حتّى يؤمنوا	٥٤٩
٢٢٦	فإن فاءُو فإنّ الله	٣٧٥
٢٤٥	من ذا الّذي يقرض الله...	٢٨١
٢٥٢	تلك آيات الله نتلوها	٣٢٢
٢٦٠	أولم تؤمن قال بلى ولكن...	٤٢٩
٢٧٥	فمن جاءه موعظة	١١٩
٢٨٢	ممّن ترضون من الشهداء...	٤٢٠

آل عمران (٣)

٨	لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا	٢٩٢
١٣	يرونهم مثليهم رأي العين	١٣
١٨	شَهِد الله	٥١٦
٤٥	إذ قالت الملائكة	٧٩
٤٧	كن فيكون	٥٠٣

٥٢	مَن أنصاري إلى الله	٤٨٢
٥٤	ومكروا ومكر الله	٤٨٧ و٤٩٣
٧٣	ولا تؤمنوا إلّا لمن تبع دينكم...	٤٧٥
١٠٣	وكنتم على شفا حفرة من النار	٤٣٥
١٠٨	تلك آيات الله نتلوها	٣٢٢
١١٢	باءُو بغضبٍ من الله	٤١٩
١٣٦	فما وهنوا لما أصابهم	٣١
١٤٦	من ذا الذي يقرض الله قرضاً...	٢٨١
١٥٤	أَمَنَةً نعاساً يغشى	٢٠
١٦٨	فادرءُوا عن أنفسكم الموت	٣٣٨
١٧٣	حسبنا الله ونعم الوكيل	٣١٠
١٦٩ و ١٧٠	يرزقون ❊ فرحين	٣٨٩

النساء (٤)

١	وبث فيها رجالاً... وخلق منها...	٣٤٦ و٤٩٤
٣	فانكحوا ما طاب لكم من النساء	٥٨٦
٦و٤٥و٧٠	كفى بالله	٣٩٢
٢٢	ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء...	٥٧٩
٤١	فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّة...	٣٤٣
٤٦	يحرّفون الكلم عن مواضعه	١٥٧
٤٧	من قبل أن نطمس وجوهاً	٤٢٠
٥١	يؤمنون بالجبت	٤٢٤

٦٩	فأُولئك مع الذين انعم الله عليهم...	٢٩٦
٧٢ .	وإنّ منكم لمن ليبطّئنّ	٥٨٦
٧٧	أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	٢٦٤
٨٣	واُولي الأمر منهم	٤٠٣
٨٧	ليجمعنكم إلى يوم القيامة	٣٧٧
١٧٠	يا أيّها الناس قد جاءكم الرسول بالحق...	٤٣٧
١٧٦	إن امرؤ هلك ليس له ولد	١٢٤

المائدة (٥)

١٣	يحرّفون الكلم عن مواضعه	١٥٧
٦٩	فلا خوف عليهم	٢٩٠
١١٦	أأنت قلت للناس	٤١٣

الأنعام (٦)

٢	ثمّ قضى أجلاً وأجل...	٣٣٠
١١	قل سيروا في الأرض	٣٤٦
١٢	ليجمعنكم إلى يوم القيامة	٣٧٧
٢٣ و ٢٤	والله ربّنا ما كنّا مشركين * انظر كيف...	٥٧٥
٢٨	ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه	٣٧
٦٢	ثمّ ردّوا إلى الله مولاهم	٦٠١
٩٢ و ١٥٥	وهذا كتاب انزلناه مبارك	٣٥٥
٩٤	لقد تقطّع بينكم	٨

١٢٧	دار السلام	٥٣٢
١٣٦	قالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا	٣٦٤
١٤٣ و ١٤٤	ثمانية أزواج من الضأن... ومن الإبل اثنين	٤٩٤
١٦٠	فله عشرة أمثالها	٩٩ و٣٥٣
١٦٤	ولا تزر وازرة وزر أُخرى	٣٧١

الأعراف (٧)

١٦	بما أغويتني	٤٨٧
٥٦	إن رحمت الله قريب من المحسنين	٥٩٦
١٣٤ و ١٣٥	لئن كشف عنا الرجز... فلما كشفنا...	٤٣٧
١٣٧	يعرشون	٣١٨
١٤٥	فخذها بقوّة	٤٧٤
١٥٤	لربّهم يرهبون	٢١١
١٦٨	وبلوناهم بالحسنات والسيئات	٣٥٨
١٧٢	أن تقولوا يوم القيامة إنا كنّا...	٤٢٠
١٧٩	ولقد ذرأْنا لجهنم	٥٩٦
١٨٧	أيان مرساها	٤٩٧

الأنفال (٨)

٨	وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين...	١٣
٢٨	أنما أموالكم وأولادكم فتنة	٤٠
٣١	لو نشاء لقلنا مثل هذا	٣٤
٣٥	وما كان صلاتهم عند البيت إلّا مُكاءً	٢٦٤

٤١	يوم الفرقان يوم التقى الجمعان	٤٥
٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة	٥٥١
٧٠	ومن الأسارى	١٠١

التوبة (٩)

٥	اقتلوا المشركين	٩٥
٣٥	يوم يحمى عليها في نار...	٥٨
٤٠	وكلمة الله هي العليا	٣٦٢
٤٩	ائذن لي	٢١٠
٦٢	والله ورسوله أحقّ أن يرضوه	٣٢٣
٦٣	ألم يعلموا أنه من يحادد الله...	٦٥
٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	١٠٩
٨١	فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف...	٣٨٩
٨٤	ولا تصل على أحدٍ... على قبره	٢٣٧
٨٨	لكن الرسول والذين آمنوا معه	٢٨٣
٩٤ و ١٠٥	عالم الغيب والشهادة	٦٠١
١٠٦	وآخرون مرجون لأمر الله إما...	٢٩٤
١٢١	أحسن ما كانوا يعملون	٤٦٩
١٢٢	وما كان المؤمنون لينفروا كافة...	١٨٤ و ٢٩٩
١٢٩	ربّ العرش	٣١٧

يونس (١٠)

٢	أوحينا	٣٢٢

١٠	وآخر دعواهم أن الحمدلله ربّ العالمين	٥٦٧
١٨	ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم...	٣١٨
٢٥	دار السلام	٥٣٢
٢٧	كأنّما أُغشيت وجوهم	٢١
٤١	وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم...	٥٩٧
٧١	فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثمّ لايكن...	٥١٧

هود (١١)

١	آلر كتاب احكمت آياته	٣١٤
٦	وما من دابّة في الأرض إلّا على الله...	٨٥
١٠	إنّه لفرح فخور	٣٨٩
٣٦	لن يؤمن من قومك إلّا من...	٤٨٦
٤٤	إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً	٥٩٤
٤٨	وعلى أُمم ممّن معك	٥٨٨
٥٠ و ٦١	قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	٣٩٣ و ٥٢٢
٥٢	فاستغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه	٥٢٣
١٠٣	ذلك يوم مجموع له الناس	٤٠٣
١١٤	إنّ الحسنات يذهبن السيّئات	٤٧٢
١١٧	وما كان ربّ ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون	٥٩٧

يوسف (١٢)

١٥	وأوحينا إليه	٣٣٠

١٨ و٨٣	فصبر جميل	٥٣٣
٢٠	وكانوا فيه من الزاهدين	٥٠٨
٢٤	ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى	٢٢٨
٢٧	إن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت	٤٦٢
٤٥	وادّكر بعد أُمّة	٤٥٥
٨٢	واسأل القرية	٥٥٦
٨٥	أو تكون من الهالكين	٩٨
١٠٢	وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم	٤٠٢

الرعد (١٣)

٢٣ و ٢٤	والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب * سلام عليكم	٤٧٤

إبراهيم (١٤)

٤٨	يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات،	٥٧٩

الحجر (١٥)

٢٢	وأرسلنا الرياح لواقح	٥٨٢
٣٩	بما أغويتني	٤٨٧
٥٣	لا توجل	٩

النحل (١٦)

٣٨	وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث...	٣٤١

٥١	إلهين اثنين	٤٩٥
٦٢	لا جرم أنّ لهم النار	٤٠٨
٦٨	واوحى ربّك إلى النحل... يعرشون	٣١٨و٤١٩
٧٣	ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم...	٣٦٥
٩٠	والبغي يعظكم	٥٨٥
١١١	يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها	٥٧٦
١٢٥	وجادلهم بالّتي هي أحسن	٤٨٥

الإسراء (١٧)

١	سبحان الّذي أسرى بعبده	٥٥١
١١	ويدع الإنسان بالشرّ دعاه...	٣٢٩ و٣٣١
١٤	اقرأ كتابك	٣٥٨
١٥	وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً	١٠٣
٥٩	وآتينا ثمود الناقة	٥٣١
٦٤	اعملوا ما شئتم	١٩٧
٧١	فأُولئك يقرءُون كتابهم	٣٥٨
٧٨	أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى...	٥٩١
٨١	قل جاء الحقّ وزهق الباطل	٢٠١
١٠٢	لقد علِمت ما أنزل هؤلاء...	٤١٢

الكهف (١٨)

١٩	لبثنا يوماً أو بعض يوم	٣٧٨

٢٩	فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر	١٩٧
٤٢	وأُحيط بثمره	٣٤٨
٤٧	وحشرناهم فلم نغادر	٣٧٧
٧٩	أما السفينة فكانت لمساكين...	٢٠٧
٩٩	فجمعناهم جمعاً	٣٧٧
١١٠	قل إنّما أنا بشر مثلكم	٣٠٩

مريم (١٩)

٢٦	فإمّا ترينّ من البشر	٥٨٦
٢٨	ما كان أبوك امرأ سوء	٢٥٥
٣٣	السلام عليّ يوم ولدت	٥٣٣
٤٧	قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي	٥٣٣
٥٩	فسوف يلقون غيّاً	٤٨٦

طه (٢٠)

٤٧	والسلام على من اتّبع الهدى	٥٣٣
٦٤	فأجمعوا كيدكم ثمّ ائتوا صفّاً	٤٠٣
١٢١	وعصى آدم ربّه فغوى	٤٨٦
١٢٤	ونحشره يوم القيامة أعمى	٣٧٧
١٢٧	وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن...	٣٧٧

الأنبياء (٢١)

١٨	فإذا هو زاهق	٢٤٣

٢٢	ربّ العرش	٣١٧
٦٢	قالوا أأنت فعلت هذا	١١
٨٣	مسّني الضرّ	٤٤٣
٩٧	فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا	٢٩١
١٠٣	لا يحزنهم الفزع الأكبر	١٠

الحج (٢٢)

٧٧	وافعلوا الخير	٢٧٨
٧٨	أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	٢٦٤

المؤمنون (٢٣)

٣٥	أيعدكم أنّكم إذا متم وكنتم تراباً...	٤٦٨
٨٨	وهو يجير ولا يجار عليه	٧٦
١١٣	لبثنا يوماً أو بعض يوم	٣٧٨

النور (٢٤)

٢	وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين	٢١٨
٣٩	والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة	٣٤
٤٣	ثمّ يجعله ركاماً	٥٨
٦٢	فإن استأذنوك لبعض شأنهم...	١٨٧

الفرقان (٢٥)

٢٢	يوم يرون الملائكة لا بشرى...	٥٠٨

٢٤	أصحاب الجنّة يومئذ خير مستقراً	١٤٥
٣٨	وعاداً وثمود	٥٣١
٤١	أهذا الّذي بعث الله رسولاً	٣٧٦
٦٢	هو الذي جعل الليل والنهار خلفةً	٥٩٧
٦٣	إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً	٥٣٢
٦٥	إنّ عذابها كان غراماً	٢٥٦

الشعراء (٢٦)

٤	إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آيةً فظلّت...	٤٣٦
٥٢	أنِ اسر	٥٥١
٨٦	واغفر لأبي إنّه كان من الضالّين	٢٨٦
١١٩	في الفلك المشحون	٣٤٧

النمل (٢٧)

٩	إنّه أنا الله العزيز الحكيم	٣٩٣
١٨	يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم...	٤١
٢٨	فألقه إليهم ثمّ تول عنهم فانظر...	٢٠٠
٤٤	صرح ممرّد من قوارير	٢٦١
٥٩	سلام على عباده الذين اصطفى	٥٣٣
٦٩	قل سيروا في الأرض	٣٤٦
٧٢	ردف لكم	٢١١
٨٨	صنع الله الّذي أتقن كلّ شيء	٢٨٢

القصص (٢٨)

٨	فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً...	٥٩٦
١١	وقالت لأُخته قصّيه	٥٩٩
٢٠	إنّي لك من الناصحين	٥٠٨
٣١	أقبل ولا تخف	٥٤١
٤١	وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار	١٣٤
٦٦	فعميت عليهم الأنباء يومئذٍ	٤٧٨
٧٦	إنّ الله لا يحبّ الفرحين	٣٨٩

العنكبوت (٢٩)

٢	أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا...	٩٠
٤	ساء ما يحكمون	٩٠
٢٤	فأنجاه الله من النار	٤٣٩
٣٢	إن فيها لوطاً... نحن أعلم بمن...	٥٤٤
٣٣	إنّا منجّوك وأهلك	٩٧
٣٨	وعاداً وثمود	٥٣١

الروم (٣٠)

٤ و ٥	ويومئذٍ يفرح المؤمنون * بنصر الله	٣٨٩
٣٠	فطرت الله التي فطر الناس عليها	٢٨٢
٣٦	وإن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم...	٣٤٥
٤٧	وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين	٢٩٠

لقمان (٣١)

١٥	وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس...	١٤٨
١٦	يا بنيّ إنّها	٥٠٠
١٩	إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير	٢٦٤

السجدة (٣٢)

١٢	ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم...	٨٠

الأحزاب (٣٣)

٢٣	ومنهم من ينتظر	٢٩٦
٣٥	والذاكرين الله كثيراً والذاكرات	١٦٨
٣٧	أمسك عليك زوجك	٤٩٤
٥٧	إنّ الذين يؤذون الله ورسوله	٢٤

سبأ (٣٤)

٣	يعزب	٣٩٢
٦	هو الحقّ	٥٠
٣٣	بل مكر الليل والنهار	٥٢٧

فاطر (٣٥)

١٤	إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا...	٣٦٥
١٨	ولا تزر وازرة وزر أُخرى	٣٧١
٤٣	ولا يحيق المكر السيّىء إلّا بأهله	٣٤٩

يس (٣٦)

٩	فأغشيناهم فهم لا يبصرون	٢١
٣٢	وإن كلاً لما جميع لدينا محضرون	٥٨٧
٤١	في الفلك المشحون	٣٤٧

الصافات (٣٧)

٢٤	وقفوهم إنّهم مسؤلون	٥٧٦
١٢٥	أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين	٥٤٢
١٣٧ و١٣٨	وإنّكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل	٣٦٢

ص (٣٨)

٤	وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب	٣١٤
٦	وانطلق الملأ منهم أن امشوا...	٥٩٢
٢٢	بغى بعضنا على بعض	٣٤٨

الزمر (٣٩)

٣	والذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم...	٤٧٤
٦	خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها...	٥١٣
٧	ولا تزر وازرة وزر أُخرى	٣٧١
٥٤	وانيبوا إلى ربّكم	٥٤٥
٦٥	لئن أشركت ليحبطنّ عملك	٥٠٧

غافر (٤٠)

٧	الذين يحملون العرش ومن حوله	٣١٨

٨٣ فلما جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا... ٣٨٩
٨٥ فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا ٤٣٥

فصلت (٤١)

١٧ وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ١٥٠
١٨ ونجّينا الذين آمنوا ٤٣٩
٣٠ وأبشروا بالجنّة ٤٤٩
٤٠ اعملوا ما شئتم ١٩٧ و ٦٠٠
٤٩ دعاء الخير ٣٢٩

الشورى (٤٢)

٧ لتنذر أُمّ القرى ومن حولها وتنذر... ٥٩٧
١٦ والذين يحاجّون في الله من بعد ما... ٣٠٢
٢٢ ترى... مشفقين ممّا... ٣٧٥
٤٠ وجزاء سيّئة سيّئة ٤٨٧ و٤٩٣

الزخرف (٤٣)

١٩ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ١٨١
٢٢ إنّا وجدنا آباءنا على أُمّة ٥٩٥
٣٠ ولمّا جاءهم الحقّ قالوا هذا سحر وإنّا... ٣١٤
٣٣ ولولا أن يكون الناس أُمّة واحدةً ٥٩٥
٣٥ وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا ٥٨٨

٥١ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار... ٣٢٧
٦٦ هل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتةً ١٤
٧٦ ولكن كانوا هم الظالمون ٥٠
٨٠ ورسلنا لديهم يكتبون ٣٥٨
٨٥ وعنده علم الساعة ٢١٠
٨٨ وقيله يا ربّ ٢١٠
٨٩ فاصفح عنهم وقل سلام ٥٣٣

الجاثية (٤٥)

٦ تلك آيات الله نتلوها ٣٢٢

محمّد (٤٨)

٤ فإمّا منّاً بعد وإمّا فداءً ١٠٢

الفتح (٤٨)

١٠ فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ٣٤٩
١٢ وظننتم ظنّ السوء ٢٥٥
٢٥ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم... ١٤
٢٦ وألزمهم كلمة التقوى ٣٦٢
٢٧ لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمين ١٥٦

الحجرات (٤٩)

٩ فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله ١٨٣ و ٤٢٥

١٢	أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً	٢٠٤
١٤	قالت الأعراب	٢٩١

الذاريات (٥١)

١٣	يوم هم على النار يفتنون	٤١٨
٣٣	لنرسل عليهم حجارةً من طين	٥٥٤
٤٩	من كلّ شيء خلقنا زوجين	٤٩٦
٥٦	وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون	٥٩٦

الطور (٥٢)

٤٠	من مغرم مثقلون	٢٥٦

النجم (٥٣)

٣ و ٤	وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحي يوحى	١١ و٣٣٦
٥٣	والمؤتفكة أهوى	٢٢٢ و٥٥٦
٥٤	فغشّاها ما غشّى	٢١

القمر (٥٤)

١	اقتربت الساعة	٣٧٧

الرحمن (٥٥)

٥	والشمس والقمر بحسبان	١٧١

٣١	سنفرغ لكم	٣٢٩
٣٩	فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان	٥٧٦
٤١	فيؤخذ بالنواصي والأقدام	٥١٨

الواقعة (٥٦)

٢٢	حوراً عيناً	٥٣٨

الحديد (٥٧)

٢٢	ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم...	١١٢

المجادلة (٥٨)

١٣	وتاب الله عليكم	٢٦٧
٢١	كتب الله لأغلبنّ أنّا ورُسُلي	٣٦٢

الممتحنة (٦٠)

٤	إلّا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك...	٢٨٥

الصف (٦١)

٥	فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم	٢٩١

الجمعة (٦٢)

١١	وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها	١٦٧

المنافقون (٦٣)

٦ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم... ٢٣٦

٨ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ... ٢٢٧

١٠ فأصّدق وأكن من ٣٩٣

التغابن (٦٥)

١٥ أنّما أموالكم وأولادكم فتنة ٤٠

الطلاق (٦٥)

٢ فإذا بلغن أجلهن... ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ٣٧٥ و ٥١٤

٣ ويرزقه من حيث... ومن يتوكّل على الله فهو حسبه ٥١٤ و١٩٦

الملك (٦٧)

٣ سبع سمٰوات طباقاً... هل ترى من فطور ٣٨٦ و٥١٣

١٥ فامشوا في مناكبها ٣٤٦

٣٠ إن أصبح ماؤكم غوراً ١٨٠

القلم (٦٨)

١١ همّاز مشّاءٍ بنميم ٢٠٤

٤٦ من مغرم مثقلون ٢٥٦

المعارج (٧٠)

١ و٢ سأل سائل بعذابٍ واقع ❊ للكافرين ٤٩

٤٣ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً... ٥٢٢

نوح (٧١)

١٥ سبع سمٰوات طباقاً ٣٨٦
١٧ أنبتكم من الأرض نباتاً ٣٩٠ و ٥٢٢
٢٦ و ٢٧ ربّ لاتذر على الأرض... ❊ إنّك إن تذرهم... ٤٩٠

الجن (٧٢)

١٥ وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً ٣٧٩

المزمل (٧٣)

٢٠ ولكن كانوا هم الظالمون ٥٠

المدّثر (٧٤)

٥ والرجز فاهجر ٤٣٧

الإنسان (٧٦)

١ هل أتى على الإنسان... ١٣٨

المرسلات (٧٧)

٣٥ و ٣٦ هذا يوم لا ينطقون ❊ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ٥٧٦
٣٩ فإن كان لكم كيد فكيدون ٥١٧

النبأ (٧٨)

٢٣ لابثين فيها أحقاباً ٥٧٩

النازعات (٧٩)

٣٢ والجبال أرساها ٤٩٨

٤٢ أيّان مرساها ٤٩٧

الانفطار (٨٢)

١ إذا السماء انفطرت ٥١٣

١٩ والأمر يومئذٍ لله ٦٠١

المطففين (٨٣)

٧ و٨ و٩ كلّا إنّ كتاب الفجار... * وما أدراك... * كتاب مرقوم ٥٥٤

الانشقاق (٨٤)

٢ وأذنت لربّها ٢١٠

الطارق (٨٦)

٤ إن كلّ نفس لمّا عليها حافظ ٥٨٥

الفجر (٨٩)

١٩ وتأكلون التراث اكلاً لمّا ٥٨٦

٢٢ وجاء ربّك ٣٢٥

الشمس (٩١)

٥ وما بناها ١٢

الليل (٩٢)

٣	وما خلق الذكر والأُنثى	١٢

العلق (٩٦)

١ و٢	اقرأ باسم ربّك الذي خلق * خلق الإنسان...	٢١٠

الزلزلة (٩٩)

٥	بأن ربّك أوحى لها	٣٣٠ و٤٧٢
٧ و٨	فمن يعمل مثقال ذرّة خير يره * ومن يعمل...	٣٥٨

العصر (١٠٣)

١ و٢ و٤	والعصر * إنّ الإنسان لفي خسر * إلّا الذين آمنوا...	٤٥٨

الكافرون (١٠٧)

١ و٢ و٣	قل يا أيّها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم...	٥٩٧

فهرس الأشعار والأرجاز

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
		[الألف]	
إذا الجوزاء	الظنونا		١٧
ألا ليتني	حاذرا		٢٣
وقائلة	كماهيا		٢٥
تسمع	وبددا		٢٦
لولم	عمرا	...	٥٣
فغدت	وأمامها	لبيد	٦١
فاصبحت	وتحمدا	الأخطل	٦١
هم يضربون	وحموا	زهير	٧٦
فإن الله	كلانا		٩٣
تلك المكارم	أبوالا		١١١
فإن أنت	الغمارا		١٢٤

فكيف ولم	قدوا	الحطيئة	١٢٧
متّخذاً	دولجا		١٣٩
فألفيته	إلّا قليلا		١٥٩
وهل	ابنما	...	١٦٥
إنّ شرخ	جنونا	حسّان	١٦٧
ألسنا	حراما	...	١٧٥
لقد	جمدوا	مهلهل	٢٠٣
دمن	وحرامها	لبيد	٢١٨
مانقموا	غضبوا		٢٢٩
عقب	حصيرا	...	٢٣٨
تقول	والوجعا	الأعشى	٢٥٧
ضروح	وتنمّرا	الجعدي	٢٨٧
نطيع	رؤوفا	كعب بن مالك الأنصاري	٢٩٣
أرى	وتسلما		٣٠٥
أحقّاً	رقيبها	...	٣١٩
إذا الشخص	هجولها	ذو الرمّة	٣٢٩
كأن لم	عزبّزا	الخنساء	٣٣٣
باتت	سبعينا	لبيد	٣٤٧
متوّج	والقترا	...	٣٥٣
هنالك	يغلوا	زهير	٣٥٨
ولقد	يغضبوا		٤٠٨ و ٤٧٠
تعدون	المقنعا		٤٣٣
أبني	أغضبا		٤٤٧

وأُقسم	مدفعاً		٤٦٥
فمن	لائماً	...	٤٨٦
وكل	بذاك معاً	الأعشى	٤٩٦
وانكرتني	والصلعا	الأعشى	٥٣٧
وأضحكت	ودينا	الكميت	٥٣٩
وضحك	اللقاء		٥٤٠
يوم	الطوالا		٥٤٧
تميم	جوابها		٥٦٤
عرادة	تبابا		٥٧٢
بآية	مداماً		٥٧٣
كفّاك	الدما		٥٧٤
فلو أنّ	مصرعا		٥٨٦
ناجٍ	فزلفا		٥٩٠

[الهمزة]

بارزة	ولا خلاء	زهير	٤٣
فاضرب	السواء	الراجز	٨٨
ذر الأكلين	الماء		١٦٦
فأوه	وسماء		٢٨٧

[الباء]

ودع	مجيب	كعب بن سعد الغنوي	٣٧

عجزاء	والقصب	ذي الرمّة	٤٦
ويل أُمّ	والرهب	طفيل	٩٢
دعيهم	دائب		١٠٨
وخبّرتماني	وقليب		١٢٧
وجدناهم	لا يكذب		١٢٨
والمرء	تعذيب	عبيد بن الأبرص	١٣٦
أرانا	وبالشراب	...	١٩١
لمياء	شنب	ذي الرمّة	٢٣٤
إذا	مذنب		٢٥٢
سموت	يصاب	...	٢٥٣
كليني	الكواكب	النابغة	٢٩٧
وقد	كذب	ذو الرمّة	٥٣٧
وكنت	يوم عصيب	عدي بن زيد	٥٤٧
فانك	بالعراق عصيب	...	٥٤٧
ويلبون	بيوم عصيب	كعب بن جعيل	٥٤٧
من يساجلني	الكرب	الفضل بن العبّاس	٥٥٤
فالمرء	تعذيب	عبيد	٥٧٣
يجذّ	الحباب	النابغة	٥٨٣

[التاء]

أسيئي	تقلت	كُثير	١٩٨
ولقد	الملّكات		٢٤٦

[الحاء]

أنصحوا	بالرّواح	جرير	٢٤٥
لو أنّ	الأماديح		٣٥٤
فقد كنت	بائح	...	٤٢٦
فمن	بقرواح	أوْس بن حجر	٤٢٧
وقفنا	اللوائح		٥٣٤

[الدال]

جرت	ميعاد		٦٨
ياويح	المُلحد	حسان بن ثابت	٨٨
إذا كانت	مهند		٩٧
أنا الفقير	سَبَد		٢٠٦
بنى السماء	ولا عمد		٢٧٦
أزور	بجند	عمرو بن معدكرب	٣٢٨
غنيت	وتودد	النابغة	٥٣١/٣٥١
إلّا الأواري	الجلد	...	٤٣٣
عمرت	خلود	لبيد	٤٩٨
لو شهد	الجلاد	...	٥١١
أسرت	البَرَدِ	النابغة	٥٥١
يُهدى	الممتاد	...	٥٩٣
كأنّه	مفتاد	النابغة	٥٩٩

[الراء]

ما أنا	بحسر	المرّار	٥٧

وعينان	الجؤذر	الراعي	٦٦
ومازال	وعامر	خداش بن زهير العامري	٨٢
تعالى	القدور	...	١٢٣
فإن القوافي	الإبر	طرفة	١٣٩
لله قبر	ووقار		١٥٣
في سماع	مشار	...	٢١٠
لمن الديار	شهر	زهير	٢٧٤
والخير	محذور	...	٢٧٨
لكم قدم	البحر	ذو المرمّة	٣١٧
أقول	الفاخر	...	٣٢٨
ترتع	وإدبار	الخنساء	٥٠٦
إلى الحول	اعتذر	لبيد	٥٠٩
ولا يُنجي	الفرار		٥٠٩
لاهمّ	يعمور		٥٣٤
جئتني	سيّار		٥٣٨
من شارب	بسور		٥٦٦
... لم يجدوا	بأزفار		٥٧٨

[الزاي]

لادرّ	مكنوز	الهذلي	١٦٧
وحديثها	المتحرّز		٤٠٩

[السين]

وبلدة	العيس		٤٣٤

[العين]

وجئنا	ومقنّع	كعب بن مالك	٥٧
يا ليتني	وأضع		١٩١
لنا القدم	تابع	حسّان	٣١٦
وعليهما	تبع	أبو ذؤيب	٣٣٠
زوجة	والنزع	الأخطل	٤٩٤
فصبرت	تطلع	لبيد	٤٩٨
فنكرته	جرشع	أبو ذؤيب	٥٣٧

[الفاء]

نحن بما	مختلف	...	١٦٧ و ٢١٣
أبعد	سعف	كعب	٢٧٠
يواعدني	خليف	أبوذؤيب	٣١٤
فجاءُوا	الأُنوف	مهلهل	٥٤٨

[القاف]

كبنيانة	أبلق	أوس	٢٧٦
ثمّ استوى	مهراق	...	٣١٧
حشرج	نهق	رؤبة	٥٧٧

[الكاف]

لئن حللت	فدك	زهير	١٥٧

[اللام]

إنّ تقوى	والعجل	لبيد بن ربيعة	٥
لعمرك	أوّل	...	١٠
وفارس	بإقبال	أوس بن حجر	٦٦
أهاج	الهجل	الحرّ بن البعيث	١٤٧
نصروا	الأبطال		١٥١
وما يدري	يعيل	...	١٥٥
وأراني	كالمختبل	الجعدي	١٦٨
تُولي	القبل	...	١٧٧
إذا لسعته	عواسل	الهذلي	٣٢٤
في فتيةٍ	وينتعل	...	٣٢٨
من كل	مجهول	كعب بن زهير	٤٢٠
فاليوم	واغل	امرئ القيس	٤٨١
وناع	الأنامل		٤٨١
ما يقسم	البال	...	٤٩٠
يقول	فانزل	امرئ القيس	٥٢٦
فجاء	النحل	لأبي ذؤيب	٥٤٠
دع عنك	الرواحل	امرؤ القيس	٥٦٧

[الميم]

فتوهّموني	معلم		١٥
لاتنه	عظيم		٤٤ و ٥٦٠

أفسد	الرحم	ابن مقبل	١٢٨
لعمرك	النعام	حسّان	١٢٨
وخالجت	أيّم	صفيّة بنت عبدالمطلب	١٤٧
إلّا رماداً	سُحم	المخبّل السعدي	١٤٧
إنّ البختل	هرمُ	زهير	٢٣١
وقابلها	وارتسم	الأعشى	٢٦٤
ترى	الرحيم	...	٢٩٣
وكلّ يوم	وحميم	المرقّش الأصغر	٣٢١
لقد لمتنا	بنائم	جرير	٣٩٩
فلا ينبسط	راغم	الأعشى	٤٢١
ومن هاب	بسلم	زهير	٤٦٢
ما راعني	الخمخم	عنترة	٥٤٣
خيط	ولا هضم	الجعدي	٥٧٨

[النون]

فإن تصبر	ما تريان	...	٩٨ و٥٩٢
أيّها القلب	وأذن	عديّ بن زيد	٢١١
وإن يستضيفوا	عدن	الأعشى	٢٢٥
إذا ما	الحزين	المثقّب العبدي	٢٨٦
قد جعلت	القرين		٣٥٨
يأوي	ومجدٍ بان	...	٥٥٠
سريت	بأرسان	امرؤ القيس	٥٥١
وكلّ أخٍ	الفرقدان		٥٨٠

[الهاء]

إذا لقيتك	اللّمزه		٢٠٤
من كلّ	التحيّه	زهير بن حباب الكلبي	٣٢٨
ومهمهٍ	العمّه		٤٧٩
وانّي	مصادره		٥٨٥

[الياء]

ضننت	أُصدِّي	الراجز	٥٥
وكأنّها	فتعيّ		٦٧
أنائل	سلمي		٩٣
فمتى	الساقي	...	١٢٤
قاربت	ولمزي	رُؤبة	٢٠٤
أنا ابن	لذاتي		٢٠٨
لا همّ	بعدي	...	٣٣٨
ألا أنعم	الخالي	امرئ القيس	٣٨٦
فما أدري	يليني		٤٦٥
وقد علتني	تشدّدي		٤٧٨
أضحى	ويدي	...	٤٧٨
طريد	لساني	الزبرقان	٤٨٩
فلست	ولالواني	...	٥٠٠
إن يمس	مناصي	أبوالنجم	٥١٨

* * *

فهرس المباحث العامّة*

سورة الأنفال

اختلاف المفسّرين في معنى الأنفال ٣
هل لأحد بعد النبيّ أن ينفّل أحداً؟ ٧
الإيمان يزيد وينقص وأنّ أفعال الجوارح قد تكون إيماناً ٨
معنى التوكّل ١٠
معنى الحقّ ١٦
أقسام الجعل ١٩
معنى التولية ٢٧
ردّ على الغلاة القائلين: الله حال بمحمّد ٢٩
ردّ على من يقول: الفعل من الله بالإيجاد ومن العبد بالاكتساب ٣٠
وجوه التشبيه ٣٤
ردّ على من يجوّز أن يكون في مقدور الله لطف لو فعله بالكافر لآمن ٣٧
الفرق بين الدعاء إلى الفعل والأمر به ٣٧، ٣٥٢

(*) قد عُنون هذا الفهرس في المجلّدات السابقة بـ«فهرس الموضوعات» لكن رأينا أنّ العنوان المذكور أنسب، والمقصود منه المباحث غير المختصّة بالتفسير.

الفرق بين المكر والغدر ٤٦
ردود على من يقول: المعارف ضروريّة ٤٩، ٥٤، ١٢٥، ١٨٩
الفرق بين العذب والعذاب ٥١
أقسام المولى ٦٠
مصارف الخمس ٦٢
بحث في اشتقاق دنيا وأمثالها ٦٧
أقسام الرؤيا ٦٩
إبطال مذهب المجبّرة ٨٣، ٤٣٦
بحث في «سلم» واللغات فيها ٩٣
جواب من يسأل: إذا جاز مهادنة الكفّار فهلّا جاز المهادنة في الإمامة ٩٤
استدلال على أن قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح﴾ غير منسوخٌ ٩٤ ـ ٩٥
بحث في أسير، أسرى، أُسارى ١٠١
ردّ على الجبّائي في قوله: كان من النبيّ معصية ١٠٣
الفرق بين الحلال والمباح ١٠٥
هل تصحّ الهجرة في هذا الزمان أو لا؟ ١١١

سورة التوبة

بحث في «أئمّة» ونظائرها ١٣٣
دليل على أنّ الذمّي إذا أظهر الطعن في الإسلام وجب قتله ١٣٤
بحث في «ألا، لا، ليس، أليس» ١٣٥
بحث في «أبد» ومعانيها، والفرق بين الأبد والخلود ١٤٦
يستدلّ بقوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين﴾ على أنّ اليهود والنصارى غير عارفين بالله ١٥٦

هل تؤخذ الجزية من غير اليهود والنصارى والمجوس؟ ١٥٨
جواب من يسأل عن الإخبار عن اليهود بأنّهم يقولون عزير ابن الله مع أنّهم ينكرون ذلك ١٦٠
متى يجوز دخول «إلّا» في الإيجاب ومتى لا يجوز ١٦٤
من شأن الرسول أن يكون أفضل من جميع أُمّته ١٦٥
بحث في النسيء والنسيّ وأمثالها ١٧٣
ردّ على من يتوهّم أنّ قوله تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن انّ الله معنا﴾ فيه فضيلة لأبي بكر ١٨١
ردّ على من يستدلّ بعدم النسخ بأنّ المنسوخ هو ما لا يجوز فعله ١٨٤
ردّ على من يقول: إنّ قوله تعالى ﴿عفا الله عنك لما أذنت لهم﴾ يدلّ على وقوع ذنب من النبيّ ١٨٦
جهاد السيف أفضل أم جهاد العلم؟ ١٨٨
جواب من يسأل: ما الفائدة من كتب ما يكون من أفعال العباد قبل كونها؟ ١٩٥
الفرق بين الفقير والمسكين ٢٠٦
بحث في «إذن» مثلّث الهمزة ٢٠٩
الفرق بين لام الابتداء ولام القسم ٢٣٠ ـ ٢٣١
بحث في «لما، إذا، إذ، متى، لو» والفرق بينها ٢٣١
بحث في «خوالف» وأمثالها ٢٤٤
بحث في «السوء» بضمّ السين وفتحها وأمثالها ٢٥٥
بحث في «قربة» وجمعها واللغات فيها ٢٥٧
الفرق بين الآخَر والآخِر ٢٧٠
بحث في «تقوى» ومشتقّاتها وأمثالها ٢٧٤
بحث في «جرف» ٢٧٧

بحث في «كاد» وأمثالها وعملها وتأنيث الفعل وتذكيره ٢٩٠
ردّ على من يستدلّ بآية النفر على حجّية الخبر الواحد ٣٠١
بحث في «غلظ» ومشتقّاتها وأمثالها ٣٠٣

سورة يونس

بحث في «ضياء» وأمثالها واللغات فيها ٣٢١
ردّ على ما يستدلّ بقوله ﴿ما يكون لي أن أُبدله من تلقاء نفسي﴾ على عدم صحّة نسخ القرآن بالسنّة ٣٣٦
بحث في «أدراك» وأمثالها، وأدراك به، وأدراكه ٣٣٧ ـ ٣٣٨
جواب من يسأل: كيف ذمّ الله المشركين على عبارة الوثن لأنّه لا يضرّ ولا ينفع، مع أنّه لو ضرّ ونفع لم يجز لهم أن يعبدوه ٣٤١
استدلال على أنّ القرآن معجز وردّ على من يشكّ به ٣٦٨، ٤٥٩
الفرق بين القاسط والمقسط ٣٧٩
الفرق بين متى وأين ٣٨٠
الفرق بين الوعد والوعيد ٣٨٠
ردّ على من يسأل: كيف جاء الأمر للمؤمنين بالفرح وقد ذمّ الله ذلك في مواضع من القرآن ٣٨٩
الفرق بين الإيمان والتقوى والإيمان بالله والطاعة له ٣٩٦
الفرق بين الجعل والفعل والتغيير ٣٩٩
بحث في نون «تفعلان» إذا دخلت على الفعل نون التوكيد ٤٢٣

سورة هود

الفرق بين الإجابة والطاعة ٤٦١
ردّ على من يقول بالإحباط من المعتزلة وأصحاب الوعيد ٤٦٣

بحث في «عوج» بفتح العين وكسرها	٤٦٧
بحث في «جرم، لا جرم»	٤٧٠
بحث في العمى والصمم والسمع والبصر	٤٧٣، ٤٧٩
بحث في «بادي، بادئ»	٤٧٦ ـ ٤٧٧
بحث في «أراذل» وفي «إنسان»	٤٧٧
الفرق بين الجدال والحجاج	٤٨٤
بحث في «فَعَل، فُعُل»	٤٩١ ـ ٤٩٢
بحث في «زوج، زوجة»	٤٩٤
بحث في ياء المتكلّم حال النداء مثل «يا بنيّ»	٥٠٠
جواب من يسأل: كيف دعا نوح ابنه للركوب في السفينة مع أنّ الله نهاه أن يركب فيها كافراً	٥٠١
ردّ على الرماني في قوله: إنّما يكون الجهل قبيحاً إذا كان متعمّداً	٥٠٧
الفرق بين السؤال والطلب	٥١٢
بحث في «مفعال» مثل مدرار، معطار	٥١٤
دليل على صحّة نبوّة محمّد	٥١٦
الفرق بين الإنظار والتأخير	٥١٧
ردّ على من حرّم المكاسب	٥٢٣
الفرق بين الشكّ والريبة	٥٢٤
بحث في اسم الحيّ واسم القبيلة وفي الممنوع من الصرف منها وغير الممنوع	٥٣٠
بحث في مادّة «سَلم، سِلم، سلام» ومعانيها واستعمالها	٥٣٢
في معنى «حنيذ» وفي مجيء فعيل بمعنى مفعول	٥٣٥
الفرق بين الدفع والردّ	٥٤٦

الفرق بين السوء والقبيح	٥٤٧
بحث في «سجّيل ومسوّمة»	٥٥٤ ـ ٥٥٥
الفرق بين البخس والظلم	٥٥٧
ردّ على من يقول الأمر مشترك بين القول والفعل	٥٦٩
بحث في «فِعل» مثل وِرد، رِفد	٥٦٩ ـ ٥٧٠
الفرق بين «لأجل» وبين «إلى أجل»	٥٧٤
جواب على سؤال مقدّر	٥٧٥ ـ ٥٧٦
بحث في أنواع الاستثناء بـ«إلّا» وأشباهها	٥٧٨ ـ ٥٨٠
بحث في «سعدوا، سعيد، مسعود» وأمثال ذلك	٥٨١
بحث في «لمّا» وأصلها ومعناها وكيفيّة استعمالها	٥٨٥ ـ ٥٨٨
بحث في «زلفا»	٥٩٠
استدلال بقوله تعالى ﴿فلولا كان...﴾ على وجوب الأمر بالمعروف	٥٩٢
دفع الشبهة الّتي ترد عليى ظاهر قوله تعالى ﴿ولو شاء ربّك...﴾	٥٩٥ ـ ٥٩٨
الفرق بين الانتظار والترجّي	٦٠٠